

معروف الرصافي



ديوان الرصافي



مكتبة علي بن صالح الرقمية

معروف الرّصافي
(1875 - 1945 م)



ديوان مَعْرُوف الرّصافي

القرن العشرون ميلادي



KOTOBONLINE
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الجزء الأول

الكُونِيَّات

في مشهد الكائنات

جمالكَ يا وجه الفضاء عجيب

جمالُكَ يا وجهَ الفضاء عجيبُ
وعينُكَ في أمِ النجوم كبيرة
وما زلتَ تغضيها فنخطئُ قصدنا
فيحمرُّ منها في الغديَّة مَطْلَعُ
ويخلفها البدر المنير حفيْذُها
وليلٍ كأنَّ البدر فيه مَليحة
سريُّ به والبحرُ رهوٌ بجانبِي
فشاهدت فيه الحسنَ أزهرَ مشرقاً
ورحْتُ وأهلُ الحيِّ في قبضة الكرى
فكنتُ كأنِّي أسمع الصمتَ سارياً
ولو أنَّ صمتَ الليل لم يكُ مطرباً



ألا إنَّ وجهَ البحر بالنُّور ضاحكٌ
ترقرق منساباً به الماء والسنا
وللبدر نورٌ يمنح البحرَ رونقاً
إذا جمَّش البحرَ النسيمُ تهللت
وقفتُ ولألاءِ المنى يستخفني

طليق وثغر الماء فيه شنيب^٧
فلم أدِرِ أيُّ اللامعين يسيب؟^٨
فيبدو كأنَّ الماء فيه ضريب^٩
أساريرُ فيها للضياء وثوب^{١٠}
فتطرب نفسي والكريم طروب



أردد بين البدر والبحر ناظري
تأملت في حسن العوالم موهناً
كأنِّي وعلويَّ العوالم عاشق

فيصعد طرفي مرةً ويصوب
فجاش بصدري الشعرُ وهو نسيب^{١١}
أطلَّ من الأعلى عليه حبيب

فقام له مُستشرقًا ويمينه
ولما رأيت الكون في الأصل واحدًا
ألا إن بطنًا واحدًا أنتج الورى
وإن فضاء شاسعًا قد تضاربت
وإن اختلاف الأدميين سيرةً
وأعجب ما في الكائنات ابن آدم
يذمم فعل السوء وهو حليفه



تشدُّ ضلوعًا تحتهنَّ وجيب^{١٢}
عجبتُ؛ لأن الخلق فيه ضروب
كثيرين في أخلاقهم لرغيب^{١٣}
بأبعاده أيدي القوى لرهيبة
وهم قد تساوا صورة لعجيب
فما غيره في الكائنات مُريب
ويحمد قول الصدق وهو كذوب

رأيت الورى كلًّا يراقب غيره
ومن أجل هذا قد ترى كلَّ فاعل
فكم حملٍ في مجمع القوم يُتقى
ولو باح كل بالذي هو كاتم
وليس يجدُّ المرء إلا تكلفًا
ويجتنب المرء العيوب؛ لأنها
رياء قديم في الورى شقيت به
ورُبَّة أخلاقٍ يراها خبيثة
وجلم الفتى عند الضعيف فضيلة



وليس لهم ممَّا افتراه نصيب^{١٦}
به حسنات المرء وهي ذنوب
وأحجم ذو فقر فقيل: هيوب
وإن يتواضع ذو الغنى فنجيب
وذو الوجد منطبق به ولبيب
فكل امرئ منهم لهنَّ جنيب
وهنَّ إذا ما يشربون شريب
وإن مسَّهم من أجلهنَّ لغوب
على عُقمه في الآخرين طبيب؟

وقد يفتري المالُ الفضائل للورى
وللفقر بين الناس وجهٌ تبيَّنَتْ
لقد أحجم المثري فسمَّوه حازمًا
وإن يتواضع معدم فهو صاغر
وذو العدم ثرثار بكثر كلامه
وللناس عادات كثير تقودهم
وهنَّ إذا ما يأكلون أكلهم
أبوا أن يحيدوا ضلَّةً عن طريقها
هي الداء أعياء الأولين فهل له

^١ لما أثبت للفضاء وجهًا وصدرا في البيت الأول، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله: وعينك، العين لفظ مشترك بين الشمس والبالصرة. أم النجوم: المجرة، و«على» في البيت للمصاحبة بمعنى مع.

يقال: أغضى الرجل عينه: أي طبق جفنيها، والضمير من تغضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب.

٣ الحفيد: ولد الولد، وجعل البدر حفيدًا للشمس؛ لأنه منفصل عن الأرض المنفصلة عن الشمس، فهو منها بمنزلة ولد الولد.

٤ سریت به: أي فيه. رهو: أي ساكن.

٥ معنى أنهم في قبضة الكرى: هو أن النوم قد استولى عليهم؛ أي: هم نائمون، وأراد بالصمت عدم الصوت، وبالسكون عدم الحركة، ومعنى كون الصمت مشوبًا — أي: مخلوطًا بالسكون — أنه ليس هناك صوت ولا حركة.

٦ أراد بقوله: أسمع الصمت؛ أي أدركه بواسطة السمع، وذلك أن المرء إذا أصاخ في الليل فلم يسمع صوتًا ولا حركة، أدرك أن في الليل صمتًا، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الصمت ليس بعدم محض، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام، فبهذا تبين لك معنى قوله: أسمع الصمت.

٧ يقال: ثغر شنيب، أي: فيه شنب، وهو ماء ورقة في الأسنان.

٨ ترقق: أي جرى جريًا سهلًا. ومنسبًا: أي متدافعًا في جريه. والسنا: النور. يسيب: يجري ذاهبًا كل مذهب.

٩ يمنح: يعطي. ورونقًا: أي حسنًا وإشراقًا. والضريب: الجليد والصقيع.

١٠ التجميش: الملاعبة، يقال: جمش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه. وتهللت: تلالأت. والأسارير: الخطوط التي تكون في جبهة الإنسان، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه؛ أي بالأسارير، وقال: إنها تتلألأ بسبب ملاعبة النسيم للبحر، فتلوح أشعة النور متواثبة بين تلك الأسارير.

١١ الموهن: وقت الوهن من الليل، ويكون نحو نصف الليل، وهو في البيت منصوب على الظرفية. وجاش: بمعنى هاج. والنسيب: هو الشعر الرقيق في النساء.

١٢ مستشرقًا: أي منتصبًا رافعًا بصره باسطًا كفه فوق حاجبيه كالمستظل، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شيء مرتفع أو بعيد. والوجيب: خفكان القلب واضطرابه.

١٣ رغب: أي واسع، يقال: هو رغب البطن؛ أي واسع الجوف.

١٤ ينيب: يرجع، أي لما كان كل من الناس رقيبًا على غيره مترصدًا لسواه، صار كل واحد منهم ينيب في أفعاله إلى الناس؛ ليدفع عنه بذلك سوء ظنهم به، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتمويه، كما فسر ذلك في البيت الذي يليه.

١٥ الباء في قوله: يتقى به: للسببية أو للتجريد؛ مثلها في قولك: لقيت يزيد أسدًا.

١٦ يفترى المال الفضائل: أي يختلقها، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبًا محضًا تفتريه أموالهم. ومعنى قوله: «وليس له مما افتراه نصيب» أنهم براء من هذا الافتراء؛ إذ ليس لهم نصيب من الفضائل.

العالم شعر

وما المرء إلا بيت شعر

قرأتُ وما غير الطبيعة من سِفْرِ
أرى غُررَ الأشعار تبدو نضيدةً
وما حادثات الدهر إلا قصائد
وما المرء إلا بيتُ شعرٍ عروضة
تتظمننا الأيام شعراً وإنما
فمنّا طويل مُسهب بحر عمره
وهذا مديح صيغ من أطيّب الثنا



وربّ نيام في المقابر زرتهم
وقفت على الأجداث وقفة عاشق
فما سال فيض الدمع حتى قرنّته
أسكّانَ بطن الأرض هلّا ذكرتم
رضيتم بأكفان البلى حللاً لكم
وقد كنتم تؤذي الحشايا جنوبكم
ألا يا قبوراً زرتها غير عارف
لقد حار فكري في ذويك وإنّه
فقلت، وللأجداث كفي مشيرة:



وليلٍ غدافيّ الجناحين بيته
وأقلع من سُفن الخيال مَراسياً
أرى القبة الزرقاء فوقها كأنها

صحائف تحوي كل فن من الشعر^١
على صفحات الكون سطرًا على سطر^٢
يفوه بها للسامعين فم الدهر
مصائبُ لكنْ ضَرْبُهُ خُفرة القبر^٣
تردُّ المنايا ما نظمن إلى النثر^٤
ومنا قصير البحر مختصر العمر^٥
وذاك هجاء صيغ من منطق هُجر^٦

بمنهلٍ دمع لا يُنهته بالزجر^٧
على الدار يدعو دارس الطلل القفر^٨
إلى زفرات قد تصاعدن من صدري
عهودًا مضت منكم وأنتم على الظهر؟
وكنتم أولي الديباج والحلّ الحمر
فكيف رقدتم والجنوب على العفر؟!^٩
بها ساكن الصحراء من ساكن القصر!^{١٠}
ليحتار في مثوى ذويك أولو الفكر^{١١}
ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر!^{١٢}

أسامر في ظلماته واقع النسر^{١٣}
فتجري من الظلماء في لجج خُصر^{١٤}
رُواق من الديباج رُصّع بالدر^{١٥}

ولولا خروق في الدجى من نجومه
خليلي ما أبهى وأبهج في الرؤى
إذا ما نجومُ الغرب ليلاً تغوّرت
تجوّلت من حسن الكواكب في الدجى
إلى أن رأيت الليل ولّت جنوده
فيا لك من ليلٍ قرأت بوجهه
فقلت، وطرفي شاخص لنجومه:



ويوم به استيقظت من هجعة الكرى
فأطربني والديك مُشجّ صياحه
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها
فقمت وقام الناس كلّ لشأنه
وقد طلعت شمس النهار كأنها
بدت من وراء الأفق ترفل للعلا
غدت ترسل الأنوار حتى كأنها
إلى أن جلت في نورها رونق الضحى
وأهدت حياة في الشعاع جديدة
فقلت، مشيرًا نحوها بحفاوة:



وبيضة خُدرٍ إن دعت نازح الهوى
من اللآء يملكن القلوب بكلمة
تهادت تريني البدر محدقةً بها
قلله ما قد هجن لي من صباية
تصافح إحداهن في المشي ترَبّها
مررن وقد أقصرت خطوي تأدّبًا
فطأطأن للتسليم منهنّ أروّسًا
فألقيتُ كفي فوق صدري مُسلمًا
وأرسلت قلبي خلفهن مُشيّعًا
وقلت، وكفّي نحوهن مشيرةً:



ومائدة نسج الدّمقس غطاؤها

قبضت على الظلماء بالأنمل العشر^{١٦}
نجومًا بأجواز الدجى لم تزل تسري!^{١٧}
بدت أنجم في الشرق أخرى على الإثر^{١٨}
وقبح ظلام الليل في العرف والنكر^{١٩}
على الدُهم يقفو إثرها الصبح بالشقر^{٢٠}
نظيم البها في نثر أنجمه الزهر!
ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر!

وقد قدّ درع الليل صمصامةُ الفجر^{٢١}
ترنمُ عصفور يزقزق في وكر^{٢٢}
هبوبُ نسيم سَجَسَج طيّب النشر^{٢٣}
كأنّا حجيّج البيت في ساعة النفر^{٢٤}
مليّك من الأضواء في عسكرٍ مَجْر^{٢٥}
رويدًا رويدًا في غلاتها الحمر^{٢٦}
تسيل على وجه الثرى ذائب التبر^{٢٧}
صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري^{٢٨}
إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
ألا إن هذا الشعر من أبدع الشعر!^{٢٩}

أجاب ألا لبيّك يا بيضة الخدر^{٣٠}
ويحيين ميت الوجد بالنظرِ الشزر^{٣١}
أوانسُ إحداق الكواكب بالبر^{٣٢}
ألفتُ بها طيّ الضلوع على الجمر!^{٣٣}
فنحرتُ إلى نحرٍ وخضر إلى خضر^{٣٤}
وأجمعت أمري في محافظة الصبر
عليها أكاليّل ضُفرن من الشعر
وأطرقت نحو الأرض منحني الظهر
فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدري
ألا إن هذا الشعر من أجمل شعر!

بمجلس شبان هم أنجم العصر^{٣٥}

رَقَى مِنْ أَعَالِيهَا الْفَنَغْرَافُ مِنْبَرًا
وَفِي وَسْطِ النَّادِي سَرَاجُ مَنْوَرٍ
فَرَّاحُ بَازِنِ الْعِلْمِ يُنْطِقُ مِقْوَلًا
فَطُورًا خُطْبِيًّا يُحْزِنُ الْقَلْبَ وَعُظْلَهُ
يَفْوَهُ فَصِيحًا بِاللُّغَا وَهُوَ أَبْكَمُ
أَمِينٌ أَبَى التَّدْلِيْسَ فِي الْقَوْلِ حَاكِيًّا
تَرَاهُ إِذَا لَقَنْتَهُ الْقَوْلَ حَافِظًا
فِيَا لَكَ مِنْ صَنْعٍ بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
فَقُلْتُ، وَقَدْ تَمَّتْ شَقَاشِقُ هَدْرِهِ



وَأُصِيدَ مَأْثُورِ الْمَكَارِمِ فِي الْوَرَى
يُروِحُ وَيَغْدُو فِي طِيَالِسَةِ الْغَنَى
تَخَوَّنَهُ رَيْبُ الزَّمَانِ فَأُولِعَتْ
فَأَصْبَحَ فِي طُرُقِ التَّصْعَلِكِ حَائِرًا
كَأَن لَمْ يَرْحُ فِي مَوَكِبِ الْعِزِّ رَاكِبًا
وَلَمْ تَزِدْهُمْ صَيْدُ الرِّجَالِ بَبَابَهُ
فَظَلَّ كَثِيبُ النَّفْسِ يَنْظُرُ لِلْغَنَى
إِلَى أَنْ قَضَى فِي عِلَّةِ الْعُدْمِ نَحْبَهُ
فَرُحْتُ وَلَمْ يُحْفَلْ بِتَشْيِيعِ نَعْشِهِ
وَقُلْتُ، وَأَيْدِي النَّاسِ تَحْتُو تَرَابَهُ:



وَنَائِحَةُ تَبْكِي الْغَدَاةَ وَحِيدَهَا
عِزَاهُ إِلَى إِحْدَى الْجَنَائِيَاتِ حَاكِمِ
فَوَيْلَ لَهُ مِنْ حَاكِمِ صُبِّ قَلْبِهِ
مِنَ الرُّومِ أَمَّا وَجْهُهُ فَمَشْوَاهُ
أَضْرَّ بَعْفُ الذَّيْلِ حَتَّى أَمَضَّه
تَخَطَّفَهُ فِي مَخْلَبِ الْجَوْرِ غِيلَةٌ
تَتَوَّءُ بِهِ الْأَقْيَادُ إِنْ رَامَ نَهْضَةً
تَتَنَادِيهِ وَالسَّجَانُ يُكْثِرُ زَجْرَهَا
بُنْيَى أَظْنَ السَّجْنَ مَسَّكَ ضُرُّهُ
بُنْيَى اسْتَعْنُ بِالصَّبْرِ مَا أَنْتَ جَانِيًّا

مَحَاطًا بِأَصْحَابِ غَطَارِفَةِ غُرٍّ^{٣٦}
فَتَحْسِبُهُ بَدْرًا وَهُمْ هَالَةٌ الْبَدْرِ^{٣٧}
عَرَفْنَا بِهِ أَنَّ الْبَيَانَ مِنَ السَّحْرِ
وَطُورًا يُسِرُّ السَّمْعَ بِالْعِزْفِ وَالزَّمْرِ^{٣٨}
وَيُسْمِعُ أَلْحَانَ الْغِنَا وَهُوَ ذُو وَقَرٍ^{٣٩}
فَتَسْمَعُهُ يَرْوِي الْحَدِيثَ كَمَا يَجْرِي^{٤٠}
تَمَرُ اللَّيَالِي وَهُوَ مِنْهُ عَلَى ذُكْرِ^{٤١}
أَقَرَّ لِأَدِيسُونَ بِالْفَضْلِ وَالْفَخْرِ!^{٤٢}
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَعْجَبِ الشَّعْرِ!^{٤٣}

يُريكَ إِذَا يَلْقَاكَ وَجْهٌ فَتَنَّى حُرٍّ^{٤٤}
وَيَقْضِي حَقُوقَ الْمَجْدِ مِنْ مَالِهِ الْوَفْرِ^{٤٥}
بِإِخْلَاقِهَا دِيْبَاجَتِيَّهْ يَدُ الْفَقْرِ^{٤٦}
يَحُولُ مِنَ الْإِمْلَاقِ فِي سَمَلِ طَمَرٍ^{٤٧}
عِتَاقُ الْمَذَاكِي مَالِكُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ^{٤٨}
وَلَمْ يَغْمُرِ الْعَافِينَ بِالنَّائِلِ الْعَمْرِ^{٤٩}
بَعِينٌ مُقَلٌّ كَانَ فِي عَيْشَةِ الْمُثْرَى^{٥٠}
فَجَهَّزَهُ مِنْ مَالِهِمْ طَالِبُو الْأَجْرِ^{٥١}
أَشْيَعَهُ فِي حَامِلِيهِ إِلَى الْقَبْرِ
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ!^{٥٢}

بَشَجُو وَقَدْ نَالَتَهُ ظَلَمًا يَدُ الْقَهْرِ^{٥٣}
عَلَيْهِ قَضَى بُطْلًا بِهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي^{٥٤}
مِنَ الْجَوْرِ مَطْبُوعًا عَلَى قَالِبِ الْغَدْرِ
وَقَاحٌ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمِنَ الصَّخْرِ^{٥٥}
وَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنْهُ إِلَى وَاضِحِ الْغَدْرِ^{٥٦}
فَرَجَّ بِهِ مِنْ مَظْلَمِ السَّجْنِ فِي الْقَعْرِ^{٥٧}
فَيَشْكُو الْأَذَى وَالْذَمْعَ مِنْ عَيْنِهِ يَجْرِي^{٥٨}
عَجُوزٌ لَهُ مِنْ خَلْفِ عَالِيَةِ الْجُدْرِ^{٥٩}
بُنْيَى بِنَفْسِي حَلَّ مَا بَكَ مِنْ ضُرٍّ!
وَهَلْ يَخْذُلُ اللَّهُ الْبَرِيءَ مِنَ الْوِزْرِ؟!^{٦٠}

كأدمعها تتهلّ مني على النحر
ألا إن هذا الشعر من أقتل الشعر! ^{٦١}

فجئت أعاطيها العزاء وأدمعي
وقلت، وقد جاشت غوارب عبرتي:

-
- ١ السفر: الكتاب.
 - ٢ نضيدة: منسقة.
 - ٣ العروض في علم الشعر: الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت. والضرب: الجزء الأخير من الشطر الثاني، ومعنى البيت أن الإنسان أوله للمصائب وآخره للموت.
 - ٤ النثر: التفريق.
 - ٥ مسهب: طويل.
 - ٦ الهجر: القبيح من الكلام.
 - ٧ أنهل الدمع: سال. لا ينهنه: لا يكف.
 - ٨ الأجداث: القبور. درس المكان: امحى. والطلل: ما بقي من آثار الديار.
 - ٩ الحشايا: جمع حشية وهي الفراش المحشو. العفر: التراب.
 - ١٠ الصحراء: الأرض الفضاء لا شيء فيها.
 - ١١ المثوى: المقام.
 - ١٢ أفجع: أوجع.
 - ١٣ غدافي الجناحين: أسودهما، نسبة إلى الغداف وهو الغراب. النسر: اسم لنجمين، يقال له: النسر الواقع، والآخر يقال له: النسر الطائر، وفي البيت تورية لا تخفى.
 - ١٤ لجج: جمع لجة، وهي في الأصل معظم الماء. خضر: سود، يقال: أخضر بمعنى أسود، والخضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر.
 - ١٥ القبة الزرقاء: السماء. الرواق: سقف في مقدم البيت، أو هو الخيمة.
 - ١٦ الدجى: الليل. وأراد بالأتمل: الأصابع؛ وهي في الأصل رءوسها.
 - ١٧ الرؤى: المنظر. أجواز الدجى: أوساط الليل.
 - ١٨ تغوّرت: غابت.
 - ١٩ تجولت: كذا بالجيم؛ كما في الأصل، ولم أجد هذه الصيغة في مادة «جال»، ولو روي بالحاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد.
 - ٢٠ الدهم: جمع أدهم؛ وهو الأسود من الخيل. يقفو إثرها: يتبعها. الشقر: جمع أشقر، والشقرة في الخيل: حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب. وأراد بالدهم: الظلمات، وبالشقر: أشعة الشمس مجازاً.

- ٢١ الهجعة: من الهجوع، وهو النوم. الكرى: النعاس. قد: شق. والمراد بدرع الليل: ظلمته. الصمصامة: السيف، والمراد بصمصامة الفجر: شعاعه.
- ٢٢ مشج: مطرب.
- ٢٣ ازدهى نفسي: استفزها. ريح سجسج: لينة الهواء معتدلة. النَّشر: الرائحة.
- ٢٤ الحجيج: الحجاج. والمراد بالبيت: البيت الحرام في مكة. النفر: مصدر نفر الحجيج إذا اندفعوا من منى إلى مكة.
- ٢٥ المجر: الجيش العظيم.
- ٢٦ ترفل: تجر ذيلها وتتبختر. غلائلها: أراد بها ثيابها، مفردها غلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع.
- ٢٧ الثرى: الأرض والتراب الندي.
- ٢٨ رونق الضحى: إشراقه وحسنه. صقيلاً: مجلواً.
- ٢٩ الحفاوة: التلطف والمبالغة بالإكرام.
- ٣٠ أراد بببيضة الخدر: الجارية الحسنة؛ لأنها مكنونة في خدرها. نازح الهوى: نائيه وذاهبه.
- ٣١ اللاء: اللاتي. الوجد: الحب. النظر الشزر: هو نظر فيه إعراض، أو نظر الغضب بؤخر العين، أو النظر يمين وشمال، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت.
- ٣٢ أحدق بالشيء: أحاط به.
- ٣٣ هجن: هيجن. الطي: مصدر طوى.
- ٣٤ يقال: هذا ترب فلان، وهذه ترب فلانة: إذا كانت على سنّها، وأكثر ما يستعمل في المؤنث. النحر: موضع القلادة من العنق.
- ٣٥ الدمقس: الديباج والحريز الأبيض.
- ٣٦ الغطارفة: السادة.
- ٣٧ الهالة: دارة القمر، كالطافوة لدارة الشمس.
- ٣٨ العزف: الضرب بالمعازف؛ وهي آلات الطرب.
- ٣٩ اللغا: اللغات؛ وهي جمع لغة. الوقر: الصمم؛ وهو ذهاب السمع.
- ٤٠ التدليس في الحديث: هو أن لا يذكر المحدث في حديثه مَنْ سمعه منه، ويذكر مَنْ هو أعلى ممَّن حدثه؛ لوهم أنه سمعه منه، والمدلس لا يُقْبَل حديثه.
- ٤١ الذكر بضم الـ: التذكر.
- ٤٢ أديسون: هو مخترع الصدى؛ «الفنغراف».
- ٤٣ تمت شقائق هدره: سكت، والشقيقة في الأصل: لهة البعير، وقيل: شيء كالرئة يخرج منه إذا هاج، ويقال للفصيح: هدرت شقشقته.
- ٤٤ الأصيد: الرجل الذي لا يلتفت من زهوه وخيلائه.
- ٤٥

- طبالسة: جمع طبلسان، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص. الوفر: الكثير.
- ٤٦ أولع به بالبناء للمجهول: علق به شديداً. الإخلاق: مصدر أخلق الثوب: أبلاه. ديباجتيه: خديه. ومعنى البيت: خانه الزمان، وعلقت به يد الفقر، فوضعت من شرفه، وذلت خديه بعد أن كانتا مصعرتين.
- ٤٧ التصعلك: الافتقار. الإملاق: الفقر. سمل طمر: بال.
- ٤٨ المذاكي: الخيل التي تَمَّت سنها وكملت قوتها.
- ٤٩ صيد: جمع أصيد وقد تقدم معناه. يغمر: يبالغ في الإحسان. العافين: الفقراء. النائل الغمر: العطاء الكثير.
- ٥٠ المقل: ضيق ذات اليد. والمثري: الغني.
- ٥١ العدم: الفقر.
- ٥٢ تحثو ترابه: تصبه.
- ٥٣ الشجو: الحزن.
- ٥٤ عزاه: نسبه.
- ٥٥ وقاح بفتح الواو: ذو وقاحة، يطلق على المذكر والمؤنث.
- ٥٦ عف: عفيف.
- ٥٧ المخلب: هو في الأصل ظفر كل سبع من الماشي والطائر. غيلة: يقال: قتله غيلة: أي خدعه فذهب به إلى موضع فقتله. زج به: طرحه.
- ٥٨ تنوء به: تنقله. الأقياد: جمع قيد.
- ٥٩ الجدر: جمع جدار.
- ٦٠ الوزر: الذنب.
- ٦١ جاشت: فاضت. غوارب الماء: أعالي موجه. العبرة: الدموع.

تجاه اللانهاية

أبعد الدهر في الفضاء مكرّهُ
إنَّ أَمَّ النجوم بنتُ زمان
في فضاء لو سافر البرق فيه
ولو الشمس ضُوعفت ألف ضعف
ولو الفكر غاص فيه مُغذًّا
سعة تحسب المجرة فيها
يقف الفكر دونها مُكوِّدًا
لو أضفنا إلى الفضاء فضاء
إن تكن هذه المجرة نهرًا
أو تكن أرضنا من الشمس جزءًا
إن تُسائل عنا فنحن هباءً
صادفتنا أشعة من حياةٍ
كل مَنْ جاوز الأشعة منا
فعلام الحقود يضمّر حقداً

عالقاً في مكرّهُ بالمجرة
لم تزل حادثاته مستمرة
ألف قرنٍ لما أتى مُستقرّهُ
لم تكن في أثيره غير ذرّهُ
لم يكن بالغاً يد الدهر قعرهُ
حَلَقَةً ألقيت بصحراء قفرهُ
مقشعراً وتأخذ العقل حيرهُ
مثله لم نزد ولا قيد شعرهُ
مستفيضاً فشَمْسُنَا منه قطره
فهو سقط من جمرة مستحرّهُ
ذُرٌّ من صنعة القوي بمذرّهُ
فظهرنا وهل لأول مره
فهو هاوٍ في ظلمة مكفهرهُ
وعلام الجهول يظهر كبرهُ؟

من أين وإلى أين؟

- من أين من أين يا ابتدائي
أمن فناءً إلى وجودٍ
أم من وجودٍ له اختفاءً
خرجت من ظلمة لأخرى
ما زلت من حيرة بأمرى
إنَّ طريق النجاة وعُرِّ
يا قوم هل في الزمان نطسٌ
لأيِّ أمرٍ ذه الليالي
فتطلَّع الشمس في صباح
أرى ضياءً يروق عيني
وما اهتزاز الأثير إلَّا
نحن على رغم ما علمنا
نشرب ماء الظنون عبًّا
تأتي علينا مشاهدات
وكم نرى فضل فاعلات
يا ويلة الحسن إنه عن
فإن أجزاء كل جسم
وفي دُقاق الجماد عَرُكٌ
- ثم إلى أين يا انتهائي؟
ومن وجود إلى فناء؟
إلى وجود بلا اختفاء؟
فما أمامي وما ورائي؟
معانق اليأس والرجاء
يكبو به الطُّرف ذو النجاء^١
يهدي إلى نافع الدواء؟^٢
تأتي وتمضي على الولاء؟^٣
وتغرب الشمس في مساء
ولست أدري كنه الضياء^٤
عُلالة نذرة الجلاء^٥
نعيش في غيبه العماء^٦
فلم نعد منه بارتواء^٧
نروح منهجً في مرأ^٨
من القوى وهي في الخفاء^٩
حقيقة الأمر في غطاء!
مبتعدات بلا النقاء
يَنَّهُم الحسَّ بالخطاء^{١٠}



- يا قوة الجذب أطلقيني
لولاك لولاك يا شكالي
أنت عماد السماء لكن
ربطت كل النجوم فيها
- من ثِقلة أوجبت عنائي
لطرت كالنور في الفضاء^{١١}
خفيت عن عين كل راء
بعضًا ببعض ربطًا اعتناء

فُذِرْنَ فِي الْجَوِّ جَارِيَاتٍ
نحن بني الأرض قد علمنا
لو كنت في المشتري لبانت
فليس فوق وليس تحت
وإنما نحن فوق نجم
فليت شعري أي ارتقاء
وأنت يا كهرباء سرٌّ
عجائب الكون وهي شتَّى
أضأت إن شئت كل داجٍ
فأنت للكائنات روح
وكم تقاضاك فيلسوف
فقال والقول منه ظن:



كأنها السنُّ فوق ماء
بأننا من بني السماء
أرضي سماءً بلا اعتراء^{١٢}
ولا اعتلاءً لذي اعتلاء
نحيا محاطين بالهواء
للروح يبقى أي ارتقاء!
بدا وما زال في غشاء^{١٣}
فيك انطوت أيما انطواء^{١٤}
لنا وأدنييت كل ناء^{١٥}
إن كانت الروح للبقاء
حقيقة صعبة الأداء!^{١٦}
ما الكون إلا بالكهرباء

وليلة بثُّها أنادي
أخذ منهم بالتداني
فأنثني باكياً بشعري
وربما كَرَّ بعدَ وهنٍ
فأرجع القهقري أغني
أقول، والنسرُ فوق رأسي
يا أيها الأنجم الزواهي
أما كفاك السنا جمالاً
يا أنجم النعش فاصدقيني
إني إذا كنت في حدادٍ
وأنت يا نسر من كلال
أخوك هل طائر لوكرٍ
كأنَّ أمَّ النجوم سيفٌ
رُصِّع مَنَناه بالدراري
كأنَّ نجم السُّها أديبٌ
كأنَّ خط الشهاب مُدِلٌ
كأنما أنجم الثريا
قُفَّازٌ كفَّ به فصوصٌ

نجومها أبعد النداء
فكراً ويأخذن بالتتائي
ويطرب الليل من بكائي
فكري فألفي بعض الشفاء^{١٧}
وما سوى الشعر من غناء
وطالع النجم في إزائي:^{١٨}
لله ما فيك من بهاء!
حتى تجللت بالسَّناء؟!^{١٩}
أما ذو النعش بانطفاء؟^{٢٠}
إليك أهدي حسن العزاء
وقعت أم طلبة الغذاء؟^{٢١}
أم قاصد منتهى الفضاء؟^{٢٢}
سُئِلَ على الليل ذو مضاء^{٢٣}
فراق في الحسن والرَّواء^{٢٤}
في أرض بغداد ذو ثواء^{٢٥}
لأسفل البئر بالرَّشاء^{٢٦}
في شكلها الباهر الضياء
من حجر الماس ذي الصفاء^{٢٧}

برئت للموت من حياة
 لم يكفها أنها احتياج
 يا أيُّها المترف المهتأ
 مهلاً أخوا الكبر بعض كبر
 أنت ابن فقر إلى أمور
 ما نُكِّبت مَهْيَع الشقاء^{٢٨}
 حتى غدت حَوْصَةً البلاء
 يمرح في ثوب كبرياء^{٢٩}
 أَلست تَقْنَى بعض الحياء؟!
 بهنَّ يُدعى بَابِنِ الثراء^{٣٠}

١ الطرف: الكريم من الخيل. النجاء: الإسراع والسبق.

٢ النطس: الطبيب الحاذق.

٣ ذه: اسم إشارة بمعنى هذه. على الولاء: متتابعة دون فاصل.

٤ كنهه: حقيقته، والشرط الثاني من البيت فيه استعمال فاعلن على وزن مفعولن، وقد درج على ذلك بعض الشعراء في مخلع البسيط، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك؛ وفي هذه القصيدة عدة أبيات كذلك.

٥ الأثير في اصطلاح العلم: شيء ألطف من الهواء، مملوء به الفضاء. العلالة: هي ما يتعلل به ويتلهى. نزرة الجلاء: قليلة الوضوح. يقولون: إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير والشاعر يقول: إن قولهم هذا قليل الوضوح، فهم يتلهون بهذا التفسير؛ لأنهم لم يدركوا الحقيقة.

٦ الغيهب: الظلمة.

٧ عب الماء عبًا: شربه بلا تنفس.

٨ المرء: الخلاف والجدل.

٩ القوى: جمع قوة؛ وأراد بها القوى الطبيعية.

١٠ أراد بدقائق الجماد: ذراته، وذرات كل شيء — على ما حققه العلم — في حراك مستمر، مع أن الحس في الظاهر يدركها ساكنة، وهذا معنى قوله: يتهم الحس بالخطاء.

١١ الشكال: الوثائق يقيد به.

١٢ المشتري: أحد النجوم السيارة.

١٣ غشاء: غطاء.

١٤ شتى: متفرقة.

١٥ داج: مظلم. أدنيت: قربت. ناء: بعيد.

١٦ تقاضاك: طلبك.

١٧ الوهن: الضعف.

١٨ النسر: اسم كوكب. النجم: الثريا. إزائي: مقابلي.

- ١٩ السنا: الضوء. السناء: الرفعة.
- ٢٠ أنجم النعش: هي الأنجم التي تسمى ببنات نعش. ذو النعش: هو الميت.
- ٢١ أراد بالنسر: الواقع، وهو اسم نجم. الكلال: التعب.
- ٢٢ أخوك: خطاب النسر الواقع، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر.
- ٢٣ ذو مضاء: حاد قاطع.
- ٢٤ متناه: جانباه. الرواء: حسن المنظر.
- ٢٥ السها: نجم خفي تمتحن الأبصار برؤيته. الثواء: الإقامة.
- ٢٦ مدل: مَنْ أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله في البئر. الرشاء: الحبل.
- ٢٧ القفاز: لباس اليد، وهما قفازان. الفصوص: جمع فص، بفتح الفاء وضمُّها وكسرهما، وهو يركب في الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها.
- ٢٨ نكبت: مجهول نكبه الطريق، بمعنى نحاه وأبعده عنها. المهيع: الطريق.
- ٢٩ المترف: المنعم.
- ٣٠ الثراء: الغنى.

نحن على منطاد

- نحن من أرضنا على منطادٍ
طائرٍ في الفضاء عرضًا وطولًا
أيها الأرض سرت سيرك مثني
فتقلبت في نهارٍ وليلٍ
في بلاد يكون سيرك تأوي—
فيك دفع وفيك يا أرض جذب
فلك دائر على الشمس طورًا
ليت شعري وما حصلت من الآ
لبقاء نُقلنا الأرض في نس—
نحن في عالم تقصّف فيه
شأننا العجزُ فيه نوجد أني
ضاع جذر الحياة عنا فخلنا
شغلتنا الدنيا بلهو ولعبٍ
ضلّ مَنْ رام راحة في حياةٍ
إنما هذه الحياة جروح
كلُّ أسيرٍ يهون إن أطلقت أر
لا تلمني إذا جَزعت فإني
طال عُتبي على عِدات الليالي
كدّرت عيشي الحوادث حتى
صاح ما دلّ في الأمور على الأش—
فاعتبر بالسفيه تُمس حليمًا
واللبيب الذي تعلّم إتيا
أيها الغرُّ لا تغرّك دنيا
- جائلٍ في شواسع الأبعاد^١
بجناح من القوى غير بادٍ^٢
ذا نتاجين في زمان أحادٍ^٣
ذا مُضلٍّ وذاك للناس هادٍ
بًا على أنه سرّى في بلادٍ^٤
لكّ ذا سائق وذا لكّ حادي^٥
في اقتراب وتارة في ابتعاد
راء إلا على خلاف السداد
—يارها أم تقلّنا لنفاد؟!^٦
عارض النائبات بالإرعاد^٧
قذفتنا يذّ الخطوب الشداد
أنها كالأصم في الأعداد^٨
فغفلنا والموت بالمرصاد
ونحن منها في معرك وجلادٍ^٩
أثخنّتنا والموت مثل الضماد^{١٠}
واحنا الموثقات بالأجساد
ما ملكت الخيار في إيجادي
مثلما طال مَطْلها بمرادي^{١١}
لا أرى الصفو غير وقت الرقاد^{١٢}
—كال إلا تفحص الأضداد
وتعرّف بالغيّ طرُق الرشاد
نَ المعالي من خسة الأوغاد^{١٣}
ك يكون مصيره لفساد

خَفَّ من غاص في الغرور كما في
يا خليلي والخليل المُواسي
خاب قوم أتوا وغي العيش عَزَلًا
قد جفتنا الدنيا فهلّا اعتصمنا
لو عقلنا لما اختشى قُطُ محسو
فمتاع الحياة أحقر من أن
أنا والله لا أريد بأن أو
إن لي إن سمعتُ أَنّة محزو
إن نفسي عن همها ذات شغل
لا أحب النسيم إلا إذا هبَّ



لجة الماء خَفَّ ثَقُلَ الجماد ^{١٤}
منكما من يقوم في إسعادي ^{١٥}
من سلاحِي تعاون واتحاد ^{١٦}
من جفاء الدنيا بحبل وِداد؟
دون وقع الأداة من حُسّاد
يستقرّ القلوب بالأحقاد
قع شرًّا ولو على من يعادي
ن أنينًا مُرجعًا في فؤادي
بهموم العباد، كلّ العباد
على كل حاضر أو باد

أيها الناس إن ذا العصر عصرُ الـ
عصر حكم البخار والكهربائيـ
بُنيت فيه للعلوم المباني
فاض فيضُ العلوم بالرغم مِمَّنْ
إنّ للعلم في الممالك سيرًا
أطلع الغربُ شمسَه فحبا الشر
إن للعلم دولة خضعت دو
ما استفاد الفتى وإن ملك الأر
لا تُسابق في حَلبة العزّ ذا العلـ
إن أموات أمة العلم أحيا
وكأين في الناس من ذي خمول

—علم والجِدّ في العُلا والجهاد
—ة و«الماكنات» والمُنطاد
وأقيمت للبحث فيها النوادي
ضربوا دونهن بالأسداد ^{١٧}
مثل سير الضياء في الأبعاد
قَ اقتباسًا من نورها الوقاد
نَ علاها عوالم الأضداد
ضَ بأعلى من علمه المستفاد
—م فما للهجين شأؤ الجواد ^{١٨}
ءَ حياة الأرواح والأجساد
صار بالعلم كعبة القصاد!



ربّ يوم وردت دجلة فيه
حيث ينصب في سكون عميق
وهبوب النسيم يكتب في الما
يَمحي بعضها ويظهر بعضُ
وتتنّ المياه لي بخير
قمت في وجهها أرَدَد طرفي
واقفاً تحت سَرحة ناح فيها
منشدًا في النواح شعرًا غريزيـ

موردًا خاليًا عن الورّاد
ماؤها لاثمًا ضفاف الوادي
ءَ سطورًا مُهتَرّة في اطّراد
فهي تتساب بين خافٍ وباد ^{١٩}
كأنين السقيم للعُواد ^{٢٠}
ساكنًا والضمير منّي ينادي
طائر فوق غصنها المياد ^{٢١}
—ا حزينًا كأنه إنشادي

جاوبته أفنائها بأنين
أيها الطائر المرجع فوق الـ
بين ماء جارٍ ولحنٍ شجيٍّ
يا مياهاً جرت بدجلة تجتا
إن نفسي إلى الحقيقة عطشى
كنت تجرين والرُصافة والكر
أيها الماء أين تجري ضياعاً
فمتى تقطن النفوس فيحيا
لو زرنا بك البقاع حبوباً
أفيدري خليج فارسَ ماذا
أنت والله عسجد ولجين
فأجر يا ماء إن جريت رويداً
علنا نستفيق من رقدة الفـ
سلكتك السما ينابيع في الأر
فتججرت في السفوح عيوناً
وإذا ما انتهيت في جريانٍ
هكذا دار دائر الكون من حيـ

من حفيف الأوراق والأعواد ٢٢
—غصن هل أنت نائح أم شاد؟!
منك يا طائرٍ استطار فؤادي
ز مروراً بجانبٍ بغداد
أفتشفين غلة من صاـ؟ ٢٣
خ خلاءً من رائحٍ أو غادٍ
وحواليك قاحلات البوادي؟! ٢٤
بك سقياً موات هذي البلاد؟
لحصدنا النضار يوم الحصاد ٢٥
فمه منك بالغٍ بازدراد؟!
لو أتينا الأمور باستعداد ٢٦
بأناة ومُهلةٍ وانتاد ٢٧
— فنغنى بفيضك المزداد
ض أمدتك أيما إمداد!
نبعت من مخازن الأطواد ٢٨
عدت للبدء في مُتون الغوادي ٢٩
ث انتهى عاد راجعاً للمبادي

١ المنطاد: هو ما يطار به في الفضاء، وهو ما يسمونه «البالون». جائل: اسم فاعل من الجولان. الشواسع: البعيدة، من شسع المكان بمعنى بعد. الأبعاد: جمع بعد.

٢ غير باد: غير ظاهر.

٣ إنما كان سير الأرض مثني؛ لأن لها في الزمان الواحد دورتين، تنتجان نتاجين: دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار، وهذه تتمها بأربع وعشرين ساعة، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول، وهذه تتمها في سنة كاملة.

٤ التأويب: السير جميع النهار. السرى: السير في الليل. يقول: أيها الأرض إن سيرك النهاري في بلاد هو في الوقت نفسه سير ليلي في بلاد أخرى؛ وذلك لأن الكرة يكون نصفها مضيئاً وهو ما يقابل نور الشمس، والنصف الآخر يكون مظلماً وهو ما لا يقابلها، وبمقدار ما تنير الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر.

٥ حادي: من حدا الناقة إذا غنى لها لتجود في السير.

٦ نقلنا: تحملنا.

٧ العارض في الأصل: السحاب الذي يعترض في الأفق. النائبات: المصائب.

٨ خلنا: ظننا. الأصم في اصطلاح الحسابين: هو العدد الذي لا يؤخذ جذره، بمعنى أنه لا يكون حاصلًا من ضربه بنفسه كالخمسة

والثلاثة والأحد عشر وغيرها، معنى البيت: أننا جهلنا أصل الحياة، فظنناها لا أصل لها، كالعدد الأصم الذي لا جذر له.

٩ الجراد: مصدر جالدوا، بمعنى تضاربوا بالسيوف.

١٠ أثننتنا: أوهنتنا وأضعفتنا. الضماد: العصابة التي يربط بها موضع الجروح.

١١ عدات: جمع عدة بمعنى الوعد.

١٢ الرقاد: بمعنى النوم.

١٣ الأوغاد: جمع وغد، وهو اللئيم.

١٤ خف: من خفة العقل.

١٥ المواسي: المعين.

١٦ وغي العيش: شدته، والوغي في الأصل: أصوات المحاربين في الحرب. عزلًا: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه.

١٧ الأسداد: جمع أسد.

١٨ الهجين من الخيل: هو الذي ولدته برذونة من حصان عربي.

١٩ تتساب: تسرع.

٢٠ العواد: الزوار.

٢١ السرحة: الشجرة العظيمة. المياد: المتمايل.

٢٢ أفنانها: أغصانها. الحفيف: صوت أوراق الشجر.

٢٣ الغلة: العطش. الصادي: العطشان.

٢٤ أرض قاحلة: لا نبات فيها.

٢٥ النضار: الذهب.

٢٦ العسجد: الذهب. اللجين: الفضة.

٢٧ الأناة والمهلة والانتاد: ألفاظ مترادفة بمعنى التأني.

٢٨ السفوح: جمع سفح، وهو أسفل الجبل. الأطواد: جمع طود، وهو الجبل.

٢٩ المتون: جمع متن، وهو جانب الشيء. الغواذي: السحاب الذي يكون فيه المطر، يقول: إن الماء بعدما ينتهي جريانه يرجع كما كان في بادئ الأمر سحابًا بواسطة التبخر ثم ينزل مطرًا، وهكذا قال أبو العلاء:

وقد كنت من عنصر طيّب؟!

إلى الأصل كالمطر الصيب

فيا جسد المرء ماذا دهاك

تعود طهورًا إذا ما رجعت

كلمة معتبر

- أقوى مَصِيفُ القوم والمربعُ
سارت بنا الأرض إلى غاية
ونحن كالماء جرى نابعا
والعلم قد أنكر منهاجنا
خرقت يا علْمُ رداءً لنا
فَجَعَتْنَا يا علْمُ في أمرنا
لقد طغت حيرة أهل النهى
كم نشرب الظنَّ فلا نرتوي
والناس ويل الناس في غفلة
والكون قد لاح بمرآته
وإن في البدر لخطبًا به
فالعين ما يورث حزناً ترى
والأرض في منقلبٍ بالورى
حتى إذا ما بلغت شوطها
وهكذا الظلمةُ تتلو الضياء
ونحن في ذاك وفي هذه
ما بين مسعود يميت الدجى
ومسرع يسبقه مبطئ
وشامت يضحك من حادث
لو كان للقسوة عين وقد
والكلُّ في شَغْبٍ لهم دائم
والماء يمشي وشلاً تارة
والرياح تجري وهي رِيْدَانَةٌ
- فالدَّارُ قفر بعدهم بلقُعُ^١
لنا وللأرض هي المرجعُ
لكن علينا خفي المنبعُ
ولم يبين أين هو المهيح
كنا ارتديناه فهل تَرْقُعُ؟!
أَمَعِتْبِ أَنْتِ إذا تجزَعُ؟!^٢
هل فيك يا علم لها مَرَدَعُ؟^٣
ونأكل الحَدْسَ فلا نشبع!^٤
ترتع والموت بهم يرتع
للعيش وجهٌ شاحب أسفَعُ^٥
في البدر لاحت بقع أربع^٦
والأذن ما يزعجها تسمع
والشمس من مشرقها تطلع
لاحت نجوم في الدجى تلمع^٧
والضوء للظلمة يستتبع^٨
بالنوم واليقظة نستمتع^٩
نومًا ومنكود فلا يهجع^{١٠}
ومبطئ يسبقه مسرع
حلَّ بباكِ قلبه موجع
رأته كانت عينها تدمع
لم يقلعوا عنه ولن يقلعوا^{١١}
وحوضه آونةً مُتَرَعُ^{١٢}
حينًا وحينًا عاصفٌ زَعَزَعُ^{١٣}

وبعضهم تُمرع وديانته

وبعضهم واديه لا يُمرع ^{١٤}



قد لا يحسب الإنسان أماله
حتى إذا أكمل حُسبانها
فخرٌ للجَنب صريعًا به
وظل فوق الأرض في حالة
لا تعمل الأقالام في كفه
ولم تعد تقطع أسيافه
فاستلَّ مثل السيف من مُطَرَفٍ
ولُفَّ في ثوب له واحدٍ
واهاً له ثوب البلى إنه
وُدُسَ حيث الأرض أمست له
حيث البلى يرميه حتى إذا
خالط ترب الأرض جثمانه
للَّه دُرُّ الموت من خطَّةٍ
يخون فيها القولُ مِنطيقه
ما أقدر الموتَ! فمن هَوِّله
يا رافع البنيان كما للردى
ويا طبيب القوم لا تؤذهم
لا بدَّ للمغرور من مُندمٍ
وما عسى تُغني وقد حشرجتُ
يا برقع الخلقة واهًا لما
قد زاغت الأبصار فيما ترى
وليس في الإمكان عند النهى

والموت مصغٍ نحوه يسمع
وافاه ما ليس له مدفع
وأُيِّ جنب ما له مصرع؟!
يزورُ عنها الحسب الأرفع ^{١٥}
وكان من قبل بها يصدع ^{١٦}
من بعد ما كان بها يقطع
طرائق الوشي به تلمع ^{١٧}
ليس له رقم ولا ميدع ^{١٨}
يبلى مع الجسم ولا ينزع
ملحودة ضاق بها المضجع ^{١٩}
لم يَبَقَ في قوس البلى منزع ^{٢٠}
مطحونة منه بها الأضلع ^{٢١}
فيها استوى ذو العيِّ والمُصقع! ^{٢٢}
كما تخون البطل الأدرع ^{٢٣}
لم ينجُ لا كسرى ولا تُبَّع ^{٢٤}
من سُلِّم يدرك ما ترفع
إنَّ دواء الموت لا ينجع ^{٢٥}
فالعَضُّ تدمى عنده الأصبع
ندامةً ليست إذن تنفع ^{٢٦}
فيك واهًا منك يا بُرْفُع
إذ فات عنها شرك المودع
أبدع مما خلق المبدع

^١ المصيف: مكان الإقامة صيفًا، والمربع: مكانها ربيعًا. البلقع: الأرض الخالية من السكان.

^٢ مُعتب: مرض، مشتق من أعتبه بمعنى أعطاه العتبي؛ أي الرضا. نجزع: لم نصبر.

^٣ النهى: العقل.

^٤ الحدس: التخمين والرجم بالغيب.

- شاحب، يقال: شَحِبَ لونه وشُحِب، بمعنى تغير من جوع أو سفر أو مرض، وجه أسفع شاحب متغير من المشاق.
- ٦ الخطب: الأمر.
- ٧ الشوط: الغاية والنهاية.
- ٨ تتلو: تتبع.
- ٩ نستمتع: ننتفع زمانًا طويلًا.
- ١٠ الدجى: الليل. يهجع: ينام.
- ١١ الشغب: الهياج وإثارة الشرور.
- ١٢ الوشل: الماء القليل. مترع: ملآن.
- ١٣ ريدانة: لينة الهبوب. عاصف، ززع: شديدة الهبوب.
- ١٤ تمرع: تخصب.
- ١٥ يزور: يميل وينحرف.
- ١٦ يصدع: يشق.
- ١٧ المطرف: نوع من الثياب. طرائق الوشي: خطوط التتميق والنقش.
- ١٨ الرقم: الوشي. الميدع: الصوان الذي يصان به الثوب، أي: ليس وشي ولا صوان يصان به؛ لأن الكفن يلبس ولا ينزع كما قال في البيت الثاني.
- ١٩ دس في التراب: أودع فيه. ملحودة: اتخذ لها لحدًا.
- ٢٠ يقال: لم يبقَ في القوس منزع، أي: بلغ الأمر الغاية.
- ٢١ الجثمان: الجسم.
- ٢٢ ذو العي: ذو الحصر، وهو الذي لا يحسن الكلام. المصقع: الفصيح.
- ٢٣ المنطيق: البليغ.
- ٢٤ كسرى: اسم كل ملك كان يحكم الفرس. وتبع: اسم كل ملك كان يحكم اليمن، كقيصر للروم، وخاقان للترك، والنجاشي للحبشة، وفرعون للقبط، والعزيز لمصر.
- ٢٥ لا ينجع: لا يؤثر.
- ٢٦ حشرجت: الضمير راجع للروح، والحشرجة: الغرغرة عند الموت.

الكني يا ضياء

- أجَدَّكَ يا كواكب لا ترينا
كأن العالم العلويَّ سيفرَّ
نحاول منه إعراب المعاني
كواكب في المجرة عائماتٌ
سرت زُهرُ النجوم وما دراها
شموس في السماء علَّتْ وجلَّتْ
سوابح في الفضاء لها شئونٌ
وما ارتجفت بجُنج الليل إلا
لعلَّ لها بهذا الجو شأنًا
تلوح على الدجى متلألئات
وأنَّى يدرك الرائي مداها
تودُّ الغانيات إذا رأتها
تقلَّده على اللَّبَّات منها
- ١ بيانًا منك يُخبرُنا اليقينًا؟
نطالعه ولسنا مفصحين
٢ بتأويل فنرجع مُعْجِمينًا
٣ حكمت في بحر فسحتها السفينا
فلاسفة مضت ومنجمونا
فظنوا في حقيقتها الظنونا
ولمَّا يعلموا تلك الشئونا
لتضحك فيه مما يزعمونا
٤ سيوى ما نحن فيه مُرْجمونا
فُتْبِهَج في تلالُّها العيونا
٥ وإن ألقى لها نظرًا شفونًا؟!
لو انتظمت لها عَفْدًا ثمينًا
٦ وتطرَّح الدمالج والبُرينا



- الْكَني يا ضياءُ إلى الدراري
لعلَّك راجع منها جوابًا
فقل، إني تحيِّرُ فيك فكري
فيا أمَّ النجوم وأنتِ أمَّ
وهل فيك الحياة لها وجود
وهل بك مثل هذي الأرض أرضُ
وهل هم مثلنا خُلُقًا وخَلَقًا
وهل هم في الديانة من خلاف
وهل طابت حياة بنيك عيشًا
- ٧ رسالةٌ مُسَهِّرٍ فيها الجفونا
يزيل عمايةً المتحيرينا
كذاك تحير المتفكرون
٨ أيولد فيك كالأرض البنونا؟
فيمكن للرَّدى بك أن يكونا؟
وفيها مثلنا متخالفونا؟
هناك فيأكلون ويشربونا؟
نصارى أو يهود ومسلمونا؟
ففوق الأرض نحن معذبونا؟

وهل حُسِبَتْ بك الأيام حتى
وهل بالموت نحن إذا خرجنا
فتبقى عندك الأرواح مَنَّا
فأحِبِّبْ بالمنون إذن وأحِبِّبْ

تألَّف من تعاقبها السنونا؟
عن الأجساد نحوك مرتقونا؟^٩
تُصان فلا ترى جَنَفًا وهُونًا^{١٠}
بها إن كان سُلِّمَك المنونا!^{١١}



أبيني ما وراءك يا دراري
قد اتسع الفضاء لك اتساعًا
وصغَّرك ابتعادك فيه حتى
فهل كان ابتعادك من دلال
خوالد في فضائك أنت؟ أم قد
وقالوا: ما لعدَّتكَ انتهاءً
وقالوا: الأرضُ بنتك غيرَ مَيِّن
وقالوا: إن والدك المفدى
ترصَّدك الأنام وما أتانَا
«فهرشل» ما شفى منا غليلاً
و «كبلر» قد هدى أو كاد لما
إلى كم نحن نلبس فيك لبسًا
لعلَّ النجم في إحدى الليالي
تقوم له الهوائف قائلات:

فنحن نخاله بعدًا شَطُونًا^{١٢}
فهل أبعاده بك ينتهينا؟
إليك استشرف المتشوّفونا^{١٣}
علينا أم بعدت لتخدعينا؟
يحلُّ بك الفناء فتذهبينا؟
فهل صدقوا أو ارتكبوا المجونا؟^{١٤}
فهل أبناءُ بنتك يصدقونا؟^{١٥}
أثيرٌ في الفضاء أبى السكونا^{١٦}
بعلم كيائك المترصدونا^{١٧}
ولا «غاليل» أنبأنا اليقينَا^{١٨}
أبانك يا نجوم تجاذبينَا^{١٩}
ومن جرَّك ندرع الظُّنونا!^{٢٠}
سيبعث للورى نورًا مبينا
خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

^١ أجد: بفتح الجيم وكسر ها، والهزمة للاستفهام، وهذه من الكلمات التي لا تستعمل إلا مضافة، ومعناها: أجد منك هذا العمل، وقيل معناها بفتح الجيم: استخلاف بالجد؛ أي البخت والحظ، وكسر ها معناها: استخلاف بالجد؛ أي الحقيقة والاجتهاد، والجد الذي هو ضد الهزل.

^٢ الإعراب: الإظهار. معجمين: غير مفصحين.

^٣ المجرة: مجموعة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوءها كأنه بقعة بيضاء. حكى: أشبهت، السفين: جمع سفينة.

^٤ مرجمون: قائلون بما لا نعلم.

^٥ مداها: غايتها. شفن شفونا: رفع طرفه ناظرًا الشيء كالمتعجب أو كالملكاه، فهو شافن وشفون بفتح الشين.

^٦ تقلده: أي تتقلده بمعنى تلبسه كالقلادة. اللبات: جمع لبة وهي النحر، الذي هو موضع القلادة من العنق. الدمالج: جمع دملج، وهو حلي يلبس في المعصم. البرين: نوع من الحلبي، وهو جمع برة — بضم الباء وفتح الراء — على غير قياس.

- ٧ ألكني يا فلان: أي كن رسولي إليه، وتحمل رسالتي إليه. الدراي: أراد بها النجوم الزواهر.
- ٨ أم النجوم: هي المجرة.
- ٩ مرتقون: مرتفعون.
- ١٠ تصان: تحفظ. جنفاً: ظلماً.
- ١١ يقول: أيتها المجرة، هل نحن نرتفع إليك إذا متنا، فإن كذلك فما أحلى الموت إن كان سلماً للوصول إليك!
- ١٢ بئر شطون: بعيدة القعر، وغزوة ونية شطون: بعيدة.
- ١٣ استشرف الشيء: رفع بصره ينظر إليه. تشوف إلى الشيء: تطلع إليه.
- ١٤ المجون: إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل.
- ١٥ المين: الكذب.
- ١٦ الأثير: مادة منتشرة في كل خلاء ألطف من الهواء.
- ١٧ الكيان: الطبيعة.
- ١٨ هرشل وغاليل وكبلر: علماء فلكيون.
- ١٩ أبانك: أظهرك.
- ٢٠ من جراك: من أجلك.

الأرض

خَبِرُ في الأرض أوحته السما لأولي العلم برُسل الفكر
أن هذي الأرض كانت أو لا ما ترى بحرًا بها أو جبلا
أو سهولًا أو رُبًا أو سُبلًا أو رياضًا زهرها الغُضُّ نما^١
من سحاب جادها بالمطرِ

إنما كانت كتلك الأخوات من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هي إحدى النيرات كنَّ من قبلُ عليها سُدُما^٢
كتلة واحدة في النظر

ثم بعدُ انفصلت من ذا السديم قِطْع منها صغير وجسيم
ضمن أفلاك بها الدور تُديم فاستقر الكل فيها أنجما^٣
حول غير الشمس لم يَسْتَدِر

أولًا «نِبْتُون» منه انفصلا ثم «أورانس» يهدي زُحلا^٤
ثم للمشتري مَرِيخُ تلا ثم هذي الأرض فالزُّهرة ما^٥
بعدها غير أخيها الأشهر

وأخو الزُّهرة بالشمس اقتدى ولها أقربَ سيار غدا
وهي سارت خلفه طول المدى فأمام الأرض دان انتظما
خلفها المريخ ثم المشتري

أرضنا كانت لظى مشتعله مُذْ مِنَ الشمس غدت منفصلة
لم تزل في دورها منتقلة كتلةً فيها اللهب احتدما
وهي ترمي في الفضا بالشرر

كان فيح النار منها مصعدا وهَجَا في الجو عنها مبعدا
حيث لا يمكن أن ينعقدا فوقها منه بخارٌ دِيمَا^٦
هاطلات بالحيا المنهمر^٧

بقيت حينًا وهذا أمرها
وانثنى يبرد من ذا ظهرها
وهي بالإشعاع يخبو حرُّها^٨
فاكتست قشرًا يحاكي الأدماء^٩
واستمرت بطنها في سُعر^{١٠}

ثم قد صار على مر الزمان
بيد أن النار عند الهيجان
قشرها يغلظ أنا بعد أن
قد أعادت قشرها منخرما
بصدوع مُدهشات البصر^{١١}

شخصت أطراف هاتيك الصدوغ
ولها في العين أشكال تروغ
بجبال شمخت منها الفروع
تقذف الأفواه منها حُممًا^{١٢}
صار منهن ركام الحجر^{١٣}

حصلت من قذف هاتيك المواد
وركاز وصخور وجماد
حيث يجمدن جبال ووهاد^{١٤}
بعضها دَقَّ وبعض عظمًا^{١٥}
وهو صلب الجسم صعب المكسر

وهناك انعقدت فيها الغيوم
رَدَّه البردُ مياهاً في التخوم
من بخار كان في الجوَّ يعوم
فجرى السيل عليها مفعِمًا^{١٦}
كل غور فوقها منحدر^{١٧}

عمَّها السيل فغطى حين سأل
فَطَمَ الماء ولكنَّ الجبال
سطحها مجترقًا منها الرمال
شخصت في الماء لَمَّا أن طَمًا^{١٨}
وعلت كالسُفن فوق الأبحر

غمر الماء بها ما غمرا
محدثًا في السطح منها جُزْرا
ثم خَلَّى بعضها منحسرا^{١٩}
أنزل الماء بها ما حطما^{٢٠}
من طُفالٍ وحثات المدر^{٢١}

بسيول الماء كم فيها ارتكَمَ
ولكم خدَّت أخايدَ وكم
من رمال رسبت فيها أكم^{٢٢}
قد بَنَت من طبقات علما^{٢٣}
نضدت فيه صفيح المَرَمَرِ

ثم صارت وهي من قبلُ موات
فانبرت تُنبِت في البدء النبات
تصلح الأقطار منها للحياة^{٢٤}
ثم أبدت من قواها النسما^{٢٥}
وارتقت فيها لنوع البشر^{٢٦}

فغدت إذ ذاك تزهو بالرياض
ثم ترميها أكفُ الإنقراض
وبها الأدواح تنمو في الغياض^{٢٧}
بانحطام حيث تمسي فحما
حجريًا بمرور الأعصر

من حطام الخلق في الأرض هضاب
كوّنتهن أكفُ الانقلاب^{٢٨}

ما تراب الأرض واللّه ترابٌ إنما ذاك حُطامٌ قُدّما

من جُسوم باليات الكسرِ

كم على الأرض رُفات بالياتٍ من جُسوم طحنتها الدائرات ^{٢٩}
فاحتقرُ في الأرض تلك الطبقات تجد الانقراض فيها رمما ^{٣٠}
هي للأحياء أو للشجر

كل وجه الأرض للخلق قبور خفف الوطء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والشغور إنما أنت ستفنى مثلما ^{٣١}
قد قُتُوا والموت دامي الظفرِ

ظَلَّتْ الأرض على كرّ الدهور تُبحر الأجل فيها والبحور ^{٣٢}
فوقها تُجبلُ والماء يغور وعلى ذاك استدل الحُكما
بجبال السّمك المستحجرِ

علماء الأرض لم تبرح ترى حيوان البرّ لَمَّا دَثرا ^{٣٣}
منه في الأبحر أبقي أثرا وكذا في البرّ ألقى العلما
أثرا من حيوان الأبحرِ

كل ما في الأرض من قفرٍ وبيدٍ وجبال شَهقت فوق الصعيد ^{٣٤}
عن زُهاء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكتما
تحت ماء البحر لم ينحسرِ

في صعيد الأبحر المنغمس مثلُ ما يوجد فوق اليبس
من جبالٍ ناتئات الأروس ووهادٍ تستزلُّ القدما ^{٣٥}
وَرُبَّا مختلفات القَدَرِ ^{٣٦}

ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم ^{٣٧}
ومن الزلزال ذي الهول العظيم دلُّ أن الأرض فيما قُدّما
ذات جرم ذائب مستعرِ ^{٣٨}

كل ما كان بحال السّيلان فهو يغدو كرة بالدوران
وكذاك الأرض في ماضي الزمان كرويًا قد عدا ملتئما
جرمها من سيلانِ العُنصرِ

ثم إن الأرض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالولود ^{٣٩}
قمرًا دار عليها بسعود وجلا في الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس أم القمر ^{٤٠}

- ١ الغض: الطري.
- ٢ السدم: جمع سديم، وهو الضباب؛ أي كانت النجوم التي هي في العالم الشمسي حول الشمس بمنزلة الغيوم.
- ٣ الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التي يتألف منهما النظام الشمسي، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة، انفصلت وصار كل نجم على حدة، مرتبطًا مع أخواته بنظام واحد، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.
- ٤ نبتون: هو النجم السيار الذي لم يعرف في القديم. أورانوس: هو نجم سيار لم يكن معروفًا من قبل، وإنما عرف أخيرًا، ويسمى أيضًا هرشيل باسم مكتشفه، وهذه النجوم التي ذكرها بعد أورانوس هي السبعة السيارة الأصلية، التي تخطر حول الشمس، ولم يذكر القمر؛ لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض، وهي تدور حول الشمس.
- ٥ أراد بأخيها الأشهر: عطارد، وهو أقرب سيار إلى الأرض، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه.
- ٦ الديم: جمع ديمة، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق، والمراد به هنا المطر مطلقًا.
- ٧ الحيا: المطر. المنهمر: السائل؛ أي أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينعقد سحبًا ماطرًا.
- ٨ يخبو: يخمد ويسكن.
- ٩ يحاكي: يشابه. الأدم: البشرة وهي ظاهر الجلد.
- ١٠ البطن: مذكر، وتأتيه لغة، وعليها مشى الشاعر، ويجوز أن يكون الضمير في استمرت عائدًا إلى الأرض، فتكون جملة بطنها في سعر، في موضع الحال من الضمير، السعر: الحر، وأراد به الاشتعال والهيجان، والسعر في الأصل بتسكين العين، وضم هنا للضرورة.
- ١١ صدوع: شقوق.
- ١٢ تروع: تخيف. الحمم: جمع حمة، وهي ما تقذفه البراكين عند ثورانها.
- ١٣ الركام: الشيء المتراكم بعضه فوق بعض.
- ١٤ الوهاد: الأماكن المنخفضة.
- ١٥ الركاز: المعدن. دق: صغر.
- ١٦ التخوم: الفواصل بين الأرضيين. مفعمًا: مائلًا.
- ١٧ الغور: هو ما انحدر من الأرض، متى تسلطت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها فتتصاعد تلك الرطوبة بخارًا في الجو، ومتى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتحلل ويتساقط مطرًا، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾. الودق: المطر.
- ١٨ طما: ارتفع.
- ١٩ منحسرًا: منكشفًا.
- ٢٠ الجزر: جمع جزيرة، على غير قياس، والقياس: جزائر.
- ٢١ الطفال: بفتح الطاء وضمها هو الطين اليابس. الحتات بضم الحاء: وهو ما تتأثر من شيء. المدر: التراب المتلبد.
- ٢٢

- ارتكم الشيء: اجتمع مع ازدحام وكثرة. رسب الشيء في الماء: وصل إلى أسفله. أكم: جمع أكمة، وهي التل.
- ٢٣ خدت: شقت. الأخاديد: جمع أخدود، وهو شق مستطيل في الأرض. العلم: الجبل.
- ٢٤ الأرض الموات: وهي الخراب، أو التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد. الأقطار: النواحي والجهات، مفردها قطر.
- ٢٥ النسم جمع نسمة وهي نفس الروح، وأراد بالنسم الأرواح أنفسها.
- ٢٦ يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع، وقد اضطربت الآراء في أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين، وعندني أنه لا يعارضها، ولم يزل علماء الكون في حيرة من تحقيق هذا المذهب.
- ٢٧ الأدواح: الأشجار العظيمة.
- ٢٨ الحطام: ما تكسر وتفتت من الأشياء اليابسة، وحطام الخلق: ما تكسر من عظامها وتحطم. الهضاب: جمع هضبة، وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض.
- ٢٩ الرفات: الحطام وهو مفرد مذكر، أراد به الشاعر معنى الجمع، فجمع صفته وأنثها.
- ٣٠ الانقاض: الأبنية المتهدمة. الرمم: ما بلي من العظم، مفردها رمة، وأراد بها الشاعر ما هو أعظم.
- ٣١ النجل: العيون الواسعة الحسنة.
- ٣٢ تبحر الأجل: أي تصيرها بحرًا، والأجل: جمع جبل، تجبل: تصير جبلاً — يعرض للأرض بسبب ما في جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات، وقد تسبب هذه الفواعل تغوير الجبال الشاهقة، في غمرها الماء فتصير بحرًا، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر في البحر، وقد استدلت علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة في رعوس الجبال ومن آثار الحيوانات البرية في أغوار البحار.
- ٣٣ دثر: بلي وامحى.
- ٣٤ البيد: جمع بيداء، وهي الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. الصعيد: وجه الأرض.
- ٣٥ ناتئات: مرتفعات. تستزل: تزلق.
- ٣٦ ربا: جمع ربوة، وهي المرتفع من الأرض.
- ٣٧ الحميم: الساخن الحار. البراكين: جبال تقذف نارًا ودخانًا وماء ووحلاً ومواد ذائبة، فيبدو منها إذ ذاك مجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة، وأسباب تلك الحوادث غير معروفة، وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها، ومفردها بركان، وهو لفظ قد اصطلح عليه، ولفظه العربي فلقان: جمع فلق، بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم، ثم استعمل لجبل النار.
- ٣٨ مستعر: ملتهب.
- ٣٩ الولود بفتح الواو: الكثيرة الأولاد، الأرض قبل أن تجمد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر.
- ٤٠ هي: أي الأرض بنت الشمس؛ لأنها منفصلة عنها وهي أم القمر، لأنه منفصل عنها.

الاجتماعيات

نحن والماضي

- عهدتك شاعرَ العرب المُجيدا
فنحن إليك بالأسماع نُصغي
بشعرٍ لا تزال تنوط منه
إذا أنشدته الحسناء تاهت
وأنت إذا قرعت به عبيدا
ولو تستنهض الجبناء يوما
ولو كررتَه للقوم ألفا
وكم تهتز أعطافُ المعالي
فلو أنشدتنا في الفخر شعرا
تذكرنا الأوائل كيف سادوا
- فما لك لا تطارحنا النشيدا^١
فهل لك أن تفيد فنستفيدا
بجيد بدائع الدنيا عقودا^٢
كأن قرطتها دُرًّا فريدا^٣
رددت إلى الحرار به العبيدا^٤
به لتقحموا الهيجا أسودا
لأقسم سامعوه بأن تُعيدا
إذا ما قلت قافيةً شرودا
تذكرنا به العهد البعيدا
وكيف تبوعوا الشرف المديدا^٥



- فقلت له وقد أبدى ارتياحا
أجل إن القبائل من معد
وإن لهاشم في الدهر مجدا
ومذ قام ابن عبد الله فيهم
وأنهضهم إلى الشرف المعلّى
فأصبح واريّا زند المعالي
فهم فتحوا البلاد ودوّخوا
وهم كانوا أشدّ الناس بأسا
وأرجحهم لدى الجلى حلوما
ولكن أيّها العربيّ إني
وما يُجدي افتخارك بالأوالي
- إلّي إذ ارتجلتُ له القصيدا:
علوا فتسنّموا المجد المجيدا^٦
بناه لها الذي هشم الثريدا
أقام لكل مكرمة عمودا^٧
وكانوا عنه قبلئذ قعودا
وقبلا كان مقدّحه صلودا
وقادوا في معاركها الجنودا^٨
وأمنع جانبًا وأعمّ جودا
وأصلبهم لدى الغمرات عودا^٩
أراك لغير ما يُجدي مُريدا
إذا لم تقتخر فخرا جديدا؟!



أرى مستقبل الأيام أولى
فما بلغ المقاصد غير ساع
فوجه وجه عزمك نحو آت
وهل إن كان حاضرنّا شقيّاً
تقدّم أيّها العربي شوطاً
وأسس في بنائك كلّ مجد
فشرّ العالمين ذوو خمول
وخيرّ الناس ذو حسب قديم
تراه إذا ادّعى في الناس فخراً
فدعني والفخار بمجد قوم
قد ابتسمت وجوه الدهر بيضاً
وقد عهدوا لنا بتراث ملّك
وعاشوا سادة في كلّ أرض
إذا ما الجهل خيم في بلادٍ

بمطمح من يحاول أن يسودا
يُرَدّد في غدٍ نظراً سديدا
ولا تُلَفّت إلى الماضين جيّدا
نسود بكون ماضينا سعيدا؟
فإن أمامك العيش الرّغيدا ^{١٠}
طريفٍ واتركِ المجد التليدا ^{١١}
إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
أقام لنفسه حسبا جديدا
نقيم له مكارمه الشهودا
مضى الزمن القديم بهم حميدا
لهم ورأينا فعبسّ سودا
أضعنا في رعايته العهودا ^{١٢}
وعشنا في مواطننا عبيدا
رأيت أسودها مُسيخت قرودا

^١ قوله: «لا تطارحنا النشيد»: أي لا تجاوبنا منشداً، يقال: طارحه الكلام والشعر والغناء إذا ناظره وجاوبه.

^٢ تتوط: تعلق. والجيد: العنق أو مقلده أو مقدمه.

^٣ تاهت: تكبرت. وقرطتها: أي ألبستها قرطاً، والقرط بالضم: هو الذي يعلق في شحمة الأذن، من درة أو نحوها.

^٤ قرعت: ضربت. والحرار بالفتح: العنق والحرية.

^٥ تبوّعوا الشرف: امتدوا فيه وأدركوا غايته. والشرف المديد: أي الممدود الطويل.

^٦ أجل: حرف جواب بمعنى نعم. وتسمنوا المجد: أي علوه. ومعد: هو معد بن عدنان أبو العرب.

^٧ ابن عبد الله: يعني محمد بن عبد الله ﷺ.

^٨ دوخوها: أي قهروها واستولوا على أهلها.

^٩ الجلى: الخطب العظيم، والأمر الشديد، وهي مؤنث الأجل.

^{١٠} الشوط: الجري مرة إلى الغاية.

^{١١} المجد الطريف: الحديث المكتسب، والتليد: القديم الموروث.

^{١٢} قوله: بتراث ملك، التراث: ما يخلفه الرجل لورثته، أي: بتراث هو ملك، فالإضافة بيانية.

معترك الحياة

هو الدهر لم يترك مشنً غواره
يثير غبار الحادثات بكره
وكم عبر مطوية في صروفه!
خليليَّ إنَّ الأرض غربال قدرة
تميد به كفُّ الزمان تحرُّكًا
فببقى به الأقوى قرينَ ارتقائه
فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها



لعمرك ما هذي الحياة بملبس
ولكن لمن أمسى بأيدي وقوة
أرى الشمس تُخفي ضوءها كل شارق
وما ذاك إلا أنها في تلُهب
فلم يستطع نجمٌ طلوعًا تجاهها
كذاك ضعيف القوم إن كان جاره
وما الليث لولا بأسه في عرينه
ومن غاور الأيام غير مدجج
ومن لم يُهن صرفَ الزمان برحلة
وما شَرَّف الدر الثمين فريده



أرى كلَّ ذي فقر لدى ذي غنى
ولم يُعطه إلا اليسير وإنما
ويلبس من تذليله العز ضافيًا
يشدُّ الغنى أزرَ الفتى في حياته

أجبرًا له مستخدمًا في عقاره^{١٠}
على كدِّه قامت صروح يساره
وينظره شزرًا بعين احتقاره
وما الفقر إلا مكسر في فقاره

وليس الغنى إلا غنى العلم إنه
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً
وما العلم إلا النور يجلو دجى العمى
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً



لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره^{١١}
إذا نكبت أخلاقهم عن مناره
ولكن تزيغ العين عند انكساره^{١٢}
وإن كان بحرًا زاخراً من بحاره

سل الفلك الدوّار عن حركاته
وهل هو في هذا الفضاء مسافر
وهبنا جهلنا بدأه من تقادم
متى ينجلي ليل الشكوك عن النّهي
ألا ورّي في زند الزمان فنهتدي
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر
وأهليه ساروا خابطين ظلامه
لعمرك إن الدهر يجري لغاية
وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى
لقد فاز من بارى جديديه جدّة
وليست حياة الناس إلا تجدّداً
وما الناس إلا الماء يُحييه جريّه



فقد طال نوم القوم بين دياره؟
عليهم وهم لاهون تحت غراره؟!
وهم في مهاوي غفلة عن بداره
وقد أصبحوا في قبضة من إساره^{١٣}
وآخر يُطري ماضياً من فخاره^{١٤}

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض
ألم تر أنّ الغرب أضلت سيفه
وبادرهم كالسيل عند انحداره
أما أن للساهين أن يأبهوا له
تراهم جميعاً بين حيوان واجم

^١ الغوار: كالإغارة، مصدر غاور العدو إذا أغار عليهم. ومشن: مصدر ميمي بمعنى الشن، وشن الغارة: تفريقها وصيها من كل جهة. يقول: إن الدهر لا يقعد عن شن الإغارة بحوادثه المتتالية، وهو على جوادين سابقين، هما: الليل والنهار.

^٢ يشير بهذا والذي بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعي، وهو قانون بقاء الأنسب، فهو يعمل عمله في الأرض الدائرة حول الشمس، فيضمحل في أثناء دورانها الضعيف من المخلوقات، ويبقى بها القوي القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها، فهي في ذلك بمنزلة الغربال، الذي يسقط عند تحريكه كل دقيق صغير، ويبقى فيه ما هو كبير. وإطار الغربال: اللوح المحيط به.

^٣ تميد به: أي تدور به وتحرك. والفاره: الملبح النشط، والمراد به هنا: ما يقابل الضعيف، وهو القوي.

الأوهى: الأضعف، وهو مقابل للأقوى في الشطر الأول.

٥ بأيدي: أي بقوة، فعطف القوة عليه من قبل عطف التفسير، والباء هنا للمصاحبة، وقوله: يجر على الأيام فضل إزاره: كناية عن القوة والقدرة؛ لأن جر فضل الإزار إنما هو فعل الجبايرة والأغنياء، فكأنه يقول لمن أمسى قويًا ذا قدرة وعظمة.

٦ ضرب في الأبيات المتقدمة مثلًا لتغلب القوي على الضعيف، بما ذكر من الشمس التي لا تستطيع النجوم طلوعًا تجاهها، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام، ثم قال: وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوي كان مغلوبًا له، والشلو: العضو من اللحم.

٧ المدجج: اللابس السلاح.

٨ عقر الدار: وسطها، أي: من لم يرحل لدفع نوائب الدهر عنه، نابتة تلك النوائب وهو في وسط داره.

٩ المحار: الصدف الذي يكون فيه اللؤلؤ، واحده: محارة.

١٠ ينتصر بهذا البيت وما بعده لمذهب الاشتراكية، حيث ذكر منزلة الفقير تجاه الغني، وعيش الثاني من كد الأول.

١١ يشير بهذه الأبيات إلى أن الغنى الحقيقي هو غنى العلم لا المال، وأن العلم لا يجدي نفعًا إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة.

١٢ العلم يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى، أي: الجهل، كما أن النور يجلو ظلام الليل، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدي بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى، كما أن النور إذا انكسر شعاعه عند نفوذه في الأجسام الشفافة كالهواء والماء تزوغ عين الرائي، أي: تنحرف بسبب انكساره عن رؤية المرئي كما هو في نفس الأمر، وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنكسر، الذي يزوغ به البشر عن إدراك حقيقة المرئي كما هي.

١٣ أن يأبهوا له: أي أن يفطنوا له.

١٤ واجم: أي ساكت لشدة حزن أو غم.

أم اليتيم

- رمت مسمعي ليلاً بأنة مؤلم
وباتت توالي في الظلام أنينها
فيهفو بقلبي صوتها مثلما هفت
إذا بعثت لي أنة عن توجع
تقطع في الليل الأنين كأنها
يهز نياط القلب بالحزن صوتها
تردده والصمت في الليل سائد
كان نجوم الليل عند ارتجافها
فما خفقان النجم إلا لأجلها
لقد تركتني موجع القلب ساهراً
أرى فحمة الظلماء عند أنينها
فأصبحت ظمان الجفون إلى الكرى
وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع
وبيت بكث فيه الحياة نحوسة
به ألت الأيام أثقال بؤسها
كأنني أرى البنيان فيه مهتماً
ولكن زلزال الخطوب هوى به
دخلت به عند الصباح على التي
فألفيت وجهها خدد الدمع خده
وجسماً نحيفاً أنهكته همومه
لقد جثمت فوق التراب وحولها
تراه وما إن جاوز الخمس عمره
بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا
- فألقت فؤادي بين أنياب ضيغم^١
وبت لها مرمى بنهشة أرقم^٢
بقلب فقير القوم رنة درهم^٣
بعثت إليها أنة عن ترخم
تقطع أحشائي بسيف مثلم^٤
إذا اهتز في جوف الظلام المخيم^٥
بلحن ضئيل في الدجنة مبهم^٦
تصيح إلى ذاك الأنين المجمع^٧
وما الشهب إلا أدمع النجم ترتمي
أخا مدمع جار ورأس مهُوم^٨
فأعجب منها كيف لم تتضرم!^٩
وإن كنت ريان الحشا من تألمي^{١٠}
له شعراء القوم من متردّم^{١١}
ولاحت بوجه العابس المتجهّم^{١٢}
فهاجت به الأحزان فاغرة الفم^{١٣}
وما هو بالخاوي ولا المتهدّم
إلى قعر مهواة الشقاء المحسّم
سقاني بكاهي في الدجى كأس علقم^{١٤}
ومحمرّ جفن بالبكا متورّم^{١٥}
فكادت تراه العين بعض توهم
صغير لها يرنو بعيني ميّتم^{١٦}
يدير لحاظ اليافع المتفهم^{١٧}
وليس البكا إلا تعلّة مُعدم^{١٨}

وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى

بكاء يتيّم جائع حول أيّمْ^{١٩}

♦ ♦ ♦

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
وقفت لديها والأسى في عيونها
وساءلتها عنها وعنه فأجهشت
ولما تناهت في البكاء تضاحكت
ولكنّ دموع العين أثناء ضحكها
فقد جمعت ثغراً من الضحك مُفَعِّمًا
فتُذْري دموعاً كالجمان تتأثرت
فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها
فقلت، وفي قلبي من الوجد رعشة:

لمريم أبكي رحمة وابن مريم
يكلمني عنها ولم تتكلم
بكاءً وقالت: أيها الدمع ترجم^{٢٠}
من اليأس ضحك الهازئ المتهمك
هو اطلّ مهما يسجم الضحك تسجم^{٢١}
إلى محجر باكٍ من الدمع مُفَعِّم^{٢٢}
وتضحك عن مثل الجمال المنظم^{٢٣}
بكاءً وفيها نظرة المتبسم
أمجنونة؟ يا ربّ فارحم وسلّم!

♦ ♦ ♦

ومذ عرضت للابن منها التفاتة
فقام إليها خائر الجسم فانتنت
وظلت له ترنو بعين تجوّد
فقال لها لما رأيَ واقفاً
سلي ذا الفتى يا أمّ: أين مضى أبي؟
فقلت له، والعين تجري غروبها
أبوك ترامت فيه سفرة راحل
مشى أرمنيّاً في المعاهد فارتمت
على حين ثارت للنواب ثورة
فقامت بها بين الديار مذابح
ولولاك لاخترت الحمام تخلّصاً
فأنت الذي أخّرت أمّك مريماً
أمريم! مهلاً بعض ما تذكرينه
أمريم! إن الله لا شك ناقد
أمريم! فيما تحكمين تبصّري
فليس بدين كل ما يفعلونه
لئن ملئوا الأرض الفضاء جرائمًا
ولكنهم في جنح ليل من العمى
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم

أشارت إليه بالمدامع أن قم
عليه فضمته بكف ومعصم^{٢٤}
بفدّ من الدمع الغزير وتوعم^{٢٥}
أردّد فيه نظرة المتوسم^{٢٦}
وهل هو يأتينا مساءً بمطعم؟
وأنفاسها يقذفن شُعلة مضرّم:^{٢٧}
إلى الموت لا يُرجى له يوم مقدّم^{٢٨}
به في مهاوي الموت ضربة مسلم
أنت بحزازات إلى الدين تنتمي^{٢٩}
تخوّض منها الأرمنيّون بالدم
بنفسي من أتعاب عيش مُدَمَّم^{٣٠}
عن الموت أن يودي بأمك مريم^{٣١}
فإنك ترمين الفؤاد بأسهم
من القوم في قتل النفوس المحرّم
فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمي
ولكنه جهل وسوء تفهم
فهم أجرموا والدين ليس بمجرّم
تمشّوا بمطموس العلام مُبَهَم^{٣٢}
فكم مُنجد في المخزيات ومُتهم^{٣٣}

ولما رأيت اللوم لؤماً تجاهها
وأطرقت نحو الأرض أطلب عفوها
وظلّت لها أبكي بعينٍ قريحة
بكيّ وما أدري أبكي تضجراً
سكتُ فلم أنبس ولم أتبرّم^{٣٤}
ولا أنا بالجاني ولا بالمتيمّ^{٣٥}
جرت من أماقيها عصارَةٌ عَنَدَمِ^{٣٦}
من القوم أم أبكي لِسقوة مريم!

-
- ١ الضيغم: الأسد.
 - ٢ الأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس.
 - ٣ يهفو: يخفق.
 - ٤ مثلم: مفلّ، مكسر الحد.
 - ٥ النياط: عرق غليظ نيظ به القلب إلى الوتين، والنيظ في الأصل: ما يعلق عليه أي شيء.
 - ٦ الدجنة: الظلمة.
 - ٧ تصيخ: تستمع. جمجم الكلام: أي لم يبينه.
 - ٨ هوم الرجل تهويماً وتهوم تهوماً: أي هزّ رأسه من النعاس.
 - ٩ تتضرم: تشتعل.
 - ١٠ الكرى: النعاس.
 - ١١ المتردم: المرقع الذي يرقع.
 - ١٢ المتجهم: هو الذي يستقبلك بوجه كريه.
 - ١٣ فاغرة: فاتحة.
 - ١٤ الدجى: الليل. العلقم: الحنظل وكل شيء مر.
 - ١٥ خدد: شقق.
 - ١٦ يرنو: يديم النظر.
 - ١٧ اليافع: الذي ترعرع وناhez البلوغ.
 - ١٨ التعلقة: هو الشرب بعد الشراب تباغاً، والمراد هنا: أنه كان يبكي مرة بعد مرة، ليعلل نفسه ويشغلها بذلك. المعدم: الفقير.
 - ١٩ الأيم: التي فقدت زوجها.
 - ٢٠ أجهشت بالبكاء: أي همت به وتهيات له.
 - ٢١ سجم الدمع: سال.
 - ٢٢

مفعلاً: مملوءاً. المحجر: ما دار بالعين وبدا من البرقع.

٢٣ الجمان: اللؤلؤ.

٢٤ المعصم: موضع السوار من الساعد.

٢٥ الفذ: الفرد. التوعم: المولود مع غيره في بطن، من الاثنين فصاعداً.

٢٦ المتوسم: المتقرس.

٢٧ غروبها: دموعها.

٢٨ ترامت به: أبعدته.

٢٩ يشير بذلك إلى فتنة أظنة التي ثارت بسبب حمقى الأرمن وجهلاء المسلمين.

٣٠ الحمام: الموت.

٣١ أردى به: أهلكه.

٣٢ جنح الليل: طائفة منه. بمطموس: أي بطريق مطموس. والعلائم: جمع علامة، وهي شيء منصوب في الطريق يهتدى به.

٣٣ النيهاء: الأرض التي يتوه بها الإنسان. المنجد: قاصد النجد، أي: المكان المرتفع، والمتهم: قاصد تهامة أي: المكان المنخفض.

٣٤ لم أنبس: أتكلم. أنبرم: أتضجر.

٣٥ الجاني: المجرم. المتيم: الذي تيممه العشق أي: ذلّله وعبّده.

٣٦ الأماقي: جمع موق، وهو طرف العين مما يلي الأنف. العندم: البقم، وهو شجر له ساق أحمر يصبغ بطبيخه.

السجن في بغداد

سكنّا ولم يسكن حراكُ التبدُّدِ
عفا رسمُ مغنى العزّ منها كما عفت
بلادُ أناخِ الذلّ فيها بكلّكلٍ
معاهدُ عنها ضلّ سابق عزها
أحاطت بها الأرزاء من كل جانبٍ
وحلّق في آفاقها الجور بازياً
وينقضّ أحياناً عليها فتارة
فيخطف أشلاءً من القوم حيّة
ويرمي بها في قعر أظلم موحش
هو السجن ما أدراك ما السجن! إنه
بناءً محيطٌ بالتعاسة والشقا

مواطن فيها اليوم أيمُن من غدٍ^١
«لخولة أطلال ببرقة ثهد»^٢
على كل مفتول السبّالين أصيد^٣
فهل هو من بعد الضلالة مُهتد؟
إلى أن محتها معهداً بعد معهد^٤
مُطلّاً عليها صائتاً بالتهدّد^٥
يروح وفي بعض الأحايين يغتدي
ولم يقدِّ المقتول منها ولم يد^٦
به أين تسقط جذوة الروح تُخمد^٧
جلاد البلايا في مضيق التجلد
لظلم بريء أو عقوبة معتد



زر السجن في بغداد زورة راحم
محلُّ به تهفو القلوب من الأسى
مربّع سور قد أحاط بمثله
وقد وصلوا ما بين ثانٍ وثالثٍ
وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحةً
ومن وسط السور الشماليّ تنتهي
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
ثلاثون مترًا في جدار يحيطها
تواصلت الأحزان في جنباتها
تصعد من جوف المراحيض فوقها
هناك يؤدّ المرء لو قاء نفسه

لتشهد للأنكاد أفجع مشهد^٨
فإن زرته فاربط على القلب باليد^٩
محيط بأعلى منه شيد بقرمذ^{١٠}
بمعقود سقف بالصخور مُشيد
تمور بتيّار من الخسف مُزبد^{١١}
إليها بمسدود الرّجاجين مُوصد^{١٢}
مخاريق ضيم تخط الجدّ بالدّد^{١٣}
بسمك زهاء العشر في الجو مصعد
بحيث متى يبّل الأسى يتجدّد
بخارٌ إذا تمرّر به الريح تفسد
وأطلقها من أسر عيش مُنكد^{١٤}

ففقف وسطها وانظر حواليك دائراً
مقابر بالأحياء غصت لحودها
وقد عميت منها النوافذ والكوى
تظنُّ إذا صدرَ النهار دخلتها
فلو كان للعُباد فيها إقامة
يزور هبوبُ الريح إلا فناءها
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما
وحتى كأن القوم شُدَّت رقابهم



بها كل مخطوم الخُشام مذلل
يبيت بها والهَم ملء إهابه
يُميت بمكذوب العزاء نهاره
ينوء بأعباء الهوان مقيداً
وتقذفهم تلك القبورُ بضغطها
فيرجع بعضٌ من حصير ظلاله
وليست تقية الحر إلا تعلّة
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم
فمن كان منهم بالحصير مظلاً
تراهم نهار الصيف سُفعا كأنهم
وجوه عليها للشحوب ملامح
وقد عمهم قيد التعاسة موثقاً
فسيدهم في عيشه مثل خادم
يخوضون في مستنقع من روائح
تدور رعوس القوم من شم ننتها
تراهم سُكاري في العذاب وما هُم
وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة
ألا رُبَّ حرٍّ شاهد الحكم جائراً
فقال ولم يجهر ونحن بمنندي
على أيِّ حكم أو لأية حكمة
فأدنيت للنجوى فمي نحو سمعه
رعى الله حيّاً مستباحاً كأنه

إلى حُجَرٍ قامت على كل مقعد
بخمس مئينِ أنفس أو بأزيد
فلم تكتحل من ضوء شمس بمزود^{١٥}
كأنك في قطع من الليل أسود
لصلّوا بها ظهراً صلاة التهجد^{١٦}
فلم تحظ من وصل النسيم بموعد^{١٧}
على كل حيزوم صفائح جلمد^{١٨}
بحبل اختناق محكم الفتل مُحصد^{١٩}

متى قيد مجروراً إلى الصَّيم ينقذ^{٢٠}
بليلة مَنبُول الحشا غير مُقصد^{٢١}
ويحيي الليالي غير نوم مُشرّد
ويكفيه أن لو كان غير مُقيد^{٢٢}
عليهم لحرّ الساحة المتوقد
ويجلس فيها جلسة المتعبّد
لنفس خلت من صبرها المتبدّد^{٢٣}
بنسج لعاب الشمس في القிظ يرتدي^{٢٤}
يعذّونه ربّ الطراف الممدد^{٢٥}
أثافي أصلاها الطُهاة بموقد^{٢٦}
«تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد»^{٢٧}
فلم يتميز مطلق عن مقيد
وخادمهم في دُلّه مثل سيّد
خبائث مهما يزدد الحر تزدد
فمن يك منهم عادم الشم يُحسد
سُكاري ولكن من عذاب مشدّد
وما هو من دود بها متولّد^{٢٨}
يقود بنا قود الذلول المعبّد^{٢٩}
به غير مأمون الوشاية ينندي:^{٣٠}
بيغداد ضاع الحق من غير منشد!^{٣١}
وقلت: لأن العدل لم يتبغدد^{٣٢}
من الذعر أسراب النعام المطرّد^{٣٣}

وما صاحب البيت الحقير بناؤه
وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا
فناموا عن الجلّى ونمت كنومهم
وهل أنا إلّا من أولئك إن مشوا
وكم رُمْتُ إيقاظًا فأعيا هبوبهم!
نهوضًا نهوضًا أيها القوم للعلا
تقدّمنا قوم فأبعد شوطهم
وسدّ علينا الاعتساف طريقنا
أفي كل يوم يَرْحَفُ الدهر نحونا
فيا ربّ نفّس من كربٍ عظيمة

بأفزع من رب البلاط الممرّد^{٣٤}
ولم ينهضوا للخصم نهضة مُلبّد^{٣٥}
سوى نوحَةٍ مني بشعرٍ مغرّد^{٣٦}
مشيت وإن يقعد أولئك أقعد؟
وكيف وعزم القوم شاربٍ مُرقّد^{٣٧}!
لتبنوا لكم بنيان مجد موطّد
وقد كان عنا شوطهم غير مُبعد
فأجحف بالغوريّ والمتنّجد^{٣٨}
بجنّدٍ من الخطب الجليل مجنّد
ويا ربّ خفّف من عذابٍ مشدّد

^١ التبتد: التفرق. أيمن: أسعد.

^٢ عفا: امحى. الرسم: ما كان لاحقًا بالأرض من آثار الديار. المغنى: المنزل الذي أقام به أهله ثم رحلوا. خولة: اسم امرأة. الأطلال: جمع طلل، وهو الباقي من آثار الديار. برقة تهمد: اسم موضع، استعار الشاعر هذا العجز من صدر مطلع معلقة طرفة بن العبد.

^٣ أناخ بالمكان: أقام به. الكلكل: الصدر. السبالين: تثنية سبال، والسبال: جمع سبلة، وهي شعر الشاربين. الأصيد: الذي يرفع رأسه زهوًا وعجبًا.

^٤ الأرزاء: المصائب.

^٥ البازي: اسم فاعل من بزأ عليه بمعنى تطاول، وفيه تورية بالبازي، وهو نوع من الطيور الجارحة التي تسمى الصقور. صائتًا: مصوّنًا.

^٦ أشلاء الإنسان: أعضاؤه. لم يقد المقتول: لم يقتل قاتله. لم يد: لم يعط الدية؛ وهي مال يعطى لولي القتل بدل النفس.

^٧ جذوة الروح: شعلتها.

^٨ الأنكاد: جمع نكد، وهو الرجل المشئوم ذو العسر.

^٩ تهفو: تضطرب.

^{١٠} أي: هو مربع سور، يصف بهذا البيت وما بعده بناء السجن وشكله؛ أي: هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله، وهذا أيضًا أحاط بسور ثالث أعلى منه.

^{١١} هو السور الذي تليه ساحة السجن. تشجيك: تحزنك. تمور: تضطرب. الخسف: الإهانة والذل. مزيد: هائج.

^{١٢} الضمير في قوله: إليها يعود إلى الساحة في البيت السابق. الرتاج: الباب العظيم. موصد: مغلق.

^{١٣} المخاريق: ما يلعب به الصبيان من الخرق المقتولة. الضيم: الذل. الدد: اللهو.

- ١٤ قاء نفسه: أي أخرج روحه من جسده كالقيء.
- ١٥ الكوى: جمع كوة، وهي شيء في الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لا ينفذ. المروء: الميل الذي يكتحل به.
- ١٦ التهجذ: الصلاة في الليل.
- ١٧ الفناء: الوصيد، وهو ساحة أمام البيت.
- ١٨ الحيزوم: وسط الصدر. الصفائح: الحجارة العراض. الجلمد: الصخر.
- ١٩ محصد: محكم القتل.
- ٢٠ الخشام: الأنف العظيم. ومخطوم الأنف: أي جعل من أنفه خطام، والمعنى ظاهر. قيد: سحب.
- ٢١ الإهاب: الجلد. منبول: مصاب بالنبل. والحشا: ما انضمت عليه الضلوع. مقصد: اسم مفعول من أقصده السهم، أي: أصابه فقتله.
- ٢٢ ينوء بأعباء الهوان: تنقله أحماله.
- ٢٣ التعلة: ما يتعلل به؛ أي يتلهى.
- ٢٤ القَيْظ: شدة الحر. ومعنى قوله: «بنسج لعاب الشمس يرتدي» أنه عاري الجسم لا ثوب له.
- ٢٥ الطراف: بيت يصنع من الأدم؛ أي الجلد، للملوك والرؤساء خاصة.
- ٢٦ سفعًا: وجوههم متغيرة موردة. الأثافي: أحجار يوضع عليها القدر، مفردها أثفية. أصلاها: أحرقتها. الطهاة: جمع طاهٍ، وهو الطباخ.
- ٢٧ الشحوب: تغير اللون. الوشم: هو أن تغرز الإبرة في الجلد، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة. هذا العجز تنمة لصدر بيت طرفة المتقدم.
- ٢٨ الحمأة: الطين الأسود المنتن؛ أي هم يشبهون الدود الذي تولد في غير الحمأة، ثم ألقي في الحمأة فإنه يموت فيها، بخلاف الدود المتولد من الحمأة، فإنه يعيش فيها ولا يموت.
- ٢٩ الذلول: البعير السهل القيادة. المعبد: المذلل.
- ٣٠ ينتدي: يجتمع في النادي، والمعنى: قال ذلك القول ونحن في نادٍ يجتمع فيه من لم تكن نأمن تجسسه ووشايته.
- ٣١ منشد: مصدر ميمي من نشد الضائع؛ أي نادى وسأل عنه.
- ٣٢ النجوى: حديث السر. لم يتبغدد: لم ينتسب لبغداد، ومعنى الأبيات الأربعة: أن ذلك الحر جهر في ذلك النادي الذي يجمع فيه غير الأمناء قائلًا: لم يضيع الحق في بغداد من غير أن نطلبه ونسأل عنه؟ فقلت له سرًا: ذلك لأن العدل غير بغدادي.
- ٣٣ الذعر: الخوف. الأسراب: جمع سرب، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها.
- ٣٤ الممرد: المملس المنظم.
- ٣٥ الملبد: من أسماء الأسد.
- ٣٦ الجلى: الأمر العظيم.
- ٣٧

أعيا: يريد أعياني؛ أي أتعني. هبوبهم: استيقاظهم من الخمول، وإسراعهم إلى المعالي. المرقد: دواء، يرقد شارب به أي يُنيمه كالأفيون. يقول: كيف يهبون إلى المجد وهم شاربون من الخمول والاستبداد ما أفقدهم السداد؟!

٣٨ الاعتساف: الظلم. أجحف به: كلفه ما لا يطيق. الغوري: قاصد الغور، وهو المطمئن من الأرض. المنتجد: قاصد النجد، وهو المرتفع منها.

الدهر والحقيقة

- أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يجرّ ذيول الخطب فوق طريقها
ولو لم يجئنا كل يوم موارباً
كأن ليالي الدهر غضبي على الوري
وما طلعت كي تهدي القوم شمسُه
وقد تنطق الأيام بالحق أعجماً
وكم مدّع فضل التمدّن ما له
وكم عاقل قد عدّه الناس أحمقاً
وربّ ذكي لم يكن من ذكائه
وقد تُعرض الأسماع عن ذي فصاحة
ومن شيم الأيام في الناس أنها
وأطف جور الدهر جور نرى به
وما كان كذب القوم في القول وحده
وأقبح مَين في الزمان خُرافة
ضلال على مرّ الجديدين لم تزل
فعدّ عن الأيام إذ لم تجد بها
نفضت من الدنيا يديّ؛ لأنني
فما أنا وقّاف بها عند منزل
ولا عدّبتني في العذيب صباة
تعشقت فيها حسن كل حقيقة
ولي عند إخوان الصفا أريحية
إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا
أقوم إلى كُبرى الزجاجات مُدهقاً
- إذا افتّر عن صبح تلاه بغاسق^١
ليعفو منه ما به من سلائق^٢
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنّظر شزراً بالنجوم الشوارق^٣
ولكن لتصليهم جحيم الودائع^٤
وتسكت عن تبيانهِ كل ناطق
من الفضل إلا أكله بالملاعق!
وما هو لو يُئلى سوى متحامق!^٥
سوى ما روه من ذكاء اللقالق^٦
وتصغي إلى ذي اللُكنة المتشادق^٧
تجور عليهم باقتطاع العلائق
تدلّ معشوق وذلة عاشق
ولكنه في كتبهم والمهراق^٨
تحط بها طرساً يراعة نامق
مغاربنا من أمره كالشارق
سوى لخط يُزري بفضل المناطق
تعرفت منها ما بها من خلّاق
ولا أنا بالك من حبيب مفارق
ولا شاقني برق لربع ببارق
وأعرضت عن حسن الحسان الغرانق^٩
إلى كل خلّ في الزمان موافق^{١٠}
فبينني وبين السكر خمس دقائق^{١١}
بمستقطر من خالص التمر رائق

فأقرع بالكأس الرويّة جبهتي
أسابق ندماني إلى السكر طائرًا
فما هي إلّا بعد شربي سويعة
فنادمت أصحابي على غير حشمة
وأغنيتهم عن نُقلهم في شراهم
ولم يبذُ في السكر عند اشتداده
تعوّدت سبقي في الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقًا في المكارم خزعلُ
أمير نمته للمكارم والعلا
كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طيّ بُرده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهيبًا

بشرب كما عبّ القطا متلاحق^{١٢}
بجنح من الأنس المضاعف خافق
وقد دب من رأسي الطلا في المفارق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
بِمزّ طريٍّ من نُقول الحقائق
سوى شكر خلّي أو سوى حمد خالقي
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيها عليه ولاحق
ججاجُ من كعب كرام المعارق^{١٣}
بحظ من المجد المؤتّل فائق^{١٤}
يرافقه أكرم به من مرافق!
وينزل من أحسابه في سرادق
سوى نظر منهم بعيني مُسارق



أبا الأمراء الصيد جئتُك شاكيًا
أجرني رعاك الله منها فإنّها
أترضى وإني صقر بغداد أنني
لئن أنكروا حقي فسوف تُحقّه
أصوغ بها حرّ الكلام لخزعلٍ

إليك جنايات الزمان المماذق
رمت كل عظم فيّ منها بعارق^{١٥}
تقدّمني فيها فراخ العقاقع^{١٦}
شواهد أقلام بكفي نوامق
مديحًا كعقد اللؤلؤ المتناسق

١ غاسق: ظلام دامس.

٢ سلائق: جمع سليقة، وهي الطبيعة.

٣ النظر الشزر: ما كان بمؤخرة الطرف، وهو نظر احتقار وكبر. والشارق: الطالع.

٤ الودائق: جمع وديقة، وهي حر نصف النهار.

٥ المتحامق: المتشبه بالحمقى في أفعاله وليس بأحمق.

٦ اللقالق: جمع لقلق، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار، يأكل الحيات.

٧ اللكنة: الحبسة في اللسان. المتشادق: المتفاح.

٨ المهارق: الصحف تتخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول، يكتب عليها الكتب المخلدة كالمعاهدات ونحوها.

٩ الغرائق: جمع غرنوقة، وهي الشابة الممثلة.

- ١٠ أريحية: ارتياح.
- ١١ الطلا: الخمر.
- ١٢ الروية: المملوءة.
- ١٣ نمته: نسبته. والججاج: جمع ججاج، وهو السيد الكريم. والمعارق: جمع معرق وهو الأصل والحسب.
- ١٤ المؤئل: الثابت القديم.
- ١٥ عرق العظم يعرقه فهو عارق: أكل ما عليه من اللحم.
- ١٦ العقاق: جمع عقق، وهو طائر صغير ذو لونين: أبيض وأسود، طويل الذنب، صوته العققة، قيل: وهو نوع من الغربان.

في سبيل حرية الفكر

أنشدت في حفلة منتدى التهذيب السنوية ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦.

كتبْتُ لنفسي عهد تحريرها شِعْرا
ومن بعد إتمامي كتابة عهدها
وعَلَّقْتَه كي لا تَنَاولَهُ يَدٌ
لذاك جعلت الحقَّ نُصَبَ مقاصدي
وجرّدت شعري من ثياب رِيائه
وأرسلته نظماً يروق انسجامه
فجاء مضيئاً ليلُه كنهاره
أضْمَنَته معنى الحقيقة عارياً
ويحمله الغاوي على غير وجهه
رُويَدَكَ إن الكفر ما أنت قائل
هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً
وأن تبصر الأشياء بيضاً نواصيها
إذا كان في عُرِي الجسوم قباحةً
فيلمُسُها من مارست عينه عمى
أحبُّ الفتى أن يستقل بنفسه
وأكره منه أن يكون مقلداً
وما هذه الأوطان إلا حدائقٌ
وما حبُّها إلا لأجل تحرُّرٍ
وما حسنُها إلا بأنَّ سماءها
إذا كان في الأوطان للناس غايةٌ
فلأوطانكم لن تستقلَّ سياسةً

وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهرا
جعلت الثُرَيَّا فوق عنوانه طُغْرا^١
بمنبعث الأنوار من ذروة الشُّعْرى^٢
وصيَّرت سرَّ الرأي في أمره جهرا
فلم أكسُه إلا معانيه العُرا
فيحسبه المصغي لإنشاده نثرا
وإن كان بعض القوم يزعمه كفرا
فيحسبه جُهَّالُه مَنطَقاً هُجْرا^٣
فيؤسعني شتْمًا وينظرني شُزْرا^٤
وإن صريح العُرف ما خلته نُكْرا^٥
فتضرب للأنظار من دونه سترا
فتظهرها للناس قانية حُمرًا
فأحسن شيء في الحقيقة أن تعرى
ويبصرها من كابدت أذنه وفُرا^٦
فيصبح في أفكاره مطلقاً حرّاً
فيحشر في الدنيا أسيراً مع الأسرى
بها تُنبت الأفكار من أهلها زهرا
يكون إلى العلياء بالناس مُنجراً
تضاحك من أحرارها أنجماً زهرا
فحرية الأفكار غايتها الكبرى
إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا

إذا السيفُ لم يعضُده رأيَ محرَّر
سواء على الإنسان بعد جموده
إذا لم يعيش حرًّا بموطنه الفتى
أحرَّيتي إني اتَّخذتك قبلةً
وأمسِكُ منها الركن مستلماً له
إذا كنتُ في قفْرِ تخذتك مؤنساً
وإن نابني خطبٌ ضممتك لاثماً
وإن لآمني قومٌ عليك فإنني

فلا تأملن من حدّه ضربةً بكرا^٧
أحلّ يقفر الأرض أم سكن المصرا
فسمّ الفتى ميثاً وموطنه قبراً
أوجّه وجهي كل يوم لها عشراً
وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجراً^٨
وإن كنت في ليلٍ جعلتك لي بدراً
فقبّلت منك الصدر والنحر والثغرا
لملتمسٍ للقوم من جهلهم عذرا

- ^١ الثريا: نجم مؤلف من عدة أنجم صغيرة. والطغراء، ويقال لها الطرة: هي علامة توضع في كتب الملوك شعاراً لهم، والنقش يجعل في حاشية الثوب.
- ^٢ ذروة الشيء: أعلاه. والشعري: كوكب نير، يطلع في شدة الحر.
- ^٣ الهجر: الفحش في الكلام.
- ^٤ الغاوي: الضال أو الجاهل. ويوسعني شتماً: يبالغ في شتمي. وينظرني شزراً: يرمقني باحتقار بمؤخر عينه.
- ^٥ رويدك: تمهل ولا تعجل. والنكر: المنكر ضد المعروف.
- ^٦ الوقر: ثقل السمع.
- ^٧ لم يعضده: لم يؤازره. والضربة البكر: التي لم يضرب قبلها مثلاً.
- ^٨ الحجر، بتحريك الجيم: هو الحجر الأسود الذي في ركن من أركان الكعبة. والحجر، بكسر الحاء وتسكين الجيم، مكان بجانب الكعبة، وفي اللفظ تورية؛ لأنه يطلق أيضاً على العقل وهو المراد به في البيت.

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم في الظلمات نورا
فكم وجد الذليل به اعتزازا
تزيد به العقول هُدى ورشدا

يبين في الحياة لنا الأمورا
وكم لبس الحزين به سرورا
وتستعلي النفوس به شعورا



إذا ما عَقَّ موطنهم أناس
فإن ثيابهم أكفان موتى
وَحَقَّ لمثلهم في العيش ضَنَكٌ

ولم يبنوا به للعلم دورا^١
وليس بيوتهم إلا قبورا
وإن يُدعوا بدنياهم ثبورا^٢



أرى لُبَّ العلا أدبًا وعلما
أبناء المدارس إن نفسي
فسقيا للمدارس من رياض
ستكتسب البلاد بكم علوا
فإن دَجَّتِ الخطوب بجانيها
وأصبحتم بها للعزَّ حصنا

بغيرهما العُلا أمست قشورا
تؤمِّل فيكم الأمل الكبير
لنا قد أنبتت منكم زهورا
إذا وَجَدَتْ لها منكم نصيرا
طلعتُم في دُجَّتِها بدورا^٣
وكنتم حولها للمجد سورا



إذا ارتوت البلاد بفيض علم
ويقوى من يكون بها ضعيفا
ولكن ليس منتفعا بعلم
فإن عماد بيت المجد خلق
فلا تستنفعوا التعليم إلا
إذا ما العلم لابس حسن خلق
وما إن فاز أغزرنا علوما

فعاجز أهلها يمسي قديرا
ويغنى من يعيش بها فقيرا
فتى لم يحرز الخلق النصيرا
حكى في أنف ناشقه العبيرا
إذا هذبتُم الطبع الشريرا
فرج لأهله خيرا كثيرا
ولكن فاز أسلمنا ضميرا



- أبناء المدارس هل مُصِيخٌ
ألا هل تسمعون فإن عندي
ورأيًا في تعاونكم صوابًا
قد انقلب الزمان بنا فأُمست
وساء تقلُّب الأيام حتى
وكم من فأرةٍ عمياء أُمست
فكيف تروم في الأوطان عزًّا
ولم يك بعضنا فيها لبعض
ألسنا الناظمين عقود مجد
إذا لُججَ الخطوب طَمَتَ بنينا
لنبتدر العبور إلى المعالي
- إلى من تسألون به خبيراً؟^٤
حديثاً عن مواطنكم خطيراً؟
وقلباً من تخاذلكم كسيراً
بُعَاثُ القوم تحتقر النسورا^٥
حمدنا من زعازعها الدُّبورا^٦
تُسَمَّى عندنا أسدًا هصوراً!^٧
وقد ساءت بساكنها مصيراً؟!
على ما ناب من خطبٍ ظهيرا^٨
نزين من العصور بها النحورا؟
عليها من عزائمنا جسورا
بحيث تطاول الشعري العبورا^٩



- ألا يا ابن العراق إليك أشكو
تنفّض من غبار الجهل واهرع
فهنَّ أمانٌ من خشْي الليلي
- وفيك أمارس الدهر المَكُورا^{١٠}
إلى تلك المدارس مستجيرا^{١١}
وهنَّ ضمان من طلب الظهورا

^١ عقه يعقه عقوقاً: لم يوف له بعهده وحقه.

^٢ حق لهم كذا: استحقوه. والضنك: الضيق والذل. أن يدعوا ثبوراً: أن يطلبوا الهلاك في الدنيا، يريد أن من قصر في حق العلم استهدف للهلاك.

^٣ دجت الخطوب: أظلمت الحوادث واشتدت. والدجنة: الظلمة.

^٤ مصيخ: مستمع.

^٥ البعاث: مثلث الباء؛ صغار الطير وضعافها.

^٦ الزعازع: جمع زعزع، وهي الريح الشديدة. والدبور: هي الريح التي تأتي من الجنوب وهي مكروهة عند العرب.

^٧ الهصور: الشديد الافتراس.

^٨ ظهيرا: عوناً ومساعدًا.

^٩ الشعري: كوكب مضيء يطلع في الحر، وهما شعريان: العبور والغميصاء.

^{١٠} المكور: شديد المكر.

^{١١} اهرع: أسرع.

المطلقة

بدت كالشمس يحضنها الغروب
منزّهة عن الفحشاء خَوْدٌ
نَوَارٌ تستجدُّ بها المعالي
صفا ماء الشباب بوجنتيها
ولكنَّ الشوائب أدركته
ذوى منها الجمال الغضُّ وجداً
أصابت من شببيتها الليالي
وقد خَلَبَ العقول لها جبينٌ
ألا إنَّ الجمال، إذا علاه

فتاة راع نضرتها الشحوب^١
من الخفّرات أنسة عروب^٢
وتبلى، دون عفتها، العيوب^٣
فحامت حول رونقه القلوب
فعاد وصفوه كدر مشوب^٤
وكاد يجفُّ ناعمه الرطيب^٥
ولم يدرك ذوابتها المشيب^٦
تلوح على أسرته النكوب^٧
نقاب الحزن، منظره عجيب



حليّة طيّب الأعراق زالت
رعى ورعت، فلم تر قط منه
توثّق حبْلٌ ودّهما حضوراً
فغاضت زوجها الخطاء يوماً
فأقسم بالطلاق لهم يمينا
وطلقها على جهل ثلاثاً
وأفتى بالطلاق طلاق بئ
فبانَتْ عنه، لم تأت الدنايا
فظلّت وهي باكية تنادي

به عنها، وعنه بها، الكروب
ولم ير قط منها ما يريب
ولم يَنكثْ توثّقه المغيب^٨
فأمر، للخلاف به نشوب^٩
وتلك أليّة خطأ وحب^{١٠}
كذلك يجهل الرجل الغضوب
ذو فُتيا يعصّبهم عصيب^{١١}
ولم يعلق بها الدّام المعيب^{١٢}
بصوت منه ترتجف القلوب



لماذا يا نجيب صرمت حبلي
وما لك قد جفوت جفاء قال
أبْنُ ذنبي إليّ، فدتك نفسي

وهل أذنبْتُ عندك يا نجيب؟!^{١٣}
وصرت إذا دعوتُك لا تجيب؟!^{١٤}
فإني عنه بعددُ أتوب

أما عاهدتني بالله أن لا
لئن فارقتني وصددت عني
وما أدماء ترتع حول روض
فما لفتت إليه الجيد حتى
فراحت من تحرقها عليه
تشم الأرض تطلب منه ريحا
وتمزغ في الفلاة لغير وجه
بأجزع من فؤادي يوم قالوا:
فأطرق رأسه خجلا وأغضى
نجيبه أقصري عني فإني
وما والله هجرتك باختياري
فليس يزول حبك من فؤادي
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلي عني الكواكب وهي تسري
فكم غالبتها بهواك سهدا
خذي من نور «رنتجن» شعاعا
وألقيه بصدري وانظريني
وما المكبول ألقى في خضم
فراح يغطه التيار غطا
بأهلك يا ابنة الأمجاد مني



ألا قل في الطلاق لموقعيه
غلوتم في ديانتم غلوا
أراد الله تيسيرا، وأنتم
وقد حلت بأمّكم كروب
وهي حبل الزواج، ورق حتى
كحيط من لعاب الشمس أدلت
يمزقه من الأفواه نفت
فدى ابن القيم الفقهاء كم قد
ففي «إعلامه» للناس رُشد
نحا فيما أتاه طريق علم

يفرق بيننا إلّا شعوب^{١٥}
فقلبي لا يفارقه الوجيب^{١٦}
ويرتع خلفها رشاً ربيب^{١٧}
تخطفه بآزمتيه ذيب^{١٨}
بداء ما لها فيه طيب
وتتحب، والبغام هو النحيب^{١٩}
وأونة لمصرعه تتوب^{٢٠}
برغم منك فارقك الحبيب^{٢١}
وقال ودمع عينيه سكوب:
كفاني من لظى الندم اللهب
ولكن هكذا جرت الخطوب
وليس العيش دونك لي يطيّب
هو كالروح في له ديب
بجنح الليل تطلع أو تغيب
ونجم القطب مطلع رقيب
به للعين تنكشف الغيوب^{٢٢}
ترى قلبي الجريح به ندوب^{٢٣}
به الأمواج تصعد أو تصوب^{٢٤}
إلى أن تم فيه له الرسوب^{٢٥}
إذا أنا لم يعد بك لي نصيب

بما في الشرع ليس له وجوب
يضيق ببعضه الشرع الرّحيب
من التعسير عندكم ضروب
لكم فيهن لا لهم الذنوب
يكاد إذا نفخت له يذوب
به في الجو هاجرة حلوب^{٢٦}
ويقطعه من النسم الهبوب
دعاهم للصواب فلم يجيبوا^{٢٧}
ومزدجر لمن هو مستريب^{٢٨}
نحاها شيخه الحبر الأريب^{٢٩}

وَبَيَّنَ حَكَمَ دِينِ اللَّهِ لَكُنْ
لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ أَمْرًا
من الغالينَ لم تَعِه القلوب ٣٠
لنا، فيخيبَ منهم من يخيب

- ١ راع: شوه، وراع في الأصل بمعنى أفرع وأخاف. نضرتها: رونقها وحسنها.
- ٢ الخود: المرأة الشابة. الخفريات: جمع خفرة، وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء. الأنسة: التي يؤنس بحديثها. العروب: المرأة المتحبة إلى زوجها.
- ٣ النوار: المرأة النفور من الريبة، ونوار اسم امرأة كانت زوجًا للفرزدق، فطلقها ثم ندم، وفي البيت إشارة إلى ذلك.
- ٤ الشوائب: الأمور التي تغير الشيء. مشوب: مخلوط.
- ٥ ذوى: ذبل.
- ٦ الذوابة: الناصية وهي مقدم الرأس، أو هي الطرة.
- ٧ الأسرة: هي خطوط في الجبهة والكف، وفي كل شيء، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة. النكوب: جمع نكب، وهي المصيبة.
- ٨ توثق: تقوى. ينكت: ينقض.
- ٩ النشوب: نشب الشيء نشوبًا، بمعنى علق.
- ١٠ ألية: قسم. الحوب: الذنب، الحلف بالطلاق حرام؛ لذلك كان الحالف به مذنبًا.
- ١١ عصيب: شديد.
- ١٢ بانئت: بعدت، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة. الذام: العيب، جهل الناس الحكمة من مشروعية الطلاق، وعبد من يُسمون بالعلماء ألقاها الكتب التي درسوها، فأفتوا بغير علم صحيح فضلوا وأضلوا، وأوقعوا الناس في حرج عظيم.
- ١٣ صرمت: قطعت.
- ١٤ قال: مبغض.
- ١٥ شعوب: اسم للموت.
- ١٦ الوجيب: الخفقان.
- ١٧ الأدماء: الظبية المشرب لونها بياضًا. الرشأ: ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى. ربيب: ملازم لها.
- ١٨ الجيد: العنق. الأزمتان: النابان.
- ١٩ تتحب: تبكي وبكاؤها أشبه بالسعال. البغام: صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.
- ٢٠ تمزع: تسرع. لمصرعه: لمكان هلاكه. تثوب: ترجع.
- ٢١ بأجزع: الجار والمجورور خبر لقوله: وما أدماء في بيت سابق. يقول عن لسان المطلقة: إن هذه الظبية التي صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعًا واضطرابًا مني حين بلغني أنك طلقنتني، فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق، وحل عقدة

النكاح الموثقة.

٢٢ رنتجن: هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه.

٢٣ الندوب: آثار الجروح.

٢٤ المكبول: المقيد. الخضم: البحر. تصوب: تتخفص.

٢٥ الرسوب: الغرق إلى القعر.

٢٦ لعاب الشمس: شيء كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر، تراه مثل نسج العنكبوت. أدلت: أرسلت. الهاجرة: شدة الحر، والهاجرة الحلوب: هي التي تجلب الغرق لشدة حرارتها.

٢٧ ابن القيم: هو العلامة المُحَدَّث الفقيه المشهور.

٢٨ يشير إلى كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم المذكور، وهو من أنفس الكتب التي ألفها. ومزدجر: مصدر ميمي من ازدجر، بمعنى زجره ومنعه. مستريب: شاك.

٢٩ أراد بشيخه: الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله.

٣٠ الغالين: هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد، قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾. لم تعه: لم تحفظه، ولم تتدبر معناه.

اليتم في العيد

ضجيجًا، به الأفراح تمضي وترجع
وليس لها إلا التوهم مطلع
ويُعوزُ ذا الإعدام طمرٌ مرقع^١
ثيابًا لها يبكي اليتيم المضيع
وترفض من عين الأرامل أدمع^٢
يجدد للمحزون حزنًا فيجزع
به الحزن جدًّا، والسرور تصنع
نحوس بها وجه المسرة أسفع^٣
رمى نُكتًا سودًا به، فهو أبقع^٤

أطلَّ صباح العيد في الشرق يسمع
صباح به تُبدي المسرة شمسها
صباح به يختال بالوشي ذو الغنى
صباح به يكسو الغني وليده
صباح به تغدو الحلائل بالخلي
ألا ليت يوم العيد لا كان، إنه
يُرينا سرورًا بين حزنٍ، وإنما
فمن بؤساء الناس في يوم عيدهم
قد ابيضَّ وجه العيد لكنَّ بؤسهم



مسارح للأضداد فيهن مرتع
ترى النور سيالًا به يتدفع
على الأرض من أفق العلا تتطلع^٥
على الأفق مُرخاة ذوائب أربع^٦
بها خجلٌ مما تراه وتسمع
وسرتُ وسارتُ في العلا تترفع
فهذا على رسل، وذلك مسرع^٧
وبعض له أنف من الفقر أجدع^٨
غدا الطبل في درابه يتقعقع^٩
شباب، وولدان عليه تجمعوا^{١٠}
فتهترُّ بالأبدان سوق وأكرع^{١١}
تقيض، وفي أسماعهم تتميع^{١٢}
لمن كان حول الطبل والطبل يُقرع

خرجت بعيد النحر صبحًا فلاح لي
خرجت وقرص الشمس قد ذرَّ شارقًا
هي الشمس خود، قد أطلت مصيخة
كأن تفاريق الأشعة حولها
ولما بدت حمراء أيقنت أنها
فرحت وراحت ترسل النور ساطعًا
بحيث يسير الناس كل لوجهة
وبعض له أنف أشم من الغنى
وفي الحي مزمار لمشي نعيه
فجئت وجوف الطبل يرغو، وحوله
لقد وقفوا، والطبل يهترُّ صوته
ترى ميعاة الإطراب والطبل هادر
فقد كانت الأفراح تفتح بابها

وقفت أجيل الطرفَ فيهم فراعني
صبيّ صبيحُ الوجهِ أسمرُ شاحبُ
يزينُ جاجيه أنساعُ جبينه
عليه دريسُ يعصرُ اليتّم رُدنه
يليحُ بوجهٍ للكآبة فوقه
على كثرِ قرعِ الطبلِ تلقاهُ واجماً
كان هديرَ الطبلِ يقرعُ سمعه
يردُّ ابتسامَ الواقفينَ بحسرةٍ
ويُرسِلُ من عينيه نظرةً مُجهشٍ
له رجفةٌ تنتابهُ وهو واقفٌ
يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد
فكان ابتسامُ القوم كالتلجِ قارساً

♦ ♦ ♦

هناك صبيّ بينهم مترعرع
نحيفُ المباني أدعجُ العين أنزعُ^{١٣}
وفي عينه برقُ الفطانة يلمعُ^{١٤}
فيقطرُ فقرٌ من حواشيه مُدقعُ^{١٥}
غبارٌ به هبتُ من اليتّم زعرعُ
كأن لم يكن للطلّ ثمةً مقررعُ^{١٦}
فلم يلفِ رجعاً للجوابِ فيرجعُ
تكادُ لها أحشاؤه تتقطعُ
وما هو بالباكي، ولا العينُ تدمعُ^{١٧}
على جانبِ والجو بالبردِ يلسعُ^{١٨}
على البردِ من بُردٍ به يتلفعُ^{١٩}
لدى حشراتٍ منه كالجمرِ تلذعُ

♦ ♦ ♦

فلما شجاني حاله وأفرني
ورحت أعاطيه الحنانَ بنظرةٍ
وأفتحُ طرفي مُشبعًا بتعطّفٍ
هناك على مهلٍ تقدّمتُ نحوهُ
أيا ابن أخي! من أنت ما اسمُك ما الذي
فهبتُ أمامي من رقادٍ وجومهُ
وأعرضُ عني بعدَ نظرةٍ يائسٍ
فعقبتهُ مستطلعًا طلعَ أمره
وبيناهُ ماشٍ حيثُ رُحْتُ وخلفهُ
لمحتُ على بعدِ إشارةٍ صاحبٍ
فأومأتُ أن ذكرتهُ موعدًا لنا
وعدتُ فأبصرتُ الصبيّ معرجًا
فلما أتيتُ الدارَ بعدَ دخوله
دنوتُ إلى بابِ الدويرَةِ مطرقًا
سمعتُ بكاءً ذا نشيجٍ مرّددٍ
فحرتُ وعيني ترمقُ البابَ خلسةً
أرجعُ أدراجي ولم أكُ عارفًا

وقفتُ وكُلّي مجرّعُ وتوجّعُ^{٢٠}
كما راح يرنو العابدُ المتخسّعُ
فيرتدُّ طرفي وهو بالحزنِ مُشبعُ
وقلتُ بلطفٍ قولَ من يتضرعُ:
عراكَ فلم تفرح، فهل أنت مُوجعُ؟^{٢١}
كما هبَّ مرعوبُ الجنانِ المهجعُ
وراح ولم ينبسِ إلى حيثُ يُهرعُ^{٢٢}
على البعدِ أقفو الإثرَ منه وأتبعُ^{٢٣}
أدبُ دبيبِ الشيخِ طورًا وأسرعُ^{٢٤}
ينادي أن ارجع وهو بالثوبِ مُلمعُ
وقلتُ له: اذهب وانتظر فسأرجعُ
ليدخل دارًا بابها متضعضعُ^{٢٥}
وقمتُ حيالَ البابِ والبابُ مرجعُ^{٢٦}
وأصغيتُ، لا عن ريبةٍ، أنسمعُ^{٢٧}
تكادُ له صمُ الصفا تتصدّعُ^{٢٨}
وللنفسِ في كشفِ الحقيقةِ مطمعُ
جَلِيّةُ هذا الأمرِ أم كيفُ أصنعُ؟

♦ ♦ ♦

فمرّت عجوزٌ في الطريقِ وخلفها
 تعرّضتُها مستوقفاً، وسألتها
 فأدنيْتُها مني، وقلتُ لها: اسمعي
 فقالت: وأنتِ أنّهُ عن تنهّدٍ
 أيا ابني ما يعنيك من نوحِ أيم
 فقلتُ لها: إني امرؤ لا يهمني
 وإني وإن جارت عليّ مواطني
 أبورّع مُني، عمركَ الله، بالذي
 فقالت: أعن هذي التي طال نحبها
 ألا إنّها سلمى تعيسةٌ معشرٍ
 وصارهم بالموتِ حتى أبادهم
 فلم يبقَ إلا زوجها وشقيقتها
 ولم يلبث المقدورُ أن غالَ زوجها
 فربّي ابنها سعدًا، وقام بأمره
 فأذهب عنه الخالَ دهرٌ غشمشم
 جرت هنةٌ منها على خاله انطوى
 فزجّ به في السجنِ بعدَ تجرّم
 عزاه إلى إيقاعه موقعاً به
 ولكنّ غدرَ الحاقدين رمى به
 فحقّ لسلمى أن تنوحَ فإنها
 فلا غرو من أم اليتيم إذا غدت



فعدتُ، وقلبي جازع متوجّع
 ألا ليت يومَ العيدِ لا كانَ إنه
 وجئتُ إلى ميعادنا عندَ صاحبي
 فأطلعتهم طلعَ اليتيم فأففوا
 فقلتُ: دعوا التأفيفَ فالعارُ لاصقُ
 ألسنا الألى، كانت قديماً بلاذنا
 فما بالنّا نستقبلُ الصّيمَ بالرضا
 شربنا حميمَ الذلِّ ملءَ بطوننا
 فلو أنّ عيرَ الحيّ يشرب مثلنا

فتاةٌ يغشيها إزارٌ وبرقع ^{٢٩}
 عن الاسم، قالت: إنني أنا بوزّع
 حنانيك ما هذا الحنينُ الموجّع
 وفي الوجهِ منها للتعجبِ موضع
 لها من رزايا الدّهرِ قلبٌ مفعّج ^{٣٠}
 سوى من له قلبٌ كقلبي مروّع ^{٣١}
 فؤادي على قطّانهن مُورّع ^{٣٢}
 سألتُ، فقد كادت حشاي تمرّع
 سألتَ فعندي شرحٌ ما تتوقع
 من الصّيد أقوتُ دارهُم فهي بلقع ^{٣٣}
 من الدّهرِ عجارٌ شديدٌ مصرّع ^{٣٤}
 خليلُ، وأما الآخرون فودّعوا
 سعيدًا فأودى وهي إذ ذاك مريض ^{٣٥}
 أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع ^{٣٦}
 بما يوجع الأيتام مُغرَى ومُولع ^{٣٧}
 بقلب رئيسِ الشرطة الحقْدُ أجمع ^{٣٨}
 عليه بجرم ما له فيه مصنع ^{٣٩}
 وما هو يا ابن القوم للجرم موقّع ^{٤٠}
 إلى السجن فهو اليومَ في السجن مودّع
 من العيش سُمًا ناقعًا تتجرّع ^{٤١}
 ضحى العيد يبيكيها اليتيم المضيع

وقلت، وعيني ثرّة الدمع تهمع: ^{٤٢}
 يجدد للمحزون حزنًا فيجزع!
 وقد ضمّه والصحب نادٍ ومجمع
 وخبرتهم حال السجين فرجعوا ^{٤٣}
 بكم واتركوا التراجع فالأمرُ أقطع
 بأرجائها نورُ العدالة يسطع ^{٤٤}
 ونعنو لحكم الجائرين ونخضع ^{٤٥}
 ولا نحنُ نشكوهُ ولا نحنُ ننبج ^{٤٦}
 هوانًا، لأمسي قالسا يتهوّع ^{٤٧}

نهوضًا إلى العزِّ الصُّراحِ بعزيمةٍ تخرُّ لمرماها الطَّغاةُ وتركعُ
ألا فاكتبوا صكَّ النهوضِ إلى العلا فإني على موتي به لموقَّعٌ ^{٤٨}

- ١ الوشي: نوع من الثياب الموشية المحسنة. أعوزه الشيء: احتاج إليه فلم يقدر عليه. الإعدام: الفقر. الطمر: الثوب البالي.
- ٢ الحلائل: النساء ذوات الأزواج.
- ٣ أسفع: أسود.
- ٤ نكتًا: نقطًا سوداء. أبقع: مختلف اللون.
- ٥ الخود: المرأة الشابة. مصيخة: مستمعة.
- ٦ الذوائب: الضفائر.
- ٧ على رسل: أي على مهل.
- ٨ أنف أشم: مرتفع كبيرًا. أجدع: مقطوع، وهو كناية عن الذل.
- ٩ نعيده: صوته. الدرداب: صوت الطبل.
- ١٠ يرغو: يضح ويصوت.
- ١١ سوق: جمع ساق. وأكرع: جمع كراع، وهو مستدق الساق.
- ١٢ ميلة: كل شيء أوله، تتميع: تتسيل.
- ١٣ شاحب: أي متغير اللون. أدعج العين: أسودها مع سعة فيها. الأنزع: المنحسر الشعر عن جانبي جبينه.
- ١٤ حجاجيه: حاجبيه، وأصل الحجاج العظم المحيط بالعين.
- ١٥ الدريس: الثوب البالي. الردن: أصل الكم. فقر مدقع: شديد كأنه يلصق صاحبه بالدقعاء، وهي التراب.
- ١٦ واجمًا: ساكنًا عاجزًا عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف. ثمة: هناك.
- ١٧ المجهش: الهام بالبكاء المتهى له، وماضيه أجهش.
- ١٨ تتنابه: تصيبه.
- ١٩ البرد: الثوب المخطط. تلفع بالثوب: تلفف به.
- ٢٠ شجاني: حزني.
- ٢١ عراك: أصابك.
- ٢٢ لم ينبس: لم يتكلم.
- ٢٣ أفقوا الإثر منه: أي أتبع أثره.

- ٢٤ الشيخ: هو الذي انتهى شبابه، وقيل: هو مَنْ بلغ الأربعين، وقيل: الخمسين.
- ٢٥ عرج: مال من جانب إلى آخر.
- ٢٦ حيال الباب: قبالته.
- ٢٧ الدويرة: تصغير دار. أطرق: سكت ولم يتكلم.
- ٢٨ النشيج: الغصة بالبكاء من غير انتخاب.
- ٢٩ يغشيها: يغطيها.
- ٣٠ الأيم: هي مَنْ فقدت زوجها. مفعج: موجد.
- ٣١ مروع: أصابه الروع وهو الخوف.
- ٣٢ قطانهم: سكانهم.
- ٣٣ الصيد: جمع أصيد، وهو الرجل الذي لا يلتفت من كبره، وأراد بالصيد: أولي النعمة. بلقع: خالية من السكان.
- ٣٤ العجار: المصارع، الذي لا يطاق جنبه في المصارعة.
- ٣٥ غال: أهلك. أودى: أهلك.
- ٣٦ يضلغ: يقوى وتشتد أضلاعه.
- ٣٧ الغشمشم: هو مَنْ يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء، وقيل: هو الكثير الظلم.
- ٣٨ هنة: أي شيء ما وهي مؤنث الهن، وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس، ومعناها شيء. الشرطة: رجال البوليس والضابطة.
- ٣٩ تجرم عليه: أي ادعى عليه بجرم لم يفعله.
- ٤٠ موقعًا: منزلًا به ما يسوءه.
- ٤١ السم النافع: البالغ القاتل.
- ٤٢ الثرة من العيون: السحاب الغزيرة. تدمع: تدمع.
- ٤٣ رجعوا: قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.
- ٤٤ الأرجاء: الأطراف.
- ٤٥ الضيم: الهوان. نعنو: نخضع.
- ٤٦ الحميم: الماء الحار.
- ٤٧ العير: الحمار. قلنس: خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه، فإن غلب فهو القيء والتهوع.
- ٤٨ الصك: ما يُكتب عليه الإقرار بالمال وغيره. موقع: كاتب التوقيع.

سياسة لا حماسة

الشعرُ مفتقرٌ مِنِّي لمُبْتَكِرٍ
دعوتُ غرَّ القوافي وهي شاردةٌ
وسلّمتني عن طوعٍ مقادتها
إذا أقمت أقامت وهي من خدمي
صرّفتُ فيهنّ أقالمي ورحتُ بها
ملكُن من رقةٍ رقّ النفوسِ هوَى
سقيتهنّ المعاني فارتوين بها
كم تشربنّ لها الأسماعُ مصغيةً
طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقه
إني لأنترعُ المعنى الصحيح على
سلّ المنازل عني إذ نزلتُ بها
ما جئتُ منزلةً إلّا بنيت بها
وأجودُ الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسُن الشعرُ إلّا وهو مبتكرٌ
ومَن يكنّ قال شعرًا عن مفاخرةٍ
وإنما هي أنفاسٌ مُصعّدةٌ
وهنّ إن شئتُ مِنِّي أدمعُ غُرُرٍ
أبكي على أمةٍ دار الزمان لها
كم خلّد الدهرُ من أيامهم خبرًا
ولستُ أدكرُ الماضين مفتخرًا
وكيف يفتخر الباقون في عمه
لهفي على العربِ أمست من جمودهم
أين الجاحجُ ممن ينتمون إلى

ولستُ للشعر، في حالٍ، بمفتقرٍ
فأقبلتُ وهي تمشي مشي معترٍ
فرحتُ فيهنّ أجري جري مقتدرٍ
وأينما سرتُ سارتُ تقتفي أثري
أعرّف الناسَ سحرَ السّمع والبصرِ
من حيث أطربن حتى قاسي الحجرِ
وكنّ فيها مكان الماء في الثمرِ
إذا تتوشدن بين البدو والحضرِ
خلوا من الحشو مملوءًا من العبرِ
غرّي فأكسوه لفظًا قد من دُررٍ
ما بين بغداد والشهباء في سفري
بيتًا من الشعر لا بيتًا من الشعرِ
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصرِ
وأني حسنٌ لشعرٍ غير مبتكرٍ
فلست والله في شعرٍ بمفتخرٍ
ترمي بها حسراتي طائر الشرِّ
أبكي بهنّ على أيامنا الغرِّ^١
قَبْلًا، ودار عليها بعدُ بالغيرِ
زان الطروس وليس الخبر كالخبرِ
لكنّ أقيمُ بهم ذكرى لمذكرٍ^٢
بدارسٍ من هُدى الماضين مندثرٍ^٣
حتى الجمادات تشكو وهي في صخر!
ذؤابة الشرف الوضّاح من مُضرٍ؟!^٤

قومٌ هم الشمسُ كانوا والورى قمرٌ
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً
أقولُ، والبرقُ يسري في مراقدهم:
يأيها العُرب هبُّوا من رقادكم
كيف النجاح وأنتم لا اتفاقَ لكم
ما لي أراكم أقلَّ الناس مقدرةً

ولا كرامةً لولا الشمسُ للقمرِ^٥
ناموا عن الأمر تقويضاً إلى القدرِ
«يا ساهر البرق أيقظ راقدا السمر»^٦
فقد بدا الصبح وانجابت دُجى الخطرِ^٧
والعودُ ليس له صوتٌ بلا وترٍ!
يا أكثرَ الناس عدداً غير منحصرٍ!

١ الغير: الحوادث.

٢ أذكر: أذكر.

٣ العمه: الضلال. الدارس: المنمحي. مندثر: بالِ دارس.

٤ الجاحج: السادة. الذؤابة: في الأصل معناها الضفيرة فوق الناصية، وذؤابة الشرف: أعلاه.

٥ ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس، فلا كرامة له لولاها.

٦ المراقد: جمع مرقد، وهو مكان النوم. السمر: القوم يجتمعون للمسامرة.

٧ انجابت: انكشفت.

إلى الشبان^١

أدبُ العلمِ وعلمُ الأدبِ
بهما يبلُغُ أعلى الرتبِ



أيها السابح في بحرِ الفنونِ
أنتَ واللهِ على رغمِ المنونِ
قرئك الحاضر من أرقى القرونِ
فإذا شئتَ بلوغَ الأربِ
فالمعالي أودعت في الكتبِ
أنتَ يا جاهلٌ من قبلِ المماتِ
أوما تعلمُ في هذي الحياةِ
إذ قضى للعلم ربُّ الكائناتِ
وعلى الجهلِ قضى بالعطبِ
فافتكر إن شئتَ علمَ السببِ



يا رعى اللهَ زمانًا لو يدوم
أشرقت فيه من العلم النجوم
زمنٌ قد ضحكت فيه العلوم
حيث منهم فقدت خير أبٍ
يا عهودَ العلمِ ما شئتَ اندبي



هل أتاك الدهرُ، فيما قد أتى،
حيثُ بالعزمِ أماطوا العنتًا
فاسألنَّ الغربَ عما تبتنا

شرفُ النفسِ ونفسُ الشرفِ
كلُّ رامٍ منهما في هدفٍ

غائصًا في لجَّها الملتطمِ
ذو وجودٍ قاتلٍ للعدمِ
خضع السيفُ به للقلَمِ
فاغترف من بحرهِ وارتشف
كاللّالي أودعت في الصّدَفِ
ميّت يمرحُ ما بين البيوت^٢
أن ربَّ العلمِ حيٌّ لا يموت
بالعُلا فهو زمام الملكوت
فهو في الناسِ دليلُ التلفِ
هل يكونُ النور مثل السّدَفِ^٣

كان للدهر كأيام الصِّبا
ظنَّ كلُّ الناسِ أن لن تغربا
ونراها اليوم تبكي العرِّبا
واغتدت من يُتمها في شظفٍ^٤
يا عيونَ المجد ما شئتَ اندرفي

بحديثِ العربِ في الأندلسِ؟
وبنورِ العلمِ ليلَ الهوسِ^٥
في ربوعِ خلفوها دُرسٍ؟

هل ترى ثَمَّةَ من لم يجبِ
أه لو يرْجِعِ ماضي الحُفْبِ

عن معاليهم ولم يعترفِ؟
أه لو عاد زمان الشرف!



سل رُبَا بغدادَ عما قد مضى
واسألنَّ الشامَ عما قد أضَا
كم ترى للمجدِ سيفًا منتضى
عجبي يا قومُ كلَّ العجبِ
أه من رقدتْنا وا حربي

لبنى العباس في تلك الديارِ
للمعاويين فيها من فخارِ
كم ترى للعلم فيها من منارِ!
هذه الآثارَ لم لا نقتفي؟!
أه من غفلتْنا وا أسفي! ^٦



يا أباة الصَّيْمِ من عُليا نزارِ
كنتنَّ كالسيفِ مشحودَ الغرارِ
كم إلى العلم أقمتم من منارِ
قطفتُ أبواكم عن كتبِ
تلك والله مزايا العرب

أين منكم ذهبَتْ تلك الطِّباعُ؟
والذي حلَّ حماكم لن يُراع ^٧
بعقولٍ هي أسنى من شعاع
كلَّ مجد شاهقٍ المقتطفِ ^٨
أورثوها خلفًا عن سلفِ



أنتِ يا شمسُ على كرِّ السنينِ
حدثينا بحديثِ الأولينِ
أفكانوا مثلنا مختلفينِ
إننا يا شمس في مضطربِ
إن بقينا هكذا فاحتجبي

قد تقلبتِ طلوعًا في الورى
فلقد شاهدتِ تلك الأعصرَا
لا يُغيثون إذا خطبَ عرَا؟ ^٩
قد أَلْفَنَاهُ فلم نأْتلفِ
عن بني الغبراءِ أو فانكسفي



يا بني يعرُب ما هذا المنامِ
أين من كان بكم يرعى الدِّمامِ
أفلا يلدغكم مني الملامِ
خارجًا عن نفسي كاللهبِ
أنا لولا فيضُ دمعي السَّكْبِ

أوما أسفرَ صبحُ النُّومِ؟!
ويلبِّي دعوة المهتضمِ؟ ^{١٠}
فلقد أَلْفَظُ جمرًا من فمي؟!
محرقة مهجة قلبي الدنفِ
لتحرَّقتُ بنارِ الأسفِ



يا شبابِ القومِ لولاكم لما
إنني أبصرُ منكم أنجمًا
فاصبروا اليومَ على حرِّ الظَّما
واتعبوا اليومَ فعُقبى التعبِ

ساع لي العذب وما إن لذ لي
لامعاتٍ في ظلامِ الأملِ
كي تتالوا الرِّي في المستقبلِ
راحة مُشبعةً بالترفِ

إذ بناءً القوم هاري الجُرْفِ

لنقونا أسوأ المنقلب



فبكم يبسم ثغرُ الوطنِ
أو بثوبٍ هو ثوبُ الكفنِ
إنه عُدَّةُ هذا الزمنِ^{١١}
وهو المُنْصِفُ للمُنْتَصِفِ
شرفُ النفسِ ونفسُ الشرفِ

يا شبابَ القومِ هُبُّوا للبرازِ
وارفلوا إما بثوبِ الإعتزازِ
وأعدُّوا العلمَ لا السيفَ الجرازِ
بسواه العزُّ لم يكتسبِ
إنه والله لا عن كذبِ

-
- ^١ هذه القصيدة أنشئت يوم افتتاح المنتدى الأدبي الذي أسسه شبان العرب في الآستانة، وقد طلبوا إلى الرصافي أن ينظم لهم قصيدة تُنشد في يوم الافتتاح المذكور، فنظم لهم هذه القصيدة.
- ^٢ يمرح: يتبختر ويختال فرحاً ونشاطاً، والجملة صفة الميت، والغرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقي، كما يدل عليه قوله: من قبل الممات، أي: أنت ميت مجازاً قبل أن تموت حقيقة.
- ^٣ السدف بفتحيتين: الظلمة، ويجوز أن يكون بضم ففتح، على أن يكون جمع سدفة كظلمة، وزناً ومعنى.
- ^٤ الشطف: بالتحريك، ضيق العيش وببسه وشدته.
- ^٥ العنت: مصدر عنت إذا فسد، أو وقع في أمر شاق، أو لقي الشدة وهلك. والهوس: بفتحيتين طرف من الجنون وخفة العقل.
- ^٦ وا حربي: وا، حرف ندبة للتوجع أو التفجع، والحرب بفتحيتين: الهلاك، يقال: وا حرباً ووا حربي توجعاً أو تأسفاً وكذلك وا أسفي ووا أسفاً.
- ^٧ الغرار: بالكسر حد السيف، ومشحوذ الغرار: أي ماضي الحد.
- ^٨ الكتب: بفتحيتين، القرب، يقال: رماه من كتب، وعن كتب؛ أي من قرب وتمكن.
- ^٩ عرا: يعرفون؛ أي عرض وألم. والخطب هنا: الأمر المكروه.
- ^{١٠} المهتضم: بصيغة المفعول، المظلوم.
- ^{١١} الجراز بالضم: صفة للسيف، ومعناه القاطع.

١ الدهر

هل الدهرُ إلا أعجميٌّ أخاطبه
أيتني إلى وجه اللئيم بوجهه
أراه إذا طارحته الجد لاعباً
ويضرب أطناب المني لي هازلاً
وبيناه يُبدي لي ابتسامة خادع
لقد أضحكك غير الحليم سُوءُهُ
فيا أدباء القوم هل تتقضي لكم
يشدُّ عليكم بالسيوفِ نكايةً



هو الدهر لم يسلم من الغيِّ أهله
إذا أنسوا نور الحقيقة رابهم
تضاربت الأهواء فيهم فناكبٌ
طبائعهم شتى على أن بينهم
لعمرك حتى البرق خالف بعضه
أبت حركات الكون إلا تباينا
ولولا اختلاف شاءه الله في القوى



سبرتُ زماني بالنُّهى ومَخَصَّتُهُ
ولم أَسْتَشِرْ في الناس إلا تجاربي
فلا تتركب قرب اللئام فإنهم
وما عجبي في الدهر إلا لواحدٍ
وذلك أن العيش فيه مطيبٌ
ولو كان في أعماله الدهرُ عاقلاً

فما لي إلى فهم الحديث أجاذبه؟
ويرتدُّ مزوراً عن الحرِّ جانبه ٢
وما أنا ممَّنْ يا أميمُ يلاعبه ٣
وما أنا مخدوعٌ بما هو ضاربه
يقطُّب حتى لا تبين حواجبه ٤
وأبكت سوى عين السفية نوائبه
شكايةً دهرٍ حاربكم مصائبه!
وأفلامكم، وهو الأصمُّ، تعاتبه ٥

كما الليل لم يأمن من الشر حاطبه ٦
فتجثو على الأبصار منهم غياهبه ٧
عن الشرِّ يُقْصِيه، وآخرُ جالبه
كريماً تواليه ووغداً تجانبه
فقد خولفت بالموجبات سوابه ٨
دوافعه فعالة وجواذبه
لما دار في هذا الفضاء كواكبه

بتجربتي حتى تجلَّت عواقبه
وهل يصدق الإنسان إلا تجاربه
لكالبحرٍ محمولٌ على الهول راكبه
وإن كثرت في كلِّ يوم عجائبه
لمن خبثت بالمخزيات مكاسبه
لما كان مثلي في الورى من يحاسبه

ولو لم يكن في كل ما فيه خادعًا
ألا ربّ شيطانٍ من الإنس قد غدا
فقلتُ له: اخسأ إنما أنت خائبٌ
فولّى على الأعقاب يحبو وقد درى
فأتبعه مني شهابٌ تسامح
ولو شئتُ أرسلتُ الخديعةَ خلفه
ولكنّ أبى منّي الخداعَ مهذبٌ

لما أمّ فيه صادقُ الفجرِ كاذبه^٩
يخاتلني خلسًا وعيني تراقبه^{١٠}
وقبلك أعياءُ الجنّ ما أنت طالبه^{١١}
وللّه درّي أنني أنا غالبه^{١٢}
يشقُّ ظلامَ الجهلِ بالحلمِ ثاقبه^{١٣}
تطاردهُ حتى تضيقَ مذاهبه
تعودُ فعلَ الخيرِ مذ طرَّ شاربه



وذي سَفَهٍ أغضيتُ عنه تكرُّمًا
فقمْتُ له بالنعلِ ضربًا فلم تزلْ
وجنّبتَه السيفَ الجُرّازَ؛ لأنّه
لقد عابني جهلًا ولم يدرِ أنه
له نسبةٌ مجهولةٌ غيرُ أنه

فدبّتُ على رجلِي غدرا عقاربُه
يدايَ به حتى اطمأنت غواربه^{١٤}
تعالَت عن الكلبِ العقورِ مضاربُه
أقلُّ فداءً للذي هو عائبه
مغامزه معلومةٌ ومعايبه^{١٥}

^٩ هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتًا.

^٢ يثني: يعطف، والباء في بوجهه زائدة في المفعول. ومزورًا: منحرفًا.

^٣ يقال: طارحه الكلام والشعر وغير ذلك: إذا ناظره وجاوبه.

^٤ بيناه: الألف كافة لبين أو هي مختصرة من ما الكافة، والأصل بينما، فحذفت الميم من ما، وكذلك القول في الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو، والأصل بينا هو، فالضمير ضمير رفع، وقوله يقطب: أي يزوي ما بين عينيه.

^٥ أي: هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح، وأنتم تقابلونه بالأقلام عتاباً، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب، والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر.

^٦ حاطب ليل: مثل عندهم في التخليط، ومنه قولهم: المكثّر حاطب ليل؛ أي يجمع بين الحميد والردى، أو أن الحاطب في الليل لا يأمن الشر إذا ربما جمع الأفاعي في الحطب الذي احتطبه وهو لا يدري، ففي البيت تشبيه الدهر بالليل، وأهليه بالحاطب فيه، فهم لا يسلمون من الوقوع في الباطل كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع في الشر، وكما في البيت: مثلها في قول الشاعر:

كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

^٧ أنسوا: أبصروا. رابهم: أوقعهم في الريب، وضمير الفاعل في رابهم يعود إلى الدهر.

^٨ يريد بهذا البيت وما بعده: أنه لا عجب في اختلاف طبائع الناس، وكونهم شتى بين كريم ولئيم؛ إذ هذا التخالف جارٍ في جميع ما في الكون فالبرق منه موجب ومنه سالب، ولولا اختلاف القوانين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم، ولا دارت في هذا الفضاء كواكبه.

٩ أم فلان القوم: إذا تقدمهم. وصادق الفجر: مفعول مقدم، وكاذبه: فاعل مؤخر، والمعنى أن كل ما في الدهر خادع فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب.

١٠ يخاتلني: أي يخدعني عن غفلة. والخلس: مصدر خلس الشيء إذا أخذه في مختلة، وهو في البيت مفعول لأجله، أو هو مفعول مطلق؛ لأنه بمعنى المخاتلة.

١١ اخساً: أي ابعد وانزجر، وهي كلمة زجر وطرده للكلب.

١٢ المعنى المراد من قوله: «فولى على الأعقاب يحبو» أنه ذهب كالكلب يمشي على أربع.

١٣ أتبعه: بمعنى تبعه أي لحقه. وشهاب تسامح: أي شهاب صفح وعفو عنه.

١٤ فلم تزل يداي به حتى اطمأنت: أي لم تزل يداي تمارسه أو موقعة به حتى فعل؛ أي ما زلت أحاوله. غواربه: الغارب هو الكاهل، وأعلى كل شيء، وأعلى الموج.

١٥ المغامر: جمع مغمز، وهو المطعن، فهي كالمعايب معنًى.

إلى أبناء الوطن

أنشدها في حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣.

سر في حياتك سِيرَ نابِه	وَلَمْ الزَّمانَ ولا تحابِه
وإذا حللت بموطن	فاجعلُ محلَّكَ في هِصابِه
واختَرْ لنفسِكَ منزلاً	تهفو النجومُ على قِبابِه
ورُمِ العلاءُ مخاطراً	فيما تحاولُ من لُبابِه
والمجدُ ليسَ ينالُه	إلا المخاطرُ في طِلابِه
وإذا يخاطبُكَ اللّٰئي—	مُ فصمَّ سمعَكَ عن خطابه
وإذا انبرى لك شاتماً	فاربأُ بنفسِكَ عن جوابِه
فالروضُ ليس يضيرُه	ما قد يُطَنِّطُنُ من دُبابِه
ولرُبِّ ذنبٍ قد أتا	كَ من ابنِ آدمَ في إهابِه
ما امتازَ قُطُ عن ابنِ آ	وى شخصُه بسوى ثِبابِه
وإذا ظفرتَ بذِي الوفا	عِ فحُطَّ رحلكَ في رحابِه
فأخوكَ من إن غاب عن—	كَ رعى ودادَكَ في غيابِه
وإذا أصابَكَ ما يسو	ءُ رأى مصابِكَ من مصابه
وتراه يَجْجَعُ إن شكوا	تَ كأنَّ ما بكَ بعضُ ما به



يا قومُ قد هرمَ الزما	نُ من التماذي في انقلابِه
فلذاكَ عندَ الهاجرا	تِ يسيلُ شيءٌ من لعبِه
ما زال عن خَرَفِ به	للناسِ يهذرُ في كِذابِه
يأتي بكل عجيبةٍ	تدعو اللبيبَ إلى ارتِبابِه
والناسُ في عطشٍ تسي—	رُ إلى ارتواءٍ من سَرابِه
فمتى يجود لنا الزما	نُ ولو بمذقٍ من وِطابِه؟

والى متى هو سائر
يتلو بصرفِ الحادثِ
كم يدّعي وطنيّة
فتراه ينفخُ لاغياً
ليكونَ مكتسباً بها
فكأنما هو صائدٌ
وتراه يرمي المخلصي—
ويعيبُ قومًا بالخيا

وجه الحقيقة في ضبابه؟^{١١}
ت لنا فصولاً من كتابه
من لم تكن مرّت ببابه!
فيها وينفخ في جرابه
مالاً تهالك في اكتسابه
وكأنما هي من كلابه
—ن بكلّ سهم من جعابه
نة والخيانة بعضُ عابه^{١٢}



لا بدّ للوطن العزيز
من مجلسٍ للشعب ين—
وينوبُ عن أبنائه
حتى نرى أمرَ البلا
أبهت حكومتنا له
أترى الحكومة تبتغي—
هذا لعمرُ أبيك ما
هلاً يقوم القاعدون
كي ينفذ الوطن الذي
وغدا يهدّد بالبوارج
إن لم تكونوا مدركيه

من المسكّن لاضطرابه
—ظر بالتأمل في مآبه
إن صادقوه على منابه
د به يعودُ إلى نصابه
والشعب ليس له بآبه
—ه ونحن نعرض عن طلابه؟!
يدعو الحليم إلى انتخابه
مسارعين إلى انتخابه؟
صرف الزمان له بنابه
بنيه، بورّ في ترابه
فلا محالة من خرابه



آب المسافرين للديا
لو كان يجنح للآيا
قد كان يمرح في التغرّ
لا تعجبين لخاملٍ
فالسيفُ أحسن ما يكو
أما العراق فإنّ لي
ينجاب يأسى بالرجا
من كل من هو في ظلا
لمع الذكاء بوجهه
يا من زكت أحسابهم

ر على اضطرابٍ في إيايه
ب لما تعجّل في ذهابه
ب بالحفاوة من صحابه
لبس النّباهة في اغترابه
ن إذا تجرّد من قرابه
كلّ الرجاء بأسد غابه
ء إذا نظرت إلى شبابه
م الليل أضوا من شهابه
كالبرق يلمع في سحابه
فأتوا بأخلاقٍ نوابه^{١٣}

ووجوههم بالنَّيرِ
إني لأشكر فضلكم
كالروض يشكر وأبلاً
ت من النجوم لها مشابه
شكرَ المثاب على ثوابه
حيّا الأزاهر بانسكابه

١ النابه: المشهور، ضد الخامل.

٢ هضابه: جمع هضبة، وهي الجبل المنسبط على الأرض، والمراد: المنازل المرتفعة.

٣ تهفو: تسرع، يقال: هفت نفسه إلى الشيء إذا أسرعت إليه.

٤ انبرى له: عارض وصنع مثل صنعه، اربأ بنفسك: ارفع نفسك.

٥ يضيره: يؤذيه، يطنطن: بصوت ويحدث طنينًا.

٦ أصل الإهاب: الجلد قبل أن يدبغ، والمراد الجلد مطلقًا.

٧ حظ رحلك في رحابه: أي انزل عنده في أرضه، والمراد تمسك بإخائه.

٨ يقال: وجع في الماضي، ويوجع وييجع وياجع في المضارع، يريد أنه يتوجع لما ينوبك.

٩ الخوف: الهذيان والهذر، مثل كلام المحموم والمجنون، والمراد أنه يخلط فيما يأتي به من الحوادث ولا يستقيم له قصد.

١٠ المذق: اللبن الممزوج بالماء، يريد غير الخالص. والوطاب: جمع وطب، وهو سقاء يوضع فيه اللبن.

١١ يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهرًا وإنما يخفيه الضباب؛ يعني ما يأتي به الدهر من الخير والشر ليس واضحًا.

١٢ عابه: عيبه.

١٣ زكت أحسابهم: برئت أصولهم من الدنس. نوابه: جمع نابه، أي: شريف عالٍ.

في المعهد العلمي

لعمرك إن الحرَّ لا يتقنَّد
إذا أنا قصَّدْتُ القصيدَ فليس لي
نشدت بشعري مَطْلَبًا عَزَّ نيله
فللنجم بُعْدٌ دون ما أنا ناشدُ
وكم جنبتني عِزَّةُ النفس مَنهلًا
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانةٍ
ولي بين شِدْقَيَّ الهريتين صارمٌ
ولا عجبٌ إن عابني الشاعر الذي
فإن ابنَ بُرْدٍ وهو أكبرُ شاعرٍ
تعودت تصرّحي بكلِّ حقيقةٍ
إذا رمت نصحاء جئت بالنُّصح واضحا
وقد أبصر الدَّاءَ الدفين الذي بنا
يقولون لي: استنهضْ إلى العلم قومنا
أما علموا أن الحياة بعصرنا
وما ينفع القول الذي أنت قائلٌ
فيا قومنا إن العلوم تجددت
وخلُّوا جمودَ العقل في أمرِ دينكم
وإن شئتُمْ في العيش عِزًّا فأقدموا
وأَمْضُوا سديدَ الرأي دون تردُّدٍ
ولا تقبلوا قيدًا بقولٍ مُجرَّدٍ

ألا فليقل ما شاء فيَّ المَفنَّدُ^١
به غير تبيان الحقيقة مَقْصِدُ
وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
وللدرِّ قَدْرٌ دون ما أنا منشدُ
يطيب به لكن من الذلِّ موردُ
أنوح بها حينًا وحينًا أغرَّدُ
يُسلُّ على الأيام طورًا ويُغمدُ^٢
يقول سخيْفَ الشعر وهو مقلدُ
تتَقَّصه في الشعر حمَّاد عجرد^٣
وللمرء من دنياه ما يتعود
وما كان من شأني الكلام المعقد
كما أبصر الأمواه في الترب هُدهد^٤
بشعرٍ معانيه تُقيمُ وتُقعد
مدارس في كل البلاد تشيِّد
إذا لم يكن بالفعل منك يُؤيِّد
فإن كنتم تهوونها فتجددوا
فإن جمودَ العقل للدين مفسد
فكم نيلَ بالإقدام عِزٌّ وسُودد
فما يبلغ الغايات من يتردَّد
فما قيَّد الأحرارَ قول مجرَّد



تذكر بالعهد القديم وتشهد
بدمع كما ارفض الجمان المنضد

وأطلال علم لا تزال شواخصا
أراها فأبكي وهي رهن يد البلى

دموعي ولكني امرؤ متجلد
فإن دمي من أجلها سيبدد
من القوم تسعى للنجاح وتجهد
تقاعس عنها الكوكب المتوقد
يطيب لهم فيها الثناء المخلد
وأشركم شكرًا جزيلًا وأحمد
وذا قسم لو تعلمون مؤكد
وأن يجمع الشبان للعلم معهد

وما أنا سالٍ عهدًا حين لم تسل
فإن تكبروا تسديد دمعي لأجلها
ومعهد علم أسسته عصابة
شباب مشوا للمكرّمات بعزيمة
سأستودع الأيام كلّ قصيدة
أقول لهم قولًا به أستزيدهم
أما وخلال فيكم عريّة
يسرّ العلا أن ينهض القوم للعلا

^١ المفند: اللائم العائب.

^٢ الشدق الهريت: الواسع، وأصله من صفات الأسد. وصارم: لسان حاد مثل السيف يغمد؛ أي: يوضع في غمده وهو قرابه.

^٣ ابن برد: هو الشاعر بشار بن برد، شاعر فارسي، وحماد عجرد: شاعر أيضًا في عصر بشار كان مولعًا بهجائه، وكلاهما عاش في صدر الدولة العباسية.

^٤ يعني الشاعر أنه لطول تجربته وممارسته لشئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد ما لا يستطيعه غيره، وشبه نفسه بالهدهد الذي يرى الماء الغائر في الأرض لبعده نظره.

في منتدى التهذيب

أنشدها في حفلة افتتاح منتدى التهذيب في بغداد.

تريد لي الأيام أن أتقيدا
وتتعد بي دون المدى في خطوبها
كفى لصريح العقل قيذا لمطلق
لعمري الهدى إنَّ النُّهى ليس من صُوى
فما بال هذا العقل أمسى معطلا
أيخلفنا كُرُّ الجديدين ضلّة
فيما منجدي فيما أريد من العلا
أعني على ما لو تحقّق كونه
تجهّز من الحسنى بما أنت قادر
وأحسن إلى مَنْ قد أساء تكرّما
وجبّ الذي عاداك إن رمت قتله
فليس مضرا في العلا بالذي أرى
إذا دُفع الشر القبيح بمثله
وأمت دواعي الشر ذات تسلسل
فما الرأي عندي إن تمخّضت الوغى
وأن تجمع الدنيا على ردّ طامع
فإن كان هذا في العصور التي خلت
فإن جميع الأرض أمت كبلدة
ولي خُلُق يابى عليّ انطباعه
وأضرب عن جهل الجهول ولم أكن
إذا ما اتّقت نفس رداها بذلة

وأطلب فيها أن أكون المجددا
وغاية همّ النفس أن أبلغ المدى
من الناس يبغى أن يكون مقيدا
سواها لمن ضلّوا الطريق إلى الهدى^١
لدينا كأنّ الله أوجده سدى؟!^٢
ولم ننقّمص فيهما ما تجددا؟!^٣
ولولا العلا لم أطلب الدهر منجدا
لما كان لي بل للأناسيّ مُسعدا
عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
وإن زاد بالإحسان منك تمردا
فإني رأيت الحبّ أقتل للعدا
على كل حال أن تحبّ من اعتدى
تحصّل شرٌّ ثالث وتولّدا
مديد وصار الشر في الناس سرمدا
سوى أن يظلّ السيف في الغمد مغمدا
أشار إلى أسيفه متهدّدا
عسيرا ففي هذا الزمان تمهدا
بها كل جمع عُدّ في الحكم مفردا
على الخير تسليمي إلى الشر مقودا
لأضرب في الأيام للغدر موعدا
فعندي نفس تتقي الذلّ بالردى

ولو طلبت نفسي الغنى بامتهانها
ولكنني آليتُ ألا أذيقها
سجّية نفس لم أحلّ عن عهودها
وما ضرّني إذ عَضّني مُتَشَادِقٌ
ولي وطنٌ أفنيت عمري بحبه
ولم أرَ لي شيئاً عليه وإنما
تعلّقته منذ الصبا مغرمًا كما
وسيرتُ فيه الشعرَ فخرًا فطالما
وكم رامَ إسكاتي أناسٌ أبى لهم
ومن عجبٍ أن يعشق الرّوضَ بلبلٌ
وما الناس إلا اثنان في الشرق كلّهُ:
ولم أرَ مثلَ الفضل في الشرق مخفّفًا
تأملُ قليلًا في بنيه مفكّرًا
فتبصرَ أيقاظًا يُطيعون هُجْدًا
وكم فأرةٍ في الشرق تُحسب هرةً
ألا ربّ شاكٍ قال لي وهو آسِفٌ:
فقلت له: أبشرْ بخيرٍ فإنه

لأصبحتُ في المثرين أطولهم يدا
من العيش إلا ما استطيتُ وحُمْدًا
وإن لآمني الأعمى عليها وفنّدا
شحا بقم قد كان في العَضّ أرددا^٤
وشُتتَ شَملي في هواه مبدّدا
عليّ له في الحبّ أن أتشدّدا
تعلّق ليلى العامريّ مُعمّدا
شدوت به في محفل القوم مُنشدا
خنا الطبع إلا أن يُروا لي حُسدا
ويمنعه ذبّانه أن يغرّدا
جهولٌ تلهى أو حليمٌ تبدّدا
ولا مثل جدّ المرء للمرء مُسعدا
لتشهد منهم للعجائب مشهدا
وتبصر أحرارًا يخافون أعبدا
وكم عَقَق في الشرقِ سُمّي هُذْهَدا
أما أن للتّهذيب أن يتبغّدا؟^٥
ببغداد للتّهذيب أسس مُنتدى

^١ النهى: العقل وأصله جمع نهية، وهي ما ينهى المرء عن القبيح. والصوى: جمع صوة، وهي العلامة تنصب في الطريق ليهتدي بها السائرون في الصحراء ونحوها. يريد أن العقل من معدن الهداية.

^٢ سدّى: ضياعًا، بلا فائدة.

^٣ يخلقنا: يبلينا. ويقال: فلان يفعل كذا ضلة، إذا لم يوفق للرشاد، وكأنه منصوب على الحال؛ أي: ضالًا. وتقمص الشيء: كالقميص.

^٤ المتشادق: يريد به المتشدد، وهو المتفاح الذي يملأ شدقيه بالكلام، وقيل: هو المستهزئ بالناس، يلوي شدقه بهم وعليهم، وتشدق في كلامه: فتح فمه واتسع. شحا الرجل فاه: فتحه، وشحا فوه: انفتح، متعدّد ولازم، والباء زائدة أو على تضمينه معنى نطق بقم. والأرد: صفة من الدرد، وهو سقوط مقدم الأسنان.

^٥ تبغّد: أي يصير ويتحول إلى بغداد.

في زحلة

قالها سنة ١٩٢٣ وأنشدها في حفلة أقيمت له وللريحاني في زحلة.

حَبِبتَ العَلا منذ الصبا حَبَّ شاعرٍ
أَقدرَ فيها أن أصيخَ لللائمِ
تَقولُ ابنةَ الأَقوامِ وهي تلومني
إلى كم تُجِدُّ البينَ عني مسافراً
وَأُسكتها عني نَشيجٌ لم تزل
إلى أن تَفاني الصَّبرَ فافتَرَّ مدمعي
ولا غرو أن أبكي أَسَى من بكائها
وقلتَ لها: إني امرؤُ لي لبانةٌ
تَعوِّدتُ أن لا أَسْتَنيمَ إلى المني
وأن أَمْضيَ الهم الذي هو مُقلقي
أما تَرينَ الوجَةَ مِنِّي شاحباً
ولست أبالِي أنني عادمُ الغنى
ذريني أزرُ في هُضْبِ لبنان أربُعا
بحيث أرى تلكَ الليوثِ خوادراً
ليوثٌ إذا ما عَبَّست في مُلَمَّةٍ
وَأَلقت جِيوشَ الفاخِرينَ سَلاحَها
فأكرُمُ بلبنانٍ مَقَرًّا لِنابِهٍ
ألا إنما لبنانُ في الأرضِ عاهلُ
وزحَلَةٌ في لبنانٍ تاجٌ لرأسه
وما هي إلا روضةٌ أنبتت له
أزحَلَةٌ إني تاركٌ فيك مُهْجتي

وقمت إليها ساعياً سعيَ قادرٍ
وقد ملكت مني جميعَ المشاعرِ!^١
وأدمعُها رِقراقَةً في المحاجرِ:^٢
أما تَسْتَلْذُ العيشَ غيرَ مسافرٍ!^٣
تردِّده منها بأقصى الحناجرِ
كمدمعها عن لؤلؤٍ متناثرِ
فأعظم ما يشجي بكاءَ الحرائرِ
منوطٌ مداها بالنجوم الزواهرِ
وَأَلَّا أَرى إلا بهيئةَ نائرِ
بطيِّ الفيافي أو بخوضِ الدياجرِ^٤
لكثرة ما عَرَضَتْهُ للهواجرِ^٥
إذا كان جَدِّي في العلا غيرَ عاثرِ
تعالَت بحيث العزِ مُرْخى الضفائرِ
تَسارقُ الحَاطِطُ عيونَ الجاذرِ
تَبسَمُت الدنيا تَبسُّمَ ناصِرِ
إذا خَفَقَتْ راياتها بالمفاخرِ
ومأوى لمنكود ومهدى لحائرِ
تَبوَّأَ عرشاً من حليل المآثرِ
قد ازدان من أبنائها بالجواهرِ
أزاهيرَ من تلكَ الحسانِ الغرائرِ^٦
تعاطيك من بَعدي محبةَ شاكرِ

طَوَالَ اللَّيَالِي خَالِدًا فِي الدَّفَاتِرِ
وَلَا وُدَّ إِلَّا مُخْلِصًا فِي الضَّمَائِرِ
بَبِيرُوتَ لَوْمِ الشَّاتِمِ الْمُتَجَاسِرِ
مَقَاذِعَةَ جَاءَتْهُ مِنْ مُتَشَاعِرِ^٧
لِي الْحَقِّ فِي عَذْرِي لَهُ غَيْرَ عَاذِرِ
مُجِيدِ بَيُومِ الْحَفْلِ قَرْعِ الْمَنَابِرِ!
وَمِنْ أَهْلِ عِلْمٍ كَالْبَحَارِ الزَّوَاخِرِ

فَنَشْكُرُكَ الشُّكْرَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَفَاءَ امْرِيٍّ مَا عَوَّدَ الْغَدْرَ نَفْسَهُ
وَمَنْ عَجِبَ أَنْ الشُّويعَرَ لَا مَنِي
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي شَاعِرًا لَا تَسْوَهُ
عَلَى أَنْنِي مِنْ عَاذِرِيهِ وَإِنْ يَكُنْ
وَكَمْ فِي رُبَا لَبْنَانَ مِنْ ذِي فَصَاحَةٍ
وَمِنْ أَهْلِ آدَابٍ كَشَارِقَةِ الضُّحَى

^١ أصاخ له: استمتع وأنصت.

^٢ رُقْرَاقَة: جائلة متحركة. والمحاجر: جمع محجر، وهو ما دار بالعين من العظم.

^٣ تجد البين سفرًا بعد سفر.

^٤ أمضى همه: نفذ ما عزم عليه وهم به. وطى الفيافي: قطع الصحاري، والفيافي: جمع فيفاة. والدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة، وأصله: الدياجير.

^٥ الشحوب: الصفرة والتغير. والهواجر: جمع هاجرة وهي شدة الحر وسط النهار.

^٦ الغرائر: جمع غريبة، وهي التي لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحدائتها.

^٧ مقاذعة: مهاجة ومسابة.

الفنون الجميلة

إن رُمتَ عيشًا ناعمًا ورقيقًا
واجعل حياتك غصّةً بالشعر والتـ
تلك الفنون المشتهاة هي التي
وهي التي تجلو النفوس فتتملي
وهي التي بمذاقها ومشاقها
تمضي الحياة طريّةً في ظلها
إن الذي جعل الحياة رواعداً
وأدرّها غيث اللذات منبتاً
وأقام منها للنفوس حوافزاً
فتحلّ عقدة من تراه معقداً
تلك الفنون، فطر إلى سعة بها
وإذا أردت من الزمان مضاحكا
ما فاز قط بوصلها من عاشق
فهي ابتسامات الدنا وبغيرها

فاسلك إليه من الفنون طريقا
ممثل والتصوير والموسيقى
غصن الحياة بها يكون وريقا
منها الوجوه تلالوا وبريقا
يمسي الغليظ من الطباع رقيقا
والعيش أخضر والزمان أنيقا
جعل الفنون من الحياة بروقا
زهر المسرة سوسنا وشقيقا
تدع الأسير من القلوب طليقا
وتفك ربة من تراه ربيقا
إن كنت تشكو في الحياة الضيقا
فتحس منها قرقفا ورحيقا
إلا وكان لعارفيه عشيقا
ما كان وجه الحادثات طليقا



رطب حياتك بالغناء إذا عرا
إن الغناء لمحدث لك نشوة
واترك مجادلة الذين توهّموا
أفأنت أغلظ مهجة من نوقهم؟!
أرقى الشعوب تمدنا وحضارة
وأحطهم من إن سمعت غناءهم
فالفن مقياس الحضارة عند من

هم يجفّ في الحلق الريقا
في النفس تطفئ في حشاك حريقا
هزج الغناء خلاعة وفسوقا
فقد استحثوا بالحداء النوقا
من كان منهم في الفنون عريقا
فمن الضفادع قد سمعت نقيقا
حازوا الرقي، وناطحوا العيوقا



الشعر فنٌّ لا تزال ضروبه
ويجيدُ تقطير العواطف للورى

تتلو الشعور بألسن الموسيقى
فتخاله لقلوبهم أنبيقا



ومسارح التمثيل أصغر فضلها
وإذا رأى فيها الوقائع غافل
تتمة الحميد من الخصال وتنتقي
وتجىء من عبر الزمان بمشهد
ويكون منظره الرهيب ممهّداً

جعل الكلّيل من الشعور ذليقا^١
من نوم غفلته يكون مفيقا
ما كان منها بالفخار خليقا
يُلقي خشوعاً في النفوس عميقا
لمشاهديه إلى الصلاح طريقا



أما المصوّر فهو فنّانٌ يرى
يأتيك ريشته بشعرٍ صامت
وبدائع التّصوير من حسناتها
فهى الجديرة أن تكون ثمينةً
إن الحياة على الكدورة لم تجد

ما كان من صور الحياة دقيقا
ولقد يفوق الشاعر المنطيقا^٢
أن يستفيد بها الشعور سموقا^٣
وتكون أنفق من سواها سوقا^٤
مثل الفنون لنفسها راووقا^٥

^١ الكلّيل من السلاح: الذي لا يقطع. والذليق: الماضي الحاد.

^٢ المنطيق: الفصيح.

^٣ السموق: الارتفاع.

^٤ أنفق: أروج.

^٥ الراووق: المصفاة.

الحياة الاجتماعية والتعاون

أنشئت في حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال في بغداد سنة ١٩٣٨.

يعيش الناس في حال اجتماع
وتكثر للتعاون والتفادي
ولو ساروا على طرق انفراد
رأيت الناس كالبنيان يسمو
فيمسك بعضه بعضاً فيقوى
كذاك الناس من عَجَمٍ وعُربٍ
قد اشتبكت مصالِحهم فكل
ولولا سعي بعضهم لبعض
إذا ربُّ الحسام ثناه عجز
وإن قلم الأديب عراه زَيْغٌ
وإن صفرت يدٌ من رَيْع زرع
بذاك قضى اجتماع الناس لَمَّا
يساند بعضهم في العيش بعضاً
فتعلوا في ديارهم المباني
وتستعلي الحياة بهم فتمسي
وما مدنيّة الأقوام إلا
ولم يصلح فساد الناس إلا
تُشاد به الملاجئ لليتامى
وتُبنى للعلوم به مبانٍ
وإلا فالشقاء لهم حليفٌ
ومما سرني أني أناجي

فتحدث بينهم طرق انتفاع
على الأيام بينهم الدواعي
لما كانوا سوى هَمَجٍ رعا^١
بأحجار تسيع بالسياح^٢
ويمنع جانبيه من التداعي
جميعاً بين مرعيٍّ وراعٍ
لكل في مجال العيش ساعٍ
لعاشوا عيش عادية السباع^٣
تدارك عجزه ربُّ اليراع
تلافي زيغه سيفُ الشجاع
أعيد ثراؤها بيدِ صناع^٤
أن اعتصموا بحبل الاجتماع
مساندة ارتفاع وانقاع
وتخصب في بلادهم المراعي
من العيش الرغيد على يفاع^٥
تعاونهم على غرِّ المساعي
بمال من مكاسبهم مُشاعٍ
وتمتار المطاعم للجياح
تفيض العلم مؤتلق الشعاع
وما حملُ الشقاء بمستطاع
رجالاً في الفخار ذوي ابتداع

سعوا لحماية الأطفال منا
فقاموا بالذي يُعلي ويُسلي
وما هذي الحياة سوى صراع
وما سادت شعوب الخلق إلا
إذا لم يُعَنَّ بالأطفال قومٌ
ولا تتركوا المُناشئ في أناسٍ
وما هاج العواطف في فؤادٍ
فشكرًا للكرام وكل شكر

بما أوتوه من كرم الطباع
يصونون الضعاف من الضياع
يتمُّ بفوز مفتول الذراع
بتهيئة البنين لذا الصراع
فهضبة مجدهم رهن انصداع^٦
يرون الطفل من سقط المتاع^٧
كحال الطفل في زمن الرضاع
لِمَنْ عضدوا الكرام بمدِّ باع^٨

^١ الهمج والرعاع: السفلة من الناس، وأصل الهمج: صغار البعوض.

^٢ تسيع بالسياح: أي تطلّى بما يطلّى به البناء بعد بنائه، ليكمل شكله ومنظره.

^٣ عادية: أي مفترسة.

^٤ صفرت: أي صارت صفراء خالية. وريع الزرع: يريد ثمرته وفائدته التي تجنى منه. واليد الصناع: الماهرة، وهي ضد اليد الخرقاء، وهي التي لا تحسن عملًا.

^٥ اليفاع: المرتفع.

^٦ انصداع: تشقق وتكسر.

^٧ سقط المتاع: أردأ وأرخص ما في البيت من متاع وأدوات كالمكنسة والكوز ونحوهما.

^٨ عضده يعضده، بضم الضاد في المضارع: قوَّى عضده وشد أزره، يريد عاونوا بمد أيديهم بالمال.

في سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه فخري البارودي وهو إذ ذاك في بيروت، يخبره بأنه ألف في دمشق شركة للمنسوجات الوطنية، ويطلب إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها والانضمام إليها، فكتب القصيدة الآتية وأرسلها إليه في دمشق.

فليطلبنّه بهمة البارودي

منهنّ مفتخرًا بكل جديد

متشبتًا منها بكل مفيد^١

من بعد مجد في دمشق تلبد^٢

ورث المكارم عن أب محمود

وبحسن رأي في الأمور سديد

فيها المساعي أيّما توحيد^٣

ترمي إلى غرض أغر حميد

وتعيد عهد ثرائها المفقود

من نسج أروية لهم وبُروء

وتعيش غير أسيرة التقليد

للغرب من حاجاتهم بقيود؟

يعرون من مال لهم ونقود

سلخ الشياه فهم بغير جلود

ببضائع لم تحصّ بالتعديد

بعض المحاجم أو كبعض الدود^٤

وتذلّ القربى لعزّ بعيد؟!

ولو أنّه من أحسن الموجود؟!

وتقول قول الرازح المجهود: ^٥

ما عشتّم من فقركم كعبيد

في حاجة؟! بل ذاك عيش مسود

من كان في المجد المؤئل راغبًا

فخري الذي ابتكر المفاخر واغتدى

وأبى سوى غرّ المساعي إذ سعى

وبنى له بدمشق مجدًا طارفًا

إن كان محمود الفعال فإنه

نفع البلاد بماله وبسعيه

ورأى الشّتات بها فقام موحدًا

ودعا الرجال بها فألف شركة

تغني البلاد بسعيها عن غيرها

وتقوم بالعمل المفيد لأهلها

حتى تكون عن الأجانب في غنى

أوما ترى أهل البلاد تقيدوا

العرب يكسوهم ملابس هم بها

وتراه يسلخهم بمصنوعات

هذي سفائنهم تروح وتغتدي

فكأنما هي لامتناص دمانا

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا

ويجانب الوطني من أشيائنا

إن البلاد لتشتكي من أهلها

يا سادة الأوطان لستم سادة

أفسيّد من عاش وهو لغيره

إن السيادة تستدير مع الغنى
لا يستقلُّ بسيفه الشعب الذي
مَنْ كان محلول العرى في ماله
يا قومنا أنتم كخارس كرمة
كم تزرعون بأرضكم ولغيركم
فتبصّروا يا قوم في أحوالكم
مَنْ شاء منكم أن يُعزَّ بلادُه
في حالتَي عدمٍ له ووجود^٦
لا يستقلُّ بنقده المنقود^٧
وجب انحلال لوائه المعقود
وسواه منها قاطف العنقود
مما زرعت حبُّ كل حصيد!
وتنبَّهوا من غفلة ورقود
فليسع سعي معزّها البارودي

^١ غر المساعي: جمع أغر، وهو الذي في وجهه بياض.

^٢ الطارف والطريف: المكتسب الحديث، والتالد والتلبد: الموروث القديم.

^٣ الشتات: التفرق.

^٤ المحاجم: جمع محجم، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الإنسان. والدود: هو العلق الأسود، يستعمل كالمحجم لامتصاص بعض الدم من الجسم.

^٥ الرازح المجهود: هو الذي لحقه الإعياء من حمل ثقل.

^٦ يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له، وقد قيل: «استغن عن شئت تكن أميره، واحتج إلى مَنْ شئت تكن أسيره.»

^٧ يريد أن الاستقلال الاقتصادي للبلاد ينبغي أن يقدم على الاستقلال السياسي.

في المدرسة: دار التقيض

نَعَمَتِ الدار للتقيضِ دارا!
هي دارٌ ينتابها ولَّد قوم
نحن قوم نرى المفاخر إلا
ما قصدنا بسلنا السيف إلا
هل شددنا الرحال في الأرض للأس—
كم طوينا من قبلُ في طلب العل—
واقترحنا لأجله كلَّ هول
ولقد هانت النوائب فيه
إنما تصغر الخطوب لدى القو
سل بنا العلم والفنون جميعًا
سل بنا العدل في جميع الرعايا
سل بنا الغرَّ من كبار المساعي
سل بنا هذه الدماء الدوامي
سل بنا هذه النجوم الدراري
كم رفعنا للعلم في الأرض برجًا
لا يكن منك في الذي قلت شكُّ
يعلم الله ذو الجلالة أنا
إنما هذه المدارس روضُ
تتغذى بها النفوس غذاء
جلَّ فعلًا إكسيريها المتعالي
يدخل الناشئون فيها من النا
ربَّ نفس كدِّرهم قد جلاها ال—
نضرت هذه المدارس روضًا

قد أقيمت للطالبين منارا
جعلوا العلم للحياة مدارا
من طريق العلوم ثوبًا معارا
ردَّ ليل الجهل المميت نهارا
—فار إلا لنكتب الأسفار؟! ^١
—م فجاءًا وكم شققنا بحارا!
وركبنا لأجله الأخطارا
إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا
م إذا كانت النفوس كبارا
هل ملكنا بغيرها الأقطارا ^٢
هل عمرنا بغيره الأمصارا؟
هل طلبنا بغيرهن فخارا؟
هل غسلنا بغيرهن العارًا؟
هل رضينا تحت النجوم قرارًا؟
وبنينا له كغمدانَ دارا!
وإذا شئت فانظر الآثارا
لسوى الله ما رجونا وقارا
ينبت المجد والعلا والفخارا
هو يُنمي العقول والأفكارا
كيف يجلو القلوب والأبصارا؟!
س نحاسًا ويخرجون نضارا
—علم حتى أعادها دينارا
من بني القوم منبئًا أزهارا

تمنح العاجز الضعيف اقتدارًا
كانت الناس في القديم عبيدًا
فعلّكم فيها بتحصيل علمٍ
مُوشكًا أن يغالب الأقدار
وبها اليوم أصبحوا أحرارًا
يُرغد العيش، يُسعد الأعمار

^١ الأسفار الأولى: جمع سفر بفتح الفاء، والثانية: جمع سفر بكسر السين وسكون الفاء، وهو الكتاب.

^٢ سل بنا: سل عنا، وفي الكتاب العزيز: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾.

المدارس ونهجها

أنشئت في حفلة وضع الحجر الأساسي لبناية مدرسة التقيض الأهلية التي أقيمت عصر ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٩.

ابنُّوا المدارسَ واستقصوا بها الأملًا
جودوا عليها بما درَّت مكاسبكم
إن كان للجهل في أحوالنا عللٌ
سيروا إلى العلم فيها سير معترم
لا تجعلوا العلم فيها كلَّ غايتكم
هذي مدارسكم شروى مزارعكم
لا تتركوا الشوك ينمو في منابتها
وأسسوها على الأعمال قائمة
يلقى بها النشء للأعمال مختبرًا
وأمطروا روضها علمًا ومقدرة
فتنتبت العالم الفنان مخترعًا
وتنتبت الحارس الفلاح مزدرعًا
واسقوا المتلمذ فيها خمر مكرمة
حتى إذا ما غدا خريجها طربًا
ربُّوا البنين مع التعليم تربية
وتقفوهم بتدريب وتبصرة
وجنبوهم على فعل معاقبة
إن العقاب يزيد النفس شرَّتْها
بل أنشئوا ناشئ الأحداث وهو على
بحيث يمشي إذا شأنته شائنة
من يترك الشرَّ خوفًا من معاقبة

حتى نُطاولَ في بنيانها زُحلا
وقابلوا باحتقار كلَّ مَنْ بخلا
فالعلم كالطب يشفي تلكم العلا
ثم اركبوا الليل في تحصيله جملا
بل علّموا النَّشء علمًا ينتج العمال^١
فأنبتوا في ثراها ما علا وغلا^٢
أعني بذلكم الأهواء والنَّحلا
ممهّدين إلى المحيا بها سُبلًا
وللطباع من الأدران مُغتسلًا
حتى تفتح من أزهارها الأملًا
وتنتبت الفارس المغوار والبطلا
وتنتبت المدره المنطيق مرتجلا
عن خمرة الكرم تسمي عنده بدلا
من عزة النفس خيل الشارب النملًا
يمسي بها ناطق الأخلاق مكملا
ثقافة تجعل المعوج معتدلا
إن العقاب إذا كرّرتَه قتلا
وليس ينكر هذا غير مَنْ جهلا
حبّ الفضيلة في محياه قد جبلا
من فعله احمرَّ منها وجهه خجلا
فليس يُحسب ذا فضل وإن فضلا

فجيشوا جيشَ علم من شبببتنا
إن قام للحرب ردَّ الأرض مُمرعةً
وإن غزا مستظلاً ظلَّ رايته
إنَّا لمن أمةٍ في عهد نهضتها
هذا هو العلم لا ما تأدبون له
ماذا تقولون في نقدي مناهجكم
وأَيُّ نفع لِمَنْ يأتي مدارسكم
فأجمعوا الرأي فيما تعلمون به
ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
حتى إذا ما انتدبنا العربَ قاطبةً

عَرَمَرَمًا تضرب الدنيا به المثلا
أو قام للحرب دكَّ السهل والجبل
هزَّ البلاد وأحيا الأعرس الأول
بالعلم والسيف قبلًا أنشأت دولاً
مما تكون به عُقبكم الفشلا
وقد كفيتمُ التفصيل والجملا؟
إن كان يخرج منها مثلما دخلا؟!
ثم اعملوا بنشاط ينكر المللا
نهجاً على وحدة التعليم مشتملا
كنا كأننا انتدبنا واحداً رجلاً

^١ يريد لا توجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولي النظري، بل وجهوا عنايتكم إلى الشؤون العملية، كالعلوم التطبيقية التي تفيد في ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها.

^٢ شروى: مثل.

العلم والإجازة فيه ^١

لجديرٍ برتبة ممتازة
وافتحارٍ بفضلٍ ما قد حازه
بيد المرء ضامنٌ إعزازه
بالمساوي همّازة غمّازه
للذي في علومه قد أجازَه

إنَّ مَنْ حاز في العلوم إجازَه
وخليقٌ بعيشةٍ مرتضاة
إنما هذه الإجازة صكُّ
وهي تعويذةٌ له من عيونٍ
فهنيئاً لِمَنْ أُجيزَ وشكراً



أُبلقَ الفردَ منعةً وحراره ^٢
هَرَباً من جهالةٍ وخآزه
ويقيه في عيشه إعوازه
حسراتٍ وفي القلوب حَزازه
كم جهولٍ أحياء وهو جنازه!
جاعلاً غاية العلا مهمازه ^٣
بيدٍ من درايةٍ هزازه
دُ سوى العلم، والحياة مَفازَه ^٤
لم تيسر بيد النجاح اجتيازَه
—م رزينا بكفٍّ مَنْ قد رازَه ^٥
تقتضي من ثقافة عُكازه
أفهم العلم أهله ألغازَه
ضمن العلم للورى إبرازَه

معهدُ العلم وهو حرزٌ يفوق الـ
تلجأ الناس في الحياة إليه
حبذا العلمُ يكسبُ المرء عزاً
في نفوس الذين لم يُرزقوه
إنما العلم من معاجز عيسى
صاحب العلم يركب المجد طرّاً
ويهز الدنيا رجاءً وخوفاً
نحن سَفَرٌ وما الرواحل والزأ
كلُّ مَنْ لم يُعُدّه لاجتيازٍ
إن عقل الفتى ليصبح بالعلـ
والطباع العرجاء في كل شخص
ألغز الدهر في الحقائق لكن
وإذا الأمر قد غشته الغواشي



غير رحب يُشَقُّ أن تجتازَه
جُعل الشك واليقين طرازَه
—طاؤد منه غير التجاريب بازَه ^٦

كان للعلم في القديم طريق
فجرى اليوم في طريقٍ جديد
هو صيد ولم يعد يجعل المصـ

قد عرفنا حقيقة القول فيه
وبحثنا عن جوهر الحق فيه
بلَّه إطناب شرحه بقياس
هو في الناس قدره متعالٍ
وإذا المُلْك لم يؤيِّده علم
وإذا العلم فاه يومًا بوعدٍ
وإذا أنشط الجبان لحربٍ
قلم المرء في بلوغ المعالي
صاحب العلم في الأمور أميرٍ
يبصر الخطب من هواديه حتى
فلهذا، نعم لهذا أهني

وتركنا للغافلين مجازَه
فبلغنا دفينه وركازَه^٧
إنَّ في تجرباتِه إيجازَه^٨
لم يطلْ صرخُ إيفلٍ أنشازَه^٩
فارتقب سلبه ورجَّ ابتزازَه^{١٠}
ذهب اليأس أملًا إنجازَه^{١١}
صال يرغو حماسة وحمازَه
فائق في وغي الحروب جُرازَه^{١٢}
قد غدا كل حادث جِلوازَه^{١٣}
يلتَهي فيه مبصرًا أعجازَه^{١٤}
كلَّ مَنْ حاز في العلوم إجازَه

^١ الإجازة: هي الشهادة التي تمنحها المدارس والمعاهد للطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها وسميت بذلك؛ لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم وقراءة مؤلفاتهم، لأنهم أصبحوا أهلًا لذلك، وكان الطلاب يعترفون بشهادة أستاذيهم لهم، ويذكرونها في تراجمهم وتواريخ حياتهم.

^٢ الأبلق الفرد: حصن معروف للسموع بن عاديا اليهودي بأرض تيماء من بلاد العرب، قال فيه الشاعر:

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على مَنْ رامه ويطول

^٣ الطرف: الحصان الكريم. والمهماز: ما يحث به الفرس على السير.

^٤ مفازَه: صحراء يهلك فيها السائر الذي لم يستعد لها.

^٥ رازَه: اختبره بيده ليعرف ثقله.

^٦ شبه العلم بصيد، وجعل التجربة كالبازي، وهو الصقر الذي يستعان به على الصيد.

^٧ الركاز: المعادن المدفونة في الأرض.

^٨ يقول: استعنا في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة، واستغنيا بها عن الشرح الطويل، والقياس المنطقي النظري.

^٩ صرح إيفل، أو برج إيفل: بناء عالٍ جدًا في فرنسا. والأنشاز: جمع نشز، وهو كل شيء مرتفع، ويقول: إن قدر العلم وشرفه عالٍ جدًا لا يساميه برج إيفل علوًا.

^{١٠} يقول: إن المُلْك الذي لا يقوم على دعائم العلم لا يلبث أن يضيع ويسلب.

^{١١} إذا وعد العلم بتحقيق غرض، فلا بد أن يناله، وإن ظنه الناس مستحيلًا أو بعيدًا.

^{١٢} الجراز: السيف.

١٣ الجواز: بمعنى الشرطي.

١٤ هواديه: أوائله ومقدماته.

العلم

إلى شبان الكلية الإنكليزية في القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه
فأو إلى ظلّه تعش رَغداً
واتعب له تسترخ به أبداً
ولذة العلم، مَنْ تذوّقها
وإن للعلم في العلا فلکاً
فاسع إليه بعزم ذي جلد
وابذل له ما ملكت من نشب
لا تتكل بعده على نسب
واطرح المجد غير طارفه
ما أبعد الخير عن فتى كسل
كم رفع العلم بيت ذي ضعة
حتى تمنى أعلى الكواكب لو
وودت الشمس في أشعتها
وإن يسد جاهل فسؤده
يرى امرؤ مجد جاهل عجباً
كم كذب الدهر في فعائله
العلم فيض تحيا القلوب به
كل فخار أسبابه انقطعت
للعلم وجه الحسن منتقب
ما حسن وجه للفتى بمفخرة
ما أقدر العلم! إن صيحتة

إلا بعلم يجد في طلبه
عيشاً أميناً من سوء منقلبه
فراحة المرء من جنى تعب
أضرب عن شهبه وعن ضربه
كل المعالي تدور في قطبه
مصمم الرأي غير مضطربه
فالعلم أبقى للمرء من نشبه
فالعلم يغني النسيب عن نسبه
واجتنب الفخر غير مكتسبه
يسرح في لهوه وفي لعبه!
فقصر الناس عن مدى حسبه!
يحل بيتاً يكون في صقبه
لو كنّ يحسبن من قوى طنّبه^١
بعد قليل يفضي إلى عطبه
لو صح عقلاً لكف عن عجه
وسؤدد الجاهلين من كذبه
فامتج بسجل الحياة من قلبه^٢
إلا فخاراً يكون من سببه
وسافر منه مثل منتقبه
إن لم يؤيد بالحسن من أدبه
يمعن منها الخميس في هربه^٣

مَنْ تَخَذَ الْعِلْمَ عُدَّةً لَوْغَى
فَانْتَدَبَ الْعِلْمَ لِلخُطُوبِ فَمَا
الْعِلْمُ كَالنُّورِ بَلْ أَفْضَلُهُ
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِرَوْضِ مَعْهَدِهِ
مَا النَّاسُ إِلَّا رُؤَادُ نَجْعَتِهِ
وَمَنْ غَدَا هَادِيًّا يَعْلَمُهُ
وَمَعْهَدُ أُسْستِ قَوَاعِدِهِ
شَيْدُهُ لِلْعُلُومِ مَدْرَسَةُ
قَدْ غَرَّدَ الْمَجْدُ فِي جَوَانِبِهِ
وَأَصْبَحَ الْعِلْمُ فِيهِ مَزْدَهْرًا
بِمِثْلِهِ فِي الْبِلَادِ قَاطِبَةً
أُضْحَتْ فَلَسْطِينُ مِنْهُ مُمْرَعَةٌ
تَاهَتْ بِهِ إِيْلِيَاءُ فَآخِرَةٌ
شَكَرًا لِبَانِيهِ مَا أَقَامَ بِهِ

أَغْنَاهُ عَنْ دَرْعِهِ وَعَنْ يَلْبِهِ ٤
خَابَ لِعَمْرِي رَجَاءُ مِنتَدِبِهِ
مَا أَفْقَرُ النُّورَ أَنْ يَشْبَهَ بِهِ!
وَطَالِبِيهِ وَقَارِئِي كُتْبِهِ
وَنَاشِرُوهُ وَكَاشِفُو حُجْبِهِ
وَرَا حَ يَشْقَى الْجَهْلُ مِنْ وَصْبِهِ
فِي بِلَدٍ شَفَنِي هَوَى عَرَبِهِ
مَنْ كَانَ نَشْرَ الْعُلُومِ مِنْ دَابِهِ
فَاهْتَزَّ عِطْفُ الْفَخَارِ مِنْ طَرَبِهِ ٥
بِكُلِّ ذَاكِي الذِّكَااءِ مِلْتَهَبِهِ
يَشْفِي عَقُورَ الزَّمَانِ مِنْ كَلْبِهِ ٦
مَذْجَادَهَا بِالْغَزِيرِ مِنْ سُحْبِهِ ٧
عَلَى دِمَشْقِ الشَّامِ أَوْ حَلَبِهِ
شَبَّانَهُ الْقَاطِنُونَ فِي قُبْبِهِ

١ الطنب: حبل تشد به الخيمة.

٢ السجل: الدلو. والقلب: جميع قليب، وهي البئر.

٣ الخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: قلب وجناحان، ومقدمة ومؤخرة. يبالغ.

٤ عدة الحرب: أدواتها. واليلب: الترسة أو الدروع من الجلود، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض، تلبس على الرءوس خاصة.

٥ العطف: الجانب.

٦ شبه الزمان بالكلب العقور، وهو المصاب بالكلب، فإذا عض إنسانًا عقره أي: أهلكه.

٧ الممرع: المخصب. جادها: أنزل بها المطر الجود الغزير.

دار الأيتام أو مدرسة سنلر في القدس

لدار سنلر في القدس فضل
ويحمده من الفقراء طفل
بها يجد اليتيم له مقاماً
يرى عن أمه أمّاً عطوفاً
تميت نهارها فيه ليحيا
فتشرب نفسه حبّ المعالي
وترأم كل من فجعوا بيتهم
ويدخلها يتيم القوم طفلاً
عليماً بالحياة يسير فيها
وقد لبس الفضيلة وارداها



وقفت بها أعاطيها التحايا
وأشكر فضلها والشكر عجز
أدار سنلر لا زلت مأوى
أثابك مالك الملوك عنهم
ضمّنت لهم رغيد العيش حتى
وجار الدهر معتدياً عليهم
إذا ما أبكت الدنيا يتيماً
لقد هوّنت رزء اليتيم حتى
وكاد إذا رأى مغناك راءٍ
ليمكث فيك مغتبطاً سعيداً
ويعلم كيف يدّرّع المعالي
وما فقد المسيح الناس لماً

به تنسى تتيّمها اليتامى
يذمّ لفقد والده الجماما
إذا ما الدهر أفقده المقاما
عليه وعن أبيه أباً هماما
وتُحيي الليل فيه لكي يناما
وتطعم جسمه منها الطعاما
صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما^١
فتخرجه لهم يفعاً غلاما
على علم فيخترق الزحاما
وشدّ عليه من حرّم حزاما

وأستسقي لساكنها الغماما
إذا هو لم يكن إلا كلاما
لأبناء الأرامل والأيامى
مثنوية كل من صلّى وصاما
أخذت على الزمان لهم ذماما
فكنت لهم من الدهر انتقاما
أعدت بكاءه منه ابتساما
غفرنا للزمان بك الأثاما
يوذ بأن يكون من اليتامى
ويكسب عندك الشرف الجسماما^٢
ويعرف كيف يبتدر المراما
أعدت لهم خلائقه الكراما

فَنُبَّتْ عَنْ الْمَسِيحِ وَقَمَتِ حَتَّى
وَلَا عَجَبَ فَقَدْ جَدَّدَتْ مِنْهُ
شَمَخْتَ عَلَى رُبَا الْقُدُسِ اعْتِلَاءً
وَلَحْتَ بِأَفْقِهَا بَدْرًا مَنِيرًا
أَلَا إِنَّ النُّجُومَ بِشُعْرِيَّهَا
هَزَزْتَ الطُّورَ فَهُوَ يَكَادُ يَمْشِي
وَجَاذِبْتَ الْكَرَامَةَ خَيْرَ قَبْرِ
تُبَاهِي الْقُدُسَ مَكَّةَ فَيْكَ حَتَّى
فَلَا بَرَحْتَ رُبُوعَكَ عَامِرَاتِ

لَقَدْ شَكَرَ الْمَسِيحُ لَكَ الْقِيَامَا
عَوَاطِفَ كَانَ عَمَّ بِهَا الْأَنَامَا
فَكُنْتَ لَهْنٍ مِنْ شَرَفٍ وَسَامَا
جَلَا مِنْ لَيْلِ أَيْؤُسِهَا الظَّلَامَا
لَتَحْسُدَ مِنْ مَرَابِعِكَ الرِّغَامَا^٣
إِلَيْكَ عَلَى تَقَدُّسِهِ احْتِرَامَا
بِهِ دَفَنَ الْمَسِيحِ وَمِنْهُ قَامَا
تَقَاخَرُ فَيْكَ مَشْعَرُهَا الْحَرَامَا
نَسْلُ عَلَى الشَّقَاءِ بِهَا حُسَامَا

^١ رُئِمَتِ الْأُمُّ وَلَدَهَا: شَمَنَتْهُ وَعَظَفَتْ عَلَيْهِ.

^٢ الشَّرَفَ الْجِسَامَ: الْجَسِيمَ.

^٣ الشَّعْرِيَانِ: الشَّعْرَى الْعَبُورُ، وَالْغَمِيصَاءُ؛ كَوَكْبَانِ مَضِيئَانِ. وَالرِّغَامُ: التَّرَابُ.

الفقر والسقام

أَيُّ مَضْنَى يَمُدُّهَا بِاِكْتِنَابِ أَنَّةَ تَتْرَكَ الْحِشَا فِي التَّهَابِ
يَتَشَكَّى وَاللَّيْلَ وَحُفَّ الْإِهَابِ ضَمِنَ بَيْتَ جَنَّا عَلَى الْأَعْقَابِ^١
صَفَعْتَهُ، فَمَالَ، كَفُّ الْخَرَابِ^٢

تَسْمَعُ الْأُذْنَ مِنْهُ صَوْتًا حَزِينًا رَاجِعًا فِي حِشَا الظَّلَامِ كَمِينًا
يَمْلَأُ اللَّيْلَ بِالْدَعَاءِ أَنِينًا رَبِّ كُنْ لِي عَلَى الْحَيَاةِ مَعِينًا
رَبِّ إِنْ الْحَيَاةَ أَصْلَ عَذَابِي

وَجَعَّ فِي مَفَاصِلِي دَقَّ عَظْمِي وَدِهَانِي وَلَمْ يَرْقَ لِعُدْمِي^٣
عَاقَنِي عَنْ تَكْسُبِي قُوَّتَ يَوْمِي رَبِّ فَارْحَمْ فَقْرِي بِصَحَّةِ جِسْمِي
إِنْ فَقْرِي أَشَدَّ مِنْ أَوْصَابِي^٤

يَا طَبِيبًا وَأَيْنَ مِنْكَ الطَّبِيبُ؟! حَالُ دُونَ الطَّبِيبِ فَقْرٌ عَصِيبٌ^٥
لَا أَصَابَ الْفَقِيرَ دَاءٌ مُصِيبٌ إِنْ سَقَمَ الْفَقِيرُ شَيْءٌ عَجِيبٌ
بَطَلَتْ فِيهِ حِكْمَةُ الْأَسْبَابِ



رَجُلٌ مَعْسَرٌ يَسْمَى بِشِيرَا كَانَ يَسْعَى طَوْلَ النَّهَارِ أَجِيرَا
كَاسِبًا قُوَّتَهُ زَهِيدًا يَسِيرَا مَالِكًا فِي الْمَعَاشِ قَلْبًا شُكُورَا
رَاجِعًا فِي الْمَعَادِ حَسَنَ الْمَآبِ^٦

عَالَ أَخْتًا حَكْتُهُ خُلُقًا نَزِيرًا عَانَسًا جَاوَزَ الزَّوْاجَ سَنِيرًا^٧
لَزِمَتْ بَيْتَ أُمِّهَا وَأَبِيهَا مَعَ أَخِيهَا تَعِيشَ عِنْدَ أَخِيهَا
مِثْلَهُ فِي طَعَامِهِ وَالشَّرَابِ

كُلَّ يَوْمٍ لَهُ ذَهَابٌ وَمَأْتَى فِي مَعَاشٍ مِنْ كَدِّهِ يَتَأْتَى^٨
هَكَذَا دَابَهُ مَصِيفًا وَمَشْتَى فَاعْتَرَاهُ دَاءُ الْمَفَاصِلِ حَتَّى
عَاقَهُ عَنْ تَعِيشٍ وَاكْتِسَابِ

بينما كان في قواه صحيحا ساعيا في ارتزاقه مستميجا^٩
إذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا^{١٠}

جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى^{١١}
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطرات من عينه تتهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب^{١٢}

إن سقما به وعقما ألما تركاه يذوب يوما فيوما
فهو حينما يشكو إلى القسم عذما وهو يشكو حينما إلى العدم سقما
باكيا من كليهما بانتحاب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزا إذ تعزیه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عز صبري عزاً إن للداء في المفاصل وخزا^{١٣}
مثل طعن القنا ووخز الحراب^{١٤}

قد تمادى به السقام وطالا وتراعى له الشفاء محالا
إذ قلاباً به السقام استحالا كان هيئاً فصار داء عضالا^{١٥}
ناشبا في الفؤاد كالنشاب^{١٦}

♦ ♦ ♦

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالأداهم^{١٧}
منفقاً عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يُبتلى بهذا المصاب

قال والأخت أخبرته بأن قد كربت عندها الدراهم تنفذ:^{١٨}
أخبري السقم علّه يتبعّد أيها السقم خلّ عيشي المنكد
لا تُعني في عيشتي عن طلبي

مرّضيني شقيقتي مرّضيني وعلى الكسب في غدٍ حرّضيني
وإذا مسك الطوى فارفضيني أو على الناس للمبيع اعرضيني^{١٩}
علّهم يشتروني مما بي

رام خبزاً والجوع أذكى الأوارا في حشاه فعلّته انتظارا
ثم جاءت بالماء تُبدي اعتذارا وهل الماء، وهو يطفئ نارا
يطفئ الجوع ذاكياً في التهاب؟!^{٢٠}

خرجت فاطم إلى جارتها وهي تُذري الدموع من مقلتيها
فأبانت برقةً حالتها من سقام ومن سعار لديها^{٢١}
وشكت بعد ذا خلّ الوطاب

فانثنت وهي بين ذلّ وعزٍّ تحمل التمر في يدٍ فوق خبزٍ ٢٢
وبأخرى سمناً وبعض أرزٍّ منحوها به وذو العرش يجزي
مَنْ أعان الفقير حسن الثواب



ليلة تنتشر العواطفُ دُعرا في دجاها حيث السحاب اكفها ٢٣
ذا هزيمٍ يمجُّ في الأذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تترى ٢٤
كهربائيةً سرت في السحاب

مدّ فيها ذاك المريض الأكفّا في فراش به على الموت أوفى ٢٥
طرفها كالسّها يبين ويخفى حيث يُغضي طرفاً ويفتح طرفاً ٢٦
عاجراً عن تكلم وخطاب

فدعته والعين تُذري الدموعا أخته وهي قلبها قد ريعا
يا أخي أنت ساكن أفجوعاً؟ ساكت أنت يا أخي أم هجوعاً؟ ٢٧
فاشفني يا أخي برجع الجواب

فرأت منه أنّه لا يجيبُ فتداننت والدمع منها صبيبُ
ثم أصغت وفي الفؤاد وجيبُ ثم هابت والموت شيء مهيبُ ٢٨
ثم قامت بخشية وارتباب

خرجت فاطمٌ من البيت ليلاً حيث أرخى الظلام سِدلاً فسدلاً ٢٩
وهي تبكي والغيث يهطل هطلا مثل دمع من مقلتيها استهلا
أو كماءٍ جرى من الميزاب

ربّ أدرك باللفظ منك شقيقي وامنع الغيث ربّ عن تعويقي
ومرّ البرق أن يضيءَ طريقي ببريقٍ يبيده إثرَ بريق
فعسى أهتدي به في ذهابي

قرعت في الظلام باب الجار وهي تبكي الأسى بدمع جار
ثم نادت برقّةً وانكسار أمّ سلمى ألا بحقّ الجوار
فافتحي إنني أنا في الباب

فأنتها سَعْدَى وقد عرفتُها وعن الخطب في الدجى سألتها ٣٠
ثم سارت من بعد ما أعلمتها تقتفيها وبنتها تبعتها
فتخطين في الدجى بانسياب ٣١

جنن والسُّحب أفلعت عن حياها وكذاك الرعود قلّ رغاها ٣٢
حيث يأتي شبه الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها
مومضاً في السماء بين الرباب ٣٣

فدخلن المحلّ وهو مخيف حيث إنّ السكوت فيه كثيف ^{٣٤}
وضياءُ السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
دبّ منه الحمام في الأعصاب ^{٣٥}

قالت الأخت أم سلمى: انظريه ثكلت روح أمه وأبيه ^{٣٦}
فرأت منه إذ دنت نحو فيه نفّسًا مبطئ التردد فيه
ثم قد غاله الردى باقتضاب ^{٣٧}

وجمت حيرة وبعد قليل رمقت فاطمًا بطرفٍ قليل ^{٣٨}
فيه حمْلٌ على العزاء الجميل فعلا صوت فاطمٍ بالعويل
وبكت طول ليلها بانتحاب

فاستمرّت حتى الصباح تُوالي زفرات بنارها القلب صالٍ ^{٣٩}
فأتاها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذاك الجنب ^{٤٠}

وقفوا موقفًا به الفقر ألقى منه ثقلًا به المعيشة تشقى
فرأوا دمع فاطمٍ ليس يرقا وأخوها ميّت على الأرض ملقى ^{٤١}
مُدرَج في رثائن الأثواب ^{٤٢}

فغدت فاطمٌ ترنُّ رنينًا ببكاء أبكت به الواقفينا
ثم قالت لهم مقالًا حزينًا أيها الواقفون هل ترحمونا
من مُصابٍ دها وأي مصابٍ! ^{٤٣}

أيها الواقفون لا تهملوه دونكم أدمعي بها فاغسلوه
ثم بالثوب ضافيًا كفنوه وادفنوه لكن بقلبي ادفنوه
لا تواروا جبينه بالتراب

بعد أن ظلّ لافتقاد المال وهو مُلقى إلى أوان الزوال
جاد شخص عليه بعد سؤال بريال وزاد نصفَ ريال
رجل حاضر من الأجانب ^{٤٤}

كفنوه من بعد ما تمّ غسلا وتمشوا به إلى القبر حملا
فترى نعشهُ غداة استقلّا نعش من كان في الحياة مقلّا ^{٤٥}
دون ستر مكسّر الأجانب

ناحت الأخت حين سار وصاحت أختك اليوم لو قضت لاستراحت
ثم سارت مدهوشةً ثم طاحت ثم قامت ترنو له ثم راحت ^{٤٦}
تسكب الدمع أيما تسكاب

أيها الحاملوه لا مشي ركض إن هذا يوم الفراق المُمضّ ^{٤٧}

فاسألوه عن قصده أين يمضي إنه قد قضى ولم يك يقضي

واجبات الصبا وشرح الشباب ٤٧

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساه شظايا ٤٨

قاتل الله يا ابن أمي المنايا أنا من قبلُ مذُ حسبت الرزايا

لم يكن رزءُ موتكم في حسابي

إن ليلي وليس من راقديه كلما جاءني وذكرنيه ٤٩

قلت والدمع قائلٌ لي: إيه! يا فقيدًا أعاتب الموت فيه ٥٠

بيكائي وهل يفيد عتابي!؟

رحتُ يومًا وقد مضت سنتان أتمشى بشارع «الميدان»

مَشْيَ حيرانَ خطوه مُتَدان أثقلتُ الحياة بالأحزان ٥١

وسقته كأسًا كطعم الصاب ٥٢

بينما كنت هكذا أتمشى عرضتُ نظرة فأبصرتُ نعشا

باديًّا للعيون غير مغشى نقش الفقر فيه للحزن نقشا

فبدا لوح أبوس واكتئاب

قلتُ سرًّا، والنعش يقرب مني: أيها النعش أنت أنعشتَ حزني

للأسى فيك حالة ناسبتني إن بدا اليوم فيك حزن فإني

أنا للحزن دائماً ذو انتساب

رحتُ أسعى وراءه مذ تعدّى مسرعًا في خطاي لم آل جهدا ٥٣

مع رجالٍ كأنجم النعش عدًّا هم به سائرون سيرًا مجدًا ٥٤

فنراه يمر مرَّ السحاب

مذ لَحَدْنَا ذاك الدفين وعدنا قلت، والدمع بلّ مني رُدنا: ٥٥

إن هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا مَنْ الذي قد لحدنا

فتصدّى منهم فتى لجوابي

قال: إن الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير

بقيت بعده بعيش عسير وبطرف باكٍ وقلب كسير

وقضت مثله بداء القلاب

قلت: أقصِر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تزلزل قلبي

ثم ناجيت والضراعة ثوبي ربِّ رحماك ربِّ رحماك ربي ٥٦

ربِّ رشدًا إلى طريق الصواب

ربِّ إن العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربَّ عفواً وفضلا

فاعفُ عن أخذهم وإن كان عدلا أنت يا ربَّ أنت بالعفو أولى

منك بالأخذ والجزا والعقاب

قد وردنا والأرض للعيش حوضٌ واحد كلنا لنا فيه خوض
فلماذا به مشوب ومحضٌ؟ عِظَةٌ حكمة الإله، فبعض^{٥٧}

في نعيم وبعضنا في عذاب

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نِعَمَ اللَّهِ حيث ما إن رحمتكم
سهر البائسون جوعًا ونمتم بهناءٍ من بعد ما قد طعمتم
من طعامٍ منوعٍ وشراب

كم بذلتُم أموالكم في الملاهي وركبتُم بها متون السفاه!
وبخلتم منها بحق الإله أيها الموسرون بعض انتباه!
أفتدرون أنكم في تباب؟!^{٥٨}

-
- ١ الوحف: الشعر الكثير الأسود. الإهاب: الجلد، يصف شدة ظلام الليل. جثا على الأعقاب: يريد أنه قارب أن يتهدم.
 - ٢ كف: فاعل صفعت.
 - ٣ العدم: الفقر.
 - ٤ الأوصاب: الأمراض.
 - ٥ عصيب: شديد.
 - ٦ أي أن ذلك المضى الذي مرَّ ذكره في أول القصيدة هو رجل معسر ... إلخ.
 - ٧ عال أختًا: كفلها وكفاها معاشها. العانس: هي التي طال مكثها في بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج.
 - ٨ يتأتى: يتهيا.
 - ٩ مستميحًا: طالبًا.
 - ١٠ الطليح: المهزول.
 - ١١ نشاوى: سكارى، جمع نشوان.
 - ١٢ الشهاب: هو ما يَرى كأنه كوكب قد سقط.
 - ١٣ الوخز: الطعن غير النافذ برمح أو إبرة أو غير ذلك.
 - ١٤ القنا: جمع قنّاء، وهي الرمح.
 - ١٥ القلاب: داء القلب، داء عضال: شديد متعب غالب.
 - ١٦ ناشبًا: عالقًا.

- ١٧ أعوزته المطاعم: احتاج إليها فلم يقدر عليها. موثقًا: مقيدًا. الأدهم: القيود.
- ١٨ كربت: كادت.
- ١٩ الطوى: الجوع.
- ٢٠ السعار بضم السين: شدة الجوع.
- ٢١ الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن من الجلد، وخلو الوطاب كناية عن الفقر والحاجة.
- ٢٢ انتنت: رجعت.
- ٢٣ ذعرًا: خوفًا. اكفهر: تراكم واشتدت ظلمته.
- ٢٤ الهزيم: الرعد وصوته. يمج: يلقي. الوقر: الصمم. صولجان وهو ما تضرب به الأكرة، وصولج البرق: هي الرياح التي تسوق السحب بشدة، فيحصل منه الاحتكاك الذي يولد البرق، فإن كان الاحتكاك أعظم حصل مع البرق صوت الرعد.
- ٢٥ أوفى: أشرف.
- ٢٦ السها: نجم خفي تمتحن الأبصار برؤيته، يغضي: يغمض.
- ٢٧ الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة، وجوعًا: مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من ساكت، وأصل العبارة: أفأنت ساكت جوعًا أم أنت ساكت هجوعًا؟ أي نومًا؟
- ٢٨ الوجيب: الخفقان والرجفان.
- ٢٩ السدل: الستر.
- ٣٠ الخطب: الأمر.
- ٣١ الانسياب: الإسراع في المشي.
- ٣٢ الحيا: المطر. الرغاء: صوت الرعد.
- ٣٣ الرباب بفتح الراء: السحاب الأبيض الذي أراق ماءه.
- ٣٤ شبه كثرة السكون بجيش كثيف أو عظيم.
- ٣٥ الحمام: الموت.
- ٣٦ تكلته أمه: فقدته.
- ٣٧ غاله: أهلكه. الاقتضاب: الاقتطاع والانتزاع.
- ٣٨ وجمت: سكتت من كثرة الغم والحزن.
- ٣٩ صال: محترق.
- ٤٠ الصعاليك: الفقراء، مفردها صعلوك. الجناب: هو المكان القريب من محلة النوم.
- ٤١ ليس يرقًا: لا يجف، وأصله يرقًا بالهمز فخفف.
- ٤٢

- مدرج: مكفن. ورثاﺏ الأﺛواب: البالي منها.
- ٤٣ الأنجاب: جمع نجب، وهو السخي الكريم.
- ٤٤ استقل: ارتفع. مقلًا: فقيرًا.
- ٤٥ طاحت: سقطت.
- ٤٦ الممض: الموجه المؤلم.
- ٤٧ شرح الشباب: أوله.
- ٤٨ طاح: معناها هنا ذهب. من أساء: من حزنه. شطايا: قطعًا، وهو جمع شظية، وتطلق على كل فلقة من شيء.
- ٤٩ راقديه: النائمين فيه.
- ٥٠ إيه: كلمة يطلب بها استزادة الحديث.
- ٥١ متدانٍ: متقارب.
- ٥٢ الصاب: شجر مر.
- ٥٣ تعدى: تجاوز.
- ٥٤ أي: عدد حاملي النعش كعدد أنجم بنات نعش، وهي سبعة.
- ٥٥ الردن بضم الراء: أصل الكم.
- ٥٦ الضراعة ثوبي: أي وأنا لابس ثوب الضراعة.
- ٥٧ مشوب: مخلوط. محض: خالص من الكدورة.
- ٥٨ التباب: الخسران.

تنبيه النيام

ويذهب عن هذي النيام هجودها؟
فينجاب عنها رينها وجمودها؟^١
فقد عاث فيها بالمظالم سيدها^٢
أسيرة حكام ثقال قيودها
وقد كان رؤاد الأمان ترودها^٣
فضاقت على الأحرار ذرعاً حدودها

أما أن أن يغشى البلاد سعودها
متى يتأتى في القلوب انتباهها
أما أسد يحمي البلاد غضنفر؟
برئت إلى الأحرار من شر أمّة
سقى الله أرضاً أمحلت من أمانها
جرى الجور منها في بلادٍ وسيعه



يسوسهم بالموبقات عميدها
وأموالها منهم ومنهم جنودها
وساد على القوم السراة مسودها
يُردُّ مهائناً عن سبيل يريدها
وعاب لبيداً في النشيد بليدها^٤
يعزُّ على أهل الحفاظ جحودها^٥

عجبت لقوم يخضعون لدولة
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
إذا وليت أمر العباد طغاتها
وأصبح حرّ النفس في كل وجهة
وصارت لنائم الناس تغلو كرامها
فما أنت إلا أيها الموت نعمة



مُنَى كل نفس وصلها ووفودها
وتبدو المعالي حيث أطلع جيدها^٦
أناساً تمنى الموت لولا وعودها
فما ضرّها، وا لهفتا! لو تعودها^٧

ألا إنما حرّية العيش عادة
يُضيء دجّنات الحياة جبينها
لقد واصلت قومًا وخلت وراءها
وقد مرضت أرواحنا في انتظارها



على نُوبِ أعياء الحُصاة عديدها؟!
إذا حُمّلت الراسيات يئودها؟!^٨
على حين يُزري بالرجال قعودها
فجاءت أمورٌ ساءَ فيكم عتيدها^٩

بني وطني ما لي أراكم صيرتم
أما أدكم حمل الهوان فإنه
قعدتم عن السعي المؤدّي إلى العلا
ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده

أَلَمْ تَرَوْا الْأَقْوَامَ بِالسَّعْيِ خَلَدَتْ
وَسَارُوا كَرَامًا رَافِلِينَ إِلَى الْعَلَا

مَآثِرُ يَسْتَقْصِي الزَّمَانَ خُلُودَهَا
بِأَثْوَابٍ عَزٍّ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدَهَا



قَدْ اسْتَحْوَذَتْ، يَا لِلْخَسَارِ! عَلَيْكُمْ
وَمَا اتَّقَدَّتْ نَارَ الْحَمِيَّةِ مِنْكُمْ
وَلَوْلَا اتِّحَادُ الْعَنْصَرِينَ لَمَّا غَدَا
إِذَا جَاهِلٌ مِنْكُمْ مَشَى نَحْوَ سُبَّةٍ
كَأَنَّكُمْ الْمَغْرَى تَهَاوَيْنَ عِنْدَمَا
وَمَا ثَلَّةٌ قَدْ أَهْمَلَتْهَا رُعاتُهَا
فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يَحَامِي مَرَايحَهَا
بِأَضْيَعٍ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا ذُو شَهَامَةٍ

شَيَاطِينُ إِنْسٍ صَالٍ مِنْكُمْ مَرِيدَهَا^{١٠}
لَفَقَدَ اتِّحَادٌ فَاسْتَطَالَ خُمُودَهَا^{١١}
مِنَ النَّارِ يَذْكُو لَوْ عَلِمْتُمْ وَقُودَهَا
مَشَى جَمْعَكُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يَرِيدَهَا^{١٢}
نَزَا فَنَزَتْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَتُودَهَا^{١٣}
بِمَأْسَدَةٍ جَاعَتْ لِعَشْرِ أُسُودَهَا^{١٤}
فَرَأَسَ بَيْنَ الضَّارِيَاتِ تَبِيدَهَا
يَذُبُّ الرِّزَايَا عَنْكُمْ وَيُزَوِّدَهَا^{١٥}



أَتَطْمَعُ هَذَا النَّاسَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَنَى
فَهَلْ لَمَعَتْ فِي الْجَوِّ شُعْلَةٌ بَارِقُ
وَأَدْخَنَةُ النَّيِّرَانِ لَوْلَا اشْتَعَالُهَا
وَإِنَّ مِيَاهَ الْأَرْضِ تَعَذَّبَ مَا جَرَتْ
وَمَنْ رَامَ فِي سَوْقِ الْمَعَالِي تِجَارَةً

وَلَمْ تَوْرِ فِي يَوْمِ الصَّدَامِ زَنُودَهَا^{١٦}
وَمَا ارْتَجَسَتْ بَيْنَ الْغَيُومِ رَعُودَهَا؟^{١٧}
لَمَّا تَمَّ فِي هَذَا الْفَضَاءِ صُعُودَهَا
وَيَفْسُدُهَا فَوْقَ الصَّعِيدِ رُكُودَهَا
فَلَيْسَ سِوَى بَيْضِ الْمَسَاعِي نَقُودَهَا

١ الرين: ما غطى على القلب بحيث يحجب عنه رؤية الحقيقة.

٢ عاث فيها: أفسدها. السيد الذئب.

٣ الرواد: جمع رائد، وهو الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانًا ينزلون فيه، يقال منه: راد المكان يروده، يرتاده؛ بمعنى طلبه.

٤ لبيد: عَلِمَ الشاعر المشهور.

٥ أهل الحفاظ: المحامون عن عوراتهم، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم.

٦ أتلع عنقه: مده متناولًا.

٧ تعودها: تزورها من عيادة المريض.

٨ أدكم: أثقلكم. يتوودها: يتقلها.

٩ العتاد: العدة لأمر ما تهيئه وما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب. العتيد: الحاضر المهيأ، يقول: لم تستعدوا للركي فيما مضى، فجاءكم يوم ساءكم فيه حاضرکم، ويعني بالحاضر ما كانت تقاسيه الأمة من جور الحكام واستبداد الطغاة، وهو يصلح لحالنا

الحاضرة أيضًا، ويكون حاضرننا السابق ماضيًا، وحريتنا الآن حاضرننا، فإنها جاءتنا على غير استعداد منا لها بما أفسده الظالمون من نفوسنا فأسأنا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب ما يوحيه المتقهقرون إلى زعانف القوم وما يبيثونه في نفوسهم من الشرور، تارة باسم الوطنية، أصلح الله الأحوال وجعل كيد الرجعيين في ضلال.

١٠ المريد: الخبيث المتمرد الشرير.

١١ أي إن نار حميتكم لم تنقذ لأنكم لم تتحدوا، فإن اشتعال النار لا يكون إلا باتحاد العنصرين: الأكسجين والكربون.

١٢ السبة: العار.

١٣ نزا: وثب. العتود: الجدي الذي استكرش، أو هو ما رعى وقوي وأتى عليه حول؛ يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر نتابعه عليه من غير أن نعلم ما هو ولا أن ندري أكانت عاقبته شرًا أم خيرًا؟

١٤ النلة يفتح الثاء: الجماعة الكثيرة من الغنم، وأما النلة بضم الثاء: فهي الجماعة من الناس. المأسدة: المكان الذي تكثر أو ترى فيه الأسود.

١٥ يذب: يدفع، ومثله يذود.

١٦ أوري الزند: أخرج ناره، والزند: العود الذي يقتدح به النار، والأسفل يقال له: زنده.

١٧ ارتجست السماء: رعدت، وارتجس البناء: رجف وتحرك حركة سمع لها صوت.

سوء المنقلب

- بغدادُ حسبك رقدةٌ وسُبَّاتُ
وَلَعْتُ بِكَ الأحداثَ حتى أصبحت
قلبَ الزمانِ إليك ظهرَ مجنَّه
ومن العجائب أن يمسَّكَ ضربه
إذ من دِيالَةٍ والفرات ودجلة
إن الحياةَ لفي ثلاثة أنهر
قد ضلَّ أهلك رشدهم وهل اهتدى
قومٌ أضاعوا مجدهم وتفرَّقوا
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا
يا صابرين على الأمور تسومهم
لا تهملوا الضررَ اليسير فإنه
فالنار تلهب من سقوط شرارةٍ
لا تستنيموا للزمان توكلاً
فإلى متى تستهلكون حياتكم
تالله إن فعالكم بخلافه
أفتزعمون بأن تترك السعي في
إن صحَّ نقلكم بذاك فبيِّنوا
لم تلقَ عندكم الحياةَ كرامةً
شقيت بكم لَمَّا شقيتم أرضكم
وجهلتم النهجَ السويَّ إلى العلا
بالعلم تنتظم البلاد فإنه
إن البلاد إذا تخاذل أهلها
تلك الرُصافة والمياه تحفُّها
- أوما تمضُّك هذه النكباتُ؟! ^١
أدواء خطبك ما لهنَّ أساةُ ^٢
أفكان عندك للزمان تراثُ؟! ^٣
من حيث ينفع لو رعتك رعاةُ ^٤
أُمست تحلُّ بأهلك الكربات
تجري وأرضك حولهنَّ موات
قومٌ أجاهلهم هم السَّروَات؟! ^٥
فتراهمُ جمعاً وهم أشنات
سعيًا مغبَّةً تركه الإعنات ^٦
خسفاً على حين الرجال أباةُ ^٧
إن دام ضاقت دونه الفلوات ^٨
والماء تجمع سيله القطرات
فالدهر نزاًء له ونَبَات ^٩
فوضى وفيكم غفلةٌ وأناةُ ^{١٠}
نزل الكتاب وجاءت الآيات ^{١١}
هذي الحياةُ توكلاً وثقاةُ؟! ^{١٢}
أو قام عندكم الدليل فهاتوا
في حالةٍ فكأنكم أموات
فلها بكم ولكم بها غمرات ^{١٣}
فترادفت منكم بها العثرات
لرفيَّ كل مدينة مرقاةُ
كانت منافعها هي الآفات
والكرخ قد ماجت به الأزमत

سالت مياه الواديين جوارفًا
فتهاجم الممان من ضفتيهما
حتى إذا اتصل الفرات بدجلة
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت
فسقت بيوت الكرخ شرَّ مقيي
واستنقعت فيها المياه فطحلت
حتى استحال الكرخ مشهد أبوس
طرقاته مسدودة ودياره
يا كرخ عز على المروءة أنه
فلئن أمانتك السيول فإنما



من مبلغ المنصور عن بغداده
أمت تتاديه وتتدب أربعا
وتقول: يا لأبي الخلائف لو ترى
لغدوت تتكرني وتبرح قائلاً
أين البروج بنيتهاً مشيدةً
أين الجنان بحيث تجري تحتها الـ
أترى أبو الأمان يعلم بعده
لا دجلة يا للرزية دجلة
كان الفرات يمد دجلة ماؤه
إذ بين دجلة والفرات مصانع
يا نهر عيسى أين منك موارد
ماذا دهى نهر الرفيل من البلى
إذ قصر عيسى كان عند مصبه
أم أين بركة زلزل وزلالها السلـ
يا نهر طابق لا عدمتك منها
أم أين كرخايا تمد مياهه
أم أين نهر الملك حين تسلسلت
قد كان تزدرع الحبوب بأرضه
أم أين نهر بطاطيا تأتيه من
وله فروع أصلهن لشارع الـ

فطفحن والأسداد مؤتكلات^{١٤}
فتناطحا وتوالت الهجمات
وتساوت الوهدات والربوات
بالكرخ نازلة لها ضوضاء
منها فقاءت أهلها الأبيات^{١٥}
بالمكث ترغو تحتها الحمات^{١٦}
تبكي به الفتیان والفتيات
مهدومة وعراضه قذرات
لجج المياه عليك مزدحمات
أواجهن عليك ملتطمات

خبراً تفيض لمثله العبرات
طمست رسوم جمالها الهبوات
أركان مجدي وهي منهدمات!^{١٧}
بتعجب: ما هذه الخربات؟!
أين القصور علت بها الشرفات؟!
أنهار يانة بها الثمرات؟!
بغداد كيف تروعا النكبات؟
بعد الرشيد ولا الفرات فرات
بداول تُسقى بها الجنات
تقتر عن شنب بها السنوات^{١٨}
عذبت وأين رياضك الخضلات؟^{١٩}
حيث المجاري منه مندرسات؟!^{٢٠}
وعليه منه أطلت الغرفات^{٢١}
سال تسرح حوله الطبيبات^{٢٢}
أين الصراة تحفها الروضات؟^{٢٣}
نهر الدجاج فتكثر الغلات؟
فيه المياه وهن مطردات؟
فتسح فيه بفيضها البركات
نهر الدجيل مياهه المجراة؟
كشب المجاري منه منتهيات

تتمو الزروع بسقيه فغلالة
لهفي على نهر المَعْلَى إذ غدت
نهر هو الفردوس تدخل منه في
كالسيف مُنْصَلَّتًا تضاحك وجهه الـ
إذ نَهَر بَيْنَ عند كلواذي به
وبقره من نهر بُوقِ دارة
يا قصر باب التبر كنت مقرِّناً
أيَّام تطلُّعك العدالة شمسها
أيام تبصرك الحضارة في العلا
أيام تتشدك العلوم نشيدها
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا
أيام يأتيك الشكِّي بأمره
تمضي الشهور عليك وهي أنيسة
ماذا دهاك من الهوان فأصبحت
قد ضيَّعت بغداد سابق عزِّها
كم قد سقاها السيل من أنهارها
واليوم قلت: بجانبها أرخوا

كل العراق ببعضها يقتات
لا تستبين جناحه النضرات
قصر الخلافة شعبة وقناة
أنوارٌ وهي عليه ملتزمات
مُلد الغصون تهزُّها النسمات ^{٢٤}
تتفي الهموم مروجها الخضرات
والنفي يصدر منك والإثبات ^{٢٥}
وترفُّ فوقك للهدى رايات
بدرًا عليك من الثنا هالات
فتعود منك على العلوم صلات
فتفيض منك لهم جدًّا وهبات ^{٢٦}
فيروح عنك وما لديه شكاة
وتمرُّ باسمه بك الساعات
أثار عزك وهي منطمسات؟!
وغدت تحبش صدرها الحسرات
ضرًّا وهنَّ منافع وحياة!
دقق السيول، فماجت الأزمات

١ السبات: النوم. تمضك: توجعك.

٢ الأحداث: النوازل. أدواء: جمع داء. أساة: أطباء.

٣ المجن: الترس، وقلب له ظهر المجن: أي صارحه بالعدواة، ترات: عداوات، وهي جمع ترة.

٤ رعاة: جمع راع.

٥ السروات: السادة والرؤساء.

٦ المغبة: العاقبة. الإعانات: الإذلال والإيقاع في الشدة وفي أمر يخاف منه.

٧ سامه الخسف: أذله وأهانته. أباة: لا يرضون الضيم والإهانة.

٨ الفلوات: الأراضي المتسعة.

٩ نزاء: وثاب.

١٠ الأناة: الحلم.

الفعال: بفتح الفاء، بمعنى الفعل.

١٢ التقاة: التقوى.

١٣ الغمرات: الشدائد.

١٤ الأسداد: جمع سد. مؤنكلات: أكل بعضها بعضًا.

١٥ شبه الماء الداخل إلى البيوت بما يشربه الإنسان من المقيئات، فكما يخرج الإنسان ما في جوفه بعد شرب المقيء، فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء.

١٦ طحلبت: علاها الطحلب وهي خضرة تعلق الماء المزمّن. الحمات: جمع حمأة وهي الطين الأسود؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت.

١٧ يا لأبي الخلائف: هو نداء استغاثة.

١٨ المراد بالشنب هنا: الخصب، والري والشنب في الأصل: هو الماء والرقّة والبرد والعذوبة في الأسنان، ويقول: افتر المحبوب: بمعنى ضحك، وافتر عن أسنان كالبرد.

١٩ الخضلات: المرتوية.

٢٠ الرفيل: نهر يصب في دجلة بغداد.

٢١ قصر عيسى: هو قصر عظيم في بغداد وكان مبنياً على شاطئ نهر الرفيل.

٢٢ بركة زلزل: بركة في بغداد كان قد بناها رجل يقال له: زلزل، وكان مشهوراً بضرب العود حتى ضرب به المثل، وكان في أيام المهدي والهادي والرشيد.

٢٣ نهر طابق: في بغداد يصب في نهر عيسى. الصراة: نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى.

٢٤ نهر بين: نهر بالعراق. كلواذي: قرية قرب بغداد. ملد: جمع أمد، وغصن أمد: ناعم.

٢٥ لعله باب التبن بالنون: وهي محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق.

٢٦ الجدا: العطية.

العادات

لهنَّ ينقاد في كل الإرادات
ينفكَّ عنهنَّ حتى في الملذات
حتى يرى في تعاطيه المسرات
تكون حاجاته إلا كثيرات
تعودي ما به تزداد حاجاتي
حتى تنال غناها بالمنيات
لما أسيغت بحالٍ بنت حانات
قوم بوقت انفرادٍ واجتماعات
ما عُدت الخمر أولى في البليات

كلُّ ابن آدم مقهور بعادات
يجري عليهن فيما يبتغيه ولا
قد يستلذ الفتى ما اعتاد من ضرر
عادات كل امرئٍ تأبى عليه بأن
إني لفي أسر حاجاتي ومن عجب
كل الحياة افتقارٌ لا يفارقها
لو لم تكن هذه العادات قاهرة
ولا رأيت سيكرات يدخنها
إن الدخان لثانٍ في البلاء إذا



في الكف وهي احتراقٌ في الحشاشات^١
ألقي اصفراراً على بيض الثنَّيات^٢
بل قد تفتُّ بفكيه المرات
وإنما أنا في تلك المصيبات
شربت لكن دخاناً من سيكراتي
أحرقْتُ ثوبي منه بالشرارات
إياكم في التذاذِ بالمُضِرَّات
إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
يسمُّ من دمنا تلك الكريات
إن كان لا بدَّ من هذي الحماقات
لُمني أَلْمُك ولا ترضِ اعتذراتي
على قلوبٍ لنا منهنَّ أشتات
من العيون فنأتي بالمداواة

وربَّ بيضاء قيد الأصبع احترقت
إن مرَّ بين شِفاه القوم أسودها
وليتها كان هذا حظُّ شاربها
عوائد عمَّت الدنيا مصائبها
إن كلَّفتني السكارى شرب خمرتهم
واخترت أهون شرٍّ بالدخان وإن
قلت: يا قوم تكفيكم مشاركتي
إني لأمتصُّ جمرًا لفَّ في ورق
كلاهما حُمقٌ يفتُر عن ضرر
حسبي من الحُمق المعتاد أهونه
يا مَنْ يدخن مثلي كلَّ أونةٍ
إن العوائد كالأغالل تجمعنا
مقيدين بها نمشي على حذرٍ

قد نُنكر الفعلَ لم تألفهُ عادتنا
وربَّ شنعاءٍ من عاداتنا حسُنت
عناكبُ الجهلِ كم أَلقت بأدمغة
فحرَّموا وأحلُّوا حسب عادتهم
حتى تراهم يرون العلمَ منقصةً
وحجَّبوهنَّ خوفَ العار، ليتهم
لم تحصِ سيئةَ العاداتِ مقدرتي
فكم لها بدْعٌ سودٌ قد اصطدمتُ
لو لم يكُ الدهرُ سَوْفًا راج باطلها
ولا استمرَّ دخانُ التبغِ منتشرًا
لو استطعتُ جعلتُ التبغَ محتكرًا
وزدتُ أضعافَ أضعافِ ضريبته
فيستريح فقير القوم منه ولا

وإن علمناه من بعض المباحات
في زعمها وهي من أجلى الشناعات
من الأنام نسيجًا من خرافات!
وشوَّهوا وجه أحكام الديانات
عند النساءِ وإن كنَّ العفيفات
خافوا عليهنَّ من عار الجهالات
مهما تفنَّنتُ منها في عباراتي
في الناس منهن آفاتٌ بآفات!
ما راجت الخمر في سوق التجارات
بين الورى وهو مطلوبٌ كأقوات
فوق احتقارٍ له أضعافَ مرات
حتى يبيعه قيراطًا ببدرات^٣
يبلى به غيرٌ مثرٍ ذي سفاهات



الحُرُّ من خرقَ العاداتِ منتهجًا
ومَنْ إذا خذل الناسُ الحقيقةَ عن
ولم يخفَ في اتِّباعِ الحقِّ لائمة
وعاملُ الناسِ بالإنصافِ مدرعًا
أغبى البريةَ أرفاهم لعادته

نهج الصواب ولو ضدَّ الجماعات
جهلٍ أقام لها في النَّاسِ رايات
ولو أتتهُ بحدِّ المشرفيات^٤
ثوب الأخوة من نسج المساواة
وأعقل الناسِ خَرَّاقُ لعادات^٥

١ أراد بالبيضاء: اللفافة من التبغ. وقيد الأصبع أي: مقداره.

٢ الشفاء: جمع شفة، الثنيات والثنايا: هي أربع أسنان في مقدم الفم، اثنتان من فوق واثنتان من أسفل، ومفردها ثنية.

٣ البدرات: جمع بدرة، وهي عشرة آلاف درهم.

٤ المشرفيات: السيوف.

٥ أرفاهم: اسم تفضيل من قولهم: رفاً الثوب.

بعد الدستور

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالي من سُلافتها صرفا
وزفّت لنا الدستور أحرارُ جيشنا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرًا
ورحنا نساوَى العزَّ يهتف بعضنا
ولاحت لنا حُرِّيَةُ العيش عندما
أتتْ عاطلاً لا يعرف الحلي جيدها
فجاءت بمطبوع من الحسن قد قضى
فلم نرض غير العلم تاجاً لرأسها
ولم نكسها إلا من العرف حُلّة
نشرنا لها منّا لفيفَ اشتياقنا
حللنا الحبي لما أتتنا كرامةً
عقدنا لها عقد اللّواء تعشُّقاً
رفعنا لواء النصر يهفو أمامها
فلم ترَ غير الرفق فينا سجيّةً

وغيّت لنا الدنيا تهنُّننا عزفاً^١
فأهلّا بما زفت وشكراً لمن زفّا
وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا
ببعض هتافاً يصعق الظلم والحيفا
أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفا
ولا كحلت عيناً ولا خضبت كفّاً
على الشّعْر أن لا يستطيع له وصفا
ولا غير شَنف العدل في أذنها شنفا^٢
وهل يكتسي الديباج من يكتسي العُرفا^٣
ونحن أناس نحسن النشر واللفّا^٤
وقمنا على الأقدام صفّاً لها صفّاً^٥
فكنا لها إلفاً وكانت لنا إلفا
ورحنا على صرف الزمان لها حلفا
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا



تحمل أعباء الصّدارة كامل
طوى كشحه منها على غير لطفها
نحا أن يتمّ الدست فيها لحزبه
وقد فاته أنّا أولو المعية
وأنّا نرى من قد تأبط شرّه
لنا فطنة ترمي الزمان بنورها

فناء به ما لم يخفّ وما خفاً
وأظهر من وجه الخداع بها اللطفا^٦
علينا وظنّ الأمر فيما نحا يخفى^٧
بها نخطف الأسرار من قلبه خطفاً
بعين تقدّ الإبط أو تخلع الكتفا
فيبدو حجاب الغيب منه وقد شفاً^٨

رمانا بشرُزُ اللّٰحظُ مزورُ طَرْفِهِ
فما نحن بعد اليوم مهما تنوعت
مددنا إلى كف الإخاء أَكْفَنَّا
فطاب لنا منه العِناقُ وضمَّنَّا
أُذُلًا وهذا العزُّ صرَّحَ سابغًا
إذا نحن قمنا مُحَنِّقِينَ رأيتنا
ونحن إذا ما الحرب أَفنت جياننا
تربَّع في صدر الوزارة كامل
وأُنحى عليها بالجفاء مشَتَّتًا
لقد أغضب الدستور فعلًا ونية
قد استوضَّحوه الأمر والأمر واضح
ولم يطلب الإمهال إلا لأنه
كذلك مَنْ صاغ الكلام ملفَّقًا
وَمَنْ قال حقًا قاله عن بديهة
فيا أيها «الصدر» الجديد اتَّعَظْ به
ويا مجلس النواب سِرْ غير عاثِرٍ
ودع عنك مذموم التَّجافِي فإنما
ألم ترَ أرجاء البلاد مَحُولَةً
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة
فإن لأهلها عليك لَذْمَةٌ
وما أنت إلا أمة قد تقدمت
ولا تنسَ مغبرَّ العراق وأهله
فدجلة أمست كالذُّجَيْلِ شحيحة
وإن «الفرات» العذب أمسى مرثَقًا
سَلِ «الحلَّة» الفيحاء عنه فإنها
فيا ويلَ قوم في العراق قد انطَوَّوا
ولم يذكروا مجدًا لهم كان ضاربًا
وكانوا به شَمُّ العرانيين فاغْتَدَوْا
يرجُّون من أهل القبور رجاءهم

فصحنا به أن غُضَّ يا كامل الطرْفَا
عناصرنا من أمة تحمل الخسفا
نصافحه شوقًا فمدَّ لنا الكفا
إليه فقبلناه من عينه أَلْفا
علينا إذن فالعزُّ أن ندرك الحتفا
ندكُ جبال الظلم ننسفها نسفا
قتالًا ركبنا الموت في حربنا طرْفَا^٩
فخط من النقصان في وجهها حرفا
نجاحًا بركنيها الركينين ملتفا
وَمَنْ أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
فأعياء إيضاح الحقيقة فاستغفى
رأى عذره أن لم يطل سبكه زيفا
تمهَّل حينًا يكثر الخط والحدفا
ويحتاج للتفكير من مؤه الخلفا^{١٠}
فيايك أن تطغى وأن تنثي العطفَا^{١١}
إلى المجد لا تلقى كلالًا ولا ضعفا
لغير التجافي اختارك الشعب واستصفى
من العلم فاستمطر لها الدَّيْمَ الوُطْفا^{١٢}
فحقَّق لها من طبِّ رأيك أن تشفى
ومثلك من راعي الدِّمام ومن وقى
أمامًا وقد خلَّت تفهقها خلفا
فإن البلاء الجَمَّ من حوله احتقَا
فلا أنبتت زرعًا ولا أشبعت ظلْفَا^{١٣}
به الماء يجفو أو به الماء قد جفَا^{١٤}
حكّت شهداء «الطف» إذ نزلوا الطفا^{١٥}
على الذل إذ أمست قلوبهم غُلْفا
رُواقًا على هام الكواكب قد أوفى
يقاسون أهوالًا به تجدع الأنفا^{١٦}
وَمَنْ يحمل الدُّبوس أو يضرب الدُّفَا^{١٧}

السلافة: أفضل الخمر، وهو ما تحلب وسال قبل العصر.

٢ الشنف: هو ما يعلق في الأذن من الحلي.

٣ العرف: المعروف.

٤ اللفيف: المجموع، ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى.

٥ الحبي: جمع حبوة، وهي ما يحتبي به الرجل من عمامة أو ثوب.

٦ طوى كشحه عنها: أي أعرض عنها.

٧ الدست: الحيلة والخديعة، ويطلق على ما يكون فيه الغلب في الشطرنج.

٨ شف الثوب: لم يحجب ما تحته.

٩ الطرف: الكريم من الخيل.

١٠ الخلف: هو أن تعد عدة ولا تنجزها.

١١ أراد بالصدر الجديد: حسين حلمي باشا. العطف: الجانب، وثني العطف: كناية عن الإعراض والجفاء.

١٢ محولة: مجدية لا مرعى فيها ولا كلاً. الديم: جمع ديمة، وهي مطر يدوم في سكون، بلا رعد ولا برق. الوطف: جمع وطفاء، وهي السحابة المسترخية لكثرة مائها.

١٣ الدجيل: شعبة من نهر دجلة.

١٤ مرنقاً: مكدراً غير صافٍ.

١٥ الحلة: قرية في طف دجيل بغداد. الطف: أرض من ضاحية الكوفة وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام.

١٦ العرائين: جمع عرينين، وهو الأنف.

١٧ يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص الشرعية القاضية بالسعي والاعتماد على النفس، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس، ويضربون الدفوف والمزاهر؛ ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجاله، وما هم إلا أهل لهو وبطالة.

إيقاظ الرقود

إلى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعياك إيقاظ الرقود؟!
فلست وإن شددت عرى القصيد بمُجدٍ في نشيدك أو مفيد
لأن القوم في غيٍّ بعيد

إذا أيقظتهم زادوا رقادا وإن أنهضتهم قعدوا وثادا
فسبحان الذي خلق العبادا كأن القوم قد خُلقوا جَمادا!
وهل يخلو الجماد عن الجمود

أطلت وكاد يُعينني الكلامُ مَلَمَّا دون وقعته الحسامُ
فما انتبهوا ولا نفع الملام كأنَّ القومَ أطفال نيام
نُهرٌ من الجهالة في مهود

إليك إليك يا بغدادُ عني فإني لستُ منك ولستُ مني
ولكنِّي وإن كُبر التجني يعزُّ عليَّ يا بغدادُ أني
أراك على شفا هولٍ شديد

تتابع الخطوبُ عليك تترى وبُذل منك خُلُو العيش مُرًا
فهلَّا تُجيبين فتىً أغرًا؟ أراكِ عَقمتِ لا تلدين حُرًا
وكنيتَ لمثله أزكى ولود

أقام الجهل فيك له شهودا وسامك بالهوان له السُّجودا
متى تُبدين منك له جحودا فهلَّا عدتِ ذاكرةً عهدا
بهن رَشدت أيام الرشيد؟

زمانَ نفوذٍ حكمك مستمرُّ زمانَ سحابٍ فيضكٍ مستدرُّ
زمانَ العلمُ أنت له مقرُّ زمانَ بناءٍ عزك مُشْمَخِرُّ
وبدُرُ علاك في سعدٍ السعود

برَحبتِ الأوجِ ميلًا للحضيضِ وضقتِ وكنت ذات عُلَا عريضِ

وقد أصبحت في جسم مريض وكنت بأوجه للعز بيض
فصرت بأوجه للذل سود

ترقى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغداد قطنا! ^١
إلى كم نحن في عيش القروء!

ألم تك قبلنا الأجداد تبني بناء للعلوم بكل فن؟
لماذا نحن يا أسرى التأني أخذنا بالتقهقر والتدني؟!
وصرنا عاجزين عن الصعود

كأن زحل يشاهد ما لدينا لذاك احمر من حنق علينا
فقال موجهاً لوماً إلينا: لو أنني مثلكم أمسيئ هينا
إذن لنصوت جلابب الوجود

ركدتم في الجهالة وهي تمشي وعشتم كالوحوش أخس عيش
أما فيكم فتى للعز يمشي؟! تبارك من أدار بنات نعش! ^٢
وصفدكم بأصفاد الركود

حكيتم في توقفكم جدياً فصرتم كالسها شعباً خفياً ^٣
ألا تجرون في مجرى الثريا تؤم بدورها فلكا قصياً؟
فتبرر منه في وضع جديد



حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت
فلا أحداً دعت ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت
فيشرها بتمزيق الجدود

حكومتنا تميل لباخسيها مجانبة طريق مؤسسيها
فلا يغررك لين ملبسيها فهم كالنار تحرق لامسيها
وتحسن للنواظر من بعيد

لقد غص «القصيم» بكل نذل وأمسى من تخاصمهم بشغل ^٤
فريقاً خطت غي وجهل كلا الخصمين ليس له بأهل
ولكن من لتكيل المريد ^٥

إليهم أرسلت بغداد جندا ليهلك فيه من عبث ويفدى
لقصدي ابن الرشيد أضاع قصداً فلا يا ابن الرشيد بلغت رُشداً
ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا يتحركون بعزم ساكن ورتة حالهم تبكي الأماكن

وقد تركوا الحلائل في المساكن جنود أرسلت للموت لكن
بفتك الجوع لا فتك الحديد

قد التفعوا بأسمال بوال مشاة في السهول وفي الجبال
يُجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال
وزي غير ما زِي الجنود

مشوا في منهج جهلوه نهجا يجوبون الفلا فجًا ففجًا^٦
إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لهفي على الشبان ترجى^٧
على عبث إلى الموت المبيد!

وكلُّ مُذ غدوا للبيت أمّا فودّع أهله زوجًا وأمّا^٨
وضمّ وليده بيدٍ وشمّا بكى الولد الوحيد عليه لَمّا
غدا يبكي على الولد الوحيد

تقول له الحليّة وهو ماش: رويدًا لا برحت أخا انتعاش!
فبعدك مَنْ يحصل لي معاشي؟! فقال، ودمعه بادي الرشاش:
وكلنكم إلى الربّ الوُدود

عساكر قد قضوا عُريًا وجوعا بحيث الأرض تبتلع الجموعا
إلى أن صار أغناهم ربوعا لفرط الجوع مرتضيا قنوعا
يقدّ لو أصاب من الجلود^٩

هناك قضوا وما فتحوا بلادا هناك بأسرهم نفدوا نفادا
هناك بحيرة عديموا الرشادا هناك لرّوعهم فقتوا الرقادا
هناك عزّوا هناك من البرود

أناديهم ولي شجنّ مهيج وأنكرهم فينبعث النشيج
ودمع محاجري بدم مزيج ألا يا هالكين لكم أجيج^{١٠}
نكا بحشاي محتدم الوقود

سكنّا عن جهالتنا بقاعا يجور بها المؤمّر ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعا وهبنا أمة هلكت ضياعا
تولى أمرها عبد الحميد

أيا حرية الصحف ارحمينا فإنا لم نزل لك عاشقينا
متى تصلين كيما تطلقينا عدينا في وصالك وامطينا
فإنا منك نقنع بالوعد

فأنت الروح تشفين الجروحا يُحرّج فقدك البلد الفسيحا
وليس لبلدة لم تحو روحا وإن حوت القصور أو الصروحا

أقول، وليس بعضُ القولِ جدًّا لسلطانٍ تجبّر واستبدا
تعدّي في الأمور وما استعدّا ألا يا أيها الملكُ المفدّي
وَمَنْ لولاهُ لم نكُ في الوجود

أنم عن أن تسوسَ الملك طرفا أقم ما تشتهي زمرا وعزفا
أطل نكرَ الرعية، خلّ عرفا سُم البلدان مهما شئت خسفا
وأرسل من تشاء إلى اللحد

فدتك الناس من ملكٍ مُطاع أبين ما شئت من طُرق ابتداع
ولا تخش الإله ولا تراع فهل هذي البلادُ سوى ضياع
ملكك، أو العبادُ سوى عبيد؟

تتعم في قصورك غير دارٍ أعاش الناس أم هم في بوار؟
فإنك لن تطالب باعتذار وهب أن الممالك في دمار
أليس بناء «يلدن» بالمشيد؟!

جميع ملوك هذي الأرض فُلكُ وأنت البحر فيك ندَى وهلكُ
فأنى يبلغوك وذاك إفكُ؟! لئن وهبوا النقودَ فأنت ملكُ
وهوبٌ للبلاد وللنقودِ

١ شحطنا: بعدنا. قطنا: حاسبنا وكافينا.

٢ بنات نعش قسمان: كبرى وصغرى، وكل منهما سبعة كواكب، أربعة نعش وثلاثة بنات.

٣ الجدي: أحد البروج الاثني عشر وأصله غير مصغر. السها: نجم خفي تمتحن الأبصار برؤيته.

٤ القصيم: اسم محل.

٥ المريد: بفتح الميم، هو الخبيث المتمرد الشرير.

٦ فجًا فجًا: أي طريقًا فطريقًا، وأصل الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

٧ تزجي: تدفع.

٨ أم: قصد.

٩ القد: بكسر القاف، هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنعل الذي لم يجرد عن الشعر.

١٠ الأجيح: الانتهاب.

١١ حياة مرفوع بليس؛ لأنه اسمها، وخبرها الجار والمجرور «بلدة».

الصدیق المضاع

علام حُرْمنا منذُ حين تلاقيا
عهدناك لا تلهو عن الخَلِّ ساعةً
وما لي أراك اليوم وحدك جالساً
أنابك خطبٌ أم عراكٌ تعشُّق؟
وما بالَ عَيْنِكَ اللَّتَيْنِ أراهما
وأيَّ جوى قد عُدتُ أصفر فاقعاً
تكلمُ فما هذا الوجومُ فإنني
تجلَّدُ تجلَّدُ يا «سليمُ» ولا تكن
ولا تبتئس بالدهر إن خطوبه



فقال ولم يملك بوادِرَ أدمع
لقد هَجَّتني يا أحمدُ اليوم بالأسى
أتعجب من حزني وتعلمُ أنني
لقد عشتُ في الدنيا أسيفاً وليتني
وقد كنت أشكو الكاشحين من العدا
وما رحْتُ أَسْتَشْفِي القلوبَ مداوياً
وداريتُ حتى قيلَ لي: متملِّقٌ
وحتى دعاني الحزمُ أن خلَّ عنهمُ
ورُبَّ أخ أوقرتُ قلبي بحبه
أراد انقيادي للهوان وما درى
إذا ما سمائي جاد بالذل غيْثها
ألا فابكِ يا أحمدُ اليوم رحمةً
فإنَّ أحق الناس بالرحمة امرؤ

تتناثرن حتى خِلْتَهِنَّ لآلِيا
وذكرتني ما كنت بالأمس ناسيا
قريعُ تباريحٍ تُشيبُ النواصيا ^١
ترحَّلت عنها لا عليَّ ولا ليا
فأصبحت من جور الأخلَّاء شاكيا ^٢
من الحقد إلا عُدتُ عنها كما هيا
وما كان من داءٍ التملُّقُ دائياً
فإن صريح الرأي ألا تداريا
فكنتُ على قلبي بحبيِّه جانيا ^٣
بأنِّي حرَّ النفس صعبٌ قياديا
أبيتُ عليها أن تكون سمائيا
ودعني وشأني والأسى وفؤاديا
أضاع وداداً عند مَنْ ليس وافيًا

وما كان حظي وهو في الشعر ضاحك
ركبتُ بحورَ الشعر رَهْواً ومالِجاً
وسيرتُ سفني في طِلاب فنونه
وقلتُ: اعصني يا شعرُ في المدح إنني
ولو رضيت نفسي بأمر يشينها
وكم قام ينعي حين أنشدت مادحاً
وكم بشرتني بالوفاء مقالة



فلماً بكى أمسكتُ فضل رداءه
وقلت له: هوّن عليك فإنما
وما ضرّ إن أصفيت ودّك معشرًا
كفى مفخرًا أن قد وفيت ولم يفوا
لعلّ الذي أشجأك يُعقب راحة
ألا رُبَّ شرٍّ جرّ خيرًا وربما
فلو أنّ ماء البحر لم يكُ مالحًا
ولولا اختلاف الجذب والدفع لم تكن
وكيف نرى للكهرباء ظواهرًا
تموت القوى إن لم تكن في تباين
فلا تعجب من أننا في تنافرٍ
وهبهم جفوك اليوم بُخلًا بودّهم
فطر في سموات القريض مُرفرفًا
فأنت امرؤٌ تُعطي القوافي حقها
يجيبك عفواً إن أمرت شروها
فقال، وقد ألقى على الصدر كفّه
لقد جئتني بالقول رطبًا ويابسًا
فإني وإن أبدى لي القوم جفوةً
وما أنا عن قومي غنيًا وإن أكن
إذا ناب قومي حادث الدهر نابني
وما ينفع الشعرُ الذي أنا قائلُ
ولستُ على شعري أرومٌ مَنوبة
وما الشعرُ إلا أن يكون نصيحةً

ليظهر إلا في سوى الشعر باكيا
وأقحمتُ منها كلَّ هولٍ يراعيًا^٤
وألقيتُ في غير المديح المراسيا
أرى الناس مَوْتى تستحق المراثيا
لما نطقت بالشعر إلا أهاجيا
إليّ الندى ناع فأنشدت راثيا!^٥
فلما انتهت للفعل كانت مناعيا!

وكفكفتُ دمعا فوق خديّهِ جاريا^٦
تتوبُ دواهي الدهر من كان داهيا^٧
من الناس لم يجنوا لك الودّ صافيا
فكنت الفتى الأعلى وكانوا الأدنى
فقد يشكر الإنسان ما كان شاكيا
يجرّ تجافينا إلينا التصافيا
لرُحنا من الطوفان نشكو الغواديا^٨
نجومٌ بأفلاكٍ لهنّ جواريا
إذا هي في الإثبات لم تلقَ نافيا
ويحيين ما دام التباين باقيا
ألم تر في الكون التنافر ساريا؟!
ألم تغن عنهم أن ملكت القوافيا؟
وأطلع لنا فيها النجوم الدّاريا
فتبدو وإن أرخصتهنّ غواليا
وتأتيك طوعًا إن دعوت العواصيا
فشدّ بها قلبًا من الوجد هافيا:^٩
فداويت لي سُقمًا وهيجت ثانيا
أمّني لهم مما أحبّ الأمانيا
أطولُ في العز الجبال الرواسيا
وإن كنت عنهم نازح الدارِ نائيا
إذا لم أكن للقوم في النفع ساعيا
ولكنّ نصح القوم جُلّ مراميا
تُنشّط كسلانًا وتنهض ثاويا

وليس سرِّي القوم مَنْ كان شاعرًا
فعلَّمهم كيف التقدُّم في العلا
وأبلى جديد الغيِّ منهم برشده
وسافر عنهم رائدًا خُصِب نفعهم
وإن أفسدتهم خطَّة قام مصلحًا

ولكن سرِّي القوم مَنْ كان هاديا
ومن أيَّ طُرُقٍ يبتغون المعاليا
وجدد رشداً عندهم كان باليا
يشقُّ الطوامي أو يجوب المواميا^{١٠}
وإن لدغتهم فِتنةٌ قام راقيا^{١١}

^١ القريع: الغالب في المقارعة.

^٢ الكاشح: العدو الباطن العداوة.

^٣ أوقرت: أثقلت.

^٤ الرهو: السير السهل. أقحمت يراعي: قذفته وأدخلته بشدة.

^٥ الندى: الكرم، يقول: إذا أنشدت مادحًا قام الناعي ينعي إليَّ الكرم؛ أي: يخبرني بموته، فأبدلت الرثاء بمدحي.

^٦ الفضل: الزيادة، وفضل الرداء: يريد به طرفه.

^٧ تنوب: تصيب. الداهي: العاقل، وصاحب الرأي الجيد. يقول: إن المصائب لا تصيب إلا العقلاء.

^٨ الغوادي: السحب الممطرة صباحًا.

^٩ هافيًا: مضطربًا.

^{١٠} رائدًا: طالبًا. الطوامي: أراد بها البحار، وأصلها من طما الماء والبحر؛ أي امتلأ. يجوب: يقطع. الموامي: جمع موماة، وهي الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.

^{١١} الراقي: هو الذي يقرأ وينفث؛ دفعًا لأذية اللدغ.

بعد البين

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعاً
فبارحتُ أرضاً ما ملأتُ حقائبي
عَتَبْتُ على بغداد عَتَبَ مودّع
أضاعتني الأيام فيها ولو دَرَت
لقد أَرْضعتني كلَّ خَسَفٍ وإنني
وما أنا بالجاني عليها وإنما
وأعملتُ أقلامي بها عَرَبِيَّةً
ولو كنت أدري أنها أعجمية
ولو شئتُ كايّلتُ الذين انطَوّوا بها
ولكن هي النفس التي قد أبت لها
أبيت عليهم أن أكون بذلّةً
على أنني داريتُ ما شاء حقّدهم
وأشقى الورى نفساً وأضيعهم نُهي
تركت من الشعر المديح لأهله
وأنشدته يجلو الحقيقة بالنهي
وأرسلته عفواً فجاء كما ترى



وقفت غداة البين في الكرخ وقفّةً
أودّع أصحابي وهم محدّقون بي
أودّعهم في الكرخ والطرف مرسل
وأدعم رأسي بالأصابع مُطَرِّقاً
وكنت أظن البين سهلاً فمذ أتى
وإني جبانٌ في فراق أحبتي

طوائجُ جاءت بالخطوب تباعا
سوى حبّها عند البرّاح متاعا
أَمْضَتْه فيها الحادثات قِراعا
لِعَزٍّ عليها أن أكون مُضاعا
لأشكرها أن لم تُنَمَّ رِضاعا
نهضتُ خِصاماً دونها ودفاعا
فلم تبدِ إصغاءً لها وسماعا
تخذتُ بها السيف الجُراز يِراعا^١
على الجِدِّ صاعاً بالعداءِ فصاعا
طباعُ المعالي أن تسوءَ طباعا
وتأبى الضواري أن تكون ضباعا
فلم يُجِدِ نفعاً ما أتيتُ وِضاعا
لبيبٌ يُداري في نُهاه رِعاعا
ونزّهت شعري أن يكون قِذاعا^٢
ويكشف عن وجه الصواب قِناعا
قوافي تجتاب البلاد سِراعا

لها كربت نفسي تطير شعاعا^٣
وقد ضيّقت بالبين المُشيت ذراعاً
إلى الجانب الشرقيّ منه شعاعاً
كأن برأسي يا أَمِيْمٌ صُداعا^٤
شرى البينُ مني ما أرادَ وباعاً
وإن كنت في غيرِ الفراق شجاعاً

كأنني وقد جدَّ الفراق سفينةً
فمالت بها الأرواح والبحرُ مائجٌ
فتحسبني من هزّةٍ فيّ أقدعاً
فما أنا إلا قومةٌ وانحناءةٌ
رعى الله قوماً بالرصافة كلما
أبيت، وما أقوى الهجوم! بمضجع
وألهو بذكرهم على السير كلما
هم القومُ أما الصبر عنهم فقد عصى
لقد حكّموني في الأمور فلم أكن
فلسْتُ أبالي بعد أن جدَّ بينهم
سلام على وادي السلام وإنني
له الله من وادٍ تكاسل أهله
رأهم عبيداً فاستبدَّ بمائه
جرى شاكرًا صنع الطبيعة إنَّها
وما أنس لا أنس المياء بدجلةٍ
ولو أنَّها تسقي العراق لما رمت
وما وجدّت ريحٌ وإن قد تناوحت
سأجري عليها الدمع غير مضيع
وأذكر هاتيك الرباع بحسناها

أشالت على الريح الهجوم شِراعا^٥
وقد أوشكت ألواحها تتداعى^٦
ترقّى هضابًا زلزلت وقلاعا^٧
وسرّ أذاعتها الدموعُ فذاعا
تذكرتهم زاد الفؤاد نزاعا^٨
تصارعني فيه الهموم صِراعا
هبطت وهادًا أو علوت يفاعا^٩
وأما اشتياقي نحوهم فأطاعا
لأنطق إلا أمرًا ومطاعا
زجرت كلابًا أم قحمت سباعا^{١٠}
لأجعل تسليمي عليه وداعا
فباتوا عطاشًا حوله وجياعا
ولم يُجد بين المجدبات مشاعا
أبانت يدًا في جانبيه صناعا
وإن هي تجري في العراق ضياعا
به الشمس إلا في الجنان شعاعا
مهبطًا به إلا قرى وضياعا
وأندب قاعًا من هناك فقاعا
فَنِعِمْتُ على شحط المزار رباعا^{١١}

١ الجراز: القاطع.

٢ قذاعا: سفاهة ومشاتمة.

٣ كربت: كادت.

٤ أدم: أسند. أميم: أصلها أميمة، وهي تصغير أم؛ وحذفت تأوؤها لأنها منادى مرخم.

٥ أشالت: رفعت.

٦ الأرواح: جمع ريح.

٧ الأقدع: المعوج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها، وهذا أقرب معانيه إلى مقصد الشاعر.

٨ الرصافة: محلة في بغداد، ينسب إليها صاحب الديوان.

٩ اليفاع: المرتفع من الأرض.

١٠. بينهم: بعدهم. قحم المفازة: دخلها وطواها غير مبالٍ بها.

١١. الرباع: جمع ربع. شحط: بعد.

يقولون

يقولون في الإسلام ظلمًا بأنه
فإن كان ذا حقًا فكيف تقدمت
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
هل العلم في الإسلام إلا فريضة
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعُلا
وخلَّتْ له الأيام عند قيامه
فأشرق نور العلم من حَجَرَاتِهِ
ودكَّ حصون الجاهلية بالهدى
وأنشط بالعلم العزائم وابتتى
وأطلق أذهان الورى من قيودها
وفكَّ إيسار القوم حتى تحفzروا
فخلَّوْا طريقًا للبدَاوة مَجْهَلًا
فدَوَّتْ بمسِنَّ العِلا نهضاتهم
وعَمَّا قليل طَبَّقَ الأرض حكمهم
وقد حاكت الأفكار عند اصطدامها
ولاحت تباشير الحقائق فانجلت
وما ترك الإسلامُ للمرء ميزةً
فليس لمثَرِ نقصه حقٌّ مُعِمْ
ولا فخر للإنسان إلا بسعيه
وليس التَّقَى في الدين مقصورة على
ولكنها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العِلا
فهل مثل هذا الأمر يا لأولي النهى

يصدُّ ذويه عن طريق التقدُّم!
أوائله في عهدِها المتقدِّم!
فماذا على الإسلام من جهل مسلمٍ؟
وهل أُمَّة سادت بغير التعلُّم
بصائر أقوام عن المجد نُوم
حُبَّاهَا وأبدت منظر المتبسِّم^١
على وجه عصرٍ بالجهالة مظلم^٢
وقَوَّضَ أطناب الضلال المخيم
لأهليه مجدًا ليس بالمتهدِّم
فطارَت بأفكارٍ على المجد حُوم
نهوضًا إلى العلياء من كل مَجْثم
وساروا بنهج للحضارة معلم
كزعزع ريح أو كتيار عَيْلم
بأسرع من رفع اليدين إلى الفم
تلألؤُ بَرَقِ العارض المتهمز
بها عن بَنِي الدنيا شكوك التوهم
على مثله ممن لآدم ينتمي
ولا عربيُّ بعضُه فضلٌ أعجم
ولا فضلٌ إلا بالتَّقَى والتكرُّم
صلاة مُصلٍّ أو على صوم صِيَم
يؤدي من الحسنى إلى نيل مَغْمْ
وما خصت التقوى بترك المحرَّم
يكون عثارًا في طريق التقدُّم

فَأَيُّ ارْتِقَاءٍ بَعْدُ أَمْ أَيُّ سُلْمٍ!
رُويَدًا فَقَدْ فَارَقْتُمْ كُلَّ مَأْتَمٍ
لَأُظْهَرَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
لِنُبْدِيَ إِلَيْكُمْ جَفْوَةَ الْمُنْهَكَمِ
وَتِلْكَ لَعَمْرِي شِيْمَةُ الْمُتَحَلِّمِ
كَشَفْتُمْ لَنَا عَنْ مَنْظَرٍ مُتَجَهِّمٍ
كَمَا هِيَ إِذْ أُوْدَتْ بِعَادٍ وَجُرْهُمْ

وإن لم يكن هذا إلى المجد سُلْمًا
أَلَا قَلَّ لِمَنْ جَارُوا عَلَيْنَا بِحُكْمِهِمْ:
فَلَا تَتَكْرُوا شَمْسَ الْحَقِيقَةِ إِنَّهَا
عَلَوْنَا وَكُنْتُمْ سَافِلِينَ فَلَمْ نَكُنْ
وَلَمْ نَتْرِكِ الْحَسَنَى أَوْ أَنْ جِدَالِكُمْ
فَلَمَّا اسْتَدَارَ الدَّهْرُ بِالْأَمْرِ نَحْوَكُمْ
فَلَا تَأْمَنُوا الْأَيَّامَ إِنَّ صُرُوفَهَا

^١ قوله حباها: جمع حبة وهي ما يحتوي به الرجل من عمامة أو ثوب.

^٢ قوله: من جبراته بفتحيتين: أي من نواحيه، جمع حَجْرَة، وهي الناحية.

في سبيل الوطن

إلى إخواننا المسيحيين

أما أن أن تُنسى من القوم أضغانُ
أما أن أن يُرمى التخاذل جانباً
عَلَامَ التعادي لاختلاف ديانة؟!
وما ضرَّ لو كان التعاون ديننا
إذا جمعتنا وُحدة وطنية
إذا القوم عمَّتْهم أمورٌ ثلاثة:
فأَيُّ اعتقاد مانع من أخوةٍ
كتابان لم ينزلهما الله ربُّنا
فَمَنْ قام باسم الدين يدعو مفرقاً
أنشقى بأمر الدين وهو سعادة؟!
ولكنَّ جهلَ الجاهلين طحا بهم
فهاموا بتيهائِ الأباطيل كالذي

فَيُبْنَى على أسِّ المؤاخاة بُنيانُ؟
فَتَكْسَبُ عزّاً بالتناصر أوطانُ؟
وإنَّ التعادي في الديانة عُذْوَانُ
فَتَعْمُرَ بُلدان وتَأْمَنَ قُطَّانُ
فماذا علينا أن تَعَدَّ أديان؟!
لسان وأوطان وبالله إيمان
بها قال إنجيلٌ كما قال قرآن؟!
على رُسُلِهِ إلا ليسعد إنسان
فدعواهُ في أصل الدِّيانة بهتانُ
إذن فاتَّباع الدين يا قومُ خُسرانُ
إلى كل قول لم يؤيِّده برهان
تخبَّطُهُ من شدة المسِّ شيطانُ



مَواطنكم يا قومُ أمَّ كريمة
ففي حِضْنِهَا مَهْد لكم ومِباءةٌ
فما بالكم لا تُحسنون وواجبُ
أصبراً وقد أَمسى العدوُّ يُهينها؟!
أجلُ إنكم تأبى الحياة نفوسكم
أَلستم من القوم الذين علاؤهم
نمتكم إلى المجد المؤثِّل تغلبُ
فلا تتكروا عهد الإخاء وقد أتت

تَنذُرُ لكم منها مدى العمر ألبان
وفي قلبها عطف عليكم وتحنانُ^١
على الابنِ للأُمِّ الكريمة إحسانُ
أما فيكُم شَهْمٌ على الأمِ غَيْران؟!
إذا لم يكن فيها على المجد عُنوانُ
تَقَاعَسَ عنه الدهرُ وانحطَّ كيوانُ؟^٢
كما قد نمتكم للمكارم غسان
تصافحكم فيه نزار وعَدنانُ

أَجِبْ أَيُّهَا النَّذْبُ الْمَسِيحِيُّ مُسْلِمًا
فَلَا تَحْرِمَا الْأَوْطَانَ أَنْ تَتَحَالَفَا
أَلَا فَانْهَضَا نَحْوَ الْعِدَا وَكَلَاكَمَا
وَقَوْلَا لِمَنْ قَدْ لَامَ: صَهْ وَيَكْ إِنَّا



فَمَنْ مُبْلَغُ الْأَعْدَاءِ أَنْ بَلَدَنَا
وَإِنَّا إِذَا مَا الشَّرُّ أَبْدَى نِيَوِيَهُ
سَنَسْتَصْرَخُ الْأَسَادَ مِنْ كُلِّ مَرَبِضٍ
أَسْوَدَ وَغَى تَأْبَى الْحَيَاةَ ذَمِيمَةً
مَقَاهِمُ تَصَلَّى الْمَعْمَعَانِ مُشِيحَةً
وَتَكْسُو الْعِرَاءَ الرَّحْبَ مِسْحَ عَجَاجَةٍ
سَنَنْهَضُ لِلْمَجْدِ الْمَخْلَدِ نَهْضَةً
وَتَعْتَزُّ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ دِمَشْقَهَا
وَتَطْرُبُ فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ صَخْرَةَ
وَتَحْسُنُ لِلْعَرَبِ الْكَرَامِ عَوَاقِبَ
وَلَوْ أَنْصَفْتَنَا سَاسَةَ الْغَرْبِ لَاغْتَدَّتْ
وَرَفَّتْ قُلُوبُ لِلْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
وَلَكِنْهُمْ رَأَيْتُ عَلَيْهِمْ مَطَامِعَ
لَقَدْ قِيلَ: إِنْ الْغَرْبُ ذُو مَدَنِيَّةٍ
وَأَيُّ فَخَارٍ كَائِنٌ فِي تَمْدُنْ
إِذَا كَانَتْ الْأَخْلَاقُ غَيْرَ شَرِيفَةٍ



بِنَفْسِي أَفْدِي فِي الْعِرَاقِ مَنَابِتًا
رِيَاضَ رَعْتِهَا النَّائِبَاتِ بِأَذْوَابِ
لَقَدْ كَانَ فِيهَا الرُّنْدُ وَالْبَانُ زَاهِيًا
وَأَصْبَحَ مَرصُودًا بِهَا كُلُّ مَنْهَلٍ
وِظْلُ ابْنِهَا عَنْ كُلِّ حَوْضٍ مُحَلًّا
سَأَبْكِي عَلَيْهَا كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَنْ ذَرَفَتْ أَمَاقَهُ الدَّمْعَ لَوْلَا

صَفَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ سِرٌّ وَإِعْلَانُ
يَدَا بِيدٍ حَتَّى تُؤَكِّدَ أَيْمَانُ
لِصَاحِبِهِ فِي الْمَازِقِ الصَّنَكِ مَعْوَانُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْمَوَاطِنِ إِخْوَانُ

مَآسِدُ لَمْ يَطْرُقْ دَرَاهِنُ سِرْحَانِ^٣
رَدَدْنَاهُ عَنَا بِالْطُّبَا وَهُوَ خَزْيَانُ
فَتَمَشِي إِلَى الْهَيْجَاءِ شَيْبٍ وَشُبَّانُ
وَتَلْبَسُ بِالْعَزِّ الرَّدَى وَهُوَ أَكْفَانُ
إِذَا احْتَدَمْتُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ نِيرَانُ^٤
يُمُجُّ بِهَا السِّيفُ الرَّدَى وَهُوَ غُرْيَانُ^٥
يَقْرُّ بِهَا حَوْرَانُ عَيْنًا وَلُبْنَانُ
وَتَهْتَزُّ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِينَ بَغْدَانُ
وَتَرْتَاحُ فِي الْبَيْتِ الْمَحْرَمِ أَرْكَانُ
فَيَحْمَدُهَا مُفَتٍّ وَيَشْكُرُ مَطْرَانُ
دِمَشْقُ لَهَا مِنْ سَاسَةِ الْغَرْبِ أَعْوَانُ
وَأَصْغَتْ إِلَى شَكْوَى فِلَسْطِينَ آذَانُ
فَأَمْسَوْا وَهُمْ صُمٌّ عَنْ الْحَقِّ عُيَّانُ
فَقُلْتُ: وَهَلْ مَعْنَى التَّمَدُّنِ عَدْوَانُ؟
إِذَا لَمْ يَقُمْ فِي الْغَرْبِ لِلْعَدْلِ مِيزَانُ
فَمَاذَا عَسَى تَجْدِي عُلُومٌ وَعِرْفَانُ؟

يَفُوحُ بِهَا شَيْخٌ وَيَعْبَقُ حَوْذَانُ^٦
مِنْ الْجُورِ فَارْتَاعَتْ ظُبَاءُ وَغَزْلَانُ
فَأَصْبَحَ لَا رَنْدٌ هُنَاكَ وَلَا بَانَ
عَلَيْهِ مِنَ التَّرْنِيقِ بِالْظَلَمِ ثَعْبَانُ^٧
يَحُومُ عَلَى سَلْسَالِهِ وَهُوَ عَطْشَانُ^٨
فَمَالَتْ بِهَا مِنْ حَوْلِ دَجَلَةِ أَغْصَانُ
ذَرَفْتُ عَلَيْهَا أَدْمَعِي وَهِيَ مَرْجَانُ

المبءاء: المنزل.

٢ كيوان: زحل بالفارسية، معرب.

٣ مأسد: جمع مأسدة، وهي المكان الذي تكثر فيه الأسود. والذرا بفتح الذال: فناء الدار ونواحيها. والسرحان بالكسر: الذئب.

٤ مشيعة: جادة مانعة لما وراء ظهرها.

٥ المسح بالكسر: الكساء من شعر، وإضافته إلى عجاجة بيانية، أي: مسحًا عن عجاجة.

٦ الشيح: نبات طيب الرائحة، وكذا الحودان.

٧ الترنيق: التكدير.

٨ محلاً: أي مطروذاً ممنوعاً عن ورود الماء.

بين تونس وبغداد

أنشدت في حفلة التأهيل والترحيب بالزعيم التونسي الأستاذ الكبير عبد العزيز الثعالبي، عند قدومه بغداد سنة ١٩٢٥.

أَتُونِسْ إِنَّ فِي بَغْدَادَ قَوْمًا	تَرِفُ قُلُوبَهُمْ لَكَ بِالْوُدَادِ
وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاكَ انْتِسَابٌ	إِلَى مَنْ خَصَّ مَنَاطِقَهُمْ بِضَادِ
وَدِينٌ أَوْضَحْتُ لِلنَّاسِ قَبْلًا	نَوَاصِعُ آيِهِ سَبَلَ الرِّشَادِ
فَنَحْنُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَهْلُ قُرْبَى	وَإِنْ قَضَتِ السِّيَاسَةُ بِالْبِعَادِ
وَمَا ضَرَّ الْبِعَادُ إِذَا تَدَانَتْ	أَوَاصِرُ مَنْ لِسَانٍ وَاعْتِقَادِ
وَإِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى النَّاحِي	وَإِنْ أَغْرَى الْأَجَانِبَ بِالتَّعَادِي



أَتُونِسْ إِنْ مَجْدُكَ ذُو انْتِمَاءٍ	إِلَى غُلِيَا نِزَارٍ أَوْ إِيَادِ
لَنَا بِثَعَالِيكَ خَيْرٌ مُلْقٍ	عَلَى أَشْتَاتِنَا حَبْلَ اتِّحَادِ
وَأَكْبَرُ حَامِلٍ بِيدِ اعْتِرَافِ	لِحَبِّ بِلَادِهِ عِلْمَ التَّفَادِي
وَأَسْمَى مِنْ سَمَا أَدَبًا وَعِلْمًا	وَأَفْصَحُ مَنْ تَكَلَّمَ عَنْ سَدَادِ
دَعِ الْقَوْلَ الْمُرِيبَ وَقَائِلِيهِ	وَسَلِّ عَنْهُ الْمَنَابِرَ وَالنُّوَادِي
تَجَدُّهُ خَطِيبُهَا فِي كُلِّ خَطْبِ	وَمِذْرَهَها لَدَى كُلِّ احْتِشَادِ ^١
فَتَنَى صَرُوحَاتِ عِزَائِمِهِ وَجَلَّتْ	عَنِ الرَّرَوَّغَانِ فِي طَلَبِ الْمِرَادِ
تَغَرَّبَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَبْغِي	مَدَى مِنْ دُونِهِ خَرُطَ الْقِتَادِ ^٢
فَأَوْغَلَ فِي الْمَفَاوِزِ وَالْمَوَامِي	وَطَوَّفَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبُؤَادِي ^٣
وَكَانَ طَوَافُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا	لِغَيْرِ تَكْسُّبٍ وَسَوَى ارْتِفَادِ ^٤
وَلَكِنْ سَاحَ لِاسْتِنْهَاضِ قَوْمِ	حَكَّوْا بِجُمُودِهِمْ صِفَةَ الْجَمَادِ
يَغَارُ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنْ يَرَاهَا	مَهْدَدَةَ الْمَصَالِحِ بِالْفَسَادِ
فَأَنَّى سَارَ كَانَ لَهُ هَدِيرٌ	يَهْزُ دَوِيَّهُ أَقْصَى الْبِلَادِ
وَكَمْ قَدْ قَامَ فِي نَادٍ خَطِيبًا	بِمُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَبَادِي

تُنِيرُ بِكُهْرِبَائِيِّ الْمَعَانِي
تَحُلُّ مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا وَعَتْهَا
إِلَى أَنْ جَاءَ حَاضِرَةٌ نَمَاهَا
فَكَانَ نَزْوِلُهُ فِي سَاكِنِيهَا
فِيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَقِمْ عَزِيزًا
يَحْيِيكَ الْعِرَاقُ بِرَأْفَدِيهِ
أُمُورًا كُنْ كَالظَّلَمِ الدَّادِي °
مَحَلُّ الْحُبِّ مِنْ شَغَفِ الْفُؤَادِ
أَبُو الْأَمْنَاءِ ذُو الشَّرَفِ النَّلَادِ
نَزُولَ الْمَاءِ فِي الْمُهْجِ الصَّوَادِي
بَحِيثِ الْأَرْضِ طَيِّبَةُ الْمَرَادِ
تَحْيَةَ مُخْلِصٍ لَكَ فِي الْوَدَادِ

١ المدرہ: المحامي المدافع عن القوم.

٢ خرط القتاد: قطع ورقه باليد، والقتاد: نبت ترعاه الإبل فتسمن عليه، ويصعب خرط ورقه لكثرة شوكه وقوته.

٣ الموامي: جمع موماء، وهي الصحراء أيضًا.

٤ الارتقاد: طلب الرشد، وهو العطاء، يريد أنه لا ينبغي من تطوافه كسب مال.

٥ الدَّادِي: جمع دَادُ بالفتح، أو دُودُو بالضم؛ وهي آخر ليلة في الشهر، وأصله: الدَّادِي بالهمزة، ثم خفف.

في حفلة شوقي

وما زال ليلي بالعراقين ساهراً^١
على الدهر في كل المواطن ثائراً
وأقرع منهم بالبيان المُكابِرا
وكالريح هبَّاباً وكالشمس ظاهراً
إذا الدهر أبلى من بنيهِ السرائرا
لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائرا
يدي أن تحلّي في الجنان أساورا
إذا ما تقاضتني العُلا أن أجاهرا
فيضمّر فيه للجلس الضمائرا
سكنتُ البوادي واجتنبت الحواضرا

أمارسُ دهرًا من جديدي داهرا
أبى الحقُّ إلا أن أقوم لأجله
وأن أتمادى في جدال خصومه
وإني لأهوى الحق كالطيب ساطعاً
ستبقى لنفسي في هواه سريرة
وتكره نفسي أن أكون مخادعاً
ومن أجل مقتي للمخانيث أنكرت
وما العجزُ إلا أن أكون مُكاتماً
وما أنا من يُبهمُ القولَ لاحقاً
ولولا طموحي في الحياة إلى العُلا



تُفتّق أذهاناً وتجلو بصائرا
وإن بها للحقّ عوناً وناصرأ
وإن لأهل الفضل فيها دساكرا
بها رفعوا للقائلين المنابر!؟
تملّك صيتاً في الأقاليم طائرا!؟
بإنشاده في البر والبحر سائرا
تشدُّ به منا لمصرَ الأواصرا!
ولن تعدّموا مني على الشعر قادرا
يفوق الأوالي بل يبرز الأواخرأ
وقام عليه بالذي شاء أمرا
وإن رام سهلاً منه أنشد ساحرا
إذا عقدوا منهم عليه الخناصرأ

يقولون لي: في مصرَ للعلم نهضة
وإنّ بها للعلم قدراً وحرمةً
وإنّ لأهل العلم فيها نوادياً
ألم ترَ أنّ القوم في كل محفلٍ
وقد ضربوا وعدّاً لتكريم شاعر
هو الشاعر الفحل الذي راح شعره
فلو قلتَ بعضَ الشعر في يوم حفلهم
فقلتُ: أجل والشعر ليس بمعجزي
ألا إن شوقي شاعرٌ جدُّ شاعرٍ
تملّك حُرَّ الشعر فهو رقيقه
إذا رام جزلاً منه أنشد زاخراً
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرهم

بنى لَهُمْ مجدًا رَفِيعًا بشعرِهِ

لذا جعلوا حسن الثناء وكائرا ^٢



ولكنني قد أنظر الحفلة التي
إذا احتفلت مصرٌ بشوقي فما لها
فقد أسمعنا ضَجَّةً أمطرت بها
فما بالُ هذا عُذِّ في مصر مارقًا
إذا لم تكُ الأفكار في مصر حُرَّةً
أُرفع قدرُ العلم ينطق ناظمًا
ويُختَصُّ بالتجليل مَنْ جاء منشدا
ألا إنَّ هذا الشعر ليس بطائل
كما أنَّ هذا العلم ليس بنافع
وتكريمُ ربِّ الشعر ليس بمفخرٍ
وإلا فعصر الجاهلية قبلنا

تقام له ذا اليوم في مصر ساخرا
تقيم على الأحرار في العلم حاجرا؟!
علينا وطه حاصبًا متطائرا ^٣
وما بال هذا عُذِّ في مصر كافرا؟!
فليس لمصرٍ أن تكرم شاعرا
ويُوضع قدرُ العلم ينطق ناثرا؟!
ويقذف بالتجهيل مَنْ جاء فاكرا؟!
إذا كان عمَّا يبلغ العلم قاصرا
إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
لِمَنْ كان عن حُرِّية الفكر جائرا
له السبق في تكريم مَنْ كان شاعرا

^١ يريد أنه أرقه أمر مهم، وهو رغبته في الدفاع عن الحق، وحبهِ لجدال خصومه ومنكريه الذين يزخرفون الباطل وينصرونه.

^٢ الوكائر: جمع وكيرة، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنیان الوكر، أو عند شرائه فيدعو إليه، استعاره الشاعر هنا لحفلة التكريم.

^٣ علي: هو الأستاذ علي عبد الرازق صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، وطه: هو أستاذ الجيل؛ الدكتور طه حسين.

الأمة العربية: ماضيها وبقاها

هَمُّ الرجال مَقِيسَةٌ بزمانها
وَأَسَاسُ عُمُرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ
وَتَعَاوُنُ الْأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلٍ
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا
إِنِ التَّجَارِبُ لِلشَّيُوخِ وَإِنَّمَا
هَٰذَا لَدَى الْعَرَبِ الْكَرَامِ مَبَادِئُ
وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ
كَمْ قَدْ أَقَامَتْ لِلْعُلُومِ مَدَارِسًا
وَبَنَتْ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ مَصَانِعًا
فَالْمَجْدُ مَأْثُورٌ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ
طُبِعَتْ عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ فَسَعِيهَا
نَهَضَتْ بِمَاضِي الدَّهْرِ نَهَضَتْهَا الَّتِي
حَسُنَتْ عَوَاقِبُ أَمْرِهَا حَتَّى لَقَدْ
فَهُمُ الْأَلَى فَتَحُوا الْبِلَادَ وَنَشَرُوا
وَهُمُ الْأَلَى خَضَعَتْ لَهُمْ أُمَمُ الْوَرَى
وَالرُّومُ قَدْ نَزَلَتْ لَهُمْ عَنِ مَلِكِهَا



يَا أُمَّةَ عَاشِ الْبَرِيَّةِ أَعْصَرًا
تَمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ الْعُصُورُ فَجَاءَهَا
فَنَضَتْ مَلَابِسَ عِزِّهَا وَتَنَاقَلَتْ
فِي عَدْلِهَا رَغْدًا وَفِي إِحْسَانِهَا
زَمَنٌ بِهِ انْقَادَتْ إِلَى عِبَادِنَا
فِي الذِّلِّ رَاسِفَةٌ بِقَيْدِ هَوَانِهَا

الديان بالفتح: الدأب والعادة.

في إيلياء

إلى فاضلها: النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيام ظامئة وليست
ولو لم تتو حرباً ما تبدى
ودلّ على قلبها انقلاب
وأصلدت الحقيقة في الليالي
نفضت يدي من أبناء دهر
وقلّ حياؤهم حتى رأينا
وساد الجاهلون فلست أدري
لهم عين تراعي السرّ يقضى
تقلدت السيوف رعاة معز
فجرد منهم الرعديّ عضباً
وكم ترب تجسّس للأعادي
وساع كان يسرّخ بالمواشي
وإن لسانة الدنيا لقلباً
قد اتخذوا الحسام لهم لساناً
وكيف تُساس مملكة بعدل

بغير دم الأنام تريد رياء
بها شكل الأهلة خنجرياً
لجرم الأرض حين غدا كُرياً
فلما يقتدح زنداً وريراً^١
أهانوا الشهم واحترموا الزرياً
ظنينّ القوم يتّهم البريا
أعزّي العلم أم أبكي الدرياً؟!
وقلب ظلّ في عمه كرياً
وكانت قبل تحتل الهرياً^٢
وهزّ أخو الجبانة سمهرياً^٣
فأصبح من تجسّسه ثرياً!
فأمطى من سعايته شرياً!
قسياً في السياسة مرمرياً
فقالوا البطّل واختلفوا الفرياً
إذا ما الحكم أصبح عسكرياً؟



ألا ما بال دمعى ليس يرقاً؟!
إذا دُكر العراق بكيت شجواً
ولمّا سرت في جبل وسهل
نزلت بإيلياء على كرام
فكدت بقربهم أنسى بلادي

كأنّ بمقلتي عرقاً صرياً
بدمع طمّ سائله الفرياً
وكابدت السمائم والعرياً
وخيم العيش عاد بهم مرياً
وأسلو الطفّ ثمة والغرياً

ولم أرَ كالنَشاشِيبيِّ نَذْبًا
فَتَى سَعَتِ الْمَفَاخِرُ وَهِيَ عَطَشَى
تَجَدَّدَ فِي الْعِلَاءِ فَكَانَ بَدْعًا
وَأَحْرَزَ فِي الْوَرَى شَرْفًا رَفِيعًا
وَلَمْ أَرِ سَيِّدًا كَأَبِي سَرِيٍّ
هُمَا مُتَشَابِهَانِ فَعَبْقَرِيٍّ
أَبٌ فِي الْمَجْدِ أَرَوُّعٌ أَحْوَذِيٌّ
إِلَى الشَّهْمِ السَّكَاكِينِيٍّ أَهْدِي
فَتَى غَرَسَ الْمَكَارِمَ ثُمَّ مِنْهَا
يَعَافُ مَعَاشَهُ إِلَّا شَرِيفًا

إِلَى الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا جَرِيًّا
إِلَى آدَابِهِ فَأَصْبِنَ رِيًّا
فَعَاشَ بِمَصْرِهِ رَجُلًا طَرِيًّا
وَصِيئًا فِي الْعِلَا إِسْكَندَرِيًّا
وَلَا مِثْلَ ابْنِهِ وَلَدًا سَرِيًّا
مِنَ الْآبَاءِ أَنْجَبَ عِبْقَرِيًّا
نَمَى لِلْمَجْدِ أَرَوُّعٌ أَحْوَذِيٌّ ٤
ثَنَاءٌ لَا يَزَالُ بِهِ حَرِيًّا
جَنَى ثَمَرَ الْعُلَا غَضًّا طَرِيًّا
وَيَأْبَى الْمَجْدَ إِلَّا جَوْهَرِيًّا

١ أصله: لم يور.

٢ الهريا: العصي، وهو جمع هراوة.

٣ العضب: السيف القاطع. والسمهري: الرمح الصلب الشديد.

٤ الأحوذى: الجاد في أمره، والحسن السياقة للأمور.

تجاه الريحاني

شكواي الخاصة

لهذا اليوم في التاريخ ذكر
ويحسن في المسامع منه صوتٌ
ففي ذا اليوم نحن قد احتفينا
فتى كثرت مناقبه فأضحى
نجالس منه ذا خُلُقٍ كريم
وأقسم لو يجالسه سفيهٌ
كذاك يكون زهرُ الروض لَمَّا
ولم يُنسب إلى الريحان إلَّا
له قَلَمٌ به تحيا المعاني
وتُشرق في سماء الشعر منه
لقد طارت بشهرته شَمالٌ
وطَبَّقَ صِيته الأفاق حتى
فديتك! هل تُصيخ؟ فإن عندي
إلى كم أستغيث ولا مغيث
أَقَمْتُ ببلدة مُلئتُ حُوقًا
أمرٌ فتنظر الأبصار شَزًّا
وكم من أوجه تُبدي ابتسامًا
سكنت الخان في بلدي كأني
وعشت معيشة الغرباء فيه
وما هذا وإن آذى بدائي
ولكني أرى أبناء قومي

به الأناف يَفَعْمُهُنَّ طيبٌ
له تهتز بالطرب القلوب
بريحانيًا وهو الأديب
له في كل مكرمة نصيب
له بجليسه أثرٌ عجيب
فَوَاقًا لا غتدى وهو الأريب^١
تمرُّ عليه ناسمة تطيب
وريحان الرياض له نسيب
كما يحيا من المطر الجديب
كواكب ليس يُدركها مَغيث
كما طارت بشهرته جَنُوب
تعرِّفه القبائل والشعوب
شَكَاة لا تُصيخ لها الخطوب
وأدعو مَنْ أراه فلا يجيب؟!
عليّ فكل ما فيها مُريب
إلَيَّ كأنما قد مرَّ ذيب
وفي طَيِّ ابتسامتها قُطُوب!
أخو سَفَرٍ تقاذفه الدروب
لأنني اليوم في وطني غريب
ولا هو أمره أمر عَصيب
يدبر أمرهم مَنْ لا يُصيب

لشَرَّتِه وَيُحْتَقَرُ الْأَدِيبُ
وَفِي قَلْبِ الْعُلَا مِنْهُ وَجِيبُ
وَأَيْنَ دَوَاؤُهُ وَمَنِ الطَّبِيبُ؟
إِلَى ذِي خُلَّةٍ شَيْءٍ مَعِيبُ
يَعُودُ إِلَى الشَّرُوقِ بِهِ الْغُرُوبُ
أَجُوبُ مِنَ الْمَهَامِهِ مَا أَجُوبُ
حَيَاةَ الْحَرِّ عِنْدَهُمْ تَطْيِيبُ
وَحَيْرٌ مِنْ مَرَارَتِهَا شَعُوبُ

يُقَدَّمُ فِيهِمُ الشَّرِيرُ دَفْعًا
فَهَذَا الدَّاءُ مَنْتَشِبٌ بِقَلْبِي
فَكَيْفَ شِفَاؤُهُ وَمَتَى يُرَجَّى؟
وَإِنْ أَكُ قَدْ شَكُوتُ فَمَا شَكَاتِي
سَأَنْصِبُ لِلْهَوَاجِرِ حُرَّ وَجْهِ
وَأُضْرِبُ فِي الْبِلَادِ بَغِيرَ مُكْتِ
إِلَى أَنْ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّ قَوْمِ
وَالْحَيَاةُ أَمْرٌ شَيْءٌ

^١ فَوَاقًا: أَي قَدْرُ فَوَاقٍ، وَهُوَ مَدَّةٌ مَا بَيْنَ الْحَلَبَتَيْنِ.

بني الأرض

حديثٌ بصيرٍ بالحقيقة عالم؟
مخيفة أحلام أطاقت بحالم
وناموا وما ليل الخطوب بنائم
على بحر عيش بالردى متلاطم

بني الأرض هل من سامع فأبنته
جُبلنا على حب الحياة وإنها
سعى الناس والأقدار مخبوءة لهم
جرت سفن الأيام مشحونة بنا



بهم باسمًا إلا على ألف واجم
بألف شقيٍّ في المعيشة راغم
مُلَوَّحةً أغصانها بالسمايم^١
وعيدانها بين النُيوب العواجم^٢
وتقلعها إحدى الرياح الهواجم

تأملتُ في الأحياء طرًّا فلم أجد
وربَّ سعيدٍ واحدٍ تمَّ سعده
وما المرء إلا دَوْحةٌ في تنويفِ
لها ورقٌ قد جفَّ إلا أقله
ولا بدَّ أن تُجثَّتْ يومًا جذورها



إنن نحن في نقصٍ من العمر دائم
لما احتيج في تعميرها للمطاعم
نُكْبَلُ من حاجاتها بالأداهم^٣
أمرًا دعتنا لارتكاب الجرائم
وفي عَدَمي لاخترته غير نادم^٤
إليه سبيلٌ مستبينُ المعالم؟
على الناس من سيف المَنون بقائم^٥
كثير اليتامى عامرًا بالمآتم
ولكن ضياعُ المفجعات الكرائم
يتامى كأفراخ القطا والحمائم
سعتُ حيث أبكاها الردى سعيَ خادم!^٦
بدأن بها من قبل هدم الدعائم!

أرى العُمر مهما ازداد يزداد نقصه
ولولا انهدامٌ في بناء جُسومنا
لحى الله بأساء الحياة كأننا
نروح كما نغدو نجاهد دونها
فلو كنْتُ في هذا الوجود مخيرًا
هل الموت إلا سالكٌ وحياتنا
وما زال هذا الدهرُ غضبانَ آخذًا
تبصّر تجذُّ هذي البسيطة منزلًا
وليس الذي آسى له فقد هالك
أراملُ تستذري الدموع وحولها
وكائنُ ترى مخدومة في جلالها
فليت المنايا حين قوَّضَ بيتها



بدا خُلْبًا والشرَّ ضربةً لازم
هناك رأينا خلفه ألفَ هادم
إلى الحق إلا صدَّه ألفَ ظالم
على الخلق طُرًّا بالتعاسة حاكم
حكيمًا تعالى عن ركوب المظالم

أرى الخيرَ في الأحياء ومُضَّ سحابةٍ
إذا ما رأينا واحدًا قام بانئياً
وما جاء فيهم عادلٌ يستميلهم
جهلت كجهل الناس حكمةً خالق
وغاية جهدي أنني قد علمته



من العيش مُلقًى في شُذوق الضراغم
أناس فأبدي الصفحَ غير مخاصم
حذارَ وقوعي في خبيث المطاعم
لما تشتهيه قلة في دراهمي
وما أنا في شيءٍ عليه بجارم! ^٧
بقلبٍ له من كثرة الحقد وارم

دأبت لنفسي في الحياة كأنني
يخاصمني منها على غير طائلٍ
وأقنع بالقوت الزهيد لطيبه
وأترك ما قد تشتهي النفس نيلَه
وكم لي في بغدادَ من ذي عداوةٍ
إذا جئت بالقلب السليم يجيئني

^١ الدوحة: الشجرة العظيمة. التتوفة: المفازة والفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.

^٢ النيوب: جمع ناب، وهي السن التي خلف الرباعية. العواجم: الأسنان؛ لأنها تعجم المأكول.

^٣ يقال: لحى الشجرة: بمعنى قشرها، ويستعمل اللحي بمعنى الشتم والسب مجازًا كما هنا. الأدهم: القيود.

^٤ اخترته: أي اخترت العدم.

^٥ قائم السيف: مقبضه.

^٦ كائن: بمعنى كم للتكثير.

^٧ جارم: مذنب.

الحمد للمعلم

إلى المعلم نخلة زريق

وأرقت فيه النجم أن يتغورا^١
تكاثف حتى خلته قد تحجرا
فلو سار سار في دُجَاهِ تعثرا
إذا زاد طُولًا زدت فيه تضجرا
لواعج شوقٍ في الفؤاد تسعرا
بتيهاء يجتاب الدُجَى متحيرا
ثُرَدُّ لحظًا في الدُجَنَةِ أشزرا
لنخلة رأيًا بالذكاء مُنَوِّرا
كبيرًا ومذ شاهدهته كان أكبرا
وعقلٌ رزين بالعلوم تحضرا
أديبا وإن خاشنته فَعَصَنُفرا
لَدُنْ كان للتدريس فيها تصدرا
بها قرط الأذان دُرًا وجوهرا
أمالِي أملاها عليهم وقررا
خلا رَبْعُها من ساكنيه وأقفرا
بما في كتاب الله منها تقررا
به الجهل ولَّى مدبرا وتقهقرا
إذا اتخذوا في كل ثغر معسكرا
وغرَّ القوافي والكلام المحبِّرا
ليلقيَ درسًا أو ليقرع منبرا
سيذكرها في دهره مَنْ تذكرها

وليلٍ به قد بَثُّ أختلس الكرى
تمطى على الآكام منه بغيه
وكاد دُجَاهِ يمكن الكفَّ لمسُهُ
لقد بَثُّهُ والهمُّ مُعْتَلِجٌ به
يقلِّبني فيه الجوى وتهزني
أرى الزُّهر فيه يضطربن كخابطٍ
كأن نجوم الليل غَضَبِي على الدُجَى
إلى أن بدا لي الصُّبح يحكي عموده
فتى كنت قبل اليوم خُبرت فضله
له خُلُقٌ بادٍ إباءً ونخوةً
ترى منه إن لايَنَّتُهُ ذا دماثةً
لقد علمت هذي المدارس فضله
تَقَصَّتْ له فيها ثلاثون حجةً
وجَهَّزَ بالآداب أبناء قطره
بذلك أحيًا للأعاريب لهجةً
إذا استبهمت طُرُقُ الفصاحة مازها
لنا اليوم جيش من تلاميذ علمه
هم الجيش سدُّوا ثغر كلِّ جهالةٍ
له الفضلُ في تعليمهم أفصح اللغا
فكلُّ فتى منهم أديبٌ نقيمه
لك ابن زريقٍ مِنَّةٌ سرمديةٌ

إذا ما سمعنا ناطقًا بفصاحةٍ
كفى بالسكاكيني في القدس شاهدًا
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذي

من الناس أثبتنا عليك تشكرًا
بما لك من فضل عميم على الورى
غدا اليوم أستاذًا كبيرًا مفكرًا

^١ يتغور: يميل للمغيب.

عرس مصر

قالها لَمَّا أُقِيمَ في مصر عرس لكريمة مصري عند اقترانها بابن الداماد فريد باشا، وكان ذلك في أثناء حرب البلقان المعلومة.

أطربَتْهم بلحنها الأنغامُ	حين أدمت قلوبنا الآلامُ
فأقاموا مجالسَ الأنسِ حتى	رقصَ العار بينهم والذامُ
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكًا	قد بكت في خلاله الأحلام
إنَّ في مصر للكريمة عرسًا	سوف تُعْنَى بشرحه الأفلام
أوقدوا فيه للسرور سراجًا	عمَّ من نوره البلاد ظلام
ذاك عرس تكشَّر اللؤم فيه	عن نيوبٍ كأنهن سهام
وتغنَّت للقوم فيه قِيَانٌ	أنكر المهدُّ صوتها والذمام
فلعِين الحليم فيه بكاء	ولشعر السفیه فيه ابتسام



أيها المُولُومون في مصر مهلاً	إن إيلاكم لنا إيلام
أتغنِّيكم القيان بيوم	قام في مأتم به الإسلام؟!
لبست هذه البلاد حدادًا	وتحلَّت بوشيه الأهرام
وجرت أعين الفرات دموعًا	وجرى النيل ثغره بسام
أشمتًا بالمسلمين وقد دا	رت عليهم بنحسها الأيام؟!
إذ رمتهم يد الزمان بخطب	جلَّ ما لنقضه إبرام
فهوت في مصارع الحكم منهم	جثثٌ تملأ الفضاء وهام
وتخلَّوا عن البلاد وأبقوا	حُرَمَاتٍ تدوسها الأقدام



يا بني مصر صَغِيَة لسؤال	فيه عَتَب لكم وفيه مَلام
أُنْتَاط الفتوحُ في خِنصر الكفِّ	ازديانًا إن قَطَّت الإبهام؟!
أدماء القتلى لديكم خضابٌ	أم أنين الجرحى لكم أنغام؟!

أسكرتهم بين القبور مُدام؟!
تسمعوا كيف تتحَب الأيتام؟!
يقظة ما سمعته أم منام؟!

أم تريدون أن تكونوا كقوم
أم أصختم إلى الأغاريد كيلا
لست أدري وقد سمعت بهذا

^١ الفتوخ: جمع فتخ، وهي حلقة كالخاتم.

من مضحكات الدهر

سأبدي لدهري ناجذ المتضحك
فما أنا راجٍ بعد ذا اليوم خيرَه
إذا الدهر لم يُعتب من الناس جازعًا
على أن ضحكي منه لا عن سفاهةٍ
ولو سبَر الناس الحوادث بالنهي
وما حادثات الدهر إلا خوابٌ
وتتهض للإرقال في غير منهُض
وما حُكَم هذا الدهر إلا تحكُّمٌ
كأننا من الدنيا ببيتٍ مقامرٍ
فمن قامرٍ قد فاز باليسرِ قدحُه
وما الحرف اللاتي يجيد احترافها
وإن طبيب القوم ناصبٌ كِفَّةٍ
ومن مضحكات الدهر حاملٌ سُبحةٍ
وآخرُ تركيٍّ تعرَّبَ وأدعى
وتحديثٌ غرٌّ مطريًا عدل دولةٍ
وما الناس إلا خادعٌ أدرك المنى
فلا تُبد من زير النساءِ تعجبًا
فما دارت الأفلاك إلا وقطبها
وإن أبصرت عيناك يومًا حقيقةً
فإنك لم يُنبئك مثلٌ مُجربٍ
فهذا لعمرُ الله رأيي فخذ به

ولو كان يجري بالذي هو مهلكي
ولا خائفٌ من شره المتحركِ
فأضيقُ ما فيه شكايةٍ مشتكي
ولك كضحك العفٍّ من متهتكِ
لما حصلوا منها على غير مُضحك
كعشواء تمشي مشية المترهُوكِ^١
وتبرك أحيانًا على غير مَبْرِك
كحكم فصوص النرد في نقل مُهرَك^٢
حوى من سهام القَمَر كل مُدَمَلَك^٣
وآخر مقمورٍ بقدر التصعلك
سوى شبكٍ منصوبةٍ للتملك
ليصطاد فيها بالدواء الممصطك^٤
تُقَبَّل جهلاً كفه للتبرُّك
على عربي هُجنة المتترك^٥
برايتهَا رسم الصليب المشبَّك
وآخر مخدوع لها غير مدرك
ولا تغترُّ بالزاهد المتنسك
بحكم الهوى حب الكعاب المفلَّك^٦
تخالف ما قد قلته فتشكَّك
خبير ولم ينصحك مثل مُحَنَّاك
فقد فُزْتَ منه بالجُدِيل المحكَّك^٧

١ المترهوك: المضطرب، الذي تراه كأنه يموج في مشيته.

٢ المهرك: واحد المهارك، وهو قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها في النرد.

٣ سهام القمر: قذاحه التي يقارع بها في القمار. والمدملك: من السهام المخلق، أي: المسوى الملمس، لما جعل أحكام الدهر في البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد، ناسب أن يجعل الدنيا في هذا البيت بيت مغامرة، والناس فيها بين قامر ومقمور، وأوضح ذلك بالأبيات التالية.

٤ الكفة: حباله الصائد التي يصيد بها الأطباء، وهي بضم الكاف وتكسر. والدواء الممصطك: المخلوط بالمصطكي.

٥ حاصل معنى البيت أن من المضحكات تركياً تعرب، فصار يعير بالهجنة عربياً قد تترك.

٦ الكعاب: كسحاب؛ الجارية الناهد. والمفلك بصيغة الفاعل واللام مشددة؛ التي استدار ثديها، يقال: فلكت الجارية: استدار ثديها كفلكة المغزل.

٧ الجذيل المحكك: الذي يشتقى برأيه، والجذيل: تصغير جذل، وهو عود كانوا ينصبونه في العطن لتحتك به الإبل الجربى، ثم صار يضرب مثلاً للذي يستشفى برأيه.

الشارع الكبير ببغداد

نَكَبِ الشَّارِعَ الْكَبِيرَ ببغدا
شَارِعُ إِن رَكِبْتَ مَنَّتِيهِ يَوْمًا
تترامى سنابك الخيل فيه
فهي تحثو التراب فيه على الأو
لو ركبْتَ البُرَاقَ فيه أو البر
تحسب العابرين فيه سُكاري
ساطعًا يملأ الفضا مستطيرًا
مستجيشًا من الجراثيم جيشًا
هو إن رُشَّ جاش وَحَلًا وإلَّا
تصهرُ الشَّمْسُ فيه أدمغة القو
وإذا ما مشيت في جانبيه
وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطـ
لا ترى فيه ما يسرُّك بالصنـ
بل ترى العين فيه كلَّ جدار
فجدارٌ عالٍ وفي الجنب منه
ودكاكينٌ كالأفاحيص تمتـ
أين هذا من الشوارع في الأمصـ
عبَّوها ومهَّدوها فجاءت
وأعدُّوا بهنَّ كل رصيف
وأقاموا لهم بها كلَّ صرح
فعلى الجانبين كل بناء
ثم لم يكتفوا بذلك حتى
فوقَّتْهم ظلالُها وهَجَّ الشمـ

دَ وَلَا تَمْشِ فِيهِ إِلَّا اضْطَرَّارًا
تَلَقَّ فِيهِ السَّهول والأوعار
إِن تَقَحَّمنَ وَغْثه والخبار
جِهَ حَثْوًا وتقْذِف الأَحجار
قَ نَهَارًا لما أَمَنت العشار
من هَواء تَنَسَّمُوهُ غبار
حاملًا في ذراته الأقدار
مَسْبَطَرًا عرمرمًا جرارًا^١
جاشَ نَقْعًا على الوجوه مُثارًا
مَ إذا هم تَخَبَّطُوهُ نهارًا
فَتَجَنَّبَ رصيفه المنهار
ـرافَ لَحْظًا أنكرته إنكارًا
ـعة حُسْنًا ويبهج الأبصار
تكره العين أن تراه جدارًا
مَتَدانٍ تقيسه أشبارًا
ـدُ يَمِينًا بطوله وَيَسَارًا
ـارَ زانت بحسنها الأمصار؟!
لا اعوجاجًا بها ولا إزورارًا
يَحْمَدُ السَّيرَ فوقه من سارًا
مَشْمَخَرٌ بناؤه اشمخارًا
خَيْلٌ في الحسن كوكبًا قد أنارًا
غرسوا في ضفافها الأشجار
ـسَ وسرَّ اخضرارها الأنظارًا

هكذا فلتكن شوارعنا اليوم مَ وإلا فما عمرنا الدَّيارا

^١ مسبطًا: من اسبطر؛ أي امتد.

على الخوان

أَكْبَّ عَلَى الْخَوَانِ وَكَانَ خِفًّا
وَوَالِي بَيْنَهَا لُقْمًا ضَخَامًا
وَعَاجِلٌ بَلْعَهُنَّ بَغِيرَ مَضْغٍ
فَضَاقَتْ بَطْنُهُ شِبَعًا وَشَالَتْ
فَأَرْسَلْتُ اللَّحَازَ إِلَيْهِ شَزْرًا
أَرَى اللَّقْمَاتِ تَأْخُذُهَا حَلَالًا
قَدْ انْتَضَدَتْ بِجَوْفِكَ مَفْرَدَاتٌ
أَتَزِدُّدُ الطَّعَامَ بَغِيرَ مَضْغٍ؟!
فَلَا تَأْكُلْ طَعَامَكَ بَازِدْرَادٍ
أَلَا إِنَّ الطَّعَامَ دَوَاءٌ دَاءٍ
فَدَاوِ سَقَامَ جَوْعِكَ عَنْ كِفَافٍ
وَمَا أَكَلِ الْمَطَاعِمِ لِالْتِذَاذِ
طَعَامِ النَّاسِ أَعْجَبَ مَا أَحْبَبُوا
يَقُودُهُمُ الزَّمَانُ إِلَى الْمَنَايَا
وَأَعْجَبَ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ رَامُوا
إِذَا اسْتَعْصَى الْقَفَارُ عَلَيْكَ أَكْلًا
حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ جَشَعِ فَإِنِّي
وَأَغْبَى الْعَالَمِينَ فَتَى أَكُولُ
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي
وَلَكِنْ لَا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ
فَإِنْ وَضَحَ النَّهَارُ طَوَوْا جِيَاعًا
وَقَالُوا: يَا نَهَارَ لَنْ تُجْعِنَا
وَنَامُوا مُتَحَمِينَ عَلَى امْتِلَاءٍ

فَلَمَّا قَامَ أَنْقَلَهُ الْقِيَامُ^١
فَمَا مَرِئْتُ لَهُ اللَّقْمُ الضَّخَامُ^٢
فَهِنْ بِفِيهِ وَضَعَ فَالْتِهَامُ
إِلَى أَنْ كَادَ يَنْقُطِعُ الْحَزَامُ
وَقُلْتُ لَهُ: رَوَيْدِكَ يَا غَلَامُ!
فَتَدَخَّلَ فَافَكَ وَهِيَ بِهِ حَرَامُ
تَخَلَّلَ بَيْنَهَا الدَّاءُ الْعُقَامُ
عَلَى أَيَّامِ صَحَّتِكَ السَّلَامُ
مُعَاجِلَةً فَيَأْكُلُكَ الطَّعَامُ
بِهِ ابْتَلَيْتَ مِنَ الْقَدَمِ الْأَنَامُ
فَاكْثَارُ الدَّوَاءِ هُوَ السَّقَامُ
وَلَكِنْ لِلْحَيَاةِ بِهَا دَوَامُ
فَمِنْهُ حَيَاتُهُمْ وَبِهِ الْجَمَامُ
وَمَا غَيْرُ الطَّعَامِ لَهُمْ زَمَامُ
تَتَوَّعُهُ أَلَا بِئْسَ الْمَرَامُ!
كِفَاكَ مِنَ الْقَرَّاحِ لَهُ إِدَامُ^٣
رَأَيْتَ النَّاسَ أَجْشَعَهَا اللَّئَامُ!
لَفْطَنَتَهُ بِبَطْنَتِهِ انْهَزَامُ
لَصِمْتُ فَكَانَ دِيدَانِي الصِّيَامُ
تَكَاثَرَ فِي فُطُورِهِمُ الطَّعَامُ
وَقَدْ نَهَمُوا إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ
فَإِنَّ اللَّيْلَ مِنْكَ لَنَا انْتِقَامُ
وَقَدْ يَتَجَشَّسُونَ وَهُمْ نِيَامُ

فقل للصائمين أداء فرض: ألا ما هكذا فرض الصيام!

١ أكْبَ عليه: أقبل عليه ولزمه. وكان خَفًا بالكسر: أي خفيًا.

٢ والى بينها: أي تابع بين اللقم. فما مرئت له: أي ما سأغت المغبة. لَقَمًا: تمييز للضمير المضاف إليه في قوله بينها.

٣ القفار بالفتح: صفة لمحدوف؛ أي الخبز القفار، ويقال: خبز قفار: أي غير مأدوم. والقراح بالفتح: الماء الخالص.

تحية سركيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب الشهير سليم سركيس، عند قدومه إليها زائراً.

من فاضلٍ أكبرته قبل اللقاء
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما
إلا الفتى سركيس؛ أي وتشرّفي
جالسته في القدس أول مرة
في مجلسٍ نظم الزمان بصدوره
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه
يحيي السرور الميت منك بنكتة
وإذا أفاض من الحديث بحكمة
وإذا تحدّث مازحاً فنكاته
لو يستدرّ يد الشحيح بظرفه
جالسته فكّه الكلام منافثاً
فمجالس الأدباء أنت رئيسها
أولست ربّ مَجَلَّةٍ أدبية
في كل شهرٍ بالفنون تزفّها
قد جنّت في تحبيرها منتطّساً
تبدو الحقائق من خلال سطورها
لَمَّا قدمت القدس قصدَ زيارةٍ
قمنا لفضلك يا سليم تجلّة

فَسَجَرْتُ فيه من النشاء وطيسا
يُعزى إليه من العُلا معكوسا
بلقائه، إلّا الفتى سركيسا
فأحسّ قلبي من هواه رَسيسا
عقداً من الصيد الكرام نفيسا
فيدير منه على الجلوس كنوسا
فُيريك معجزة ابن مريم عيسى
خِلنا محدّثنا أرسطاليسا
بالضحك تصفع من تراه عبوسا
يوماً لجاد له وحلّ الكيسا
أكرمَ بمثلك يا سليم جليسا!
أخلق بمثلك أن يكون رئيسا
تُزري بأزهار الرياض طروسا
عذراء باهرة الجمال عروسا
تشفي بنفث يراعك المألوسا
فتضيء في ليل الشُّكوك شموسا
فمنحت وحشة أهلها تأنيسا
نحني الظهور مُطأطين رعوسا

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الأستانة إلى محمد باقر، لمّا أصدر جريدة البلاغ في بيروت.

أباقرُ لم تدعُ للقوم عُذراً
فقد صُغت النصائح خالصاتٍ
وأوضحت الحقائق رائقاتٍ
ولكن أين من يُصغي ومن ذا
لقد حلم الأديم فليت شعري
ألسن ترى بني الإسلام أمسوا
فقومٌ في مقاصفهم وقومٌ
وكم داع رأوه لهم «مفيداً»
وكم صحفٍ لهم فغرّت حلوفاً
وما أخذتهم نفثاً ولكن
على أني وإن أبديت سُخطاً
فلا تترك بلاغك عن ملالٍ
فقم في القوم مُنتضياً يراعاً
وخاطبهم بشقشقة المنادي
فأنت فتى إذا بلغت أمراً
وأنت وإن خُلقت نحيف جسم

بما أصدرت من حُجج البلاغ
فجاءت وهي فائقة المصاغ
لدى الأدواق طيبة المساغ
نحاول منه قلباً غير صاغٍ؟
أينفع ما تريد من الدباغ؟
حيارى بين منتصف وباغٍ؟
يلوكون القفار بلا صباغ
وما هو في «الحقيقة» غير لاغ
لتمضغهم بأسنان شواغ
تضجُ كأنها الإبل الرواغي
فما أدعوك فيه إلى الفراغ
فيفرخ من ملالك كل طاغ
يفلق هام أرباب الرواغ
وأونة بدندنة المناغي
تؤيدك البلاغة في البلاغ
تفوق سواك في كبر الدماغ

في حفلة الزهاوي

أرى بغداد من بعد اغبرارٍ
زهت بكبيرها أدبًا وعلماً
وكادت مصر تسبقها فخاراً
ولكن عاد محتقبا إليها
فأهلاً بالحكيم وألف أهلٍ
وما الآداب في بغداد لولا
إذا ما قال في بغداد شعراً
تقرّد في بديع الشعر معني
أعيذك يا جميل الشعر من أن
يداوون السقيم من المعاني
ألا لا تعجين وهُم ذئاب
لقد نقدوا قريضك نقد أعمى
فأحم لهم حديد الشعر حتى
فهم قوم يرون الحلم عجزاً
ولا تضربهم إن شئت إلا
فهم مثل الذباب يطير ذعراً
وليسوا مُحوجيك إلى معينٍ
فنفخ منك يجعلهم هباءً
وما احتاج القوي إلى معينٍ

زهت بقدم شاعرها الزهاوي
زهت بطبيب علّتها المداوي
به لو ظلّ وهو هناك ثاوي
فخار الأرض والشرف السماوي
بمن لا زال مُرشد كل غاوي
يراع جميلها إلا دعاوي
رواه له بأقصى الأرض راوي
فجلّ عن المُعادل والمساوي
يسوءك نقد أرباب المساوي
بفهم كان أجدر بالتداوي
إذا هم أفرعوك بصوت عاوي
يدل على الضغائن في المطاوي
تذيق نفوسهم حرّ المكاوي
إذا ما ناوعوك ولم تتاوي
بضغث من نبات الشعر ذاوي
بهزّ مذبّة وهويّ هاوي
وهم ما بين مهزول وضاي
ويسقطهم إلى سفلى المهاوي
إذا كان الضعيف هو المُقاوي

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت.

إلى حياة سعيدة	هَلُمَّ يا قومُ نسعى
إلى أمورٍ عديدة	فإن فينا افتقاراً
إلى المساعي المُفيدة	إلى اتحادٍ وسعي
بها الشرور المبيد	إلى معاهد نُفني
على القصور المَشيده	إلى مدارس تعلو
إلى نفوس رَشيدة	إلى عقولٍ كبار
بها الخطوب الشديدة	إلى جُسم نُقاوي
به فساد العقيدة	إلى صلاح نداوي
بكلمةٍ عن قصيده	وإن أريد اكتفاءً
هو الحياة الجديدة	فكل ما نبتغيه
حبوبةٌ في الجريدة	هو الذي تدّعيه
لنا بكل شريده	تلك الصحيفة تأتي
من كل عقد فريده	تلك المجلة تحوي
إن شئت كل نشيده	حبوبةٌ استتشديني
حميدة ومجيدة	فأنت خيرُ فتاةٍ
وقد فككت قيوده	الشرق فيه قيود
وقد شفيت جُموه	وفيه داءُ جُمود
صحيحة وسديده	أراؤك الغرُّ فيه
لهنَّ أنت مُريده	مَنْ لا يُريد أموراً
وطوق الأسر جِيدة	إلا الذي عاش غرّاً
لقصعة وثریده	فذاك ما عاش إلا

إلى المتعلم

أَخْصِ فِي الْعِلْمِ إِنْ أَرَدْتَ كَمَالًا
وَإِذَا رُمْتَ فِي التَّعْلَمِ حَذَقًا
وَاجْتَنِبْ قَسْرَهَا عَلَى مَا أَبْتَه
إِنَّمَا الْمِيلُ فِي الْغَرَائِزِ تَيًّا
أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلِّ—
لَيْسَ فِي أَرْوَاسِ الرِّجَالِ دِمَاجُ
فَمَنْ النِّقْصُ أَنْ تَحَاوِلَ أَنْ تَضُ—
حَسَنَ فَهْمِ الْأَخْصِ أَكْثَرَ نَفْعًا
وَبُغَاةِ الْعُلُومِ مِثْلَ رِمَاةِ الصِّ—
وَإِذَا مَا اشْتَغَلْتَ بِالْجِدِّ سَاعًا
وَتَرَفَّقَ إِذَا جُهِدْتَ فَإِنَّ الرِّ—
وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْعَجُولُ مَدَاهُ
كُلُّ مَنْ كَانَتْ الْعُلُومُ لَدَيْهِ
أَيُّ فَضْلٍ لِعَالَمٍ غَيْرِ بَدْعٍ
سَارَ شَوَاطِئَ لِكُلِّ عِلْمٍ وَلَكِنْ
هَبْنِي أَبْدَى مِنَ الْعُلُومِ نَجُومًا
أَوَلَيْسَ الْبَدْرُ التَّمَامُ وَإِنْ كَا
كَنْ قَوِيًّا فِي كُلِّ مَا تَدَّعِيهِ
أَيُّهَا الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ رُوَيْدًا

وَوَصُولًا إِلَى الْفَخَارِ الْآتَمِّ^١
فَاتْرِكِ النَّفْسَ وَالَّذِي هِيَ تَرْمِي
إِنْ قَسَرَ الطَّبَاعَ أَكْبَرَ ظَلَمٍ
رَ وَمَنْ ذَا يَرُدُّ تِيَارَ يَمٍّ
—مَ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضْمٍ
هَاضِمٍ فِي ذِكَايِهِ كُلِّ عِلْمٍ
—رَبِّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَهْمٍ
لَذَوِيهِ مِنْ قَبْحِ فَهْمِ الْأَعْمِّ
—يَدِ فَاعْلَمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ كَمُضْمِي^٢
بِ فَهَازِلِ سُوءِ عِلْمٍ وَاسْتَجَمِّ
فَقِّ يُذَكِّي الْفَوَادِ وَالْعَنَفُ يُعْمِي
بِالْتَّأْنِي بَلُوغِ خَضَمِ بَقَضَمِ^٣
جَمَّةً كَانَ نَفْعُهُ غَيْرَ جَمٍّ
لَيْسَ فِي الْعِلْمِ يُرْتَجَى لِلْمُهْمِّ؟!
لَمْ يَنْلِ فِيهِ غَايَةَ الْمُسْتَنْتَمِّ
فِي لِيَالٍ مِنَ الْمَشَاكِلِ دُهِمٍ
نَ وَحِيدًا يَرْبُو عَلَى أَلْفِ نَجْمٍ؟!
إِنَّمَا الْفَوْزُ لِلْقَوِيِّ الْمُلِمِّ
أَقْرَنُ الضَّأْنَ فَاتِكُ بِالْأَجَمِّ^٤

^١ قوله أخص: فعل أمر من أخصى طالب العلم، إذا تعلم علمًا واحدًا.

قوله: «وليس منكم كمصمي»، المنمي: اسم فاعل، من قولهم: أنمى الصياد الصيد؛ إذا رماه فأصابه ولم يقتله، ثم ذهب عنه فمات، والمصمي: اسم فاعل من قولهم: أصمى الصيد؛ إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه، والمعنى أن طالب العلم كرامي الصيد، فإذا أخصى في العلم وأتقنه كل الإتقان، كان كالمصمي الذي ينتفع بصيده.

٣ المراد بالخضم هنا: الأكل ملء الفم. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان قليلاً قليلاً، وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم: «قد يبلغ المخضم بالقضم»؛ أي الشبعة تبلغ بالأكل بأطراف الفم، أي الغاية البعيدة تدرك بالرفق.

٤ الأقرن من الضأن: الذي له قرنان. والأجم: الذي لا قرن له، والمعنى أن القوي فائق بالضعيف لا محالة.

اليتيم المخدوع^١

قضى والليل مُعْتَكِرٌ بهيمٌ
قضى في غير موطنه قَتِيلًا
قضى من غير باكيةٍ وبالكِ
قضى غَضَّ الشَّيْبَةِ وهو عَفٌّ
سقاه من الردى كأسًا دهاقًا
تجرَّعها على طَرَبٍ ولكن
على حينَ الرِّبَابَةِ في نواح
بحيث رقائق الألحان كانت
كأن ترنُّم الأوتار نَغْيٌ
فجاء الموتُ ملتفَعًا بخُزْيٍ
فأطلق من مسدَّسه رصاصًا
فخرَّ إلى الجبين به «نعيمٌ»
فبانَ مودِّعًا بعد ارتثاثٍ
لئن لم تبك من أسف عليه
ولو دَرَّتِ النجوم له مصابًا
عسى الشهباءُ تتأرَّه فتُبْدِي
ولم يقتله «إبراهيم» فيما
أليس «سليمٌ» الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غِرًّا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبأ بلأح
ولمَّا أن ثوى ناديت أرَّخَ

ولا أهل لديه ولا حميم
تمجُّ دم الحياة به الكلوم^٢
ومن يبكي إذا قتل اليتيم؟
مُطَهَّرَةٌ مآزره كريم
عَفَافُ النفس والعرضُ السليم^٣
بكفَّ اليتيم ليس له نديم
يساجلها به العود الرخيم
بها الأشجان طافية تعوم
وصمت السامعين لها وجوم
وملء إهابه سَفَةً ولومٌ^٤
به في الرَّمْيِ تتخرق الجسوم
كما انقضَّت من الشُّهْبِ الرجوم^٥
حياةٌ لا تُتَاط بها الوصوم^٦
سفاهتنا فقد بكت الحُوم^٧
بكَّته على ترفعها النجوم
إلى الزوراء ما يبدي الخصيم^٨
أرى بل إن قاتله «سليمٌ»
«نعيمًا» فهو شيطان رجيم
يتيمًا ما له أبدًا زعيم
تخرَّمه بها قتل أليم
وأندبه وإن سَخَط العُومُ
ثوى قتلًا بلا مهلٍ «نعيمٌ»

١ السبب الذي دعا شاعرنا إلى نظم القصيدة، أن رجلاً يهودياً مطرباً من حلب اسمه «سليم» خدع غلاماً مسيحياً يتيمًا من أهلها، وأتى به من بغداد فأراد منه المنكر بعض أهلها، فأبّت نفس الغلام الزكية الطاهرة ذلك، فجاءه يومًا وهو سكران والغلام في نادي طرب يضم المئات من الناس، وأطلق عليه الرصاص، فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض، فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك، وقبض على الجاني وزج به في السجن، فنظم معروف الرصافي هذه القصيدة حاكيًا بها هذه الحادثة المؤلمة.

٢ الكلوم: الجروح.

٣ دهاقًا: ممثلة.

٤ الإهاب: الجلد قبل أن يدبغ.

٥ الرجوم: ما يرم به، مفردها رجم.

٦ ارتث ارتثًا: بالبناء للمجهول؛ حمل من المعركة جريحًا. الوصوم: العيوب.

٧ الحلوم: العقول.

٨ الشهباء: حلب. والزوراء: بغداد.

ميت الأحياء وحي الأموات

تَيْقَظُ فما أنت بالخالدِ
فخلدٌ بسعيك مجداً يدومُ
وأبقى لك الذكر بالصالحاتِ
وردٌ ما يناديك عنه الصدورُ
وسر بين قومك في سيرةٍ
فإن فتى الدهر من يدعي
ولا تكُ مُرمَى بداءِ السكونِ
وكن رجلاً في العلا حوَّلاً
إذا اطردت حركات الحياة
ولم تنتوِّع أفانينها
ولم تتجدد لها شَمْلَةٌ
فما هي إلا حياة السَّوامِ

ولا حادث الدهر بالراقِدِ
دوامِ النجوم بلا جاحدِ
وخلُ النزوع إلى الفاسدِ^١
ألا درَّ درُك من وارد! ^٢
تميت الحقود من الحاقِدِ
فتأتى أعاديهِ بالشاهدِ
فتصبح كالحجر الجامدِ
تفنن في سيره الراشد ^٣
ومرَّت على نسَقٍ واحدِ
ودامت بوجهٍ لها باردِ
من السعي في الشرف الخالدِ
تجول من العيش في نافذ ^٤



وما يُرتجى من حياة امرئٍ
وليس له في غضون الحياة
يَغضُّ على الجهل أجفانه
فذاك هو الميئُ في قومه
وما المرءُ إلا فتى يغتدي
سعى للمعارف فاحتازها
وطالع أوجه أقمارها
فأبدى الحقائق من طيِّها
إذا هو أصبح نادى: البدارِ
فكان المجلي في شأوه

كماءٍ على سَبخة راكِدِ^٥
سوى النفس النازل الصاعدِ
ويرضى من العيش بالكاسدِ
وإن كان في المجلس الحاشدِ
إلى العلم في شركِ صائدِ
وصاد الأنيس مع الآبِدِ^٦
بعين بصيرٍ لها ناقدِ
وألقي القيود على الشاردِ
وشمر للسعي عن ساعدِ
بعزمٍ يشقُّ على الحاسدِ

وإن بات بات على يَفْظَةٍ
وأحدث مجداً طريفاً له
وما الحمقُ إلا هو الاتكا
فذاك هو الحيُّ حيُّ الفخار

بَطْرِفٍ لنجم العُلا راصد
وأضربَ عن مجده التالد
لُ على شَرَفٍ جاءَ من والد
وإن لحدثُهُ يد اللاحد

١ النزوع: المِيل.

٢ الصدور عن الأمر: الرجوع عنه. در درك: أي أكثر خيرك، وأصل معنى الدر: اللبن.

٣ الحول: هو الشديد الاحتيال.

٤ السوام: الحيوانات السائمة.

٥ السبخة: الأرض ذات النز والملح.

٦ الأبد: النافر.

نحن في بغداد

أيا سائلًا عنَّا ببغداد إننا
علتُ أمةَ الغرب السماءَ وأشرقَتْ
وهم ركضوا خيلَ المساعي وقد كبا
فنحن أناسٌ لم نزل في بَطَالَةٍ
خضعنا لحكام تجور وقد حلا
كما قامرْتنا ساسةُ الأمرِ خدعةً
لماذا نخلف الموت جُبْنًا فلم نقم
إذا كنْتُ لا ألقى من الموت موئلاً
وللْمَوْتِ خيرٌ من حياة تشوبها

بهائم في بغداد أعوزها النَّبْتُ
علينا فظَلنا نَنْظرُ القوم من تحتُ
بنا فرَسٌ عن مِقْنَبِ السعي مُنْبِتٌ^١
كأنَّا يهودٌ كلُّ أيامنَّا سبتُ
بأفواها من مالنا مأكَل سُحْتٌ^٢
فتمَّ علينا بالخداع لها الدُسْتُ^٣
إلى الدَّبِّ عنا من أمورٍ هي الموت؟!^٤
فهل نافعِي أن خفته أو تهَيَّبْتُ؟!
شوائب منها الظلم والذل والمقتُ

^١ ركض فرسه: غمزه برجله ليعدو ويسرع. كبا: عثر. المِقْنَب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة. منبت: منقطع.

^٢ السحت: المكسب الحرام.

^٣ الدست: الخديعة، والدست أيضًا: هو الذي يكون فيه الغلب في الشطرنج، وهذا المعنى أقرب المعاني ليناسب معنى المقامرة.

^٤ الدَّبُّ: المدافعة.

رقية الصريع

يا عدل ضاق الصبر عنك فأقبل
هلاً عطفت على الصريخ المغول!
حادت بهنّ عن الطريق الأمل
ما لم تقل، وتقول ما لم تفعل
للعدل وهي بحكمها لم تعدل
فغدت تُفوّض للغنيّ الأجهل
ومتى انقضى الأجل المسمّى يُعزل
قد عاد من أهل الثراء الأجل
حتى يعود بمنصب كالأول
دار الخلافة عند مَنْ لم يعقل
خصت برأي مقدّس لم يسأل
مثل البناء على نقاً متهيل^١
هبيّ وفي أمر الملوك تأملي
—منصوص في أي الكتاب المنزل؟
مَنْ حاد عن هدي النبيّ المرسل؟!
ولواك عن قصد السبيل الأفضل!^٢
خسفاً وينقم منك إن لم تقبلي
ويريد شكرك وهو لم يتفضل
حتى صبرت لفتكه المستأصل
تُستخدمين لغيّه المسترسل
حُمقاً فهل هو من صحيح تعقل
كشفتْ عماية قلب كلّ مُضلل
أبدت لهم حُقق الزمان الأول

يا عدل طال الانتظار فعجّل
يا عدل ليس على سواك مُعوّل
كيف القرار على أمور حكومة
في الملك تفعل من فظائع جورها
ملأت قراطيس الزمان كتابةً
أضحت مناصبها تُباع وتشتري
تُعطي مؤجلة لمن يبتاعها
فيروح يشري ثانياً وبما ارتشى
فيظلّ في دار الخلافة راشياً
سوق تباع بها المراتب سميت
أبت السياسة أن تدوم حكومة
مثل الحكومة تستبدّ بحكمها
يا أمة رقدت فطال رقادها
أَيكون ظل الله تارك حكمه الـ
أم هل يكون خليفة لرسوله
كم جاء من ملك دهاك بجوره
يقضي هواه بما يسومك في الوري
ويروم صبرك وهو يسقيك الردى
وقد استكنت له وأنت مُهانة
بات السعيد وبّت فيه شقيّة
تلك الحماقة لا حماقة مثلها
إن الحكومة وهي جمهورية
سارت إلى نجاح العباد بسيرة

فسموا إلى أوج العلاء ونحن لم
حتى استقلوا كالكواكب فوقنا
وعلوا بحيث إذا شَخَصنا نحوهم
لبسوا ثياب فخارهم مَوْشِيَّة
نالوا وصال مُنى النفوس وإنها
حتى أقيم مجسَّمًا تمثالها
تمثال ناعمة الشمائل وجهها
أبعد هذا يا سِراة مواطني
الغوث من هذا الجمود فإنه
قد أبحرت شَمُ الجبال وأجبلت
ما ضرَّكم لو تسمعون لناصح
حَتَّام نبقى لُعبة لحكومة
تتحو بنا طرق البوار تحيِّفًا
هذا ونحن مُجَدِّلون تجاهها
ما بالنا منها نخاف القتل إن
يا عاذلًا فيما نفثت من الرُّقى
انظر لصرعة من رَقِيت وطولها

نبرخُ نسوخُ إلى الحضيض الأسفل^٣
تجلو الظلام بنورها المتهلل
من تحتهم ضحكوا علينا من علٍ
بالعزَّ وهي من الطراز الأكمل
حرية العيش الرغيد المُخضل^٤
بين الشعوب على بناء هَيْكل
ترداد نورًا منه عينُ المجتلي
نرضى ونقنع بالمعاش الأرذل؟!
تالله أهونُ منه صُمُ الجنذل^٥
لجج البحار ونحن لم نتبدل
لم يأت من نسج الكلام بهلhel^٦
دامت تجرَّعنا نقيع الحنظل؟!
وتسومنا سوء العذاب الأهول
كالْفأر مرتعدًا تجاه الخَيْطل^٧
قمنا! أما سنموت إن لم نُقتل؟!
وعزمت فيه على الصريع المهمل
فإذا نظرت فعند ذلك فاعذل

١ نَقَا: القطعة من الرمل. متصبب.

٢ لَوَاك: صرفك. قصد السبيل: أي السبيل المستقيمة.

٣ نسوخ: نغوص.

٤ المخضل: الندي.

٥ الجنذل: الحجارة، مفردها: جنذلة.

٦ الهلhel: الثوب الرديء النسج.

٧ مجدلون: مطرحون أرضًا. الخيطل: السنور، ويطلق على الكلب أيضًا.

مثنيات شعرية

وأفحش القول منهم قول مفتخر
والمرء في العجب ممقوت وفي الأشر^١

أشرُّ فعل البرايا فعل منتحر
إن التمدُّح من عُجْبٍ ومن أشرٍ

♦ ♦ ♦

كيف الرماية عن قوس بلا وتر؟!
وإنما العجز تفويضٌ إلى القدر

يا راجي الأمر لم يطلب له سببًا
ليس التسبب من عجز ولا خورٍ

♦ ♦ ♦

إن شئتَ للشاء أو إن شئتَ للبقر
مَنْ قد أنفت به أني من البشر

دع الأناسيَّ وانسبني لغيرهم
فإن للبشر الراقي بخلقته

♦ ♦ ♦

كالماء يلبس ما للظرف من جدرٍ
عارٍ من الإنس أو كاسٍ من الضجر

ألْبَسَ حياتك أحوال المحيط وكن
وإن أبيت فلا تجزع وأنت بها

♦ ♦ ♦

فاستغني عن مال أهل البذخ والبطر
فريسة بين ناب الذل والظفر

إن رمت عزًّا على فقر تكابده
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمعٍ

♦ ♦ ♦

فارقبه من مرقب الكلي في النظر
يكون منه عموم الناس في الضرر

إذا نظرتَ إلى الجزئي تصلحه
فإنَّ نفعك شخصًا واحدًا ربَّما

♦ ♦ ♦

كالنَّعش يُدهشُ مرأى وهو من شجر
وليس يثبت إلا عند معتبر^٢

قد يقبح الشيء وضعًا وهو من حسن
فالقبح كالحسن في حكم النهي عَرَضٌ

♦ ♦ ♦

لَيَنْتِجَ الشرُّ خيرًا غير منتظر!

لا تعجبَنَّ لذي عقل يروح به

بين الشرور كمون النار في الحجر

فإنما لمعات الخير كامنة

♦ ♦ ♦

وإنما كثرة الأشياء بالصُّور
فهل ترى فيه عقلًا غير منبهر؟

سبحان مَنْ أوجد الأشياء واحدةً
هَبْ منشأ القوم يبقى مبهمًا أبدًا

♦ ♦ ♦

فكم هما أخذا قومًا على غرر!
أن المحبة تبدي الصفو في الكدر

الحب والبغض لا تأمن خداعهما
فالبغض يبدي كدورًا في الصفاء كما

♦ ♦ ♦

شيءٌ من الصدق تمويهًا على الفكر
وليس إبطال مخض الكذب بالعسير

وأشنع الكذب عندي ما يمازجه
فإن إبطال هذا في النُّهى عسيرٌ

♦ ♦ ♦

كفُّوا الملام فما قلبي بمنزجر
هذي القلوب ولا أعني عمى البصر

قالوا: عشقت معيبَ الحسن! قلت لهم:
ما العشق إلا العمى عن عيبٍ من عشقتُ

♦ ♦ ♦

أبي امرؤ جَدُّه الأعلى أبو البشر
أتسألوني بمجدٍ ليس من ثمري؟!^٣

قالوا: ابنُ مَنْ أنت يا هذا؟ فقلت لهم:
قالوا: فهل نال مجدًا؟ قلت: وا عجبى!

♦ ♦ ♦

مَنْ ليس يعرف معنى الدَّر والدَّرر^٣
مَنْ لا يفرق بين الشُّعر والشَّعر

لا دَرَّ دَرٌّ قصيدٍ راح ينظمه
يبكي الشعور لشعر ظل ينقده

♦ ♦ ♦

مِمَّنْ تعلمت نفثَ السحر في السحر؟
به المشاعر من سمعٍ ومن بصرٍ

قالت «نَّوار» وقد أنشدتها سحرًا:
فقلت: من سحر عينيك الذي سحرت

١ الأشر: البطر.

٢ النهى: العقل.

٣ الدر بفتح الدال: هو اللبن.

إلى المتقاعدين من ضباط الجيش

عقل وتجربة وجدُّ زائدُ
جعلوا التقاعد للجنود كرامة
ليس التقاعد للرجال بطالةً
لكنه عمل جديد نافع
بالسعي تزدهر الحياة وإنما
إن الحياة ليقظة فعالة
لن تبلغ العلياء في ساحاتها
انظر تجد شُعبَ الحياة كثيرة
فكأنَّ أشغال الحياة مراحل
يا أيها المتقاعدون ألا اتَّقوا
علمت تجاربكم وأيقن رأيكم
فاستمسكوا بعُرى المودة بينكم
كونوا جميعاً في الحياة كأنكم
في الحرب طاب لكم جِلادٌ فلتطبُّ
تركت أكفكم السيوف وعندها
كل الحياة معارك لكنما
ولربما كانت سلاحاً نافذاً
فأتوا من الأعمال ما هو صالحٌ
وتتبعوا سُبُلَ الحياة ولا يكن
وتصرّفوا في أمرها بمهارةٍ
ما عاب من سَلِّ المهند أنه

هذي صفاتٌ حازها المتقاعد
كي يستريح من الجهاد مجاهد
إن البطالة للرجال مفسد
عما تقوم به الحكومة حائد
لون الحياة بغير سعيٍ كامد
فالراقد الكسلان فيها بائد
هممٌ مثبّطة وعزمٌ راقد
فيها من السعي الحثيث مشاهد
والسعي نازٌ والبلاد مواقد
نقدًا يصول به عليكم ناقد
أنَّ الحياة تعاونٌ وتعاضد
كيلا يكون تباغض وتحاسد
رجل — إذا دَهِت الدواهي — واحد
في السلم أعمال لكم ومقاصد
منكم أشد من السيوف سواعد
فيها سلاح المرء جُهد جاهد
عند اللئام دسائس ومكايد
للناس فيه مصالح وفوائد
منكم إلى غير المكارم قاصد
وذروا السيوف فإنهن جوامد
للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أَيَّ قَدْسٍ يَضُمُّ هَذَا الْبِنَاءُ!
إِنْ يَكُنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ
هُوَ مِنْ هَذِهِ الْبَنِيَّاتِ لَكِنْ
كَلِمَا قَدْ رَأَيْتَهُ تَتَجَلَّى
هُوَ بَكَرٍ فِي ذِي الْبِلَادِ وَلِلْأَطْفَالِ
لَمْ نَكُنْ قَبْلَ ذَا نُفَكِّرُ فِيمَا
كَانَ لِلْبُؤْسِ فِي الْمَوَاطِنِ لَفَحَ
رَبِّ طِفْلٍ أَوْدَتَ بِهِ قَلَّةَ الدَّرِّ
أُمُّهُ مِنْ أَبِيهِ أَمَتْ فَأَمْسَتْ
فَحَكَى شَخْصَهَا الْخِيَالَةَ إِذْ لَا
فَهُوَ إِنْ لَمْ يَعِشْ فَمَوْتُ مُرِيحٍ
هَكَذَا كَانَتْ الْمَوَالِيدُ تَحْيَا
وَمِنَ اللَّوْمِ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا الْأَطْفَالَ
لَا غِذَاءَ فِي جُوفِهِمْ لَا كِسَاءَ
إِنَّهُمْ غَيْرُ مُعَرَّبِينَ وَمِنْ حَسَنِ
عَلَّ مَنْ لَوْ يَعِيشُ مِنْهُمْ لِأَضْحَى
رَبِّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَعَهُ
لَيْسَ مَوْتُ الْأَطْفَالِ هَيْئًا فَقَدْ يَنْ—
إِنَّمَا هُمْ كَمَثَلِ أَصْدَافٍ بَحْرٍ
وَلَعَلَّ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُمْ
شَأْنُ هَذَا الْبِنَاءِ شَأْنُ عَظِيمٍ
كَلِمَا قَدْ رَأَيْتَهُ لَمَعَتْ لِي
وَلَقَدْ دَلَّ أَنْ مَنْ شَيْدُوهُ

حَسَدْتُ أَرْضَهُ عَلَيْهِ السَّمَاءُ
فِيهِ قَدْسِيَّةٌ فَهَذَا الْبِنَاءُ
شَرُفْتُ بِالْمَقَاصِدِ الْأَشْيَاءَ
لِي مِنْ تَحْتِ أَسِّهِ الْعُلِيَاءِ
فَقَالَ فِيهِ حِمَايَةَ عِزِّهِ
فَكَّرْتُ فِيهِ قَبْلَنَا الرُّحَمَاءُ
مِنْ سَمُومٍ تَذْوِي بِهِ الرُّضْعَاءُ
عَلَى أَنْ أُمُّهُ تَذِيَاءُ
يَنْهَكَ الْبُؤْسُ جِسْمَهَا وَالشَّقَاءُ
حَ ذَبُولَ بِجِسْمِهَا وَارْتِخَاءُ
وَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ فِيهِ الدَّاءُ
وَلَهَا مِنْ حَيَاتِهَا إِفْنَاءُ
فَقَالَ تَقْنَى لِأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
لَا وَطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءُ
مَنْ السَّجَايَا أَنْ تُرَحِمَ الْعَجَمَاءُ
فِيهِ لِلنَّاسِ مَأْمَلٌ وَرَجَاءُ
شَرَفٌ بِأَذْخِ لَنَا وَعِلَاءُ
بَغٍ مِنْهُمْ نَوَابِغُ أَذْكَيَاءُ
لَسْتُ تَدْرِي: دُرٌّ بِهَا أَمْ خَلَاءُ؟
مَاتَ عَقْلُ بَمَوْتِهِ وَدِهَاءُ
لَمْ تَطَاوُلْهُ فِي الْعِلَا الْجُوزَاءُ
فِيهِ مِنْ تَحْتِ أَسِّهِ الْعُلِيَاءِ
سَادَةٌ فِي طِبَاعِهِمْ كَرَمَاءُ

بلغوا من فخارهم ما شاءوا
فيه حمد لهم وفيه ثناء

شكر الله سعيهم من رجال
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ

خزانة الأوقاف

للمسلمين على نَزُورة وَفَرهم
كنزٌ لو استشفوا به من دائهم
ولو ابتغوا للنشء فيه ثقافة
ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم
لكنهم قد أهملوه وأعملوا
فإذا نظرت رأيت ثمة أرضه
قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا
وقفوا به عند الشروط لواقف
تركوا له في العصر نفعا ظاهرا
لم يستجدوا فيه شيئا واكتفوا
قل للذين تقيدوا بشروطه
غرسوه غرسا مثمرا لكن جرت
هل بين شرط الواقفين وبين ما
أريد أن يقفوا الزمان أمورنا
الأرض مسجدنا فقيم مساجد
كان الصلاة بمسجد وبغيره
هلا جعلن مدارسًا فياضة
ينتابها أبناؤكم كي يأخذوا
فيفيض فيض العلم حتى يرتوي
إن لم يكن شرف البلاد محصنا
وإذا النفوس تسافلت من جهلها
هذي الخزانة أنشئت فبناؤها
أيظن ذو عقل بأن بناءها

كنز يفيض غنى من الأوقاف
لتوجروا منه الداء الشافي
لنتفقوا منه بخير ثقاف
لأطارهم بقوادم وخوافي
في جانبيه عوالم الإتلاف
تجري الرياح بها وهن سوافي
أهل الحياة به من الإجحاف
وتغافلوا عن حكمة الإيقاف
وتعاملوا فيه بنفع خافي
في كل حال منه بالسفساف
ماذا التوقف عند رسم عافي؟
غير الزمان فعاد كالصفصاف
نفع العموم تناقض وتنافي؟
وأمرنا هي للزمان قوافي؟
أمست تعد اليوم بالآلاف
في الحكم واحدة لدى الأسلاف
من كل علم بالزلزال الصافي!
من كل فن بالنصيب الوافي
منه بنو الأمصار والأرياف
بالعلم كان مهدد الأطراف
لم يغلها شم على الأناف
للأمر فيه تدارك وتلافي
أمر لشرط الواقفين مُنافي

تالّله ليس بِمُنْكَرٍ تشييدها
أحيّوا بها عصرَ العلوم لدولة
عصر الرشيد أبي الخلائف إذ غدت
في عهد فيصلنا المعظم أنشئت
فإذا هتفتُ بحمده وبشكره
ناديت طلّاب العلوم مؤرخًا

إلا امرؤ خالٍ من الإنصاف
خلفاؤها من آل عبد مناف
بغداد رافلةً بمجدٍ ضافي
علماً يشير لأشرف الأهداف
ردّ الصدى بنيانها لهتافي
حُجّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

من جَوْر مصر على العروبة أنها
وتحيد عن آداب كل قبيلة
فترى بمصر تعصباً لأديبها
فاذكر أولي الآداب من غير الألى
وأشدّ بمن في غير مصر مُنوّها
تحفى بمنشدها القريب وتدعي
فالشاعر المصري فيها فاضل
وكانما أمست مواهب ربنا
هذا لعمر الله جَوْر عدّه
آداب كل معاشر كعلومهم
للعلم والآداب في كل الورى
من أين كانت مصر في أقباطها
أبت العروبة أن يفوق هزّارها

تتعمد التمصير في آدابها
لم تنتحلها مصر في أنسابها^١
متوالي النزغات في أعصابها^٢
في مصر يغضب منك أهل جنابها
ما إن ترى فيها لقولك أبها
أن لن يكون له البعيد مشابها
وسواه مفضول وإن يك نابها
مقصورة فيها على كتّابها
من فرط ضلّتها أولو ألبابها
جلّت عن الأوطان في استنسابها
دار محرمة إجافة بابها^٣
كمواطن الأعراب في إعرابها؟
صرد زقى في مصر زقى غرابها^٤

^١ تنتحلها: تدعيها.

^٢ النزغات: جمع نزغة، وهي الميل مع الهوى.

^٣ إجافة الباب: إغلاقه.

^٤ الصرد: طائر. وزقى: صاح وصوت.

عتاب وولاء

للشاعر الصادق الإحساس نعمان
من القريض رفيع ليس بالداني
فرع الدُّوابة من علياء عدنان
كمثل أزهار روض ذات ألوان
حتى اتَّسَقْنَ بأنغام وأوزان
مازَجْنَ في الشدو ألحانًا بالحنان
ويزدهيك من المعنى بأفنان
ما يفعل الماء في أحشاء ظمآن
حينًا وترسب أحيانًا بأحزان
كيف ابتدعت نشيدًا هاج أشجاني؟!
حسن الفرائد في أسلاك عقيان
قرحًا بقلبي قديمًا كان أدماني
فإنه عن شجون اليوم سلَّاني
وإن يكن هاج بي شجوا فأبكاني

أقيم راية تحميدي وشكراني
أقيمها رمز تعظيم على نشر
للشهم ذي الأدب الزاكي بمحتده
من جاءني بقوافٍ جدُّ زاهية
قد زانهنَّ بوشي من بدائعه
لما شدونَ بموسيقى براعته
ينوط بالسمع من ألفاظها دررًا
لقد فعلن بنفسي حين أنشدتها
فقلت، والنفس تطفو في مسرَّتها
يا شاعرًا تطرب الدنيا نشائده
أنشدتنيهِ رُقَى تحكي بروعتها
شعر يفيض شعورًا قد نكأت به
إن كان بالشَّجن الماضي يذكّرني
هذا لعمرك شعر قد سررت به



تنبيهك عن شغفي في حبّ أوطاني
إلا لأدفع عنها كل عدوان
نفسي وأهلي وأحبابي وخالني
عشْ بعد موتَي عيشِ الوادع الهاني
وكل أبنائك الأعداء إخواني
أذاك بالمزعجات الدهر أذاني
إن كنت أنت جليل القدر والشان
إن لم تكن أنت ذا عزٍّ وسلطان

إليك أرسل يا نعمان قافيةً
أُشربتُ حبَّ بلادٍ ما نشأت بها
أخلصت حبِّي لها حتى نسيت به
يا موطنًا لست منه في موادة
فكل مَنْ فيك تغنيني سعادتهم
إن سرَّكَ الدهر يومًا سرني وإذا
ما ضرَّني أن كل الناس تحقرني
وليس ينفعني عزٌّ ولا شرف

لو مَلَكُونِيكَ عَنْ قَهْرٍ بِلَا تَقَّةِ
أَلَيْتُ مِنْذُ بَلَّغْتَ الْحِلْمَ فِي وَطَنِي
وَأَنْ أَكُونَ لَهُ عَوْنًا أَوْ أَرْهُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَوْفَّقْ فِي تَحْرِرِهِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفْتَ
لَوْلَا التَّعَاوُدِي الَّذِي تَشْقَى الْوَحُوشُ بِهِ
يَا قَوْمِ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ
وَاسْتَتَصِرُوا اللَّهَ وَادْعُوهُ لِيُنْقِذَكُمْ
لَا تَحْسِبُونِي مِنْكُمْ جَازِعًا ضَجْرًا
إِنِّي أَلَفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْمَصَتِي
تَخْتَارُ نَفْسِي الطَّوَى بِالْعِزِّ قَانِعَةً
أَعِيشْ عَيْشَةً «عُنْدِي» وَهُوَ ذُو جِدَّةِ
الْعِزِّ أَعْظَمُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ شَبَعِ
فَالذَّلُّ يَقْتُلُ نَفْسًا مِنْهُ بَاقِيَةً
وَمَا الطَّعَامُ بِمَأْكُولٍ لِلذَّنَّةِ
وَفِي الْفَقَارِ غَنًى لِلْمُسْتَقِيتِ بِهِ
وَكُلُّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ عَارِيَةً
وَإِنْ ذَكَرَ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا



مَا كَتَّ غَيْرَ ظُلُومٍ فِيكَ خَوَّانٍ
أَنْ لَا أَقَابِلَ نَعْمَاءَ بَكْفَرَانٍ
بِالنَّصْرِ أَوَّلَ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ
بَنَيْتُ لِلْمَجْدِ فِيهِ خَيْرَ بَنِيَانٍ
نَفْسٌ وَلَا أَزْدَهَرْتَ أَرْضَ بَعْمَرَانٍ
مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا كُلِّ إِنْسَانٍ
فَقَرَّبُوا مِنْ حَيَاتِي كُلِّ قَرْبَانٍ
مِمَّا بِكُمْ حَلٌّ مِنْ هَوْنٍ وَخَسْرَانٍ
وَإِنْ يَكُنْ شَطْفِي فِي الْعَيْشِ أَصَوَانِي
فَالنَّعْمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سِيَانٍ
وَتَتْرَكَ الْقَصْفَ فِي ذُلِّ لِمِبْطَانٍ
فِي الْهِنْدِ يَمْشِي وَثِيْدًا شَبَهُ عَرِيَانٍ
وَالذَّلُّ أَقْتُلُ مِنْ جُوعٍ لَجُوعَانٍ
وَالجُوعُ يَقْتُلُ مِنْهُ جِسْمَهُ الْفَانِي
وَإِنَّمَا هُوَ تَقْوِيمٌ لِأَبْدَانٍ
عَنِ الْمَطَاعِمِ تَخْلِيْطًا بِأَلْوَانٍ
يَزُولُ عَنْهُ وَلَوْ مِنْ بَعْدِ أَحْيَانٍ
يَحْيِي الثَّنَاءُ عَلَيْهِ عَمْرَهُ الثَّانِي

نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غَفْرَانِي
أُحْرِقْتُمْ مِنْ لَطَى هَجْوِي بَنِيرَانٍ
حَتَّى بِذِيْتُمْ بَذَاءَ الْمَاجِنِ الْخَانِي
شَتَى الْأَقَاوِيلِ مِنْ زُورٍ وَبَهْتَانٍ
مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبَرْهَانِ بَرْهَانِي
إِلَى النَّقُولِ عَنْ زُهوٍ وَطُغْيَانٍ
فَالْغَشَّ دِيدَانُكُمْ وَالنَّصْحُ دِيدَانِي
عِزْمًا يُؤَيِّدُهُ بِاللَّهِ إِيْمَانِي
بَلْ أَتَّبِعُ الْعَفْوَ عَنْهَا بَعْضَ إِحْسَانٍ
عَنِي الْأَخْلَاءُ مِنْ شَيْبٍ وَشَبَانٍ
مَنْ كُلُّ أَحْمَرٍ هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ
مُسْتَعْجِمُ الْقَوْلِ جَافِي الطَّبَعِ مِرْطَانٍ

يَا لَاهِجِينَ بِشْتَمِي فِي مَجَالِسِهِمْ
لَوْلَا تَرْفَعُ نَفْسِي فِي سَفَاهَتِكُمْ
جَادَلْتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمَا جَدْلِي
وَخَضْتُمُ الْبَاطِلَ الْمُبْدِي بِنَعْرَتِهِ
وَمَنْ عَنَاءَ اللَّيَالِي أَنْ يَجَادِلَنِي
بَلْ يَتْرَكَ الْقَوْلَ مِنْ عَجْزٍ وَمِنْ خَوَرٍ
تَأْبَى الْمَرْوَةَ إِلَّا أَنْ أَخَالَفَكُمْ
وَإِنْ لِي فِي إِبَائِي كُلِّ شَائِنَةٍ
وَلَا أُرِيدُ قِصَاصًا مِنْ شَتَائِمِكُمْ
تَلْكُمُ سَجِيَّةَ حَرِّ النَّفْسِ يَذْكُرُهَا
يَا مَنْتَمِينَ إِلَى عَرَبٍ وَهُمْ عَجَمٌ
سَمِجُ الْمَلَامِحِ فِي عَثُونِهِ صَهَبٌ

كيف استويتم صقورًا في مجاثمكم
وما بكم غير قرد في جبلّته
إذا تسمّيتمو عربًا فلا عجب
تستثثرون صغارًا في معاطسكم
ورب مستكبر منكم تُتَلْتَلُهُ
فيستكين لهم حتى يكلمهم
كم تظهرون عفافًا في تدينكم
لو كان في الجنّ شيء من خباثتكم
هذي قوافٍ دعاني أن أبوح بها
ذاك الأديب الذي باهى بسيرته
وباهرت في مساعيه مكارمه
أكرم به يافعًا شرخ الشباب به

ولستم في السجايا غير غربان؟
وإن يكن جاء في مسلاخ إنسان
في أن يُسمّى ابن آوى باسم سرحان
وتشمخون إلى آفاق كيوان
أيدي الأجانب تلّ الجارم الجاني
في رعدة بلسان الخائف العاني
وتضمرون ضمير الفاجر الزاني
لعاذ بالله من كل شيطان
شعرٌ أتى من زكيّ النفس نعمان
كل الكواكب من قاصٍ ومن دان
أهل المكارم من أبناء عدنان
ريّان من شرفٍ بالمجد مزدان!

مناجاة وشكوى

أقول لرب الشعر مهدي الجواهر:
فترسلها غُرًّا هواتف بالعلّا
وتشدو بها والقوم صُمٌّ عن العلا
أترجو من الحساد عونًا وناصرًا
كأنك لم تبصر سواد قلوبهم
رويدك! إن القوم ليسوا كما ترى
فلا تغترر منهم ببادٍ فإنما
رمتهم يدُ الأيام من جشع بهم
بداءين قتالين حمّت نفوسهم
وقد فرقت أهواءهم في بلادهم
لذاك ترى كُلاً يعيش لنفسه
إذا جئتهم أبدوا إليك بشاشة
وإن غبت عنهم أوسعوك مدمةً
وقد ينكرون العار فيهم تجاهلاً
فدعهم وما هم فيه من جاهليةٍ
فسوف تراهم من تمادي ضلالهم
ونزّه بليغ الشعر عنهم بتركه
سكبت بحور الشعر قبلك خائضاً
وسيرت من غُرِّ القوافي بلجهاً
بكيت بها المجد المضاع بأدمع
ونحت على الماضي الذي كان زاهراً
فلم ألف إلّا منكبين مكانتي
كما راعني منهم تماسيح خسة

إلى كم تتأغي بالقوافي السواحر؟
يُرود منها سمعه كلُّ شاعر
فلم تلق إلا غير واعٍ وذافر
فتدعو منهم خاذلاً غير ناصر
فهل أنت مغرور ببيض المسافرين؟
لدى كل ذي علم بما في السرائر
ظواهرهم منقوضة بالضمائر
ومن بطر فيهم بداء الضرائر
فساد السجايا وانمساخ العناصر
أنانية حلت عقود الأواصر
على عكس عيش عند أهل الحواضر
وحسن ابتسام من ثغور مواكر
كأن لم يئثوا منك قبلاً لزائر
فيلقونهم بالمنظر المتخاثر
يدجون منها في الدياجي الكوافر
يعودون في العقبي بصفقة خاسر
لكل كذوب بينهم متشاعر
لعمرك منها كل طام وزاخر
قصائد سارت كالسفين المواخر
من الشعر شروى اللؤلؤ المتناثر
مناحة ربّات الجبال الحرائر
يحيدون عني كالوحوش النوافر
تريد ازدرادي بالحلق الفواغر

فقابلتهم بالصفح عنهم ترفعاً
أنا النوم من هذي الحياة على شفا
سأرحل عنهم عائداً من شرورهم

وأعرضت عن شتم السفية المهاتر
أشارف منه مرقدي في المقابر
ربّ كريم قابل التوب غافر

في حفلة الميلاد النبوي

وضح الحق واستقام السبيلُ
قام يدعو إلى الهدى بكتابٍ
طالباً غايةً من المجد قصوى
ووصولاً إلى مقام رفيع
همةً دونها الكواكب نوراً
بعظيم هو النبي الرسول
عربيّ قرآنه ترتيل
صدّه عن بلوغها مستحيل
عزّ مَنْ قبله إليه الوصول
واعتلاء يعلو به ويطول



جرّد الله منه للحق سيفاً
فيه عزم للمهلكات قحوم
ودهاء لو ماكرته دواهي الد
تدلهم الخطوب والرأي منه
كل أوصافه الجليّة بدّع
كل ضدين حده والفلول
واضطبار للنائبات حمل
هر طراً لاغتالها منه غول
في دجاها كأنه قنديل
فهو من عبقرية مجبول



أطلق الناس من تقاليد جهل
وشفاهم بهديه من ضلال
أنهض القوم للعلاء وكانت
فاستقالت به على الدهر يقضي
تلك في الدين نهضة هي للعق—
نهضة عالمية في وغاها
هّن كالبرق سرعة والتماعاً
خضعت فارس لها عن صغار
وإلى اليوم قام في الهند منها
يعرف النيل فضلها وعلاها
وبها الأرض والسماوات ترضى
كل فرد منهم بها مغلول
كل فرد منهم به معلول
في دنا القوم رقدة وخمول
هممٌ يعربية وعقول
ل انتباه وللهدى تأثيل
من أمام البعير فرّ الفيل
كل أفق بفضلها مشمول
وتداعى إيوانها المستطيل
أثر مثل طودها لا يزول
من قديم ويشهد الدردنيل
وتقر التوراة والإنجيل



غير أُنَّا عن نهجها اليوم حدنا
حيث عدنا وفي النهوض قعود
واختلفنا في الدين حتى افترقنا
والتزمنا الفروع منه فضاعت
كلُّ حزب بما لديه فخور
بدَّع في حياتنا منكرات

واستحلنا وكل حال تحول
ورجعنا وفي الصعود نزول
فرقًا لا يسيغها المعقول
بالتزام الفروع منه الأصول
ولمَن هم مخالفوه خذول
غضب الله فوقها مسدول



حالة ساءت الرسول وساءت
لو رأنا والشر فينا كثير
وثغور الضلال مبتسمات
والدعوى في الحق منا كبار
نعبد الله والعبادة لحنَّ
ونحجُّ القبور كالبيت حَجًّا
ونعد الركوع للقبور حِلًّا
ونزجِّي إلى القبور ندورًا
ونقول التوحيد قولًا وكلُّ
قال مستكرًا لما نحن فيه:
أين دين التوحيد منكم وأي—
أنا حرمت كل ما كان فيه
كل مَنْ قال منكم: إن هذا
لَمْ لَمْ تحفظوا أخوة دينٍ
كان حبل الإخاء فيكم وثيقًا
لست منكم بيئس بل نهوضُ
فاجمعوا الشمل ناهضين فإن ال—

كلَّ آي بها أُنَّا الرسول
مستفيض والخير نزر قليل
ووجوه الهدى عليها محول
طال فيها التزمير والتطويل
عند بعض وعند بعض عويل
يكثُر المسح فيه والتقبيل
وهو في الدين ما له تحليل
فضحايا مسوقة وحمول
هو للشرك عامد وفعل
ما بهذا قد جاءني جبريل
—ن الأوبُّ لله وحده والقول؟
شبه للأصنام أو تمثيل
هو دين الإسلام فهو جهول
جاءكم ناطقًا به التنزيل؟
كيف أمسى وعقده محلول
منكم بعد فترة مأمول
—كفر في الدين عجزكم والخمولُ

إلى العمال

كلُّ ما في البلاد من أموال
إن يطب في حياتنا الاجتماعيـ
وإذا كان في البلاد ثراء
نحن خلق المقدّرات وفيها
عندنا اليوم في الحياة نظام
حيث يسعى الفقير سعي أجير
فترى الكثيرين في طيب عيش
وترى الغائصين في البحر أمسى
وترى المعسرّين في كل أرض
أكثر الناس يكدحون لقوم
واحد في النعيم يلهو وألف
حالة في معاشنا أسلكتنا
فترانا بعضاً لبعض لبسنا
تلك عادّ مستهجنات ورتنا
فإلى كم نشقى وحتام نبقى
إنما الحق مذهب الإشتراكيـ
مذهب قد نحا إليه أبو ذرّ
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاصد ضامانات
موصلات إلى السعادة في العيـ
ليس للمرء أن يعيش بلا كدّ
كل مجدّ يُبنى على غير سعي
ليس قدر الفتى من العيش إلا

ليس إلا نتيجة الأعمال
ـة عيشٌ فالفضل للعمال
فبفضل الإنتاج والإبدال
لا حياة للعاطل المكسال
قد حوى كل باطلٍ ومحال
لغني مستأثرٍ بالغلال
أرغذته لهم يد الإقلال
لسواهم ما أخرجوا من لآلي
كعبيد والموسرين موالي
قعدوا في قصورهم والعالي
في شقاءٍ وأبؤسٍ واعتلال
طرقات المخاتل المحتال
من خياناتنا مسوح الثّعال
ها قديماً من العصور الخوالي
هكذا في عمايةٍ وضلال؟!
ـة فيما يختصُّ في الأموال
قديماً في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالي
ما لأهل الحياة من آمال
ش هوادٍ إلى طريق التعالي
وإن كان من عظام الرجال
فهو مجدّ مهدّد بالزوال
قدر إنتاج سعيه المتوالي

للمساعي كالحبل للأحمال
ودنانيرها لها كالحبال
همم الدائبين في الأشغال؟!
أفتغني عن كسوة ونعال؟!
وسوى ذاك بسطة في الكمال
لا تحقُّ الحياة للبطل
رت رحاها إلا على الأبطال
وسوى الكدِّ ما بها من قتال
—ي ومنه الأعمال مثل الصيال
مثل إشراعه لسلِّ العوالي
بينكم مُرخِصٌ لكم كلَّ غال
بسوى الاتحاد من إبلال
ومعينًا له على كل حال
س جميعًا فلا أكون مغال
وارقبوا ما به ستأتي الليالي
—وت: فلتَحْيَا زمرَةُ العَمَّالِ

ما رعوس الأموال إلا أداة
مثل شدِّ الأحمال شدُّ المساعي
صاح ماذا تجدي الدنانير لولا
أفتأتي من الطعام بديلًا؟!
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومةً في وغاها
إنها مثل حومة الحرب ما دا
وسوى الحذق ما بها من سلاح
بطل الحرب مثله بطل السع—
ونشاط منه ببيض المساعي
أيها العاملون إنَّ اتحادًا
ما لعيش تشقُّون فيه سقامًا
فليكن بعضكم لبعض نصيرًا
وإذا قلت: إنكم أنتم النّا
فاعملوا دائبين غير كسالى
ثم قولوا معي مقالًا رفيع الص—

الفلسفات

خاطر شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرك ما كلُّ انكسارٍ له جبرٌ
لقد ضربت كَفُ الحياة على الحجا
فقمنا جميعاً من وراء سِتارها
حكّت سَرحة فنواء نُبصر فرعها
وقد قال بعضُ القوم: إن حياتنا
فإن كان هذا القول فيها حقيقةً
وروح الفتى بعد الردى إن يكن لها
وإن رَقِيتْ نحو السماء فحبّاً

ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
سِتاراً فَعَلُمُ القوم في كنهها نَزْرُ^١
نقول بشوقٍ: ما وراءك يا ستر؟
ولم ندر منها ما الأنابيشُ والجدرُ^٢
كلَّيلٍ وإن الفجر مطلعهُ القبرُ
فيا شدَّ ما قد شاقني ذلك الفجرُ
بقاءً وحسَّ فالحياة هي الخسر
إذا أصبحت مأوى لها الأنجمُ الزهرُ



وأعجب شأن في الحياة شعورنا
وللنفس في أفق الشعور مخايلٌ
وما كلُّ مشعور به من شئونها
ففي النفس ما أعيَا العبارة كشفهُ
ومن خاطرات النفس ما لم يَقُمْ به
ويا رَبِّ فكر حاك في صدر ناطقٍ
ويا رَبِّ معنَى دَقٍّ حتى تخاوصت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومهُ
وأفق المعاني في التصوُّر واسعٌ
ولولا قصور في اللُّغا عن مرامنا
ولست أخصُّ الشعر بالكلم التي
وذاك لأنَّ الشعر أوسع من لُغا

وأعجب شأن في الشعور هو الجبرُ^٣
إذا برقت فالفكر في برقها قطر
قديرٌ على إيضاحه المنطقُ الحرُّ
وقصّر عن تبيانهِ النظمُ والنثر
بيانٌ ولم ينهض بأعبائه الشعر
فضاق من النطق الفسيح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينُها الخُزرُ^٤
كفاية معنى فاقد العد والحصر؟!^٥
يتيه إذا ما طار في جوّه الفكر
لما كان في قول المجاز لنا عذر
تُنظَّم أبياتاً كما تنظم الدُرُ
يكون على فعل اللسان لها قصر

وما الشعر إلا كل ما رنَّح الفتى
وحرك فيه ساكن الوجد فاعتدى
فمن نفثات الشعر سجع حمامة
ومن شدَّرات الشعر حوم فراشة
ومن ضحكات الشعر دمة عاشق
ومن لمعات الشعر نظرة غادة
ومن جمرات الشعر رنة تاكل
ومن نفحات الشعر ترجيع مطرب
وإن من الشعر انتلاق كواكب
وإن لريحانينا شاعرية
وما الشعر إلا الروض أما أميئنا
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن

كما رنَّحت أعطاف شاربها الخمر
مهيجًا كما يستن في المرح المهر
على أيكة يشجي المشوق لها هدر^٦
على الزهر في روض به ابتسم الزهر
بها قد شكا للوصل ما فعل الهجر
بنجلاء تسبي القلب في طرفها فتر^٧
مفجعة أودى بواحداهما الدهر
تعاور مجرى صوته الخفض والنبر
بجرح الدجى باتت يضاحكها البدر
من الشعر فيها ما يقال هي الشعر
فريحانة، والخلق منه هو النشر
لعمز النهى للشعر عند النهى قدر^٨

^١ يقول بهذا البيت والذي بعده: إن لنا من حياتنا سترًا مسدولًا على عقولنا، فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة.

^٢ السرحة: الشجرة العظيمة. وفنواء: كثيرة الأفنان، واسعة الظل. وأنابيش: أصول الشجرة تحت الأرض، واحداه: أنبوش. بيّن في البيتين السابقين جهلنا بما بعد الحياة، أي: بمنتهاهما، وبيّن بهذا البيت جهلنا بما قبلها.

^٣ الحجر، بكسر فسكون: العقل.

^٤ تخاوصت: أي غضت من بصرها شيئًا. والخزر: جمع خزراء، وهي العين الصغيرة الضيقة، ومعنى البيت: أن من المعاني ما يصدق حتى تقصر عن بيانه الألفاظ.

^٥ أسومه: أي أكلفه. يقول: إن الألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية، فكيف يحيط المتناهي بغير المتناهي.

^٦ الهدر: صوت الحمام.

^٧ نجلاء: عين واسعة.

^٨ النهى: جمع نهية، وهي العقل.

وجه ابن آدم

حار الفصيخ بوصفه والأعجم
في الخلق أقدم فهو فيه مُقَدَّم
ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
نسق الكلام به إذا نطق الفم
ليحار في سحنائه المتوسم
بسرائر النفس الحديثة مُعلم
والعين فيه عن الضمير تترجم
والوجه منه بسرّها يتكلم
فكأنه بضميره مُتَلَمَّ
لِلخافيات بها وضوحٌ مُبهم^١
تحت الملامح واليقين توهُم^٢
ولربّ وجهٍ في البكاء تبسم
فالوجه لولا أنفه متجهم
لولاه تنتشر العيون وتسجم^٣

يمحو كتابتها ويثبتها الدم
يبدو تحرفها فلا تتفهم
طوراً وطوراً جاهل متعلم
بالسر لكن نطقهن مجمم
عنها ولكن الحديث مرجّم
وكأنما هي أعجمي طمطم^٤

فتروح منه وأنت صَبٌّ مُغْرَم

للّه سرٌّ في الأنام مُطلسم
برأ ابن آدم وهو إن لم تلقه
وإذا نظرنا في العجائب نظرة
أما العجيب من ابن آدم فهو ما
والوجه أعجب ما رأيت وإنه
هو من طراز الله إلا أنه
أما الحواجب فهي فيه كواشف
ولربّ خافية يكتّمها الفتى
كلّ يشير إلى السريرة وجهه
فالوجه فيه من القرونة مَسْحَة
صرع النهى فالوهم فيه تيقن
ولربّ وجهٍ في تبسمه البكا
والأنف في وجه ابن آدم زينة
كالهذب في شفر العيون فإنه

إن الوجوه صحائف مطموسة
بيناك تقرأ حرفها متفهماً
فالعقل فيها عالم متجاهل
إني أرى هذي الوجوه نواطفاً
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً
فكأنّي البدوي يسمع راطناً

ولربّ وجهٍ يستبيك بحسنه

يبدو إليك وأنت خلوّ من هوّى
وإذا تغيّب فالبذور مضيئة
للّه في وجه ابن آدم حكمة

ويصدّ عنك وأنت فيه مُتَيّم
وإذا أضاء فكل بذّر مظلم
يعنو السّفيه لها ومَنْ يتحلّم

^١ القرونة: النفس، ومعنى قوله: «وضوح مبهم»؛ أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحًا في وجهه، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهمًا عنك إذ لا تعلمه يقينًا.

^٢ المراد بكونه صرع النهى: أنه غلبها، والضمير في صرع يعود إلى الوجه.

^٣ الهدب: شعر أشجار العينين. وتنتشر: أي تكون شتراء، أي: ذات شتر، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل أو انشقاقه أو استرخاؤه. وتسجم: أي تسيل الدمع.

^٤ راطنًا: متكلمًا بالأعجمية، وأعجمي طمطم: في لسانه عجمة لا يفصح.

ما وراء القبر

- متى تطلق الأيام حريّة الفكر
ويصدع كلُّ بالحقيقة ناطقاً
أرانا إذا رمنا ببيان حقيقة
جهلنا أشدَّ الجهل آخر عمرنا
هما ساحلا بحرٍ من العيش مائج
ومن أين جننا أم إلى أين قصدنا؟
كأنّا أتينا والمعيشة لجة
وماذا وراء القبر مما نريده؟
تسائلني نفسي وللموت صولة
لعلّ حياة المرء ليلٌ ستتجلي
فإن كان ذا حقاً فإن حياتنا
وقد قيل: إن الروح تبقى فهل لها
وهل تعرف الجثمان بعد عروجها
إذا أرضنا كانت سماءً لغيرها
وهل عرّجت أرواحٌ من في عطارِدِ
خيال به رُحنا نعلل أنفساً
وشبّه بالنهر الحياة معاشراً
ولكنهم أعياء عليهم مصبُّه
فيا ليت شعري أين ينصبُّ جارياً!
لعمرك ما هذي الحياة وما الذي
نحاول علماً بالحياة وإنّ ذا
ونسلك منها في مجاهل قفرةٍ
على أننا نمضي إلى أمر ربّنا
- فينشط فيها العقل من عُقْلة الأسر^١
ويترك ما لم يدرٍ منها لمن يدرِي
عزينا معاذَ الله فيها إلى الكفر
كما قد جهلنا قبله أولَ العمر
ففي أيّ أمر نحن بينهما نجري
وفي أي ليلٍ من تشكُّنا نسري؟
لنعبّرَ والأعمار جسر إلى القبر
وهل من مدّى بعد العبور على الجسر؟^٢
ألا هل لكسر الموت ويحك من جبر؟
غياهبه من سكرة الموت بالفجر
كما قيل: سنرّ والردى كاشف الستر
عروج إلى الأعلى، إلى الأنجم الزهر؟
فتمكّث منه في السماء على ذكر؟
فما من عروج بل نزولٌ إلى القعر
إلى الأرض أم هذا الكلام من الهذر؟
هزأن به لمّا رجعن إلى الحجر^٣
فمنبعه في رأيهم قدّم الدهر
وإن رجموا بالظنّ في منبع النهر
أعوذا لبدءٍ أم إلى غايّة يجري؟
يراد بنا فيها من الخير والشر؟
منوطٌ إلى ما ليس يُدرِك بالفكر
فنخرج من قفرٍ وندخل في قفر
كما أننا آتون من ذلك الأمر

١ عقلة: ما تعقل به الرَّجُلُ وتقيد.

٢ المدى: الغاية.

٣ الحجر: العقل.

لو

لو أسكرَ الإنسان باطلُ أمره
لو قاس كلُّ فتى سواه بنفسه
لو أنصف الخصمان ما اصطاد الرُّشا
لو أخلص الإنسان في إحسانه
لو لم يشكَّ برَّبّه منقلسفٌ
لو أنَّ عقل المرء يغلب حبه
لولا جمود في الشرائع مُهلكٌ
لو كان قصد الدين غير سعادة الدُّ
لو أخلص الرجل النقيّ دينه
لا خير في تقوى امرئٍ لو لم يخفُ
لو كان أمر الحج معقولًا لما
لو حكَّم العقل الحجيُّ بحجهم
لو أخلص الغزى بنصرة دينهم
كذبت قريشٌ لو تقادم عهدُها
لو كان للشيطان معنًى غير ما الـ
لو يجعل الناس التعاون دأبهم
لو أن أخلاق الرجال تهذبُ
ومحبة الأوطان لولاها لما
لو كان خيرٌ في المجرة لم يكن
لم تمَّ في فلك الثريا سعدُها
لو لم يكن فزعًا سهيلٌ لم يبت

لم تلقَ غير مُعزِّدٍ سكرانٍ^١
فيما أراد لما تعادى اثنان
أهلُ القضا مما ادَّعى الخصمان^٢
لم يرْجُ أن يُجزى على الإحسان
في الدِّين لم يحتجَّ بالبرهان
للنفس لم يلجأ إلى الأديان^٣
لتغيَّرت بتغيُّر الأزمان
نيا لكان الكفر كالإيمان^٤
ما كان ذا طمع بحور جنان
نار الجحيم للَّج في العصيان
كان استلام القوم للأركان
أبوا الطواف بتلكم الجدران
ما حلَّ سبي حرائر النسوان
في المجد ما خدعت أبا غبشان^٥
إنسانٍ ما آمنتُ بالشيطان
لتمتعوا بسعادة العُمران
لتكشَّفت حُجبٌ عن النسوان
عرف الأنامُ عداوة الأوطان^٦
في الأرض شرٌّ دائم الغليان
لم تُمنَّ بالعيوق والدبران
في أفقه متتابع الخفقان

- ١ يريد: لو كان الباطل منكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى.
- ٢ هذا البيت قريب في معناه من القول المشهور: «لو أنصف الناس لاستراح القاضي.» غير أن معنى البيت: لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة.
- ٣ معنى البيت: أن حب النفس هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى؛ لأنه يحب الخلود لنفسه.
- ٤ أنه لو صح ما يقوله هؤلاء، من أن غاية الدين أخروية محضة؛ لتساوى الكفر والإيمان في الدنيا.
- ٥ قوله أبا غبشان: هو رجل من خزاعة كان يلي سدانة الكعبة قبل قريش، فأسكره قصي واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر، ثم أفاق نادماً، فضرب به المثل في الحمق والندم وخسارة الصفقة.
- ٦ أراد بمحبة الأوطان هنا: المحبة السياسية، التي يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهيج الشعوب إلى الحروب، ولا شك أن هذه المحبة هي أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة.

حقيقتي السلبية

أُحِبُّ صَرَاحَتِي قَوْلًا وَفِعْلًا
فَمَا خَادَعْتُ مِنْ أَحَدٍ بِأَمْرٍ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرُونَ خَيْرًا
وَلَا مَمَّنْ يَرَى الْأَدْيَانَ قَامَتْ
وَلَكِنْ هُنَّ وَضَعُ وَابْتِدَاعُ
وَلَسْتُ مِنَ الْأَلَى وَهُمْوَا وَقَالُوا:
لَأَنَّ الْأَرْضَ تَسْبُحُ فِي فِضَاءٍ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرُونَ فِخْرًا
وَلَا مَمَّنْ قَدْ ارْتَبَطُوا بِمَاضٍ
وَلَا مَمَّنْ يَرَى لِلنَّاسِ حُكْمًا
وَلَا مَمَّنْ تَوَدَّدَ فِي حُضُورٍ
وَلَا مَمَّنْ يَرَى الْأَنْسَابَ مِمَّا
وَلَا مَمَّنْ إِذَا وَبَّئُوا اسْتَعَاذُوا
وَلَا مِنْ مَعْشَرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا
وَلَا مَمَّنْ يَرُونَ اللَّهَ يَجْزِي
وَلَا مَمَّنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ تَقْنَى
وَلَكِنْ هُنَّ فِي جَمْعٍ وَفَرْقٍ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرُونَ فَضْلًا
وَلَكِنْ دَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى

وَأَكْرَهُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الرِّيَاءِ
وَلَا أَضْمُرْتُ حَسَنًا فِي ارْتِغَاءٍ
بِإِبْقَاءِ الْحَقِيقَةِ فِي الْخِفَاءِ
بِوَحْيٍ مُنْزَلٍ لِلْأَنْبِيَاءِ
مِنَ الْعُقَلَاءِ أَرْبَابِ الدَّهَاءِ
بِأَنَّ الرُّوحَ تَعْرُجُ لِلسَّمَاءِ
وَمَا تِلْكَ السَّمَاءُ سِوَى الْفِضَاءِ
لِمَفْتَخِرٍ بِإِهْرَاقِ الدَّمَاءِ
فَعَاشُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ
سِوَى الْحُكَّامِ أَرْبَابِ الْقَضَاءِ
وَعِنْدَ الْغَيْبِ جَاهِرَ بِالْعَدَاءِ
يَمُتُّ بِهِ الْأَنَامُ إِلَى الْعَلَاءِ
بِتَمَتُّةِ الدَّعَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ
لِمَا وَعَدُوهُ مِنْ حَسَنِ الْجَزَاءِ
عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْحُورِ الْوُضَاءِ
بِحَيْثُ تَكُونُ مِنْ عَدَمِ هَوَاءِ
تَبَدَّلُ مِنْهُمَا صُورُ الْبَقَاءِ
كَبِيرًا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
تَهَاوَنَ هَؤُلَاءِ بِهِؤُلَاءِ

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَدِيدٌ وَإِنَّمَا
وللموت كَسْرٌ لَيْسَ يُمْكِنُ جَبْرُهُ
وَقَتْلُ الرَّدَى قَتْلُ جُبَارٍ فَلَمْ تَكُنْ
فَإِنْ مَنَايَانَا سَهَامٌ عَوَائِرُ
أَرَى النَّاسَ طُرًّا فِي الرَّدَى غَيْرَ أَنَّهُمْ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا هُوَّةٌ أَدْلَجَ الْوَرَى
فَهُمْ أَبَدًا يَسَاقُطُونَ لَقْعَرَهَا
أَرَى كُلَّ حَيٍّ فِي الْحَيَاةِ مَمْتَلًا
رَوَايَةُ رُؤْيَا قَدْ جَرَتْ فِي دِيَارِنَا
لَقَدْ قَدِمَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ أَمَامَهُ
فَلَا عَجَبٌ أَنَّنَا نَرَى كُلَّ سَاعَةٍ

عليه الورى يمشون مشية عابر
بلفٍ ضِمَادٍ أَوْ بِشَدِّ الْجَبَائِرِ
لِتَدْرِكَ فِيهِ ثَارَهَا نَفْسُ ثَائِرٍ^١
وَكَيْفَ انْتَارَ فِي السَّهَامِ الْعَوَائِرُ؟!^٢
ثَوَّوْا بَيْنَ مَقْبُورٍ هُنَاكَ وَقَابِرٍ
إِلَيْهَا بِمَسْوَدِّ الدَّجَنَةِ كَافِرٍ^٣
تَسَاقُطُ عُمِّي فِي عِمَاقِ الْحَفَائِرِ
رَوَايَةُ رُؤْيَا مِنْ كِتَابِ الْمَقَادِرِ
فَجَائِعُهَا حَتَّى انْتَهَتْ فِي الْمَقَابِرِ
نَذِيرًا، وَمَنْ يُنْذِرُ فَلَيْسَ بَغَادِرٍ
أَكْفَ الْمَنَايَا دَامِيَاتِ الْأَطَافِرِ

^١ القتل الجبار: الذي لا دية معه.

^٢ السهم العائر: الذي لا يُعلم مَنْ رماه.

^٣ الإدلاج: السير في الدلجة، وهي الليل كله؛ أي وقت السحر.

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة «الفجر»

عاشقُ نورَ فجرها الوضاح
مستنيراً بأشهر الأوضاح
كصياح الديوك في الإصباح
عطرتني بنشرها الفياح
ناظر في بنفسج وأفاحي
كلمات بديعة الإفصاح
م ارتياحاً لنا وأيّ ارتياح!
قولها في غنى عن الإيضاح

قل لنَجْلا — نجلا أبي اللّمع — إني
هو للعلم خير فجرٍ تجلّى
وصرير الأقدام في الطّرس منه
كم تصفّحت فيه من صفحات
فكأنني في النفس والطرس منها
ثم إني قرأت فيه لأسما
أيقظتنا بها إلى أنّ في النّو
صدقت في الذي تقول ففحوى



من عناء الهموم والأتراح
لجسوم روازح أطلّاح
عالماً فوق عالم الأشباح
و«تلسكوئنا» إلى الأرواح
—تدّ في الجسم لاصطياد ارتياح
وهو للجسم من دواعي الصّلاح
ح به تستضيء كالمصباح
لن تنّاهى أبعاده والنواحي
ذي نّواءٍ وميّتٍ ذي بّراح
قٍ مقيم وعاشق ذي انتزاح
—فس أشهى من لذة الأفراح
—نت بإدراكها عن الإيضاح

حبّذا النّومُ فهو للروح رّوح
وهو تجديد قوة ونشاط
حبذا النّومُ ترتقي النفس فيه
«تَلْفُونُ» به إلى الغيب نُصغي
حبذا النّومُ إنه شرّكٌ يم—
فهو للنفس من مراقي المعالي
حبّذا النّومُ فهو كالزيت للرو
وهو معراجنا إلى أفق غيب
حبذا النّومُ واصلاً بين حيّ
حبذا النّومُ جامعاً بين معشو
إن للنّوم لذةٌ هي في الآن—
أدركتها النفوس بالفعل واستغ—

أيهـا القومُ إنَّ للنوم سلطا
نافذ الحكم والقضاء على الإنـ
وعلى الأسد وهي في الغاب تدأى
نأ قويا لا يتقى بسلاح
ـسان في حزنه وفي الأفراح
وعلى الطير وهي في الأدواح^١

^١ دأى له يدأى دأيا ودأوا: إذا ختل، والذئب يدأى للغزال، وهي مشية شبيهة بالختل.

بين الروح والجسد

أرى للروح بالبدن اتصالاً
تطيف به الهواجسُ شاعرات
فإنَّ الروحَ للجثمانِ تُلَوُّ
فإنَّ كلاهما هذا بهذا
فلا جسدٌ يقوم بغير روحٍ
هما متلازمان فما لكل
لذلك كانت الأرواح منا
ولست أظنُّ أن الروح تبقى
ورُبَّما يكون لها دواءٌ
وما هبطت من الخضراء لكن

خفيًا لا تبين له رسومٌ
وتعجز عن حقيقته الفهوم
به منها ومنه بها وسُوم
كذلك تمَّ أمرهما القويم
ولا روح بلا جسد تقومُ
بغير قرينه أبدًا لزوم
بحيث تهي إذا وهتِ الجسوم
إذا مُحيَتْ من الجسد الرسوم
ولكن غيرَ شاعرةٍ تدوم
من الغبراءِ أنبتها الحكيمُ^١



وأما هذه الأجسام منا
وترويتها المشارب والمحاسي
ويوهنها التقشُّف والتضني
وبعض من مطاعنا غذاء
وبعضٌ من مطاعنا وقودٌ
له في جوف أكله احتراقٌ

فتبنيها المآكل والطعوم
وتذويها اللوافح والسموم
ويُحسنها التترُّف والنعيم
تحاك على العظام به اللحوم
تديم به حرارتها الجسوم
تكون رماده فيها الشحوم



وللأرواح كالأجساد زائدٌ
هو النغم الرقيق من المثاني
فإن الروح تغذوها الأغاني
ويصقلها الجمال إذا رأتَه
فلا تنفر بسمعك من غناء

به تنمو المشاعر والحلوم
هو الأدب الرفيع، هو العلوم^٢
ويجلو همَّها الصوتُ الرخيم
وتصدئها القبائح والهموم
به غنتك شادية بَغوم^٣

ولو شهدت برفعتك النجوم
فإن الناس أطربها الكريم
إلى ما ليس يحمدہ الحليم
فكل مُقارِف شططًا ذميم
وإلا فاتك الطبعُ السليم

ولا تترفعنَّ عن الملاهي
وكنْ في المطربات فتًى طروبًا
وقف عند الحدود فلا تُعدَّ
ولا تشتطَّ في طربٍ ولهُوٍ
فإن وافقتني وجريت جريي

^١ الخضراء: السماء. والغبراء: الأرض.

^٢ المثنائي: جمع مثنى بوزن مفعول، وهو ما يثنى ويكرر من الكلام في الغناء أو الإنشاد.

^٣ بغوم: صيغة مبالغة من البغام، وهو صباح الظبية إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها.

من نواميس الحياة

كلُّ شيءٍ في كونه كالنباتِ
ثم ينمو في ذاته والصفات
في نواميس حادثات الحياة
عاليات يأتين بالثمرات

كلُّ شيءٍ من عالم الذراتِ
كل شيءٍ في بدئه من صغير
هكذا تكبر الصغار وتقوى
هكذا ترسل الأصول فروعاً



كمحل الجذور في الدوحات
لت سيول إلا من القطرات؟!
جمعه موصل إلى العظمت
ل ورب الإقلال والمثناة
حين يعطيه للذي قال: هات

إن للفلس في الثراء محلاً
إن أصل الثراء فلسٌ وهل سا
هو في قدره حقيرٌ ولكن
يتساوى فيه السخيُّ وذو البخـ
هو هينٌ على الذي قال: هاكم



فسوى الفلس ما لها من نواة
كل يوم من طائل النفقات
مسعداً مسعفاً على الخيرات
لا يؤول الثراء للآفات
حسن ما يضمرون من نيات
أو ذميماً — وانظر إلى الغايات
ت عموم ضرب من السيئات
وتوخوا بجمعه البركات
فالبدار البدار قبل الفوات

إن ترد غرس نخلة من ثراء
فاقتصد في موارد العيش فلساً
واجعل الفلس فوق فلس تجده
واقصد الخير في اقتصادك حتى
ليس حسن الأعمال في الناس إلا
فدع الفعل كيف كان — حميداً
حسنات الأنام إن لم تكن ذا
يا شباب العراق هبوا إليه
إن تكونوا اعتزمت الأمر فيه

الوصفيات

أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يجيش بخاطري
ويسكن أحياناً فأشجى وإنما
وقد أتوَّخَى الهزلَ منه مُجَارِياً
ولكنَّ نفسي وهي نفسٌ حزينةٌ
وقد علم الراوون شعري بأنهم
وإني إذا استتبطته من قريحتي
وإني على علم طويثُ سهولَه
وإني لمَخَاصٍ له بسليقةٍ
وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري
ألا لا اهتدتُ للشعر يوماً هواجسي
ولا غُصْتُ في بحر القريض مخاطرًا
على أن لي طبعًا لبيقًا بوشيه
إذا انتظمت أبيأته في قصائدي
وما كان دَوْحُ الشعر يوماً لنجتي
ولم يستقد إلا لذي المَعِيَّةِ
وإني قد مارسته بفطانةٍ



لعمرك إن الشعر صمصام حكمةٍ
إذا جنني ليلُ الشكوك سَلَّتُهُ
وما الشعر إلا مؤنسي عند وحشتي
تقوم مقامَ الدمع لي نَفَثَاتِهِ
وأجعله للكون مِرَاةَ عِبْرَةٍ
فأبصرُ أسرارَ الزمان التي انطوت

ويَبْذُلُ ما قد عزَّ لي من مَصُونِهِ
تحرُّكٌ شجوي ناشئ من سكونه
لدهر أراه مُوغلًا في مُجُونِهِ
تميل إلى المُشجى لها من حزينه
إذا أنشدوه أطربوا بلحونه
شفيت صَدَى الراوي ببرد معينه ^١
ولم أتحيَّرَ خابطًا في حزنه
أبْتُ غَثَّه واستوتقت من سمينه ^٢
إذا كان في طوعي اختشاب متينه؟! ^٣
إذا هي لم تنزع إلى مستبينه
إذا لم أفر من دُرِّه بثمينه
نزوعًا إلى أبقاره دون عُونِهِ ^٤
ترى كل بيت ممسكًا بقرينه
بغير اليد الطولى ثمار غصونه
يكون كراي العين رَجَمَ ظنونه ^٥
يلوح سناها غُرَّةً في جبينه

وأن النهى معدودةٌ من قُيُونِهِ ^٦
عليه ففرَّاهُ بفجر يقينه ^٧
ومُسلي فؤادي عند وري شجونه
إذا الدهرُ أبكاني بريب مَنُونِهِ
فيظهر لي فيها خيال شئونه
بما دار في الأحقاب من مَنَجُونِهِ ^٨

وللشعر عينٌ لو نظرت بنورها
وأذن لو استصغيتها نحو كاتمٍ

إلى الغيب لاستشففت ما في بطونه
سمعت بها منه حديث قرُونه^٩



وليلٍ إلى شعراه أرسلت فكرتي
سلّ الليل عني نسرَه وسماكهُ
فكم بُتٌ في نهر المجرّة في الدجى
هو الشعر لا أعتاضُ عنه بغيره
ولو سلبتنيهِ الحوادث في الدُنا
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقهُ

رسولًا بشعري حاملاً لرقينه^{١٠}
ونجم سُهاه والجُدِّي حَدينه^{١١}
من الشعر أجري مُنشآت سفينه
ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
لما عشت أو ما رُمْتُ عيشًا بدونه
فما بعده للمرء غير جنونه

^٩ الصدى: العطش. والمعين: الماء الظاهر.

^٢ الغث: المهزول، ضد السمين.

^٣ الاختشاب: افتعال من خشب الشعر يخشبه، من باب ضرب؛ أي: يمره كما يجيئه ولم يتأنق فيه، ولا تعمّل له.

^٤ العون: جمع عوان، وهي من إناث الحيوان ما كانت وسطاً في السن بين الفارض: وهي المسنة، والبكر: وهي الصغيرة، يقال: امرأة أو فرس أو بقرة عوان.

^٥ استقاد له الأمر: ذل وانقاد.

^٦ الصمصام: السيف. والنهى: [جمع] نهية، وهي العقل.

^٧ فراه: بتخفيف الراء وتشديدها؛ مزقه.

^٨ المنجنون: الدولاب، يستقى به الماء لإرواء الأرض.

^٩ القرون: النفس.

^{١٠} الرقين: الكتاب المزين.

^{١١} النسر والسماء والسها والجُدِّي — تصغير جدي: أسماء نجوم، يريد بسؤالها عنه أنه طالما سهر في صنع الشعر مراعيًا هذه النجوم، فبينها وبينه ألفة وصحبة.

الغروب

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده في الأعظمية عياناً من منظر الغروب.

نزلت تجرُّ إلى الغروب ذيولا	صفراء تشبه عاشقاً متبولاً
تهتئُ بين يد المغيب كأنها	صبُّ تملل في الفراش عليلاً
ضحكت مشارقها بوجهك بُكرةً	وبكت مغاربها الدماء أصيلاً
مذ حان في نصف النهار دلوها	هبطت تزيد على النزول نزولاً ^١
قد غادرت كبد السماء منيرةً	تدنو قليلاً للأفول قليلاً
حتى دنت نحو المغيب ووجهها	كالورس حال به الضياء حُولا ^٢
وغدت بأقصى الأفق مثلَ عرارة	عطشت فأبدت صفرةً وذبولاً ^٣
عَرَبَتْ فأبقت كالشواظ عَقيبها	شفقاً بحاشية السماء طويلاً
شفقٌ يروع القلبَ شاحب لونه	كالسيف ضُمخ بالدماء مسلولا
يحكي دم المظلوم مازج أدمعاً	هملت بها عين اليتيم همولا
رقت أعاليه وأسفله الذي	في الأفق أشبع عُصفراً محلولا ^٤
شفقٌ كأن الشمس قد رفعت به	رُدناً بذوب ضيائها مبلولا ^٥
كالخود ظلَّت يوم ودَّع إلها	ترنو وترفع خلفه المندبلاً ^٦
حتى توارت بالحجاب وغادرت	وجه البسيطة كاسفاً مخذولا
فكأنَّها رَجُلٌ تخرم عزَّه	قرع الخطوب له فعاد ذليلاً
وانحطَّ من عُرف النباهة صاغراً	وأقام في غار الهوان خمولا



لم أنس قرب «الأعظمية» موقفي	والشمس دانيةً تزيد أفولا
وعن اليمين أرى مُروج مزارع	وعن الشمال حدائقاً ونخيلاً
وتروع قلبي للدوالي نعرة	في البين يحسبها الحزين عويلاً ^٧
ووراء ذاك الزرع راعي ثلة	رجعت تؤمُّ إلى المراح قفولا ^٨

وهناك ذو برذونتين قد انثى
وبمنتهى نظري دخان صاعد
مدّ الفروع إلى السماء ولم يزل
وتراكبت في الجوّ سوّد طباقه
فوقفتُ أرسل في المحيط إلى المدى
والشمس قد غربت ولما ودّعتُ
غابت فأوحشت الفضاء بكدره
حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن
وأتى الظلام دُجّة فدجّة
ليل بغيهه الشخصُ تلفعت
ثم انثيت أخوض غمر ظلامه
إن كان أوحشني الدجى فنجومه
سبحان من جعل العوالم أنجمًا
كم قد تصادمَت العقول بشأنها
لا تحتقر صغر النجوم فإنما
دارت قديمًا في الفضاء رَحى القوى
فاقرأ كتاب الكون تلقَ بمنته
ودع الظنون فلا وربك إنها

بهما العشيّ من الكراب نحيلا^٩
يعلو كثيرًا تارةً وقليلًا
بالأرض متصلًا يمدُّ أصولًا
تحكي تلولًا قد حملن تلولا
نظرًا كما نظر السقيم كليلا
أبكت حُزُونًا بعدها وسهولا
سَقِم الضياء بها فزاد نحولا
غير الظلام هناك عزرائيلا
يُرخي سدولًا جمّة فسدولا
فظللتُ أحسب كلّ شخص غولا
وتخذتُ نجم القطب فيه دليلًا
بعثت لتؤنسني الضياء رسولا
يسبحن عرضًا في الأثير وطولا
وسعت لتكشف سرها المجهولا
أرقى الكواكب ما استبان ضئيلا
فغدا الأثير دقيقها المنخولا
آيات ربك فُصّلت تفصيلا
لم تغن من علم اليقين فتिला

١ دلوك الشمس والنجوم: زوالها على الاستواء، ويستعمل في الغروب أيضًا.

٢ الورس: نبت أصفر، يزرع باليمن وتصبغ به، أو هو صنف من الكركم.

٣ العرارة: واحدة العرار، وهو نبت طيب الريح، قيل: هو النرجس البري.

٤ العصفور: نبت أصفر، يصبغ به.

٥ الردين: أصل الكم.

٦ الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة، والجمع خودات، وخود بضم الخاء في الأخير.

٧ الدوالي: جمع دالية، وهي الناعورة تديرها البقرة، والنعرة بالفتح: المرة من نعر إذا صوت.

٨ النثة: القطيع من الغنم. والمراح: المكان تروح إليه الدواب وتأوي إليه بعد المراعي.

٩ الكراب مصدر كرب الأرض كربًا وكرايًا: قلبها للحرث، وأثارها للزرع.

ليلة في ملهى

لما كان الرصافي في الأستانة سنة ١٨٩٨ أخذه جماعة من فضلاء فلسطين، معهم الأستاذ خليل السكاكيني، إلى مرقص من مرقص الأستانة في إحدى الليالي، واقترحوا عليه أن يصفه، فقال هذه القصيدة:

طرب الشعر أن يكون نسيبا	مذ أجالت لنا القوامَ الرطيبا
وتجلّت في مسرح الرقص حتى	أرقصت بالغرام منا القلوبا
أقبلت تنتني بقدر رشيقي	ألبسته البرد القصير قشيبا
قصرت منه كمّه عن يديها	وأطالت إلى النهود الجيوبا ^١
حبس الخصر حيث ضاق ولكن	أطلق النحر باديا والتريبا
هو زيّ يزيد في الحسن حسنا	من تزيّا به، وفي الطيب طيبا
خطرت والجمال يخطر منها	في حشا القوم جيئة ودُهبا
وعلى أروس الأصابع قامت	تتخطى تبخنرا ووثوبا
يعبس الأنس أن تروح ذهابا	ويعيد ابتسامة أن تتوبا
فهي إن أقبلت رأيت ابتساما	وهي إن أدبرت رأيت قطوبا
نحن منها في الحاليتين ترانا	نرقب الشمس مطلعا ومغيبا
تضحك الجو في الصباح طلوعا	ثم تبكيه في المساء غروبا
أظهرت في المجال من كل عضو	لعبا كان بالقلوب لُعبا
حيرتنا لما أرتنا عجيبا	فعجيبا من رقصها فعجيبا
شابّهت عطفة الغصون انثناء	وحكت خطرة النسيم هبوبا
تلفت الجيد للرجوع انصياغا	كفطيم رأى على البعد ذيبا
تتب الوثبة الخفيفة كالبر	ق صُعودا في رقصها وصبوبا ^٢
حركات خلالها سكنات	يقف العقل بينهن سليبا
وخطا تفضح العقود اتساقا	نظمتها تسرعا ودبيبا
بسمت كوكبا ومرّت نسيما	وشدت بلبا وفاهت خطيبا
لو غدا الحسن شاعرا ينظم الحب	قريضا أبدى بها التشبيبا

هي كالشمس في البعاد وإن كا
عمت الناس بالغرام فكلُّ
زهرة تبهج النواظر حسناً
هي دائي إذا شكوت من الدا
وأنت بعدها من الغيد أخرى
فأرتنا من الجبين صباحاً
حملت بندقيّة صوّبتها
واستمرّت رمياً بها عن بنان
تحسن الرمي تارة مستقيماً
وانكبأ إلى الأمام وإقعا
وهي في كل ذا تصيب الرمايا
لو أرادت رمي الغيوب وأغضت

ن إلينا منها الشعاع قريباً
قد غدا عاشقاً لها ورقبياً
ورُوءاً وتُنْعش الرُوح طيباً
ء وطبّي إذا أردت طيباً
يقتفي إثرها الجمال جنياً
ومن الخدّ كوكباً مشبوباً
نحو مُستهدفٍ لها تصويماً
لطفه ضامن له أن يصيباً
وإلى الخلف تارة مقلوباً
سأ كثيراً إلى الوراء عجبياً
مثلما طرفها يُصيب القلوباً
لأصابت خفيّها المحجوباً



مشهد فيه للحياة حياة
قد شهدناه ليلةً جعلتنا
بين رهطٍ شَمَّ العرانيين ينفي الـ
كرموا أنفساً وطابوا فعلاً
كل ذي نجدة تراه لدى الفعل
تلك والله ليلةً لست أدري
كدتُ أنسى بها العراق وإن
يا سواد العراق بيّضك الدمـ
شملت ريحك العقيم وقد كا
أين أنهارك التي تملأ الأر
إذ حكّت أرضك السماء نجومًا
لهف نفسي على نضارة بغدا
أين بغدادُ وهي تزهر علومًا
أفقرت أرضها وحق بها الجـ

تترك الوالة الحزين طروباً
نحمّد الدهر غافرين الذنوباً
—هم عني حديثهم والكروباً^٣
وسموا محتدًا وعفوا جُيوباً
كريماً وفي المقال أدبياً
في بلادي قضيتها أم غريباً
أبقى ندوباً بمهجتي فندوباً
ر فأشبهت مقلتي يعقوباً
نت لقوحاً تهب فيك جنوباً
ض غلاًلاً بسيجها وحبوباً؟^٤
ماحيات أنوارهنّ الجُدوباً
د استحالت كدورةً وشحوباً
وزروعاً وأربعاً ودروباً!
ل فجاشت دواهيًا وخطوباً

^١ المراد بالجيب هنا فتحة الطوق، من عند الرقبة إلى ما بين الثديين.

^٢ صبوباً: انحذاراً.

٣ أشم العرنين: مرتفع قصبة الأنف؛ كناية عن الإباء والشمم وعلو النفس.

٤ السيح: النهر يسبح ماؤه على وجه الأرض؛ أي يسيل.

في القطار

قالها لما ركب القطار من الآستانة إلى سلانيك سنة ١٨٩٨.

فأرسلت دمعاَ فاض وابله سكبا
بشاخص طرف في الدجى يرقب الشُّهبا
عدوًّا فآلى لن يهادنه حربا
إذا ما رمى كربًا رأى تحته كربا
لتأنفُ نفسي أن أكلمه عثبا
غلامٌ على حب المكارم قد شبا
نبا كلُّ غضب عنه أو أنكر الضربا^١
وإن كان في أحواضه باردًا عذبا
تساقط من أجفاني اللؤلؤ الرطبا
بدت نغمات ترقص الدمع مُنصبًا



وتملأ صدر الأرض سيرها رعبا
وجوف به صار البخار لها قلبا
قطارًا كصف الدَّوح تسحبه سحبًا
وطورًا رُخاء كالنسيم إذا هبًا
فما استسلهت سهلًا ولا استصعبت صعبًا
لتنهب سهل الأرض في سيرها نهبا
ويعترض الوادي فتجتازه وثبا
وقد وجدت من تحت قُنَّته نقبا
إذا ولجت في جوفه النفق الرحبا
تقول بها: يا طودُ خلِّ لي الدربا

تذكَّرت في أوْطاني الأهل والصحبا
وبتُ طريد النَّوم أختلس الكرى
كئيب كأن الدهر لم يلقَ غيره
يقُلُّ كربًا بعضها فوق بعضها
وإني إذا ما الدهرُ جرَّ جريرةً
وقد علم القوم الكرام بأنني
وأنِّي أخو عزم إذا ما انتضيتُهُ
وأنِّي أعاف الماء في صفوه القذى
ولكنَّ لي في موقف الشوق عبرة
إذا ضربت أوتارَ قلبي شجونه

وقاطرة ترمي الفضأ بدخانها
لها منخر يبدي الشواظ تنفسًا
تمشَّت بنا ليلاً تجرُّ وراءها
فَطورًا كعصف الرياح تجري شديدةً
تساوى لديها السهلُ والصعبُ في السرى
تدكُّ مُتون الحزن دكًّا وإنها
يمر بها العالي فتعلو تسلُّقا
وتخترق الطودَ الأشم إذا انبرى
يرنُّ بجوف الطودِ صوت دويِّها
لها صيحة عند الوُلوج كأنها

وتمضي مُضيَّ السهم فيه كأنما
تغالب فعل الجذب وهي ثقيلة
طوت بالمسير الأرض طيًا كأنها
وما إن شكت أيًا ولا سئمت سُرى
عشية سارت من فَرُوقٍ تَقْلُنَا
فما هي إلا ليلة ونهارها
فجئنا ولم يُعي السفارُ مطينا



ترى أفعوانًا هائجًا دخل الثقبا
فتغلب بالدفع الذي عندها الجذبا
تسابق قرصَ الشمس أن يُدرك الغربا
ولا استهجنّت بعدًا ولا استحسنت قربا^٢
وتقذِف من فيها بوجه الدجى شهبًا^٣
وما قد دعونا من سلانيك قد لبَّى^٤
كأن لم نكن سفرًا على ظهرها ركبا^٥

تعاليت يا عصرَ البخار مفضلًا
فكم ظهرت للعلم فيك معاجزُ
تظاهرت من فعل البخار بقوة
وأقسمُ لولا الكهرباء فوقه
هو العلم يعلو في الحياة سعادة
فكلُّ بلاد جادها العلمُ أمرعت
متى ينشئ الشرقُ الذي اغبرَّ أفاقه
فإن دبور الذل ألوث بعزه
تبصّر إذ دارت رحي الشرق هل ترى

على كل عصر قد قضى أهله نحبا
بها آمن السيفُ الذي كذبَ الكتبا
يذلُّ أدنى فعلها المَطلَب الصعبا^٦
لقلت: على كل القوى تَه به عُجبا!
ويجعلها كالعلم محمودة العُقبى
رُباها وصارت تنبتُ العزَّ لا العُشبا
سحابة علمٍ تمطرُ الشَّرَف العذبا
وكادت سَموم الجهل تحرقه جدبا^٧
سوى الجهل في أثناء دورتها قُطبا

^١ يقال: انتضى سيفه: إذا سلّه من قرابه، وقد شبه عزمه بالسيف، ونبا السيف عن الضريبة: رجع ولم يقطع.

^٢ الأين: التعب والكلال.

^٣ فروق: اسم القسطنطينية.

^٤ سلانيك: بلد باليونان.

^٥ السفار: السفر.

^٦ تظاهرت بقوة: استعنت بها وتقويت.

^٧ الدبور: ريح الجنوب، وهي حارة.

الأرملة المرضعة

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها!
أثوابها رثة والرجل حافية
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها
مات الذي كان يحميها ويسعدها
الموت أفجعها والفقر أوجعها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها
كرُ الجديدين قد أبلى عباؤها
ومزق الدهر — ويل الدهر — مئزرها
تمشي بأطمارها والبرد يلسعها
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفاً

تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها
والدمع تذرفه في الخد عيناها
واصفراً كالورس من جوع محياها^١
فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
والهم أنحلها والغم أضناها
والبؤس مرآة مقرونة بمرآها
فانشق أسفلها وانشق أعلاها
حتى بدا من شقوق الثوب جنبها
كأنه عقر شالت زباناها^٢
كالغصن في الريح واصطكت ثناياها



تمشي وتحمل باليسرى وليدتها
قد قمطتها بأهدام ممزقة
ما أنس لا أنس أني كنت أسمعها
تقول: يا رب لا تترك بلا لبن
ما تصنع الأم في تريب طفلتها
يا رب ما حيلتي فيها وقد ذبلت
ما بالها وهي طول الليل باكية
يكاد ينقد قلبي حين أنظرها
ويلمها طفلة باتت مروعة
تبكي لتشكو من داء ألم بها
قد فاتها النطق كالجماء أرحمها
ويح ابنتي إن ريب الدهر روعها

حملاً على الصدر مدعوماً بيئناها
في العين منشرها سمج ومطواها
تشكو إلى ربها أوصاب دنياها
هذي الرضيعة وارحمني وإياها
إن مسها الضر حتى جف ثديها^٣
كزهرة الروض فقد الغيث أظماها
والأم ساهرة تبكي لمبكاها
تبكي وتفتح لي من جوعها فاهها
وبت من حولها في الليل أرهاها!^٤
ولست أفهم منها كنه شكواها
ولست أعلم أي السقم أذاها
بالفقر واليتم، أها منهما آها!

كانت مصيبتها بالفقر واحدة

وموت والدها باليتم تنأها



هذا الذي في طريقي كنت أسمع
حتى دنوت إليه وهي ماشية
وقلت: يا أخت مهلاً إنني رجل
سمعت يا أخت شكوى تهمسين بها
هل تسمح الأخت لي أني أشاطرها
ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي
وقلت: يا أخت أرجو منك تكرمتي
فأرسلت نظرة رعشاء راجفة
وأخرجت زفراً من جوانحها
وأجهشت ثم قالت وهي باكية:
لو عم في الناس حسٌ مثل حسك لي
أو كان في الناس إنصافٌ ومرحمة

منها فأثر في نفسي وأشجاها
وأدمعي أوسعت في الخد مجراها
أشارك الناس طراً في بلاياها
في قالة أوجعت قلبي بفحواها
ما في يدي الآن أسترضي به الله
دراهما كنت أستبقي بقاياها
بأخذها دونما من تغشأها
ترمي السهام وقلبي من رماياها
كالنار تصعد من أعماق أحشائها
واهاً لمتلك من ذي رقة واها!
ما تاه في فلوات الفقر من تاه
لم تشك أرملة صنكاً بدنياها



هذي حكاية حالٍ جئت أذكرها
أولى الأنام بعطف الناس أرملة

وليس يخفى على الأحرار مغزاها
وأشرف الناس من في المال واساها

١ الورس: نبت أصفر يصبغ به.

٢ شالت: ارتفعت. والزبانة: الذنب.

٣ تربيبي: تربية.

٤ ويلمها: أصله ويل لأمها.

٥ ملحفتي: الرداء الذي أرتدي به فوق ملابسي.

عهد الصبا أو نهر الحياة

أشبهُ شيءَ بأزاهير الربا
وعُمره واللون منه والشذا
خلف ذاكره بقلبي ومضى!
وكان ريان التصابي والمُنَى
فإن تولّى فهو هيش مُزدرى

عهد الصّبا سَقِيًّا لأيام الصبا
إن الصبا كالورد في نصرته
واها على شَرخ الشباب المشتهى
لقد ذوى غصن حياتي بعده
أطيب عيش المرء في شبابه



أحوالها مختلفات في الرؤى
أوضاعه في الأرض كلّما جرى
مَصَبُّه تلقاه بحرًا قد طَمًا^١
إذا بواديه تمطّى واستوى
في الأرض ينساب وطورًا كالفنا
راجعةً من حيث جاء القهقري
فيه وقد خرّ خريراً ورغا^٢
وتارةً منزويًا فوق الثرى
يجري وأخرى بين أصلاّ الصفا^٣
كان إلى الدأماء منه المنتهى^٤
تجري فتنصبُّ إلى بحر الردى

إنّ حياة المرء ما عاش تُرى
كالنَّهر الجاري الذي تغيّرت
فهو لدى المنبع ضحْضاح وفي
بيناه يجري في الثرى مُنعطفًا
طورًا كأسياف الوغى مُنحنياً
وربما عادت مجاريه به
وربما صادف غوطًا فانهوى
والماء فيه قد يُرى منبسّطًا
وتارةً تلقاه في مشجّرةٍ
حتى إذا أبحر مجراه به
وهكذا أنهار أعمار الورى



زال فحزن وشقاء وضنّى
لم يجد الشيب إليه مُختطى^٥
عاد هاللاً كل شهر فنمّا!
يورق في الصيف ويعرى في الشتا!
بُدّ من الشيب أتى قبل الصبا

وإنما العمر شبابٌ فإذا
ما كان أحلى العيش لو أنّ الفتى
ليت الفتى كالبدّر في النشأة إذ
أو ليتّه كالشجر النابت إذ
أو ليت هذا الشيب إن كان ولا

شبيبة الإنسان مرآة المني
والمرء فيها إنْ تمرأى راجياً
ويح شباب فتك الشيب به
بُردان: هذا من وقارٍ ونُهى
لكن وقارُ الشيب لا يعدل ما

بدائع الآمال فيها تُجتلى
أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
إذ لاح كالسيف عليه مُنتضى
حيك، وهذا من تصابٍ وهوى
في طيِّه من لوثةٍ ومن ونى



يا مُسلياً ذا الشَّيب عن شبابه
أَقصرْ هَذَاذِيكَ عن القول فلا
وما الصبا بمانع من الحجا
وليس من أصبح يمشي الخيزلي
وما إياة الشمس في تطفيلها
وهل يطيب العيش للهَمَّ الذي
يَبِيْتُ طول الليل في مضجعه
وإنَّ ظهر الأرض يستقل مَنْ

بأنَّ وخطَّ الشيب أزهارُ النُّهى
يُقاس دَيَّالِكَ تالله بدا^٦
بل هو في الشيخ يكون والفتى
في مَعْرِض السبق كماشي الهيدبي^٧
مثل إياة الشمس في رَأد الضحى^٨
إن هَمَّ بالنهضة خانتَه القَوَى؟!^٩
مستأنس السَّعة وحشيَّ الكرى
أَمْسى يَدِبُ فوقها على العصا

١ ضحضاح: ليس عميقاً.

٢ غوطاً: أرضاً منخفضة. ورغا البعير: صوت.

٣ مشجرة: أرض كثيرة الشجر. أصالاد: جمع صلد، وهو الصخر الجلمد. والصفاء: جمع صفاة، وهي الحجر الأملس.

٤ أبحر مجراه: اتسع كالبحر. والدأماه: البحر.

٥ مختطى: مصدر ميمي من اختطى، بمعنى خطا.

٦ هَذَاذِيكَ: مشي هَذَا، أي: هَذَا بعد هَذَا، والهد: القطع، يريد: كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه.

٧ الخيزلي: مشية تخاذل وتراجع وتفكك. والهيدبي، والهيدبي: ضرب من مشية الخيل سريعة. استوحى الشاعر هذا المعنى من المتنبي الذي فضّل ابنة البادية على ابنة الحاضرة فقال:

ألا كُلُّ ماشية الخيزلي فدى كُلُّ ماشية الهَيْدَبَى

٨ إياة الشمس: شعاعها. والتطفيل: وقت الأصيل. ورأد الضحى: ارتفاعه ورونقه.

٩ الهم: الرجل المسن البالي، جمعه أهمام.

السفر في التومبيل

وفدّ قاتم الأعماق متسع
بتومبيل جرى في الأرض منسرحاً
ينساب مثل انسياب الأيم تحمله
كأنها وهي بالمطاط مُنَعَلَةٌ
يمرُّ كالريح لم تسمع لأرجله
وتتكر الخيل إن جارته في سننٍ
تطلُّه قُبَّةٌ فيه منجدة
يخال من حلَّ فيها نفسه ملكاً
ركبته وبياض الصبح تحسبه
والبدر في الأفق الغربي ممتنع
وللنجوم بقايا في جوانبه
وللنسيم هبوبٌ في مدارجه
فطار من غير تحليقٍ براكبه
وسار سيراً يراكاً ملء مَهْبِعه
فكنت أبصر حولي الأرض جارية
يلوح فصل الربا وصلًا فأحسبها
ما زال يجتاز بي ما في البسيطة من
حتى بلغت به أقصى مدى عجزت
وكم علا بي أنشازاً تسلَّقها
لا يعرف الأيُن منه أين موقعه
وكيف يتعب من لا جسَّ يتبعه
وإنما هو يجري في مسالكه

طويت أجوازه طي المكاتب^١
كما جرى الماء من سفح الأهاضيب
عواملاً عجلاً من دواليب^٢
تمشي بأخفاف أنواقٍ مطاريب
سوى حفيفٍ كنْفُخٍ في الأنابيب
ما تعرف الخيل من حُضِرٍ وتقريب^٣
قد زانها حُسْنُ تتجيدٍ وتقبيب
يُرْهِى بتاج على الفودين معصوب
صدر المليحة مكشوف التلابيب
يرنو إلى الفجر في الحاظ مرعوب
كالعقد منفرداً من جيد رُعبوب^٤
ما ينعش الروح من نشرٍ ومن طيب
بل مرَّ يُمطر مطراً فوق مَلحوب^٥
كالويل يتبع شُوبوباً بشُوبوب^٦
كمثل تيار بحرٍ وهو يجري بي
من سرعة المَرِّ قد صُفَّت بترتيب
سهلٍ ومن جَبَلٍ عالي الشناخيب^٧
عنه العتاقُ من الجرد السراحيب^٨
وشاب في السير تصعيداً بتصويب^٩
ولو يواصل إدلاجاً بتأويب^{١٠}
ولا يسير على ساقٍ وظنوب^{١١}
دفعاً بقوة غازٍ فيه مشبوب

- جَرَّبْتَهُ هَابِطًا أَجْزَاعَ أَوْدِيَةِ
وَمَلْهَبًا فِي سَهُولِ الْأَرْضِ يَنْهَبُهَا
فَكَانَ أَسْبَقَ مَرْكُوبٍ لَغَايَتِهِ
تِلْكَ الْمَطِيَّةُ لَا عَوْجَاءَ يَذْكُرُهَا
لَوْ امْتَطَاهَا لَبِيدٌ قَبْلُ تَاهَ بِهَا
وَلَمْ يَهَمْ لَوْ رَأَى ابْنَ الْعَبْدِ مَنْظَرَهَا
وَلَا أَطَالَ ابْنُ حُجْرٍ وَصَفَ مَنْجَرِدٍ
- وَطَالَعًا فِي الثَّنَايَا وَالْعِرَاقِيبِ^{١٢}
نَهَبًا وَيَخْلُطُ الْهَوْبًا بِالْهَوْبِ^{١٣}
وَكُنْتُ أَقْرَبَ طَلَّابٍ لِمَطْلُوبٍ
أَدِيبَ ذَبْيَانَ مِنْ عَيْرَانَةِ النَّيْبِ^{١٤}
عَلَى الْحَوَاضِرِ قَدَمًا وَالْأَعَارِيبِ
مَنْ وَصَفَ عَوْجَاءَهُ فِي كُلِّ أُسْلُوبٍ^{١٥}
عَالِي السَّرَاةِ كُفِّتِ اللَّوْنُ يَعْجُوبُ^{١٦}

^١ الفدقد: الفلاة الواسعة لا شيء بها. والأجواز: جمع جوز، وهو وسط الشيء.

^٢ الأيم: الحية.

^٣ الحضر: السير السريع. والتقريب: ضرب من السير بطيء.

^٤ الرعوب: الشابة الممثلة الحسنة الناعمة.

^٥ الملحوب: الطريق الواسع.

^٦ دراكًا: متتابعًا. والمهيع: الطريق. والشؤبوب: الدفعة من المطر.

^٧ الشناخيب: جمع شخوب وشنخابة وشنخاب، وهو رأس الجبل.

^٨ السراحيب: جمع سرحوب، وهي الفرس الطويلة الجسم.

^٩ أنشازًا: جمع نشر بالتحريك، وهو المرتفع من الأرض.

^{١٠} الإدلاج: سير الدلجة في الليل. والتأويب: السير بالنهار.

^{١١} الظنوب: مقدم عظم الساق.

^{١٢} الأجزاء: جمع جزع، بكسر الجيم، وهو حيث ينجزع الوادي والطريق، أي: ينعطف.

^{١٣} الألهب: العدو الشديد تنتهب منه الأرض الصلبة، فيخرج منها الشرر.

^{١٤} أديب ذبيان: هو النابغة الذبياني. والعيرانة: الناقة تشبه العير — وهو حمار الوحش — في وثاقة خلقها وقوتها. والنيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنة.

^{١٥} ابن العبد: هو طرفة بن العبد، وعوجاؤه: ناقته التي وصفها في معلقته.

^{١٦} ابن حجر: هو امرؤ القيس. والمنجرد: القصير الشعر. والسراة: الظهر. والكميت: الأحمر. واليعبوب: الجواد البعيد الغاية في الجري.

من ويلات الحرب

- مرت تقول: ألا يا ربّ خُذْ روحي
مهزولة الجسم من فقرٍ ومن نكدٍ
باتت بغير عشاء وهي طاوية
ضنك المعيشة أضوى جسمها فبدت
وأذبلتها هموم النفس ناصية
وَيَلُمُّهَا عَيْشَةٌ نَكْدَاءُ يَابِسَةٌ
في طرفها نظرٌ وانِ تُرَدِّدْهُ
تلفعت بدريس من تخرُّقِهِ
فكم ترى العينُ خرقاً غير مرتقع
تمشي انخزالاً بعبء الفقر مُثْقَلَةٌ
خارت قواها فمارت في تخذلها
- ١ كي أستريح بموتي من تباريحي
٢ مُصَفَّرَةٌ الوجه من هَمٍّ وتتريح
٣ وأصبحت وهي غرثى دون تصبيح
٤ شروى خيال بطرف العين ملموح
٥ فصوّحت وجنتيها أي تصويح
٦ لم تبقى من جسمها غير الألاويح!
٧ لَمَحَ المريض إذا ما جاد بالروح
٨ تخال طرّته بعض التقازيح
٩ في جانبيه وفتقاً غير منصوح
١٠ كظالع في الطريق الوعر مكسوح
يكاد يسقطها هَبٌّ من الريح



- لَمَّا دَنَوْتُ إِلَيْهَا كِي أَسْأَلَهَا
تَأَوَّهَتْ أَهَةً حَمْرَاءَ دَامِيَةٍ
وأجهشت ثم أرخت من محاجرها
وأعرضت وهي لم تتبس سوى نظر
فرحْتُ من عجبي منها ومن جزعي
من ليس يبكيه من أبناء جلدته
ولا يقوم بعبء المجد مضطلعاً
وما السعادة في الدنيا بحاصلةٍ
إن المروءة شيءٌ لا تتاوشه
أرى كنوز المعالي ما لِأَفْقَلِهَا
والعيش غيهُبٌ آمالٍ وليس لنا
- والقلب في خطرٍ كالأراجيح
تشفُّ عن كبدٍ بالهمّ مجروح
عنان دمع على الخدين منصوح
يغني الألباء عن نطق وتصريح
أبكي لها بين ترجيعٍ وتسبيح
بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
من لا يقوم إلى إنهاض مفدوح
١٠ إلا بإسعادٍ أطلّاحٍ مرازيح
إلا سواعد أجواد مساميح
غيرُ السماح لعمرى من مفاتيح
سوى التعاون فيه من مصابيح



قامت قياماً أهل الغرب فانبعثت
واستفحلت فتنة عمياء جائحة
وقامت الحرب بالأواء شاملة
والأرض قد أصبحت من مكر ساكنها
ضاقت على الناس وانسدَّت مسالكها
والحرب أغنت أناساً غنيةً عجباً
ومعشراً أسكنتهم في الذرا عُرْفاً

هَـزَاهُ بَيْنَهُمْ عَمَّتْ بَنِي نُوحٍ^{١١}
تَمَخَّضَتْ فِي دَمٍ فِي الْأَرْضِ مَسْفُوحٍ^{١٢}
كُلَّ الْبَسِيطَةِ حَتَّى الْأَبْحَرِ الْفِيحِ^{١٣}
مُحْمَرَّةَ اللَّوْحِ أَوْ مُغْبَرَّةَ السُّوحِ^{١٤}
فَعَادَ كُلَّ طَرِيقٍ غَيْرِ مَفْتُوحٍ^{١٥}
وَأَخْرَيْنَ رَمَتَهُمُ بِالْمَجَالِيحِ^{١٦}
وَمَعْشَرًا بَطْنَ مَلُحُودٍ وَمَضْرُوحٍ^{١٧}



أما التي أوجعت قلبي بمنظرها
فغادة عصت الحربُ الضُّرُوسُ بها
أُمسِتْ تَكَابُذُ مِنْ فَقْرٍ أَلَمَ بِهَا
تَرْنُو إِلَى النَّاسِ بِالشُّكُوى فَتَحْسِبُهَا

وَأَوْهَنْتَهُ بِتَبْضِيعٍ وَتَقْرِيحٍ^{١٨}
عَضًّا بَنَابٍ حَدِيدٍ غَيْرِ مَرْضُوحٍ^{١٩}
أَلَامَ عَيْشٍ بِشِيعِ الطَّعْمِ مَذْرُوحٍ^{٢٠}
ظَمَانَ يَشْكُو لِأَلٍ حُرْقَةِ اللَّوْحِ^{٢١}

١ التباريح: كلف المعيشة في مشقة.

٢ التصبيح: هنا بمعنى الغداة؛ أي ما يؤكل صباحاً.

٣ شروى: بمعنى مثل؛ أي مثل خياله.

٤ التصويح: التجفيف؛ أي جففت وجنتيها.

٥ الألواح: جمع ألواح، جمع لوح، فهو جمع الجمع، وألواح الجسد: عظامه العراض، والمعنى: لم يبقَ في جسمها غير العظام، يقال للمهزول: لم يبقَ منه إلا الألواح.

٦ التقازيح: جمع التقزيع، وهو رأس نبت أو شجرة يتشعب كبرثن الكلب؛ أي تخال جانب ثوبها المنخرق كرأس هذا النبت المتشعب شعباً.

٧ منصوح: أي مخيط، من نصح الثوب إذا خاطه.

٨ الطالع: الذي يغمز في مشيه؛ أي يميل من رجله، وكذلك المكسوح، يقال: جمل مكسوح: إذا كان به ظلع شديد.

٩ المفدوح: المثقل.

١٠ أطلاق: جمع طلع، وهو المُعْنَى والمهزول، وكذلك مرازيح.

١١ الهزاهز: الفتن التي تهز الناس.

١٢ الأواء: الشدة والمجاعة. والفيح: جمع أفيح، يقال: بحر أفيح؛ أي واسع.

اللوحي بضم اللام: الهوا بين السماء والأرض. والسوح: جمع ساحة؛ احرار اللوح، واغبرار السوح: كناية عن وقوع القحط والجذب.

١٤ المجاليح: السنون التي تذهب بالمال، وهي ذات القحط والجذب.

١٥ الملحود والمضروح: القبر.

١٦ مرضوح: مكسور.

١٧ مزروح: مسموم.

١٨ الال: السراب. واللوحي بضم اللام هنا، بمعنى العطش، والمعنى أنها تشكو إلى الناس بلا فائدة كشكوى الضمآن إلى الشراب.

على جسر مود

قالها يصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود بغداد.

لا تنك أَرْبُعَهُمْ ولا الأطلالا
وانترك سؤالك للرسوم فإنها
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه
حسن يقيد من رآه بحبه
ويطير في جو السرور مُرْفَرَفَا
أوما ترى البدر المنير إذا بدا
واربأ بحبك أن يكون خيالا
مما يزيدك بالسؤال ضللا
حسن يفيدك في الحياة كمالا
وفيك من أفكاره الأغلالا
بالمشتكين كآبة وملالا
يكسو الدجى من نوره سربالا



ولقد وقفت بجسر مود عشية
والليل يلبس من سناه مطارفا
أما النسيم فقد جرى متعطرا
وجبين دجلة قد صفا متألقا
فحسبت نفسي في السماء مُشاهدا
ورأيت من فوق السّماء حقيقة
فكأنما الجسر الذي أنا فوقه
وكأنما أنا في السماء محلق
والبدر في أفق العلا يتللا
منها يجر بدجلة أذيالا
وحكى بطيب هُبوبه الآمالا
فحكى السماء محاسنا وجمالا
تحتي بدجلة للسماء مثالا
ورأيت من تحت السّماء خيالا
قد مدّ في جو السماء مشالا
طورا أسف وتارة أتعالي



لله ما شاهدته من منظر
حُفَّت جوانبه بكل بديعة
حتى نخيل الجانبين جميعها
يدع الكئيب كشارب جريالا^١
فرها جمالا واستقلّ جلالا
قامت له بحفاوة إجلالا

١ الجزيال: من أسماء الخمر.

على البسفور

وقفتُ على البوسفور والريح عاطف
وفي البحر مجرى موجة إثر موجة
ويُزبد أعلى الموج حتى كأنه
كأنَّ رياح الجو عند هبوبها
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصاً
وفي كل يوم للزمان عجائب
وأعجب ما في الدهر أن هباته
وربَّ أفيك جاء يمدُّق وُدّه
ولكنه في وُدّه الثعلب الذي
تعاليتُ عن تبكيته إذ رأيته
وقلت له: لا تدنُ مني فإنني
وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد
حرّصت على تكريم محضر صاحبي
وما غرني ذو ظاهر متودّدٍ
ويا ربَّ وجهٍ لم يرفّني بياضه
فيا شعراء القوم كفّوا وعاكمُ
دعوا كشف مكنون الصدور لفطنتي
نكاء لو اجتزتُ الجدار بنوره
ولست على الأعقاب في الرأي ناكصاً
على أن لي في معرض الشك ربصةً
إذا أنا لم أنكر على الدهر جورهُ

واللّوح ظلّ دونه متقلّص
كجري طموح الخيل إذ يتوقّص^١
هضابٌ إلى أطرافها الثلج يخلص
تغنّي وهذا الموج في البحر يرقص
بها العيش يصفو أو بها يتنّص
بها الناس تغلو أو بها الناس ترخص
تريد لمن فيه المروءة تنقص
ويُظهر إخلاصاً وما هو مخلص^٢
يروغ أو الكلب الذي يتصبّص
جهولاً على علاته يتعنّفص
بغيضٌ إليّ الكاذب المتخرّص
فإنني بأثواب العلا متقمّص
وإنني على ذا في المغيّب لأحرص
إذا كان فيه باطنٌ متلصّص
فلمّا دنا مني إذا هو أبرص
فشرح العلا في بعض شعري مُلخص
فإنني بذا من دونكم متخصّص
لشف لعينيّ الجدارُ المجصّص
إذا كان للمستضعف الرأي منكص
ورُبَّ يقينٍ ناله المتربّص
فلا وطئت بي موطنَ العز أخصّص

١ يتوقع: يثب في عدوه وهو يقارب الخطو.

٢ أفيك: كاذب. ويمزق: يخلط.

إلى غرة آل سعدون

أعبدَ المحسن السعدونَ إني
وأبصر من فعالك بَدَرَ تَمَّ
لذلك قد أتيتُ إليك أشكو
فقد رَقَّتْ ثيابي اليوم حتى
غدت شَفَافَةً حتى كأني
وليس العُزِّي من ثوبٍ معيبًا
وما ضرَّ المَهْدَدَ فقد جفنِ
فإن لم تدرك الأيام عُرِّي
لبست قرار بيتي في نهاري
فإن جاء المساء لبست منه
وصرت أجول كالخُفَّاش ليلاً
ولست أريد ثوبًا أتحمياً
ولكن بَزَّةَ البدويِّ أبغي
ومن كوفية صَحِبت عِقالاً
فذا زِيٌّ يَتَمُّ به رجوعي
وما صيرتُ ملبوسي خفيفاً
وكيف وأنت أكرم من حباني
ولكني رغبْتُ عن اكتسائِ
وكيف يكون مطلوبي حقيراً
وهل أنا غيرُ عبدٍ أنت منه
لأَتَّخِذَنَّ إخلاصي وصدقي
وأجعل ما حييت جميلَ شكري
ولست أرى الحياة تطيب إلا

أراك مناطَ أسباب الرجاء
يلألئ من فخارك في سماء
رثائفة بزتي وبلَى كسائي
تكاد تذوب من مسِّ الهواء
لبست بهنَّ أثواب الرياء
لكاسي النفس من حُلل الإباء
إذا ما كان محمود المضاء^١
بثوبٍ منك يا غَمَرَ الرداء^٢
ولم أخلعه إلا في المساء
ظلاماً ما تمزق بالضياء
وألجأ في النهار إلى الضراء^٣
ولا من زِيٍّ أرباب الثراء^٤
فمن ثوبٍ عليٍّ ومن عباء
يكون الرأس منها في غطاء
إلى عيشٍ بسيط ذي هناء
لأنني خفت من ثَقَلِ العطاء
بأكرم ما رجوت من الحباء؟!
يطول به من الدنيا عَنائي
وأنت أجلُّ مَنْ تحت السماء؟!
خَصَصْتَ أبا عليٍّ بالولاء؟!
لكم من كل موبقة وقائي
لما أسديت من نعم غذائي
بحسن تجمُّلي لك والثناء

وأعلم أن ما أشكو إليكم
ويشمت بي الذين لهم نفوس
ولم يشمت بأحرار البرايا
ولكن هوّن البرحاء أني
شكوتُ إلى فتّى جمّ المزايا
فتّى يوليک عند البؤس خيرًا
رحيبُ الباع مؤتلق المحيّا
صريح في مقاصده إذا ما
زكت أخلاقه فصفت ورقت
تلاقي الزائرين ببشر وجه
إذا رأس البلاد أبو عليّ
وإن ولي الوزارة وهو أهل

يسرُّ الماردين على عدائي
مرضن من العيوب بكل داء
سوى لؤمائهم والأدنياء
شكوت إلى جديرٍ باشتكائي
كبير النفس منفرد السناء
ولا ينسأك في حال الرخاء
أصيلُ الرأي وقاد الذكاء
أسرّ القوم حسوا في ارتغاء^٥
فهنّ لكل مكرمةٍ مرائي
تجلّ بالمروءة والحياء
فقد وضحت بها طرق العلاء
فيا حسن السياسة والدّهاء

١ الجفن: قراب السيف.

٢ غمر الرداء: واسع العطاء.

٣ الضراء: الشجر الملتف في الوادي.

٤ الأتحمي: الثوب الصفيق المتين النسيج.

٥ الحسو: الشرب. والارتغاء: شرب الرغوة، وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة، وهو يحسو اللبن الذي تحتها، يضرب لمن يظهر غير ما يبطن.

الوسام وفخامة رئيس الوزراء

وبدا عليه كزهرة من سوسنٍ
فاستعصمت منه بأشرف مكمّن
من كل شائنةٍ بأكرم مأمن
كالنجم في الأفق السعيد الأيمن
أكرم بصدرك للعلا من معدن!
للمخلصين وحسرة المتخوّن
إذ أكرمتك به سياسة لندن
ما تبتغيه من اعتزاز الموطن
ما شئت سير حضارة وتمدّن
شرفاً فيعظم حسنّها في الأعين
ذو نسبة في المجد ذات تقنّن
فاعجب لحسن مُعنون بمعنون
يَهدي البلاد إلى المآب الأحسن
وابلُغ بهنّ مدى الرقيّ الممكن
بك يا أصيلَ الرأي فضلَ تحسّن

حَسَنَ الوسام بصدر عبد المحسن
صدر به كمنّت سرائر مجده
واستأمنتَه المكْرُمات فأصبحت
لاح الوسام بأفقي صدرك لامعاً
هو للعلا من فوق صدرك شارة
شرف حُبِيَّتْ به فكان مسرة
جعلته لندنُ للعراق كرامة
ليكون فيك علامة منها على
فافخر به كل الفَخار وسِر بنا
تتناسب الأشياء مع أصحابها
وكذاك صدرك والوسام كلاهما
فكلاهما عنوان مجد قرينه
يا أصدق الوزراء معرفة بما
سر بالبلاد إلى معالم عزها
إنا لنرجو للعراق وأهله

نحن

في يوم حادثة الرئيس

شاع كالبرق في العراقيين يوماً
خبرٌ فُطرنا العراقيُّ قد زل—
شاع أنَّ الرئيس أهوى إليه
إذ رماه بطعنةٍ منه في الزن—
فهوى يخطب الصعيد صريعاً
خبر صاح عنده الناس يا الله
واستمر الكرام يرجون أن لو
ويقولون: من أصيب؟ أعبُد المح—
أسليل الداودي من آل سع—
ويحكّم ما الذي تقولون لنا
إن يكن صحّ ما تقولون، لا صحّ

خبرٌ أترع القلوب كآبه
زل منه حتى خشينا انقلابه
ذو اعتداءٍ بمُدية فأصابه
د وأخرى في رأسه والذؤابه
بدماءٍ قد صرّجت أثوابه
للمجد والندى والنجابه
حقّق الله خُلفه وكذابه
سن العبريُّ ليثُ الغابه؟!
دونَ أربُ الشمائل المستطابه؟!
س أجدّ مقالكم أم دُعابه؟!
فقدنا من العلاء لُبابه



ثم مرت سويعة فتولت
إذ علمنا أن الرئيس بحالٍ
وعلمنا الخطب الذي أكبروه
بيد أن الذين هم أكبروه
فاذا كل ما جرى هو هذا
فهنيئاً لا للرئيس ولكن

سُحب الغمّ والأسى مُنجابه
غير قتالة ولا رِيابه
غير خطب وإن يكن ذا غرابه
أرجفوا نافخين في الشبّابه
أسدّ قد عدت عليه ذبابه
للمعالي وللنهى والنجابه

في ملعب كرة القدم

قصّدوا الرياضة لاعبين وبينهم
وقفوا لها متشمّرين فألقيت
يتراكضون وراءها في ساحةٍ
رَفَسًا بأرجلهم تساق وضربُها
ولقد تحلّق في الهواء وإن هوت
وتخالها حينًا قذيفة مدفع
ولربما سقطت فقام حيالها
فتخالها وتخاله كفريسةٍ
لا تستقر بحالة فكأنها
تتحو الشمال بضربة فيردّها
وتمر واثبة على وجه الثرى
وتدور بين اللاعبين فمُحجم
وكأنها والقوم يَحْتَوِشونها
راضوا بها الأبدان بعد طلابهم
أبناء مدرسة أولاء وكلهم



لا بدّ من هزل النفوس فجِدّها
فإذا شغلت العقل فاله سُويعةً
والفكر منهكة فباستمراره
إن الجسوم إذا تكون نشيطة
هذي ملاعبهم فجسمك رُض بها

تعبّ وبعضُ مُزاحها استجمام
فاللهو من تعب العقول جِمام^١
تهنّ العقول وتهزل الأجسام
تقوى بفضل نشاطها الأحلام^٢
واسلك مسالكهم عداك الذام

١ جمام: راحة.

٢ الذام: العيب.

الإحسان

أنشئت في حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التي أسستها الجمعية الخيرية الإسلامية في بغداد، وأنفق في بنائها حضرة المحسن الكبير مناحيم صالح دانييل من أشرف الملة الموسوية وأغنيائها في بغداد، وذلك سنة ١٩٢٨.

لو كنتُ أعبدُ فانيًا في ذي الدُّنا وجعلت قلبي مسجدًا لتعبدني كي لا أكون مُرائيًا بعبادتي في مُجتنى غرس الخليفة لم أجد هو في الخليفة ذو عجائب سرُّها بيناه يغدو للنفوس مُقيّدًا يستعبد الأحرار وهو صنيعهم كم بلّ نائرة فأطفأ نارها ما لاح كوكبه بمَوْهنِ غُمة ما إن تظلّل موطنٌ بظلاله نفحاته تمحو معايب أهله لم أدرِ والآثار منه كثيرة أفحن نجهله وقد علم الورى أوما أمرنا في عظات كتابنا	لعبدتُ من دون الإله المحسِنَا سِرًّا وفُهِت له بشكري مُعلنَا ولكي أكون بشكره متفننا غرسًا سوى الإحسان حلو المجتنى أعيا اللبيب وأعجز المتفطنَا بالحب يطلق بالثناء الألسنا ويرد بغض المبغضين تحننا من بين مُشترك الصوارم والقنا إلا أعاد ضُحى سناء المَوْهِنَا ^١ إلا أعزَّ الله ذاك الموطِنَا من حيث تُعمي عن رؤاها الأعينا في الغرب لم نزرث وقلّت عندنا في الشرق نشأته ربيبًا بيننا بالعدل والإحسان أن نتدينَا
--	---



ويسرُّني أني أشاهد موطني وإذا استريب بما أقول فشاهدي قد شيدَ للأيتام مأوى واهيًا ليكون فيه شفاؤهم من جهلهم جاد ابن «دانييل» الكريم لذا البنا فاستوجب الحمد الذي كلماته	قد نال من بركاته بعض المُنَى هذا البناء ومن حماه ومن بنى يُهتمُّ بالأيتام فيه ويُعتنى ومن الظما ومن الطوى ومن الضنى بالمال مشترىً به كل التنا مستغرات بالثناء الأزمنَا
---	---

فَلَنُكْنِهَ بِأَبِي الْيَتَامَى بَعْدَ ذَا
رَجُلٌ عَلِمْنَا الْيَوْمَ مِنْ إِحْسَانِهِ
لَا يَحْسُنُ الْإِحْسَانُ إِلَّا هَكَذَا
وَالْمَالُ إِنْ جَادَتْ بِهِ يَدُ مُحْسِنٍ
سَعِدَ امْرَأُؤُ بَذَلِ الْفَوَاضِلِ لِلْوَرَى
وَالْجَهْدُ مِنِّي هَا هُنَا هُوَ أَنَّنِي

إِذْ لَا يَخَاطَبُ مِثْلَهُ بِسُورَى الْكُنَى
أَنْ لَيْسَ لِلْإِحْسَانِ دِينَ فِي الدُّنَا
قَدْ صَارَ طَبْعًا فِي النُّفُوسِ وَدِيدِنَا
حَسَنٌ وَإِلَّا فَهُوَ بئْسَ الْمُقْتَنَى
عَفْوًا وَعَوْدَ نَفْسِهِ أَنْ يُحْسِنَا
أَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ حَضَرُوا هُنَا

^١ الموهن: الساعة بعد منتصف الليل.

الجرائد وما كانت عليه في الآستانة

إذا شئت أن تسري بكافرة الصوى
وتذهب محيار الظلام تخبطاً
وتمشي فما تدري إلى قعر هوة
فطالع أراجيف الجرائد إنني
جرائد في دار الخلافة أضرمت
ولم يكفها هذا الخلاف وإنما
فما بين مكذوب عليه وكاذب
ترى في فزوق اليوم قرّاء صُحفها
جدال على مرّ الجديدين دائم
فذائد سهم عن رمي يرده
وهذا إلى هذي وذاك لغيرها
وما هي إلا ضجة كل صائت
أضاعوا علينا الحقّ فيها تعمداً
ولم أر شيئاً كالجرائد عندهم
يقولون: نحن المصلحون، ولم أجد
وكيف يبين الحقّ من نفثاتهم
فإياك أن تغترّ فيهم فكلهم
وكن حائداً عنهم جميعاً فإنما
على رسلكم يا قوم كم تُسمعونا
ألا فارحموا بالصفح عن نهج صُحفكم
وما الصحف إلا أن تدور بنهجها
وأن تنتشر الأقوال لا عن طماعة
وَألا تُعاني غير نشر حقائق

يدوي بقطريها هزيم الرواعد^١
وتغتر في ظلماتها بالجلامد
تروح بها أم للمدى المتباعد
أرى الويل كل الويل بين الجرائد
لهيب خلاف بينها غير خامد
أطافت بنقص في الحقيقة زائد
وما بين محدود عليه وجاحد
فريقين من ذي حجة ومعاند
بتفنيد رأي أو بتزييف ناقد
وآخر رام سهمه نحو ذائد^٢
من الصحف يدعو آتياً بالشواهد
بها مدّ للندى جباله صائد
وعُقبى ضياع الحق سُود الشدائد
مبادئه منقوصة بالمقاصد
لهم في مجال القول غير المفاصد
وكلّ له في الحق نفثة مارد
يجر إلى قرصيه نار المواقد
يضلّ امرؤ عن غيهم غير حائد
مقالة محقود عليه وحاقد
فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
مع الحق أني دار بين المعاهد
فتأتي بها مشحونة بالفوائد
وتنوير أفكار وإنهاض قاعد

أَتُبْغُونَ فِي تَلْفِيقِهَا نَفْعَ وَاحِدٍ
أَلَا إِنَّ صَحْفَ الْقَوْمِ رَائِدٌ نَجْحَهُمْ
لَعَمْرِي إِنَّ الصَّحْفَ مِرَاةَ أَهْلِهَا
كَمَا هِيَ مِيزَانٌ لَوْزَنَ رَقِيبِهِمْ
أَلَا تَنْتَظِرُونَ الْغَرْبَ كَيْفَ تَسَابَقَتْ
بِهَا يَهْتَدِي الْقُرَاءُ لِلْحَقِّ وَاضِحًا
وَلَكِنْ أَبَى الشَّرْقُ التَّعْيِيسُ تَقْدَمًا
فَلَا تَحْمِلُوا حَقًّا عَلَى مَا أَقُولُهُ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَيْرَةٌ وَطَنِيَّةٌ

وَتُغْضُونَ عَنْ إِضْرَارِهَا أَلْفَ وَاحِدٍ؟!
وَمَا جَازَ فِي حُكْمِ النُّهْيِ كَذِبَ رَائِدٍ
بِهَا تَتَجَلَّى رُوحُهُمْ لِلْمَشَاهِدِ
وَدِيْوَانُ أَخْلَاقٍ لَهُمْ وَعَوَائِدُ
بِهِ الصَّحْفُ فِي طُرُقِ الْعِلَا وَالْمَحَامِدِ؟!
كَمَا يَهْتَدِي السَّارِي بِضَوْءِ الْفِرَاقِدِ
مَعَ الْغَرْبِ حَتَّى فِي شُئُونِ الْجِرَائِدِ
فَإِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ غَيْرُ حَاقِدٍ
فَإِنْ تَجَدُّوا مِنْهَا فَلَسْتُ بِوَاجِدٍ

^١ كَافِرَةُ الصَّوَى: كُنَايَةٌ عَنِ الصَّحْرَاءِ الَّتِي لَا عِلْمَ فِيهَا يَهْتَدِي بِهِ. وَيَدْوِّي: يَكُونُ لَهُ دَوِي.

^٢ الذَّائِدُ: الْمَدَافِعُ عَنِ الشَّيْءِ. وَالرَّمِي: الرَّمَايَةُ.

وقفة في الروض

هذا به شَجَنٌ وذا مسرورٌ
للماء في جنباتها وخرير
وصفاً فَلَاحَ كأنه بَلَّور
بالماس يُوشِر منه لي مَوْشور^١
بين الزهور كأنهنَّ سطور
فكأنهنَّ معاطف وخصور

ناح الحمام وغرَّد الشُّحورُ
في روضةٍ يُشجي المشوق ترقرق
ماءٌ قد انعكس الصفاء بوجهه
قد كاد يمكن عند ظنِّي أنه
وتسلسلت في الروض منه جداولٌ
حيث الغصون مع النسيم مَوائِل



يَعيا البَيانُ وَيَعجز التعبير؟!
للعين أنوار بها وزهور
وتلت بها الخطباء وهي طيور
جَيَّبَ النسيم على الشذا مَزْرور
فيها وتبسم للأقاح ثغور
وغدا يشير لوردها المنثور
في الروض زَهر الياسمين يَمور
فغدا حوالية الفَراش يدور
في الجو يدفعُ ماؤها ويفور
صُغْدًا عمودَ الصبح حين ينير
والنور فيه مغلغلٌ مكسور
أم قد تجسَّم في الهواء النُّور
فكأنما هي لؤلؤٌ منثور
قوس السحاب لها بها تصويرٌ
فيها علَّتني نضرةٌ وسرور
ولفكرتي بصفاتها مُرور

ماذا أقول بروضةٍ عن وصفها
عُنِيَ الربيعُ بوشيتها فتتَوَعَّتْ
مَثَلَتْ بها الأغصان وهي منابر
متعطر فيها النسيم كأنما
للنرجس المطلول ترنو أعين
تخذت خزامها البنفسج خَدْنَهَا
وكان محمراً الشقيق وحوله
شمع توقد في زجاج أحمر
وتروق من بعد بها فوارة
يحكي عمودُ الماء فيها آخِذاً
ناديت لمَّا أن رأيت صفاءه
هل ذاك ذوبُ الماس يجمد صاعداً
تتناثر القطرات في أطرافها
ينحلُّ فيها النور حتى قد ترى
كم قد لبست بها الضحى من روضة
فأجلت في الأزهار لحظ تعجبي

فنظرتهن تحيّرًا ونظرني
فكأن طرف الزهر ثمة ساحر
إن الزهور تُكنهنّ براعمٌ
وتضوُّع النفحات منها مثله
وبنّلك قلب الجهل مصدوع كما
والزهر ينبته السحاب بمائه
إن كان هذا في الحقائق بهجة
أو كان هذا لا يدوم فإنّ ذا

حتى كلانا ناظر منظور
لمّا رَنا وكأنني مسحور
مثل العلوم تجنّهنّ صدور^٢
تبييّنُها للناس والتقير
ثوب الهموم بهذه مطرور
كالعلم يُنبِت غرسه التفكير
يزهو فذلك في النهى تنوير
ليدوم ما دامت تكرّر عصورُ

^١ شبه الماء في البيت الذي قبل هذا بالبلور، ثم زاد في هذا البيت أنه بلور، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع.

^٢ تجنهن: تسترهن وتحفظهن.

ما رأيت في بك أوغلي

قالها عندما ذهب إلى حي بك أوغلي في الأستانة سنة ١٨٩٨ وقد كان إذ ذاك معممًا، وذلك قبل أن يستبدل الطربوش.

به الخلقُ حتى قلتُ: ما أكثرَ الخلقا!
إلى التَّلعاتِ الزُّهرِ في دَرَجِ تَرْقى
بلامعِ نورِ علَمِ السحبِ البرقا
فما أحسنَ المبنى وما أوسعَ الطَّرقا!
يمدُّ إلى إدراكِ شرفته العنقا^١
وبين النجومِ الزُّهرِ في حسنِها فرقا
تُضحكُ أبراجُ السمواتِ والأفقا
تدورُ بأفقي يجمعُ الغربَ والشرقا
«برانيط» سودًا كالسلاحفِ أو وُرقا^٢
وتلقى العيونُ السودَ والأعينَ الزرقا
ففيه عقولُ الناظرين من الغرقى
وهبَّ نسيمُ العشق من بينها طلقًا
وإن كان فيها الشعرُ ممتلئًا عشقا
إلى أن رجا من حسنه عطفه الرفقا

ذهبتُ لحَيٍّ في فَرُوقَ تزاحمتُ
ترى الناسَ أفواجًا إليه وإئما
يضيءُ به ثغرُ الحضارةِ باسمًا
رأيتُ مبانيه وجلتُ بطرقه
فكم فيه من صرحِ ترى الدهرِ مُتلعا
قصورَ علت في الجوِّ لم تلقَ بينها
هنالكِ للأرضين أفقَ بروجِه
بروجٌ ولكن شارقأتُ شمسها
بحيث ترى حُمر «الطرابيش» خالطت
وتلقى الوجوه البيضُ حُمرًا خدودها
خدودٌ جرى ماءُ الشبيبةِ فوقها
محاسنُ كالأزهارِ قد طلَّها الهوى
فمن ذاتِ دَلٍّ أعجزَ الشعرَ وصفُها
ومن ذي دلالِ رنَّحَ الحسنُ عطفه



تُمثِّلُ كيف الناسُ تسعدُ أو تشقى
وهل خلقةُ تعلو إذا سفلتُ خلقا
وما جلَّ من أمرِ الحياةِ وما دقا
لُبْدَلِ كِدْبٍ في سعادتها صدقا
عيونُ البلايا والزمانُ لها رقا
على رأسه حتى تجدلُ مُندقا^٣

وكم مسرح فيه الحسان تلاعبت
جسان علت في الحسن خُلُقًا وخلقًا
تُمثِّلُ ما قد مرَّ منا وما حلا
فُتْلقي دروسًا لو وعنها حياتنا
إذا مثلت شكوى الحزين بكت لها
وإن صوّرت حقًا هوى كل باطل



ترى الأنس يشدو في فمٍ يجهل النطقا
بلحن سرور يترك الهم منشقا
متى هم أرادوا سحَّ من قُبُلٍ ودقا
فمنهن من تَسْقِي ومنهنَّ من تُسْقَى ٤
عليهم وإن أمسى يُعُدُّ الفتى الأتقى
وساجلتهم شوقاً؟! فقل ويحك الحقا
فتى منه قحف الرأس ممثلي حمقا
تجول ألم تمنع عمامتك الفسقا؟!
لتمنع في لوثاتها الفسق والرزقا ٥
لذكرى شقاءٍ في العراقِ به نشقى

وماذا ترى فيه إذا زُرت حانة؟!
سكوتٌ على قرع الكئوس مُغرّد
عليهم سحاب الاحتشام يُظلمهم
أوانس قد نادمن كل غُرانق
فمن ذا يراهم ثم لم يك واغلا
ألسْتُ بمعذورٍ إذا أنا زرتهم
فقد لامني لمّا رآني بحبهم
فقال: أفي الحيّ الذي شاع فسقه
فقلت: أجل إن العمام عندنا
ولكنني ما جنْتُ إلا توصلا



وألقى جِرا نأ لا يزحزح واستلقى ٦
نيوب الدواهي فهي تعرفهُ عرقا
بياضا ومدّت للبوار به ربعا
بنوها فسحقا للبنين بها سحقا!
والأم أبناء الكريمة من عقا
قد اتخذتها الحادثات لها زقا ٧
وشاهدت في العمران مملكة ترقى
من الدمع كأسا لا أريد لها مذا ٨

شقاء تمطى في العراق تمطيا
فإن العراق اليوم قد نشبت به
تمشت به حتى أعادت سواده
فلهفي على بغداد إذ قد أضاعها
جزوها عقوقا وهي أم كريمة
أدامت لها الأحداث مخضا كأنها
سأبكي عليها كلما جلّت سائحا
واندبها عند الأغاريد شاربًا

١ المتلع: الذي يمد عنقه؛ ليرى شيئا عالياً أو بعيداً.

٢ الورق: جمع أورك أو ورقاء، وهي التي لونها لون الرماد، مع حمرة خفيفة.

٣ تجدل: سقطت على الجدالة، وهي الأرض. والمندق: المنكسر.

٤ الغرانق: الفتى الشاب التام الحسن.

٥ لاث العمامة يلوثها لوثاً: لفها حول رأسه، اللوثة: المرة من اللوث.

٦ الجران: مقدم عنق البعير، وإلقاء الجران: أن يمس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه، وهو كناية عن التمكن والاستقرار.

٧ الزق: وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما.

٨ الأغاريد جمع أغرود، وهو الغناء. والمذق: الخلط، مذاق اللبن بالماء: خلطه، يريد أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب

المدامة، فإن شغله هو أن يصبح باكيًا بلاده، شاربًا من فيض دموعه كأسًا صرفة غير مشوية بماء.

السد في بغداد

قال يخاطب حازم بك والي بغداد، بعد خروجه إلى سد «الحربوة» من شاطئ الفرات — الذي انكسر فأغرق بغداد — وهذه هي الحادثة التي قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقلب:

فعمها الأمن بعد الخوف والفرق	نَجَّيْتَ بالسَّدِّ بَغْدَادًا من الغرق
أمرها في نظام منك مَنَسَّق	قد قمتَ بالحزم فيها واليًّا فجرتُ
من خالق الحزم إلا حازمُ الخلق	لقد نجحتَ نجاحًا لا يفوز به
تدري بعزمك لم تطفح على الطُّرُق	ويح الفرات فلو كانت زواخره
منها بسيل على الأنحاء مندفق	ولا غدت تجرُّفُ الأسَدَاد قاذفةً
رَتَقًا لسدٍّ بطامي السيل مُنفَتَق	حيث «الحربوة» أمست منك طالبة
أهلُ العراقيين في همٍّ وفي قلق	باتت تجيش بتيَّار وبات لها
تفنى من الظُّمء أو تفنى من الغرق ^١	حتى إذا أيقنت أرض العراق بأن
أمسى الزمان إليها مُتَلَع العنق ^٢	شَمَرَتْ عن همم تعلو النجوم وقد
حشرت من طبق يأتيك عن طبق ^٣	فكدت تملأ فرغ الواديين بما
والناس ما بين ذي شكٍّ ومثق ^٤	لما خرجت وكان الخرق متسعًا
بأن عزمك يُدني أبعد الشَّقِّ ^٥	قالوا: نحا شَقَّةً قصوى وما علموا
قوم وكذَّب ظنَّ الجاهل الخرق	فصدَّق الله ظنًّا فيك أحسنه
والنهر يرغو بموج فيه مُصْطَفَق ^٦	إذ جئت والسدُّ تحت العَمر مكنسُخ
يهوي بها السيلُ من فوق إلى العمق ^٧	وئلمة السد كالمهواة واسعة
ما كان في السيل من طيش ومن نرق	سللت صارم رأيٍ قد أزلت به
وإنما أخذته رعدة الفرق	فما تموج ماء النهر من غضب
عزم الحصيف لما يحوي من الزلق	ثَبَّتَ عزمك في أمرٍ يذلُّ به
وتقطع الليل بالتدبير والأرق ^٨	تقضي النهارَ برأبِ الثَّأني مجتهدًا
سدًّا عليه رَصِينًا غير مُنْفَلَق	حتى بنيت وكان النهرُ منفلَقًا
أصل مع الموج تحت الماء معتق	أرسيته جَبَلًا قامت ذُراه على

فراحت الناس تمشي فوقه طَرَبًا
 وصار مَعَكْس فَخْرٍ أَنْتَ مَرْجَعُهُ
 وقد رَكَزَتْ به الرايات خَافَقَةً
 من كل أَحْمَرٍ قَانٍ وسطه قمر
 فظَلَّ حاسدك المغبون منطويًا
 وَدَّ الفراتُ حياءَ منك يومئذٍ
 لما اقتدحت زناد الرأي مفتكرًا
 فأدبرَ الهُمَّ وانشَقَّتْ غياهبه
 إن الأمور إذا استعصت نوافرها
 وإن تَصَامَمَتِ الأيام عن طلب
 تتحلُّ بالرأي منك المشكلات لنا
 وكلما زدت تفكيرًا بمعضلة
 فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا
 يحكي الأثيرَ إذا أجرى تلاطمه
 لك الثناء علينا أن نخلِّده
 تالله لو بلغت زُهرَ النجوم يدي
 رَبَّتْهَا حيث كل الناس تقرأها

والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
 كالنور يرجع مَعَكُوسًا إلى الحدق
 ما بين طاقين مرفوعين في نسَقٍ
 يتلوه نجم بلون أبيض يَقَقُ^٩
 على فؤاد بنار الجهل محترق
 لو غار يسلك تحت الأرض في نفق
 في الخطب ألَهَبَتْ منه فحمة الغسق
 كما قد انشَقَّ سَجَفَ الليل بالفلق^{١٠}
 أخذتهن من التدبير في وَهَقٍ^{١١}
 أسمعتهن بصوتٍ منك صُهِصَلِقٍ^{١٢}
 كالنور ينحلُّ ألوانًا من الشرق
 زادت وضوحًا لنا حتى على الشفق
 حدٌّ يسابق خطف البرق في الطلق
 أبدى سواطع نور منه مُنبِثِقٍ
 نقشًا على الصخر لا رقمًا على الورق
 من كل جِرم بصدر الليل مُؤْتَلِقٍ
 سَطَرًا بمدحك مكتوبًا على الأفق

^١ الظم: المدة التي يعطش فيها الحيوان بين الشربين، والمراد هنا مطلق العطش.

^٢ متلع العنق: ماد العنق من التطلع إليها.

^٣ فرغ الواديين: اتساعهما، والواديان: دجلة والفرات. وحشرت: حشدت وجمعت. والطبق: الجماعة من الناس، وعن طبق: أي بعد طبق. يريد أنه جمع للعمل في إصلاح السد المنكسر جموعًا غفيرة من الناس، يتلو بعضها بعضًا.

^٤ منتق: مفتعل من الوثوق بالشيء.

^٥ الشقة: الناحية، قصوى: شديدة البعد.

^٦ الغمر: السيل الغزير الشديد.

^٧ ثلثة السد: الموضوع المتهم منه. والمهواة: الأرض المنهبة المنخفضة.

^٨ رَأَب الثأني: إصلاح الفاسد، وهو من الرؤبة، وهي الرقعة يشعب بها الإناء المكسور من الخزف ونحوه.

^٩ يقق: بفتح القاف الأولى. أي خالص البياض.

^{١٠} السجف: الستر. والفلق: الصبح.

١١ الوهق: الحبل المفتول تجعل فيه أنشودة، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.

١٢ الصهلق من الأصوات: الشديد، ورجل صهلق الصوت: أي شديده.

الساعة

وخرسَاء لم ينطق بحرف لسانها
حكّت لهجة التَّمَتَام لفظًا ولم تكن
لها ضَرْبانٌ في الحشا قد حكّت به
جرت حركات الدهر في ضَرَباتها
على وجهها خُطَّت علائم تهتدي
مشّت بين أنات الزمان تقيسه
بها يتقاضى الناس ما يُوعِدونه
غدّت كأخي الإيمان تَأْكُل في مَعَى
تدور عليها عقرب دَوْر حائرٍ
تريك مكان الشمس في دورانها
فأعجب بها مصحوبةً جاء صنعها
بنتها النهى في الغابرين بسيطة
تتادي بَنِي الأيام في نقراتها
ولا تهملوا الأوقات فهي بواترٌ

سوى صوت عِرْق نابضٍ بحشاها
لِتَفْصَحَ إلا بالزمان لغاها
فؤادًا تَغْشَاهُ الهوى وحكاها^١
وبانت مواقيت الورى بعمائها
بها الناس في أوقاتها لمناها
وما هو إلا مشيها وخطاها
ويُرْشِدُ ضُلَّالَ الزمان هُداها
وما أكلها إلا التواء معاها^٢
بتيهاء غَمَّت في الظلام صواها^٣
إذا حجبت عنك الغيوم ضيها
نتيجة أفكار الورى وجهاها!
فتمَّ على مر الزمان بناها
أن اسعوا بجِدِّ بالغين مداها
تَقَطَّعَ أوصالَ الحياة شباها

^١ ضربان: أي ضرب وخفق.

^٢ يشير إلى الحديث الذي معناه: «المؤمن يأكل في مَعَى واحد»؛ أي أنه يتقلل من الطعام والشراب.

^٣ تيهاء: صحراء لا يهتدى فيها إلى شيء. وغمت: سترت وحجبت. والصوى: ما ينصب من الأحجار في الصحاري؛ علامة على الطريق.

ذكرى لبنان

برزت تميز كخطرة النشوان
ومشت فحفَّ بها الصبا فتمايلت
جال الوشاح على معاطفها التي
تستعبد الحرَّ الأبِّي بمقلة
وإذا بدت تهفو القلوب صباية
أخذ الدلال مواتقًا من عينها
تمشي فتتشر في الفضاء محاسنًا
ويلوح للنظر القريب بوجهها
لم أنس في قلبي صعودَ غرامها
حيث الرياض يهزُّ عطف غصونها
لبنان تفعل بالحياة جنانه
وتردُّ غُصن العيش بعد ذبوله
فكأن لبنانًا عروس إذ غدا
وكأنما البحرُ الخضم سجنجلَّ
جبل سمت منه الفروع وأصله
تهفو الغصون به النهار وفي الدجى
وترى النجومَ على ذراه كأنها
لله لبنان الذي هضباته!
يجري النسيم الغض بين رياضه
جلت الطبيعة في رُباه بدائعًا
يا صاحبي أتذكران فإنني
إذ كان يغبطنا الزمان ونحن في
في ليلةٍ حسد الضياء ظلامها

هيفاء مُخجلة غصونَ البانِ
مرحًا فأجهدَ خَصَرها الردفان
قعدت وقام بصدرها النهدان
دبَّ الفتور بجفنها الوسنان
فيها وتركع دونها العينان
ألا تزال مريضةً الأجفان
بسط الزمان لها يدي ولهان
عقل الحليم وعصمة الصبيان
إذ نحن نصعد في ربا لبنان
شدو الطيور بأطرب الألحان
فعلَ الرُّلال بغلة الظمان
غصًا يميد بفرعه الفينان
يزهو بنشر غدائر الأغصان
بيدي خيال جمالها الفتان
تحت البسيطة راسخ الأركان
تهفو عليه ذوائبُ النيران
من فوقه دُررٌ على تيجان
ضحكت مُغازلةً مع الوديان
مُرَخى الذبول مُعطر الأردن
تكسو الكهول غضاضة الشبان
لم أنس بعدكما سوى النسيان
وادي الفريكة منبت الريحاني^١
وعنا لفضل نجومها القمران

متجاولين من الحديث بساحة
والليل يسمع ما نقول ولم يكن
فكان جولتنا بصدر ظلامه



ركض البيانُ بها بغير عنان^٢
غيرُ الكواكب فيه من آذان
سرٌّ يجول بخاطر الكتمان

للحسن مُنبِةٌ وللإحسان
فيها الحياة كثيرة الألوان
غيرَ السرور بهن قطف دان
كف القريض مشيرة ببنان
ربوات بكفياً ظلال جنان
أفديك من يوم بكل زمان
صوبُ المَسرَّةِ دائم التهتان
في وجه كل حُلاحل ديان
حيث اجتمعنا في حمى كنعان
حباً أذبتُ بناره سُلواني
وزهتُ بحيث الحسنُ أحمر قان
يُروى بنظم قلائد العِقيان
فكأنهنَّ بحسنهن غوان
يرنو لهن بمقلة الغيران
فيها وأما أهلها فاثنان
يسعى وغايته إلى الخسران
ومن البلاء تخاذل الأعوان
ما بين هادمها وبين الباني
في النائبات تفرق الأديان
أنَّ التَّضامنَ رائد العمران
تُفدِّي مواطنكم بكل مكان
تتحطُّ عنه بدائع الأكوان
ومن الشبيبة هُنَّ في ريعان
وابنوا بهن كأكرم البنيان
نحو الفَخار كنهضة اليابان
متهيجين تهيجُ البركان
متكاتفين تكاتف الإخوان

ما كنتُ أحسب أن أحلَّ ببقعة
حتى نزلت من الشُّوير بجنة
فهصرت أغصان الأمان ولم يكن
ولقيت شاعرها الذي ارتفعت له
حتى إذا تمَّ اللقاء قصدتُ من
يا يوم بكفيا وبيت شبابها
وسقى زمانك يا ديار بحنَّس
فلقد رأيت ضياء مجدك مشرقاً
أتذكَّر اللبكيَّ يوم بحنَّس
أم ليس يعلم أنني أحببته
لبست رُباً لبنانَ ثوباً أخضرا
نثر الربيع بهنَّ زهراً مُونقاً
فبرزن من وشي الطبيعة بالحلى
وكأنَّ صنيئناً أطلَّ مراقباً
تلك الرُّبأ، أمَّا الجمال فواحدٌ
رجل يسير إلى النجاح وآخرٌ
متخاذلين بها وهم أعوانها
ضعفت مباني كلِّ أمرٍ عندهم
وتفرَّقوا دنيا كأن لم يكفهم
وسَّعوا فُرادى للنجاح وفاتهم
يا أهل ذا الجبل المنيع مكانه
أما محاسنها فهنَّ بمنزل
ومن الفخامة هُنَّ في غُلوائها
فتبوءوا جَنَّاتِهِنَّ أنيقةً
ماذا يُنبِّطكم بها أن تنهضوا
إني لأرجو أن أراكم للعلا
وأودُّ لو تمشون مشية واحدٍ

لا تَقْرُنُوا بِنَشْتِ آراءكم
أمهاجري لبنان طال غيابكم
هذي مواطنكم تريد وصالكم
أفترحمون أنينها أم أنتم
إنني أرى هجر الرجال بلادهم
وإضاعة الوطن العزيز جناية
من كان ذا جِدَةٍ فأخِرَ بمثله

فالبدر يَمَحَقُ عندَ كل قران
أين الحنين إلى رُبّا لُبْنان؟!
وتئنُّ شاكية من الهجران
لا ترحمون أنين ذي أشجان؟!
شيئاً يُضِيعُ كرامة البُلدان
ضنَّ الزمان بها عن الغفران
أَلَّا يَضُنَّ بها على الأوطان^٣

^١ الرصافي يقصد بالريحان «النبات» وبالريحاني «أمين الريحاني» صديق الرصافي الحميم وفيلسوف الفريكة.

^٢ يتجاولان في مضمار البيان: أي يتسابقان ويتباريان.

^٣ الجدة: المال والغنى.

لبنان

ولع لبنان بالرصافي، فسارت قصائد شاعر العراق على ألسنة اللبنانيين، وولع الرصافي بلبنان، فجاءته قريحته بقصائد صافية العاطفة كسماء هذه الربوع، عذبة كمائها، عذبة كهوائها، وإلى القراء إحدى فرائد الرصافي بلبنان (الأحرار - بيروت في ٢٦ آب سنة ١٩٣١):

أرى الحسنَ في لبنان أُنِعَ غرسُهُ
إذا ما رآته عينُ ذي اللُّبِّ مشرقًا
زكا مَغْرَسًا فالذامُ ليس يؤمُّه
قسا صخره لكن تفجَّرَ ماؤه
لقد لبس الجوَّ اللطيفَ فزانه
ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه
وقد عبَّدت للسالكين طريقه
فمن كان في طُرُقِ التواصلِ عثرَةً
تضيء نجومُ السعد واليُمن فوقه
ويهمس في أذن الطبيعة جوّه
كأنَّ النسيم الطلق بين جنانه
كأن جبال المتن حُدبة عابِدٍ
فقال عن الأضواء في جوف ليله
تزوّج صُنَّين الفتى بنتَ جاره
ونبُع الصفا والقاع فيه كلاهما
جرى الماء في واديهما متدفقًا
وإن تزرَّ الشَّاعورَ يومًا تجِدْ به
جرى ماؤه العذب الزلالُ محاكيا
ترى طبع واديه رُغُوفًا بأهله
فمن زاره مستوحشًا فهو أنسه

وقارب حتى أمكن الكفَّ لمسُهُ
تنزَّت به في مدرج الحبِّ نفسه
وطاب جنَى فالسوء ليس يمسُّه
فلان بكفَّ العيش منه مجسُّه
بما فيه من غُرِّ المحاسن لبسه
وفي الظهر لم تلفحك بالحر شمسهُ
وحرَّ أهله وبورك أنسُهُ
فقد جاز في شرع المحبة دَعْسُهُ
فينجاب شؤمُ الدهر عنه ونحسه
فينضحها فوق الرُّبا الخضر همسُهُ
غناء حبيب يطربُ النفس جرسُهُ
هو ساجدًا شكرًا وبيروتُ رأسُهُ
ببيروتَ إذ يغشى من الليل دَمْسُهُ
فأضواء بيروت الوسيطة عِرْسُهُ
من الحسن ملأى بالبدائع كأسُهُ
بأنشودة الإطراب تنطق خُرسُهُ
من الحُسن ما قد خُصَّ بالفضلِ جنسُهُ
به الماس صَفُوا أو هو الماس نفسه
شديدًا على ما يزعج النفس بأسُهُ
ومن جاءه مستنزهًا فهو قُدْسُهُ

فيا لائمي في حبّ لبنان إنني
إذا كان لبنان كَلَيْلى مَحاسِنًا
وإن تحمدوا منه الأيادي، فإنني
عجبت لمدفون به بعد موته
فمن لم يزره وهو ربُّ استطاعة
ومن زاره مستشفياً زاره الشفا
ولو جاءه مَنْ فيه مَسٌّ وجِنَّة
وما حلّه مستوحشُ النفس واجمّ
محل اصطياف الأغنياء من الورى
فمن يبذل الدينار فيما يريده
كمثل الذي لا تصرف الفلّس كفه
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه
فما كل ما قالت به شعراؤه
ألا إن في لبنان جوًّا مروّقا

أحسُّ لعمرى منه ما لا تحسه
فلا تعجبوا من أننى اليوم قَيْسُهُ
أنا اليوم من بعد الأيادي قَيْسُهُ^٢
ولم ينتفض حيًّا وينشق رَمسه
تحتَّم في سجنِ الحماقة حبسه
وإن كان قبلًا يائسًا منه نطسُهُ^٣
لما حلّه إلا وقد زال مَسُّهُ
من الناس إلا تمّ بالضحك أنسه
يعيش عزيزًا فيه من ذلّ فلسه
فمأواه محمودٌ وإلا فعكسه
ولو كان دون الفلس يُقلِّع ضرسه
فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
سوى ثلث ما يحويه بل هو خُمسه
إذا ما شفى المسلول لم يخش نكسه

^١ الذام: العيب.

^٢ قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهلي مشهورٌ وحكيم.

^٣ النطس: الأطباء الحذاق المدققون.

في مكتبة الأوقاف

أنشئت في حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التي أنشأها معالي الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨.

لقد جمع الشيخ هذي الكتب	فأنقذها من أكفّ العطب
ورتبها فهي معروضة	لمن يتناولها من كتب
وكانت لعمرك رهن الغبار	مكدسة في زوايا الشجب
يمر بها الدهر مطمورة	تعاني الدمار وتدعو الحرب ^١
نسيج العناكب من فوقها	ومن تحتها السوس فيها انسرب
يعيث بها أكلًا طرسها	كما تأكل النار جزل الحطب
وكانت على علم حرّاسها	تحفّ الظنون بها والريب
فمد إليها معالي الوزير	يدًا دأبها الغوث عند الكرب
فأخرج منها كنوز العلوم	لأهل الفنون وأهل الأدب
فها إنّ أرواح من أوقفوا	مُرفرة فوقها من طرب
كما أن أرواح من ألّفوا	قد ابتسمت كالتماع الشهب
لقد رضي العلم عن فعله	وإن أخذ الجاهلين الغضب
فما بال قوم غدوا يصرخو	ن صراخًا به يقصدون الشغب؟!
يقولون: هذا خلاف لما	لدى الناس في وقفها من أرب ^٢
فيا للعقول لهذا الغباء	ويا للّفحول لهذا العجب!
أللسوس أوقفها الواقفو	ن، أم للعناكب، أم للثرب؟!
إلى كم نطل لأغراضنا	نعارض من دون أدنى سبب؟!
ونجمد في غفلة هكذا	ونمرح في لهونا واللعب
أرى هؤلاء ضعاف العقول	وإن قد نراهم غلاظ الرقب
تضيق عن الحق أرواحهم	وإن لبسوا واسعات الجب
فهم يقطعون على المصلحين	طريق القيام بما قد وجب

فيسر في طريقك مُستعليًا
فللشر ما صخب الصاخبون
لقد صنتها من طروق البلى
وأعددتها لشفاء العقول
وما كنت في الرأي بالمستبد
وقد كان عزمك فيما أردت
فمن كان جذلان فليبتسم
وخلّ ضفادعهم تصطخب
وللخير جمعك هذي الكتب
وخلّصتها من يد المستلب
من الجهل وهو أشد الوصب^٢
ولا كنت في الفعل بالمضطرب
يقلّ ظبا المرهفات القُضب^٤
ومن كان غضبان فلينتحب

^١ تدعو الحرب: أي تتنادي: وا حربا، والحرب: النقص والهوان.

^٢ من أرب: من قصد وغاية.

^٣ الوصب: الألم.

^٤ يقل: يكسر. والظبا: جمع ظبة وهي حد السيف. والمرهفات القُضب: هي السيوف المرققة الحادة.

آل الجميل

آلُ الجميل سُرور كل حزين
تعنو لهم سروات كل قبيلة
وإذا تماحكت الخصوم فبأسهم
وإذا تلوّثت الجباه بخزية
عزّت بهم دار السلام فهم بها
فإذا تقطّعت المُنَى بك فاعتصم
تتفاخر الأخرى بفضل دفينهم
ذاك الذي مجد الجدود بمجده
إنّ ابن عيسى بن الهمام محمد
يا ابن الأكابر قد دعوتك ظامناً
وأنا العليل بحاجة تدري بها
قد عاقني الإملاق عن سفري إلى
وأنا المشوق ولست ممن شاقهم
لكن قلبي لا يزال يشوقه
فأرّش جناحي كي أطيّر بريشه
واعذر فإني بالحقيقة لم أبخ
إني إذا أوي إليك فإنما

كهف اليتيم وملجأ المسكين
وتهابهم آساد كل عرين
يدع الخصيم مُجَدَّع العرنين
فجباهم أنقى من النسرين
أركان عز كالجبال مكين
منهم بحبل في الرجاء متين
كتفاخر الدنيا بفخر الدين
قد زيدَ تمكيناً على تمكين
لأجل نجلٍ بالثناء قمين^١
ظماً الحياة فجذّ بما يُرويني
وأظنّ فضلك ناجحاً يشفيني
من طال مُعتلجاً إليه حنيني
بقرّ العذيب ولا مها يبرين
ظنّي أقام بدار قسطنطين^٢
فيكونَ ظني في نذاك يقيني
إلا إليك وأنت خير فطين
أوي إلى ركنٍ أشدّ ركين

^١ فلان قمين بكذا: جدير به.

^٢ أرّش جناحي: أنبث فيه الريش.

البلبل والورد

لما جرى في المربع المُحْمَلِ
عما جرى في الروض للبلبل
من بعد ما ثغر الصباح ابتسم
والطلُّ كاللؤلؤ فيها انتظم
مثلٌ فمٍ يطلب تقبيلَ فَمٍ

إنَّ بليلاً من نسيم السَّحَرِ
أخبر رِيَّاه أَصَحَّ الْخَبَرِ
إذ هو مُذْ ألقى به ناظره
صادفَ فيه وردةً زاهرةً
مضمومة أوراقها الناضرة



رُنُوَّ ظَمَانٍ إِلَى مَنَهْلِ
محمرّة من نظر مخجلٍ
يُعلن للوردة أشواقه
وهي التي تفعل إنطاقه
كأنها تقصد إنشاقه
في حبّها منطلق المِقُولِ
ولا يَنِي فمه ولا يَأْتلي

فظلَّ يرنو مستديمَ النظرِ
وهي غدت مما بها من خَفَرٍ
ثم تمادى غَرْدًا صادقًا
ينطق بالحب لها بائحًا
وتنشر الطيبَ له نافحًا
حتى غدا البلبلُ منذ الصغر
ينشد فيها شعره المبتكر



فراشةُ الروض عليها تطير؟!
مُلاءة مَوْشِيَّة من حرير
أرسلها البلبلُ نحو الأمير
رسائلَ الشوق من البلبل
واستوجب العطف على المرسل

أما ترى الأزهارَ كيف اغتدت
لها جناح هي منه ارتدت
فهي إلى الروضة مُذْ وَرَّدت
تحمل للورد أمير الزَّهر
فشاع في الأزهار هذا الخبرُ



وعادت الروضة كالبلقعة
من خُرقة البين الذي أوجعه
في زمن الورد له من دَعَا

حتى إذا الورد مضى وانقضى
مَسَّتْ حشا البلبل نَارُ الغضى
لا تسأل البلبلَ عما مضى

ولكن اسأل في السماء القمر
إذ كان يُصغي منهما للسمر

عن خبر الورد مع البلبل
وهو مُطلُّ ناظرٌ من علٍ



فراشةُ الروضة ظَلَّتْ إذا
تقبَّلَ الزهرة ذاتَ الشذا
وتسأل الأزهارَ عما إذا
لِتخبرَ البلبلَ بعضَ الخبر
فإنه بات حليف السهر

تحومُ والأزهار من تحتها
طائرة منها إلى أختها
مرَّ فقيد الورد من سمّتها
لعلَّه غُمَّته تنجلي
مُدَّ نَزَحَ الوردُ عن المنزلِ

أغرودة العندليب

تلاه فوق الغصن الرطيب
لم تهو إلا حسن الطبيعة
أحسن بذاك الحسن البديع!

سمعت شعراً للعندليب
إذ قال: نفسي نفسٌ رفيعة
عشقت منها حسن الربيع

♦ ♦ ♦

لا في قصور ولا حصون
من عُصن ورد لغصن ورد
فالظلُّ فوقه والزهرُ تحتي

فالعيش عندي فوق الغصون
أطير فيها لفرط وجدي
وفي فروع الأشجار بيتي

♦ ♦ ♦

كم هزَّ عطف الأغصان لحني
إني بحكم الأزهار راضٍ
أصغت وقالت: لا فضَّ فوه

فَسَلَّ نسيم الأسحار عني
وسل بشدوي زهر الرياض
فكم زهور لما أفوه

♦ ♦ ♦

لم أرض إلا الفضا مقرا
ففي المباني لا تحبسوني
فأطلقوني، فأطلقوني

يا قومٍ إني خلقت حرًّا
فإن أردتم أن تؤنسوني
وإن أردتم أن تُنطقوني

الصيف

جاء المصيف فجفت الأنداء
وتوقدت عند الهجيرة شمسه
وعلى الديار تراكت من شمسه
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت
مدت إلينا في الهجير أشعة
فحكّت أشعتها جراباً أشرعت
حتى استجار الليل من لفحاتها
انظر إلى الحسناء في رآد الضحى
وتمرّ لاغبة وفوق جبينها
إن كان حرّ الشمس لوح وجهها

وشكت يبوستها به الأشياء
فتلمّظت بلعابها الصحراء
ملء الفضاء حرارة وضياء
غضبي تجيش بصدرها الشّحناء؟^١
كالكهرباء نارها بيضاء
بيضاء، فما بحديدها أصداء
ركب سروا فهدّتهم الجوزاء
تمشي فتلفح وجهها الرّمضاء^٢
عرق ووجنة خذا حمراء^٣
فكذلك تؤدّي الضرة الورهاء^٤



إني لأغفر للمصيف ذنوبه
فالمصيف أرأف بالفقير من الشتا
قلّت به الحاجات بالفقراء في
من كان أعوزه كساء منهم
والأرض إن طلبوا الرقاد وطأؤهم
ولئن يكن كدر النهار فليله
ولئن قسا عند الهجير فريخه
أضحى فطابت في ضحاه ظلاله
والصيف أحسن ما به لمشاهد
وأجل ما يرتاد فيه جنيّة
فعليك فيه بسرحة في منبع

ولو أنّ غارة هيفه شعواء
ولذا تحب قدومه الفقراء
أيامه والأغنياء سواء
فالمصيف ملحة له وكساء
من دون من السماء غطاء
طلق وفي وجه السماء صفاء
هبت بحاشيتيه وهي رخاء
وأتى الأصيل فطابت الأفياء
صبح أغرّ وليلة قمراء
ترف الظلال بها ويجري الماء
تحنو عليك غصونها الخضراء^٥

١ الشحناء: العداوة.

٢ رَأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء.

٣ لأغبة: متعبة.

٤ الورهاء: الحمقاء.

٥ السرحة: الشجرة الطويلة، أو التي لا شوك لها.

الشتاء

قد كانت الأغصان مخضرةً وكانت الطير بها تسجّع
فصارت الأوراق مصفرةً تسقطها الرّادة والزعرع^١
ثم غدت جرداء مزورةً^٢ والغيمُ أمسّت عينه تدمع

من أجل هذا المشهد المحزن

والليلُ قد طال على مَنْ شتا وصار ليلاً بارداً مُظلمًا
لعلّ هذا الرعدُ مُذْ صَوْتًا هَرَبَ منه تِلْكَمُ الأنجما
عَلامَ قد غَيِّمَ لَيْلُ الشتا فارتاعت الأنجمُ مذ غَيِّمًا

واحتجبت فيه عن الأعين

والريخُ من برد الشتا صرصرُ والجوُّ يبدو عابسًا مُطرقًا
قد حار فيه التّربُّ المعسرُ إذ لم يجد فيه له مرفقا^٣
يا أيُّها الناسُ ألا فاذكروا من كان منكم في الشتا مُملقا

وأحسِنوا فالفورُ للمحسن

إن الشتا أرحم للمعدم منكم وإن أوجعه برُّه
لأنّه بالعارض المسجم ينبُتُ زرعًا يُرتجى حصّده^٤
حتى تفوز الناسُ بالأنعم مما لهم أنبته جوده

ويشبع المعدم والمغتني

^١ الرادة: الريح اللينة الهبوب. والزعرع: الريح الشديدة.

^٢ مزورة: معوجة.

^٣ الترب: الفقير المعدم.

^٤ العارض: السحاب يعترض في السماء. والمسجم: الهاطل الممطر.

التلغراف أو الأسلاك البرقية

للبرق أسلاك تؤدّي الأخبار
فوق الثرى مُدّت وتحت الأبحار
ما بين كلّ عشرات الأمّات
شاخصة أشباحها للأنظار
الكهربائية فيها تيار
جوائب الأنباء نحو الأمصار
في الأرض مجرى لجليل الأخبار
في كنهه أهل النهى والأفكار
ولم يزل مُحْتَجِبًا بالأسرار
وكم لها بين الورى من آثار
وتنقل الأخبار ذات الأخطار
فتجعل الأصل مثل الأبقار
وقد تداوي كل داء ضرّار
والجرح تأسوه بغير مسبار
لها نفوذ في جميع الأقطار
وفي رياح الجو ذات الإعصار
وقد سرت في كل غيم مدرار
فهى بهذا الكون سرّ الأسرار

دقيقة مثل دِقاق الأوتار
في عمد قد رُكزت كالأشجار
تحسها في القفر جنّ البقار^١
ممتدة نحو جميع الأقطار
تنقل في أن كلمح الأبصار
لله من سلك دقيق قد صار
والكهربائية شيء قد حار
أسفر منها الوجه بعض الإسفار
في طيها نور مُقاد من نار
تطوي المسافات بهم في الأسفار
ثم تضيء ليلهم بالأنوار
مشرقة مبهجة للأنظار
فالسقم تشفيه بغير عقار
وهي لعمري ذات لفح سيار^٢
في الحيوان والثرى والأشجار
وفي بحار الأرض ذات التيار
بها تسح هاطلات الأمطار

^١ البقار: اسم وادٍ، واسم موضع في بلاد العرب.

^٢ المسبار: ما يختبر به الجرح.

بيروت والتباريس

إن لبيروتَ بعمرانها
لا سيما أربُعَ لبنانها
فكم كناسٍ قد حوت للظبا
وما التباريسُ سوى مَقمر
يشد بالإفلاس أيامه
معرّس يقصده من نحّا
ومرقص ترقص في بهوه
ما فيه من باريِس إلا الذي
لكنَّ بيروتَ بلبنانها

أمكنة تَعْلُو التباريسا^١
تلك التي تحكي الفراديسا
وكم حوت للأسد عريسا^٢
يَقْضي على اللاعب تفليسا^٣
مَنْ حلَّ في مَلْعبه الكيسا
في أخريات الليل تعريسا^٤
أوانس تحكي الطواويسا
يُؤثر عن غادات باريسا
تكشف عنك الهمَّ والبُوسا



عروسَ لبنان أما والذي
ما أنت إلا جَنَّة، آمِنٌ
فيك تجلّى الله رب العُلا
لولا جمال فيك مستودعُ
كنيسة للحسن في حبها
ما الحسن في شيءٍ بمستحسن
فأين من هذا تباريسكم

صَيَّرَ مرآتك قاموسا
أدمُ فيها مَكْرَ إبليسا
بالحسن مَرثِيًّا وملموسا
ما شرع الحبُّ لنا عيسى
قلوبنا صارت نواقيسا
إلا إذا كان له سوسا^٥
وأين هذا من تباريسا!؟

^١ التباريس: الأراضي السهلة اللينة، ولعله هنا اسم موضع.

^٢ الكناس: بيت الطبي. والعريس: بيت الأسد.

^٣ مقمر: نادٍ للقمار.

٤ المعرس: موضع التعريس؛ أي النزول بالليل.

٥ السوس: الأصل والطبع.

في المستشفى الملكي

عاد الرصافي صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوي في أثناء مرضه، وقد طال مكثه في المستشفى الملكي ببغداد، فأنشده هذه الأبيات:

أطلت أبا سعدون مكثك ها هنا	فحتى متى تبقى مقيماً بمستشفى؟
فدع عنك طباً ها هنا تستطبه	ففي المجد طبٌ ضامنٌ لك أن تُشفى
أرى مجلسَ النواب أوحشت بهوه	وقد كاد من صمتٍ تغشاه أن يغفى
فها هو مشتاق إليك مزلزل	يكاد إليك الشوقُ ينسفه نسفا
فإن لم تداركه بوصل معجل	تداعت به الجدران أو ألقت السقفا
وما استظرفت بغداد مذ جئت ها هنا	مجالس فيها كنت تملؤها ظرفا
فكم لك في تلك المجالس نكتة	تهزُّ لها الآداب من فرح عطفاً!
إذا أنت أرسلت الحديث مخاطباً	فأية أذن لا تتوط بها شفا
رأينا صريح القول فيك سجية	فلم ترض يوماً للحقيقة أن تخفى
إذا عن نبيان الحقيقة قلتها	ولو أغضبت أهل السياسة والصحفا
هنيئاً لحزب أنت منه فإنه	بمثلك فرداً في النهى يغلب الألفا
تلطفت في آدابك الغر ناطقاً	بما قد حوى كل اللطائف واستوفى
فتعرب أحياناً وتلحن تارة	ولكن بلحنٍ أعجب النحو والصرفا ^١
أدامك رب الناس للناس معلناً	مكارم جلّت أن نحيط بها وصفا

^١ الإعراب هنا: الإبانة عن الشيء، واللحن: الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره، وليس المراد اللحن الذي هو الخطأ في الكلام.

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتُك مبصرًا
إذا خفيت يومًا عليك حقيقة
وإن ليلةَ الخطب ادلهمت كشفتها
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
فهل أخفيت حالي عليك وقد بدا
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذي
وأحمل في جنبِي نفسًا غنية
ولو كنت في بغداد أرضي بذلة
ولكنني قد عفتُ أن أريد الغنى
وما عدل السعدون بي عن وفاته
ولو أنني بعثُ الثناء بنائل
وإن حديثي عنك غير مرجم
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدًا
وسوف ترى مني مدى الدهر شاكرًا
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتبٌ

خفايا أمور أعجزت كل مبصرٍ
نظرت إليها من ذكاء بمجهر
بأوضح صبح من فعالك مُسفر
بأن بني المنديل أكرم معشر
لكل صديق أنها حال مُقتر
أتى بي إلا أنني في تحير
وإن شقيت مني بجثمان معسر
لما جئت إلا ساحبًا فضل مئزري
ونفسي في قيد من الذل مُقفر
ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
لما رضيت نفسي بغيرك مشتري^١
وإن مقالِي فيك غير مزور^٢
بعزيمة لا وإن ولا متقهقر
وإن كنتُ أعيًا عن تمام التشكر
ليجعله أحوثة كل مخبرٍ

^١ النائل: العطاء.

^٢ الحديث المرجم: حديث الظنون.

يا دار قسطنطين

يا دار قسطنطين أنتِ فريدةٌ
لقد اجتوينك لا لفقدِ محاسنِ
أبدًا سماؤك وجهها متلونٌ
وأرى هواءك ناضحًا برطوبةٍ
تسري الرطوبة منه بين عروقهم
فتلين شِرَّتْهم وليس بهم ضئى
وترى الفتى منهم يعود محوقلاً
ريحان تتدفعان فيك فتارة
أما الشمالُ فعقرب لساعةٍ
لا كائنات من ضررتين على الورى
وأرى بك الأخلاق ذات تلونٍ
وطباع كلِّ معاشر كهوائهم
أمسى التصنع في بنيك صناعة
فاذا تالأت الثغور تبسُّماً
ولربما احترم البغيضُ بغيضه
عجباً فكم حملٍ رأيت ومذ نضا
حلمت نمورك خدعة وتظاهرت
لم ألق شيئاً فيك غير مغشش
هذي صفاتك يا فَرُوقُ برغم من

في الحسن لولا جُوك المتقلبُ
لكن هواؤك عارم متذبذب ^١
فأراه ييسم تارة ويقطب
همم الرجال بها تجف وتتضب
فتكاد من أعصابهم تتحلب
وتشيب رؤسهم وما هم شيب ^٢
حتى يروح لِعِنَّةٍ يتطبب ^٣
صراً تهبُّ وتارة تتلهب ^٤
وعن الجنوب وذكرها أتجنب
هذي تجمدهم وتلك تذوب
كهوائك القلب بل هي أعجب
سبب الطباع من الهواء مسبب
من كان يحسنها فذاك مهذب
فالبرق في تلك المباسم خُلبُ
كيما يقال بأنه متأدب
ثوبى تصنعه إذا هو ثعلب!
بصدقة الخرفان فيك الأذوب
حتى المياه تغش فيك وتكذب
أثوا عليك بغير ذاك وأطنبوا ^٥

^١ اجتوينك: كرهتك.

الشرة: الحدة والنشاط.

٣ المحوّل: الضعيف الذي قلّ أربه في النساء.

٤ الصر: البرد الشديد.

٥ فَرُوق: هي الأستانة، أو دار قُسطنطين.

فلکس فارس

بنا افتقار إلى غنى أدبه
أحرز يوم الفخار من قصبه
فل قس جثا على ركبته
تبرئ قلب الجهول من وصبه^١
إلا وقد راقه فأعجب به
إذا فزعنا منها إلى خطبه
راحة أهل البلاد من تعب
مجد يجد الكرام في طلبه
منه خطاب فماد من طربه
بعد دمشق الشام من حلبه
أنارها باليقين من شهبه
حر ولو شط عنه في نسبه
فنصرة الحق منتهى أربه
محترقا من جواه في لهبه

إن فلکس بن فارس رجل
تم له السبق في العلاء بما
مفوه لو رآه يخطب في المحـ
ينطق عن فطنة لها حكم
لم يصغ مصغ إلى خطابته
تعود كل الخطوب هيئة
أتعب في النصيح نفسه فأتت
يطلب أن تنهض الرجال إلى
سل عنه لبنان كم تطربه
وسل دمشق الشام عنه وما
كم ليلة للشكوك داجية
حر يواخي في الحق كل فتى
إن قال قولاً أو انتضى قلماً
فاركن إليه وخل حاسده

^١ الوصب: المرض والوجع الدائم.

ملیكة غناء العرب

هَلُمَّ إِلَى ذَوْقِ طَعْمِ الْأَدَبِ
هَلُمَّ إِلَى ذَا الْغِنَاءِ الَّذِي
أَلَيْسَتْ مَنِيرَةٌ فِي عَصْرِنَا
وَلَا غُرُوَ أَنْ مَلَكْتُ فِي الْغِنَا
فَقَدْ أَدْرَكْتُهُ عَلَى رَسْلِهَا
وَأَيَّدَهَا اللَّهُ مِنْ صَوْتِهَا
أَرَى فَمَهَا صَيِّغَ مِنْ حِكْمَةٍ
تَلُوحُ فَتَبْتَزُّ بِدَرِّ الدَّجَى
بَلَحْنٍ إِذَا امْتَدَّ هَزُّ الْقُلُوبِ
تَرْفُوفٍ أَرْوَأْنَا تَحْتَهُ
وَتَخَفُّقٍ أَحْشَاؤُنَا دُونَهُ
نَكَادُ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَطِيرَ
وَإِنْ هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِهَا
فَلَوْ سَمِعَ الْقَوْمُ أَلْحَانَهَا
أَرَى الْهَمَّ يُتَعَبُ قَلْبَ الْفَتَى
فَبَادِرْ إِلَيْهَا وَلَا تَكْتَرِثْ

هَلُمَّ إِلَى نَيْلِ أَقْصَى الْأَرْبِ
مَنِيرَةٌ مِنْهُ أَتَتْ بِالْعَجَبِ
مَلِيكَةٌ فَنَّ غِنَاءَ الْعَرَبِ
ء [وَأَنْ] أَحْرَزْتُ فِيهِ أَعْلَى الرُّتَبِ
وَنَالَتْ أَقَاصِيَهُ مِنْ كُتُبِ^١
بَأَكْبَرِ عَوْنٍ وَأَقْوَى سَبَبِ
وَأُبْخَسُهُ إِنْ أَقْلُ: مِنْ ذَهَبِ
وَتَشْدُو فَيَعْتَرِثُ فَنَّ الْأَدَبِ^٢
وَحَدَّرَ أَبْدَانَنَا وَالْعَصَبِ
كَمَا رَفَرَفَ الطَّيْرُ لَمَّا انْقَلَبِ
كَمَا خَفَقَتْ فِي الرِّيَّاحِ الْعَذَبِ^٣
إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ
جَثُّونَا لَهَا وَثْنِينَا الرُّكْبِ
لَشَقُوا عَمَائِمَهُمُ وَالْجُبِّ
وَعَنْهُ الْأَغَانِي تَزِيلُ التَّعَبِ
لَمَّا جَاءَ مِنْ ذِمِّهَا فِي الْكُتُبِ

^١ أدركته على رسلها: أي في تمهل ورفق.

^٢ تبتز: تغلب وتفوق.

^٣ العذب: الأطراف من كل شيء، وما يسدل إلى الخلف من العمامة.

إلي جميع الغواني

وقفتُ عليكن قلبي الذي ومنكن أحببت هاتي وذئ	يمرُّ به الحُبُّ مرَّ السَّحاب والفَيْتُ عذباً بكنَّ العذاب
فمنكن بيضاء ما مثلها فتلك التي طاب لي وصلها	«عدا حمرة الخدِّ» إلا القمر كما ليلة البدر طاب السمر
ومنكن حمراء جذابة أرى عينها «وهي خالصة»	حكى وجهها الشمس عند الطلوع فأمسك بالكف منِّي الضلوع
ومنكن صفراء في لونها إذا ما تمشَّت على هونها	كأن قد تردَّت شعاع الأصيل أصحت هبوب النسيم العليل
ومنكن سمراء تحكي الدمى على شفتيها يلوح اللمى	وتبعث في القلب ميت الهوى فيضرم في الصب نار الجوى ^١
ومنكن من هي مثل الرياح تريد غلاب جميع الملاح	لها في ذرا كل لب هبوب وتبغى عذاب جميع القلوب
ومنكن من هي مثل النجوم فتلك عليها فؤادي يحوم	من البعد ناظرة تبتسم وتلك إليها الردى أقحم
ففيكن طراً بوادي الهوى	أهيم وإن لم تعد عائده

ألا إن حبًا بقلبي انطوى كثير فلم تكفه واحده

^١ اللمى: سواد الشفة وهو محبوب عند العرب.

قصر البحر

وقال وقد نزل في فندق قصر البحر في بيروت:

لعمرك إن قصر البحر قصر
وتمتلئ العيون به ابتهاجاً
تروق الناظرين بجانبه
فمن شمس يصافحها طلوع
ومن سفن تجيء بها شمال
وأخرى حوله خمدت لظاها
أطل على المياه فقابلته
يقبل جانبيه البحر حتى
أحاط به فكان له رقيباً
وما هذا التموّج من هواه
كأنّ الموج في الدّأما رجالاً
تخاطبهم مبانيه فيعلو

♦ ♦ ♦

فتعرفه وتجهله الكروب
ولكن القصور بها ضروب
وما زال العراقُ به قُطوب
تجرُّ عليه كلُّها الخطوب
يجيبك من تخاذلهم مجيب
من العمران ليس لها نصيب
إذا نضبت من العين الغروب^١
ولا حلت بساحتك الجُدوب

تلمّ به المسرات ازدياراً
وما انفردت به بيروت حسناً
تبسمت البلاد بكل أرض
فها هو من تكاسل قاطنيه
إذا تدعو الرجال به لخيرٍ
فيا لهفي على بغداد أمست
سأبكي ثم أستبكي عليها
أيا بغداد لا جازتك سُحب

تطاول ساكنوك عليّ ظلماً
وكم نطقوا بالسنّة جدادٍ
رمانى القوم بالإلحاد جهلاً
ألا يا قوم سوف يجدُّ جدّي
فمن ذا منكم قد شقَّ قلبي
فعند الله لي معكم وقوف
يقيني شرّاً فرّيتكم يقيني
ولم تُخفر لكم عندي ذمّ

فضاق عليّ مغناك الرحيب
يسيل لها من الأشداق حُوب^٣
وقالوا: عنده شك مُريب
وسوف يخيب منكم مَنْ يخيب
وهل كُشفت لكم فيّ الغيوب؟!
إذا بلغت حناجرها القلوب
بأن الله مطَّلِع رقيب
ولكن عادة الريح الهبوبُ

^١ الدأماء: البحر.

^٢ الغروب: جمع غرب، وهو عرق في العين، أو جانب العين.

^٣ الحوب: الإثم.

محاسن الطبيعة

إلى حضرة الفاضل ندرة بك المطران

والفخت في الليل شبيبهُ السَّديم^١
قد ضاحكُ البحر بثغر بسيمٍ

البحرُ رهوٌ والسما صاحيه
والبدْرُ في طلعتَه الزاهيه

♦ ♦ ♦

فالليل لم يسمع ولم ينطقِ
تحسبه التاج على المفرقِ
وبعضها عام فلم يغرقِ
قام طريق للسنا مستقيم
حتَّى ترى فيه اهتزازَ النسيم^٢
وقفةً مبهوتٍ على الساحلِ^٣
في الكون من عالٍ ومن سافلٍ
ورد سحبانٌ إلى باقلٍ^٣
كم حار في حكمتها من حكيم!
فقد وعت خيرَ كتابٍ كريم

والصمت في الأنحاء قد خيما
والبدْرُ في مفرق هام السما
أغرق في أنواره الأنجما
والبحر في جبهته الصافيه
لم تخف في أثناؤه خافيه
وقفتُ والرياح سرت سجسجا
أنظر ما فيه يحار الحجا
يا منظرًا أضحك ثغر الدجى
ما أنت إلا صنف عاليه
إذا وعتها أذنٌ واعيه

♦ ♦ ♦

من زورقٍ يجري بمجدافتينِ
يسبح في لجة ذوب اللجينِ
وبين جنبيه حوى عاشقينِ
تبسم عن لألاءٍ دُرٍّ نظيم
قد صافح العشق بجسمٍ سقيم
وقابلت طلعة بدر السما
وتارة ينظرها مُغرما

وزان عَرَض البحر ما قد بدا
عام بدوب الماسِ أو قد غدا
في صامت الليل جرى مفردا
من غادة في حسنِها غانيه
ومن فتى أدمعه جاريه
قابلها والحب قد شقَّه
وظل يرنو تارة خلفه

ثم تدانى واضعاً كفه
وخرّ من وجدٍ على الناصيه
وهي غدت من أجله جائيه

في كفها يطلب أن يلثما
وقلبه يركض ركض الظليم^٤
واحتضنته كاحتضان الفطيم

◆ ◆ ◆

ثم رمى نظرة مُسترحمٍ
وقال قولَ الكلف المغرمِ
أيتها الأرض قفي واسلمي
حتى أرى ليلتنا باقيه
فإنّ هذي ليلة حالیه

في الكون عن طرفٍ له حائرٍ
في حب ذات النظر الساحرِ:
من أجل هذا المشهد الزاهرِ
محفوظةٌ من وصلنا بالنعيم
تزهو ببدرين وطلق النسيم

◆ ◆ ◆

وأنت يا بدرُ اللطيف السنا
ما أبهج النور وما أحسنا
كأنه «ندرة» لما دنا
فحاز منها جملة وافيهِ
وصار يُدعى الرجل الداهيه

في الجو قِفْ وقفة غير الرقيبِ
إذا دنا منك لوجه الحبيبِ!
نحو المعالي يبتغيها النصيبُ
ما حازها من أحد من قديم
في الفكر والمجد وخلق عظيم

◆ ◆ ◆

يا آل مطران لكم «ندرة»
لكن معاليكم لها كثرةٌ
من أجلها أمست لكم شهرةٌ
حيث معاليكم غدت قاضيه
فراية المجد لكم عاليه

وأكرم الناس هو النادرُ
يعجز أن يحصرها الحاصرُ
عمّ البرايا صيتها الطائرُ
لكم على الناس بفضل عميم
و«ندرة» الشهمُ عليها زعيم

◆ ◆ ◆

يا من بنى المجدَ فأعلى البنا
إقبل من العبد جميلَ الثنا
ومُرّه ثم أحكم به إن وني
إذ أنت بالمنقبة الساميه
فاهناً ودم في عيشة راضيه

فكان أعلى الناس في مجده
وإن يكن قصر عن حده
ما يحكم السيد في عبده
قد خصّك الله العزيز العليم
رغم المعادي وسرور الحميم

^١ رهو: ساكن. والفخت: ضوء القمر. السديم: الرقيق من الضباب.

^٢ الريح السجسج: المعتدلة اللطيفة.

٣ سبحان: خطيب يضرب به المثل في الفصاحة، وباقل: يضرب به المثل في العي.

٤ الظليم: الذكر من النعام.

ليلة في دمشق

من كان يأرقُ بالهمو
وطربْتُ من صوتِ يجي
صوت كأن الغانيا
ونضحن من ماء الحيا
سرّى الهموم عن الفؤا
والعود ينطق باللحو
يرمي به الصوت الرخي—
ملاً الظلام توقداً
يحكي الزلال لدى العطا
أصغيْتُ منقطعاً إليه
فحسبت نفسي في الجنا
وطفقت أذكر العرا
فرجعت عن ذاك السما
وذكرت من تبكي هنا
تستوقف العجلان ثم—
وتقول من مضض الفرا
أبنيّ سرّ سير الأما
يا أم لا تخشي فإن
ودعي البكاء فإن قل—
أعلمت أني في دمشق—
بين الغطارفة الذي—
من كل وضّاح الجبي—
حرّ الشمائل والفعاء

م فقد أرقّت من السرور
ء إليّ من غُرف القصور
ت أعزّنه هيف الخصور
ة عليه في شنب الثغور
د بجوف حالكة الستور
ن بلهجتني بمّ وزير
م على الدجى لمعات نور
كالكهرباءة في الأثير
ش أو الثراء لدى العقير
عن المواطن والعشير
ن بغير ولدانٍ وهور
ق فعاد صفوي ذا كدور
ع وغبت عن ذاك الشعور
ك عليّ بالدمع الغزير
ة بالرنين عن المسير
ق مقال ذي قلب كسير:
ن من الطوارق في خفير
الله يا أُمي مُجير
بي من بكائك في سكير
ق أجزّ أذيال السرور
ن تخافهم غير الدهور^١
ن أغر كالبدن المنير
ئل والظواهر والضمير

^١ الغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد السخي السري. وغير الدهور: تقلباتها.

حول البسفور

خليليّ قوما بي لنشهد للرّبا
أجيلا معي الأفكار فيها فإنها
خليليّ إن العيش في ماء شرشر
سفوحُ جبال بعضها فوق بعضها
يروق بجنبها خريزُ مياهها
ويجري النسيم الرطب فيها كأنه
معاهد زُرّها في الهواجر تلقها
نزلنا بها والشمس من فوقُ أرسلت
وقد ظلّ من بين الغصون شعاعها
كأنّ النقاَفَ الدوح والنور بينها
تميل إذا هبّ النسيم غصونها
ترانا إذا ما الطير في الدوح غردت
رياض تتسّمنا بها الريح ضحوة
يلوح بها ثغر الطبيعة باسمًا
مشاهد في تلك الرّبا ومناظر

بجانبيّ البسفور مشهدَ أسرارٍ
مجالُ عقولٍ للأنام وأفكارٍ
إذا الشمس تستعلي وفي ماء خنكارٍ^١
مكلّلة حافاتهن بأشجار
ويُسجى بقطريها ترثم أطيّار
تبخر بيضاء الترائب معطار
موشحة فيها برقّة أسحار
على منحى الوادي ذوائب أنوار
يوقّع دينارًا لنا جنب دينار
جيوبٌ من الأنوار زرّت بأزرار
فتأتي بظل في الجوانب موارٍ^٢
نميل بأسماع إليها وأبصار
فنمّت لنا من طبيهن بأسرار
فيفتر منها عن منابت أزهار
تجلّت على أطرافها قدرة الباري

^١ شرشر وخنكار: موضعان بالقرب من البسفور.

^٢ الموار: المضطرب المتحرك.

تأثير التربية

قالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات.

إليك ما شاهدت عيني من العجب
خافوا به أن تقوم الأسد واثبةً
وحصنوه من الأعلى بمشتبك
به الأسود تمطى في مرائبها
والذئب يبصر جدي المعز مقترباً
أما الكلاب فجاءت وهي كاسية
قامت على أرجل تمشي معلّمة
تخشى مؤدبها والصولجان له
ترنو إليه بعين الخوف فاعلة
خضعن للسوط حتى إن أعقدها
وكانت الأسد تجري في إطاعتها
كأنما الليث لم يخلق أخا ظفر
شاهدته مشهداً بدعاً علمت به
وأن حُبَّ البرايا في طبائعها
وأن ليث الشرى ما صيغ مفترساً
وكم من الناس من قد راح مندفعاً
وأن تربية الإنسان يُرجعه
هذا إذا حسنت أما إذا قبحت
فكل ما هو في الإنسان مكتسب
إني أرى أسوأ الآباء تربية
والمرء كالنبت ينمو حسب تربته

في مسرح ما ج بين الجد واللعب
حتى بنوا حاجزاً فيه من الخشب
من الحبال جديد غير منقضب
والنمر يخطر بين الخوف والغضب
منه فيرجع عنه غير مقترب
يرقص منتصباً في إثر منتصب
مشي المليحة في أبرادها القشب^١
في الكف فرقة كالرعد في السحب
ما كان يُصدر من أمر ومن طلب
لو يأمر السوط يغدو مرسل الذئب
مجرى الكلاب بحكم الخوف والرهب
محدد الناب قذافاً إلى العطب
أن الغرائز لم تطبع على الشغب
لا بد فيه سوى الأطباع من سبب
لكن أحواله فراساً يدُ السغب^٢
بدافع الجوع نحو القتل والسلب
إكسیرها وهو من ترب إلى الذهب
فالمندلي بها يمسي من الحطب^٣
فلا تقل: فيه شيء غير مكتسب
للابن أحرى بأن يُدعى أعق أب
وليس ينبت نبغ منبت الغرب^٤

حتى علا في المعالي أرفع الرتب
فإنما قيمة الإنسان بالأدب

من عاش في الوسط الزاكي زكا خُلُقًا
فاحرص على أدب تحيا النفوس به

^١ القشِب: جمع قشيب، وهو الجديد.

^٢ السغب: الجوع.

^٣ المندي: عود يتبخر به ينسب إلى المنديل من بلاد الهند.

^٤ النبع: شجر صلب تتخذ منه السهام والقسي. والغرب: شجر تتخذ منه الأقداح.

يقظة الشرق

أنشدت في مأدبة نادي المعلمين؛ لتكريم وفد الجامعة المصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١، في أوتيل «كارلتون» ببغداد.

أرى — بعد نوم طال — في الشرق يقظة
ففي «مصر» شِيدَتْ للعلوم معاهد
فلم تتخذ غير التجارب منهجاً
وفي الأفق «التركي» سارت إلى العلا
وفي «الهند» قامت للتحرُّر ثورة
و«فارس» حَلَّت عقدة من جمودها
وفي «الصين» حرب نارها وطنية
و«بغداد» بين الأجنبي وبينها
على أن حول «النيل» مثل صراعنا
ولم تخل من أعتابها بتجدد
زمان أتى من كل قوم بنهضة
تباشيرُ صبح لاح بعد نُحوسة
فيا وفد مصر أنتم خير شاهد
لقد جنتم رواد علم وحكمة
ترودون أهل العلم مرعى ومنزلاً
وقد زرتم «دار السلام» زيارة
ومن ذكرها في كل عصر وموطن
وتمتد بين «النيل» منها و«دجلة»
سلام على «مصر» التي أرسلت بكم
لكم عند أهل «الرافدين» تجلّة

نُهوضية فيها طموح إلى المجد
على أسس التحليل والبحث والنقد
لتحقيقها من جوهر العلم ما يجدي
جيوش بأعلام التجدد تستهدي
سياسية عزلاء قائدها «عندي»
وحنّت بمسعاها إلى سالف العهد
تزيد بمرّ الدهر وقدًا على وقد
مزيد صراع في السياسة مشد
ولكنه بين الحكومة و«الوفد»
على جذبها أرض «الحجاز» ولا «نجد»
سياسية حتى أتت نهضة «الکرد»
مشيراً إلى ما نرتجيه من السعد
على يقظة في الشرق ورّاية الزند
فحييتم أزكى التحيات من وفد
وتجتنبون الهزل في معرض الجد
ستذكرها الأقلام بالشكر والحمد
سنستشيق الأيام أطيب من ورد
مدى الدهر أسباب التعارف والود
فطاحل علم لا تحيد عن القصد
على قدر ما للرافدين من الرّفد

إلى القزويني

هو المرحوم أبو العز السيد محمد القزويني العالم المشهور.

قف بالديار الدارسات وحيها
وانشد هنالك للمتمم مهجة
وسل المنازل هل علمن بأنني
يا قلب أي هوى أصابك عندما
رשא إذا أبدى ابتسامة شائق
شغل القلوب بحبه ولطالما
من لي بلثم مقبل من شادن
يا عاذلاً صدع القلوب بلومه
من ذا استطاع يرد عن غي الهوى
دع يا عذول أبا الغرام معظماً
كأفاضل «الفيحاء» حيث تفاخرت
السيد السند الهمام محمد
كم شاع للفيحاء بين بلادنا
ذاك الذي كم من مناهل فضله
يا سيذا في المجد أحرز شهرة
والنك نفسي ترتدي بك سودداً
لم لا أسود بحبكم في أمّة
زهت المكارم فيك حيث لبستها
فعشقت منك على البعاد خلائفاً
فإليكها عذراء عز قيادها
وافتك في «رمضان» تنشر مدحه

واقر السلام على جاذر حيها^١
فنيث من الأهواء في عذريها
قد شف جثماني الهوى بطبيها
أصميت باللحظات من تعلّيها^٢
أجرى المدامع من عيون عصيها^٣
فتكت ضعاف لحاظه بقويها
عذب الثنايا الواضحات شهيها^٤
مهلاً فليس خليها كشجيها
فئة ترى كل الرشاد بغيها
لدار يلثمها كرامة ميها
بسريها الجحاح وابن سريها^٥
فرع النبوة وابن خير وصيها
شرف حوته بفضل قزوينيها
فازت محلّة النفوس بريها^٦
ملأت مسامعنا بصوت دويها
وقد ارتدته فكنت خير وليها
فرض المهيمن حب آل نبيها
شيماً تزيّا الأكرمون بريها
شغلت — وحقك — مهجتي عن حيها^٧
لولا مديحك لم تبّح برويها
عبرت تهانيك الحسان بطيها

لَتَشَدَّ مَعَكَ عُرَا الْوَدَادِ وَثِيقَةً
إِنِّي لَأَغْبِطُهَا إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ
وَوَدَّتْ تَجِيدُ الْمَدْحَ مِنْكَ لَسِيدُ

بِيدٍ، وَلَاؤُكَ كَانَ خَيْرَ حَلِيٍّهَا
بِنْدِي عَفَّ النَّفْسَ مِنْكَ ذَكِيٍّهَا
شَهْمُ الْغَطَارِفَةِ الْكَرَامِ أُبَيٍّهَا

^١ الجأذر: جمع جؤذر؛ وهو ولد البقرة الوحشية.

^٢ ثعلبيها: رامٍ منسوب إلى بني ثعل وهم حي من طيئ مشهورون بالرمي.

^٣ الرشأ: ولد الظبية.

^٤ المقبل: الفم. والشادن: ولد الظبية.

^٥ هي مدينة الحلة. والسري: السيد الشريف السخي. والججاج: السيد المسارع إلى المكارم.

^٦ المحلاة: العطاش المطرودة عن الماء.

إلى حماة الأطفال

سبق لجمعية حماية الأطفال أن اعتزمت إقامة مهرجان كبير حاولت أن يكون الأول من نوعه، وقد تفضل شاعر العرب الخالد المرحوم الأستاذ معروف الرصافي، فأرسل هذه القصيدة العصماء، ووعد أن يلقيها بنفسه، ونحن ننشرها اليوم ليرى القراء جانباً من إحساس الفقيد العظيم نحو أطفال الوطن.

قاموا بأمر حماية الأطفال	دار السلام تفاخرت برجال
زادوا بها شممًا على الأجيال	وعُنوا بتربية البنين عناية
أيدي أكارمهم من الأموال	وبنوا لهم دارًا بما جادت به
ومن الحقوق صيانة الأنسال	صانوا بها الأنسال من أمراضها
^١ يُخشى من الأوجاع والأوجال	دار تعيهم بالأواقي كل ما
وغذاءهم وبشائر الأبطال	ضمنت لأيتام الأرامل طيَّهم
في البؤس قد وُلدوا من الإفلال	لم يخشَ فتك السقم فيها رُضع
بَدَّ النجوم بقدرة المتعالي ^٢	لله تلك الدار من متبوءاً
يأتيه كل ضنَّى من الأطفال ^٣	هي مفرع للمعسرين وملجأ
جُدراء بالتعظيم والإجلال ^٤	أحماة أطفال الأيامى إنكم
غُرر تزانُ بأنفع الأعمال	مرت لكم تلك السنون وكلها
دأبا بغير كلاله وملال	كافحتُم الأدوية في أيتامنا
حقًا فأنتم أشرف الأبطال ^٥	في حومة الإحسان طال صيالكم
في الدهر غير مُهدد بزوال	سيدوم مسعاكم ويبقى دأبكم
من سوف يخلُفكم من الأجيال	ولسوف يذكركم ويشكر سعيكم
فاقوا الأنام بأشرف الإفضال	لله أنتم من أفاضل خُلص
لولا موانع يعترضن حوالي ^٦	إني أحاول أن أكون مُعينكم
ما فاق نولُ الرافدين نوالي ^٧	لو أن ذات يدي استطاعت رِفدكم
ما جالَ أقوى العاملين مجالي	ولو أن أيامي تجود بصحتي
ما زلت من أعوانكم بمقالي	إن لم أعنكم بالفعال فإنني

فإليكم هذا الثناء مخلداً من مآدح في المدح غير مغال

١ الأواقي: أصلها الواقي جمع واقية. والأوجال: المخاوف، جمع وجل.

٢ يقال: بزّه وبزّه؛ أي فاقه.

٣ الضنى: المهزول.

٤ الأياى: جمع أيم، وهي التي لا زوج لها.

٥ الحومة: موضع القتال. والصيال والمصالوة: المنازلة في الحرب.

٦ حوالي: حولي.

٧ الرغد: العطاء، والنول والنوال: العطاء.

شاعر البشر

حيَّهْل يا أخوا مُضر نذكر شاعر البشر	ندكر خير مُدكر ^١ خير من قال واقتكر
◆ ◆ ◆	
حيَّهْل أيها المَلّا شاعر شعرُه اجتلى	نحي ذكرى أبي العَلّا صُورًا كلها غُرّر
◆ ◆ ◆	
شاعر يملأ الفضا دونه كل من مضى	نفسه صعبة الرضا دونه كل من غبر ^٢
◆ ◆ ◆	
هو بالفكر مُذ سما شاعر الأرض والسما	كان من نوره العمى شارف الشمس والقمر
◆ ◆ ◆	
حلّ في ذروة الأدب لا تقل: شاعر العرب	أتيا منه بالعجب إنه شاعر البشر
◆ ◆ ◆	
جعل الصدق ديدنا إن تناءى أو ادّنى	تاركًا هذه الدنا فهو للحقّ ينتصر
◆ ◆ ◆	
عبقري بشعره يعربي بنجره	عالمي بفكره تشرفُ العُربُ إن ذُكر ^٣
◆ ◆ ◆	
جعل الشعر وحيه مُوقظًا فيه وعيه	

ما وَرَى فِيهِ وَرْيُهُ	قَبْلَهُ كُلِّ مِنْ شَعْرٍ ٤
♦ ♦ ♦	
خَطَّ سَفْرًا بِهِ ابْتَغَى جَامِعًا أَفْصَحَ اللَّغَا	غُنْيَةَ الرُّوحِ بِالرَّغَى ٥ حَاوِيًا أَكْبَرَ الْعَبْرِ
♦ ♦ ♦	
حَكَمَ الْعَقْلَ وَاجْتَهَدَ هُوَ فِي الْقَوْلِ مَا اعْتَمَدَ	وَتَغَابَى عَنِ الْقَدْرِ غَيْرُ مَا ذَاقَ وَاخْتَبَرَ
♦ ♦ ♦	
شَعْرُهُ شَفَّ عَنْ دَهَا بَنْظَامٍ هُوَ النِّهَى	مَا لَهُ فِيهِ مُنْتَهَى ٦ وَحُرُوفٍ هِيَ الدَّرَرُ
♦ ♦ ♦	
شَعْرُهُ شَعْرٌ مُتَّقِنٍ فِيهِ كُفْرٌ لِمُؤْمِنٍ	فِيهِ شَكٌّ لِمُوقِنٍ فِيهِ إِيمَانٌ مِنْ كُفْرٍ
♦ ♦ ♦	
نَفْسُهُ وَهِيَ ثَائِرُهُ كُلُّ دُنْيَا وَآخِرُهُ	تَرَكْتُ «غَيْرَ خَاسِرُهُ» وَنَفْتُ كُلَّ مَا اسْتَقَرَّ
♦ ♦ ♦	
جَعَلَ الْحَقَّ ذَوْقَهُ شَاعِرٌ لَيْسَ فَوْقَهُ	بَاذِلًا فِيهِ طَوْقَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ
♦ ♦ ♦	
شَاعِرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ أَبْصَرَ الْحَقَّ بِالْعَمَى	هُوَ بِالْفِكْرِ مُذْ سَمَاءِ لَمْ يَضِرْهُ عَمَى الْبَصَرِ
♦ ♦ ♦	
هُوَ بِالشَّعْرِ إِنْ شَدَا مَدْرِكًا أَبْعَدَ الْمَدَى	يَتَجَلَّى لَكَ الْهَدَى بِالْمَعَالِي الَّتِي ابْتَكَرَ
♦ ♦ ♦	
جَانِبُ النَّاسِ وَاعْتَزَلْ شَرُّهُمْ غَيْرَ مُحْتَمَلْ	قَائِلًا: إِنَّهُمْ هَمَلْ ٧ خَيْرُهُمْ غَيْرَ مُنْتَظَرْ
♦ ♦ ♦	
دِينُهُمْ مِنْ رِيَاءِهِمْ لَيْسَ فِي أَذْكِيَانِهِمْ	وَهُوَ فِي أَغْبِيَانِهِمْ غَيْرُ مَنْ مَانَ أَوْ مَكَرْ ٨

♦ ♦ ♦
 ما بهم غير حاسدٍ دائب في المكاييد
 مبتغى كل واحد منهم الجورُ إن قدر

♦ ♦ ♦
 كوكب قد توقَّدا في سماءٍ من الهدى
 عندما غمَّه الردى أظلم الجو واعتكر

♦ ♦ ♦
 ليس للموت عندهُ من تقاريع بعدهُ
 إن عرا الحيَّ رَدَّه فاقد الحس كالحجرُ

♦ ♦ ♦
 فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
 لا مصيف ولا شِتا لا نعيم ولا سقر

♦ ♦ ♦
 نحن أسرى ذواتنا خشية من مماتنا
 كم وكم في حياتنا مُبتدا ما له خبرُ

-
- ١ حيهل: اسم فعل أمر، معناه: أقبل. وأخا مضر: هو من ينسب إلى مضر، وهم من ولد إسماعيل، أما اليمينيون فأولاد يعرب بن قحطان، ولعل الشاعر هنا يريد جنس العرب مطلقاً.
- ٢ من غير: من يأتي في المستقبل، وقد يكون غير بمعنى مضى في غير هذا.
- ٣ النجر والنجار: الأصل.
- ٤ ما روى فيه وريه أي: لم يُقدح زناد فكر، ولا أُتي بمثل ما أتى به أبو العلاء من المعاني.
- ٥ الرغى: بضم الراء وفتحها، الحديث غير الصريح.
- ٦ شَفَّ عنه: أبان عنه.
- ٧ الهمل من الحيوان: ما ليس له راع يحوطه ويرعاه.
- ٨ مان: من المين وهو الكذب.

ذكرى المآثر التيمورية^١

«لأحمد تيمور» مآثر لم تزل
شوامخ كالأطواد عالية الذرا
تزيد على كرّ الجديدين جدّة
إذا ذكرت في القوم خلّت لها الحبا
هو العالم الحبر الذي كان علمه
إذا لم يزن علم الفتى حسن خلقه
به فقدت «مصر» العزيزة فاضلاً
أقام بها ما فاق في الفضل نيلها
مناضدها للتائهيّن معالم
إذا غمّ أفق العلم أبدت أنارة
عليه سلام الله ما هيب عالم
ولا برحت مصر ينير لها الدجى

تشيرُ بتعظيم إليها الأناملُ
ولكنها لا تعترّيها الزلازل
وتبلى الدواهي دونها والغوائل^٢
وقام لها جمع من القوم حافل^٣
كأخلاقه فيه النهى والفضائل
فما هو في شيء على الناس طائل
له في مغانيتها مساع فواضل
خزانة كتب تنتحيها الأفاضل^٤
وأسفارها للظامئين مناهل
تقوم بها للحائرين دلائل^٥
وعيب بإهمال التعلم جاهل
رجال عظام من بنيتها أمائل

الأعظمية - ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٤

^١ وهي من أواخر شعره.

^٢ الغوائل: جمع غائلة، وهي المهلكة.

^٣ الحبا: جمع حبة، وهو ما يشد به العربي رجله إلى ظهره من شملة أو عمامة أو نحوها إذا جلس في نادي قومه، وحل الحبا: كناية عن الاهتمام بالأمور، يقال للشيء المهم: هذا أمر تحل له الحبا.

^٤ تنتحيها: تقصدها.

^٥ غم أفق العلم: أظلم. والأنارة: البقية من الشيء، كذا في جريدة «البلاد» ولعلها محرفة عن إنارة، يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين.

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأً قَوْلَهُ
صاحب نفس كبيرة شرفت
كان هو الشاعر الذي انتشرت
أوجدت للشعر دولة عظمت
من كل معنًى أغرَّ مؤتلقٍ
وربما رقَّ لفظه فبدت
وربما لم تبُنْ مقاصده

يبتكر الشعر مذكياً شُعْلَهُ
فشرَّفت حله ومرتحله
أشعاره في البلاد منتقله
به فعزت من قبله دوله
في لفظة كالعروس في الحجله
في شعره كل كلمة ثمله
لأنها فيه غير مبتذله



فسائلن عن قريضه حلباً
خلد ذكراً لسيف دولتها
فأعجب لسيف لم تَبُلْ جِدَّتُهُ

كم قطفت من زهوره خصله
أيام وشئى بمدحه خلله
وشاعر بالمديح قد صقله



لو حاز موسى مضاء عزمته
وهو الذي اجتازه بيعمليّة
قد بات كافور من جراتها
إذ أعجزته بالسير عن طلب
فسلّ به النيل يوم ناقلته
كيف أتى مصر كالعقاب لكي
وكيف أحيا بالمدح أسودها

ما تاه في التيه عندما دخله
تحمل منه الهمام لا التكله
على الموابي بمهجة وجله
لا خيله تختشي ولا إبله
تغمرت منه وانتحت جبله
يبلغ فيها بشعره أمله
ثم وشيكاً بهجوه قتله



في شعره حكمة مهذبة
ونغمة بالشعور صادحة
قدرته في البيان واسعة

وروعة بالذكاء مشتغله
وصنعة بالفنون متصله
يتيه فيها السؤال والسأله

إذا المعاني بشعره ازدحمت
كم شاعرٍ قد قفى له أثرًا
فأخفقوا عاجزين عن دركٍ

ما ربكت في انتقائها حيَلَه
وناقد راح يبتغي زَلَلَه
لبعضٍ ما كُلُّه تيسَّرَ له

♦ ♦ ♦

قل لابن عبَّاد: أي منقصة
أشعره؟ والعصور ما برحت
لكنَّما رمت من مدائحه
طماعة منك غير واعية

من أجلها كنت مكثرًا عدله؟!
تسعى بكل استجادةٍ قبله
ما لم تكن سالكًا له سبله
وهي لعمرى حماقة وبله

♦ ♦ ♦

أكبرُ من أكبرِ القريض به
يا قاتليه لو تعلمون به
قتلتهم الشعر والإجادة
لستم بذا القتل من بني أسد

وأكبرِ القاتلين من قتلَه
إذن قتلتم نفوسكم بدله
والإبداع فيه يا ألائم القتله
بل أنتم فيه من بني ورله

♦ ♦ ♦

لم يزل الدهر بعد مقتله
كان له عند كل بادهةٍ
يصطاد في الشعر كل شاردة
فلا تَقْسُهُ بغيره أدبًا!

يضرب في الشعر للورى مثله
بدائع في القريض مرتجله
من القوافي بفتنة عجله
وهل تقاس المعطار بالتفله؟!

♦ ♦ ♦

كم شاعر يدعي وليس له
إن أنت أنشدت شعره هزؤًا
ورب شعرٍ إذا لفظت به
الشعر معنَى ألفاظه حسنت
وكلما قصَّرت قوالبه
حُسُنُ المعاني بلفظها شوه

من شعره غير منطق الحجله
رجعت منه كأكل البصله
من هجنة فيه تأنف السبله
فنسَّقت في بلاغة جمله
عن حسن معناه أوسعت خلله
كحسن حسناء ثوبها سمله

♦ ♦ ♦

من ذاق في الشعر طعم معجزه
أُيُّ مقام هيجاؤه احتدمت
كان عزيزًا يأبى الهوان فما

فأحمد الشاعر الذي أكله
بالشعر يومًا ولم يكن بطله
قرَّ عليه يومًا ولا قبلَه

إلى الجواهري

ما أوحته إليّ قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافي تحت هذا العنوان القصيدة التالية؛ ردًا على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهري نشرها في صحيفة «البلاد» وقدم بين يديها هذه الكلمة:

أردنا عندما ناغينا الشاعر العربي العظيم الأستاذ «الرصافي»، أن يكون لنا شرف تذكره وهو في عزلته الموحشة، فكان لنا إلى جانب ذلك أيضًا شرف ابتعاث شاعريته الفذة، التي حالت حوائل المرض والانعزال و«النقمة»، دون تمتع المعجبين في شتى الأقطار العربية بنتائجها.

أما وقد هزنا الأسد الرابض الضائق ذرعًا بعينه، المنطوي على نفسه ألمًا وغضبًا وكبرياء، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زئيره.

فليضم المتغنون بشعر الأستاذ «الرصافي» هذه الترنيمة الجديدة إلى مجموعاتهم، وهذه «الزفرة» الحارة إلى السلسلة «المقطوعة» من أخواتها.

وسلام على «عيش» الشاعر المتمرس «بالأولى» والمتفكر في «الأخرى» هذا العيش «الحر الطليق» التي خانتنا كلمه «وفضلت» في التعبير عن مقدار إعجابنا «بطبيعته» واحترامًا لنا ولصاحبه.

وسلام على الشعر «الرصافي» المتفقق نوره عن الذهن المشبوب، والفكر الحائر، والنفس الجائشة والمستجيثة بفيضها، والقلب المرتج بالعواطف الزاخرة والزاج بصاحبه في شتى المهاري.

ذلك «الشعر» الرصافي الذي أعجبنا؛ لأنه لم يكن «حبلاً» مرغمة «أوائله أن تلتقي والأواخر» وذلك «العيش» الرصافي بماضيه وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون «تنسيق» ولا اختيار بل بوحى من الفكر الروحي و«الصراحة» و«الجرأة» ومحض الطبيعة، وفي بعض الفترات منه بوحى الضرورة، وهذه هي عناصر عظمته عندنا، وفي هذا جواب «الاستعتاب الرقيق».

قال الرصافي:

وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا
إليه القوافي شُرِّدًا ونوافرا
فكان به المعنى بديعًا وباهرا

بك الشعر لا بيّ أصبح اليوم زاهرا
فأنت الذي أَلَقْتُ مقاليد أمرها
إذا قلت شعراً قلته في بداعة

وإن أنت أطلقت النفوس من الأسى
بلغت من الإبداع أرفع ذروة
وإنك أرقى الناطقين تكلمًا
إذا شيء ظلم فُمت للظلم رادعًا



بإنشاده يومًا أسرت المشاعرا
هوى النجم عنها صاغرا متقاصرا
بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
وإن شيء حق قمت للحق ناصرا

لئن كنت تنمى للجواهر نسبة
نماك أب بالعلم شيد مجده
ومد من الآداب فيه سُرادقا
فلا عجب أن تنظم الشعر رائعا
وقد تبصر الماء الزلال به القذى

لقد كنت تحلو بالبيان جواهر
وخلد منه في الزمان المآثرا
وأكثر فيه للبنين المفآخرا
أنيق المعاني زاهي اللفظ زاهرا
فتغمض عنه بالغباء النواظرا

ما أوحته إلي قصيدتك

ألا إنني رغم انتباهي لم أزل
تحدثت عن ماضٍ حديثًا مُجمعا
وما كنت مختارًا كما أنت قائل
ولا اخترت عيشًا بين بين وسطًا
ولكن هي الأقدار تجري بغير ما
فتجعل ليث الغاب يتلو فُرانقا
وكم أقدرت من كان في الناس عاجزًا
وما المرء إلا مجبرٌ في حياته
وُلدنا وعشنا ثم متنا وكلُّ ذا

بأكثر ما قد قلته أنت حائرا
كأنك فيه لم تكن لي عاذرا
من العيش ما لولاه ما كنت شاعرا
ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
يريد الفتى جريًا على الأمر قاسرا
وتترك صقر الجو يخشى القنابرا
كما أعجزت من كان في الناس قادرا
وإن ظنَّ فيها أنه كان خائرا^١
على غير إذنٍ جاء بل جاء دامرا



أجل كنت من تئِن الحياتين آخذا
وجادلني قوم بغير دراية
وأسأل فامئنُ بالجواب تفضُّلاً
أأنت الذي فضّلت عيشًا معيّنًا
فصرت به في القوم شاعر مجدهم
إذا كان هذا هكذا منك واقعًا
علامَ إذن تشكو وشكواك كلها
ومن ذا الذي قد عاش في الناس راضيًا
ولو كان عيش الناس وفقَّ اختيارهم

بواحدة تأبى القسم المغامرا
ولست أبالي ذا العناد المكابرا
سؤالًا عن استعتابي الخلل صادرًا
لنفسك حتى كنت فيه المُشاورًا
إذا قلت شعراً جئت بالشعر ساحرًا؟!
فقد كنت في حسن اختيارك ماهرا
كشكواي تُدمي بالبكاء المحاجرًا؟!
ومن ذا الذي قد عاش في الناس شاكرًا؟!
لما كنت تلقى شاكيًا أو مخاطرا



نخوض الرزايا راكبين الضرائرا
فسادَ نظام يجعل الكد بائرا
وينظر للألف المسخر ساخرا
لكان بها كينونة الصفر شاعرا
من الناس إلّا من تحيّل ماكرا
بأعناقنا إلا القليل المماكرا

لحّا الله دنيا كلنا من جرّائها
ونحن مدى الأيام نشكو بعيشنا
نرى واحداً يقتاد ألفاً لعيشه
ولو وُزنت أعمالهم باقتداره
فما عاش في مَحياه عيشاً مرقّها
شقاء على كرّ الجديدين آخذ



ولكنه برق تموّج دائرا
تدور أواليها لتلقى الأواخر
تردّ إلى التبر المذاب المحابرا
دوائر فيها حار من ظل فاكرا
إذا نحن حكّما النّهي والبصائر

وما الشعر بالحبل الذي قد ذكرته
فما الشعر إلا من بروق دوائر
إذا لمعت فوق الطروس فإنها
وقد برّأ الله العوالم كلها
نرى كل شيء عائداً نحو بدئه



لأوّله حتى يلاقي آخر
زماناً يوالي كل من كان جائرا
وكنّت بذاك الشعر للشعر حاقرا
شدت به للنابحات سواجرا^٢
على من أضاعوا مجدهم والمفاخرا

إذن لم أكن في عالم الشعر مُرغماً
نعم كنت في تلك الأماديح شاتماً
وكنّت بذاك المدح للمدح هاجياً
إذا الدر أمسى كالسّخاب مُحقّراً
وما العار في هذا عليّ وإنما

^١ خائراً: مختاراً.

^٢ السّخاب: قلادة تتخذ من قَرْنُفَلٍ. السواجر: جمع ساجور، وهو القلادة التي توضع في عنق الكلب.

الثناء المخلد

ألا بلغوا عني رسالة مُنشدٍ
رسالةً من لا يُنشد الشعر مادحاً
ألا يا ابن عيسى بن الهُمام محمد
سأقرض في شكري لك الشعر خالداً
أقيده بالمدح والمدح مطلقاً
أرجع في الإنشاد أنغام لحنه
وأجعله شعراً إذا ما تنوشدت
عليك به أثني ثناءً مخلداً
وقفت من العلياء في [خير] موقف
وجددت مجداً غير بالٍ وإنما

أبا الماجد النجل النجيب محمد
به الناس إلا شاكرًا غير مُجند
وأكرم من يُنمى لأكرم محتد
وأرسله نوراً به الناس تهتدي
وأطلق فيه الحمد غير مقيد
بصوت كصوت البلبل المتغرّد
قوافيه يوماً أسكتت كل منشد
ومثلك أهل للثناء المخلد
وشوهدت بالإحسان في خير مشهد
بمسعاك زادت جدة المتجدد



تفقدتني في العيشة الضناك منعماً
على حين قد أنسى الرجال زمائهم
ومدّ أحابيل القطيعة بينهم
وأعلى غلاء في المعيشة فاحشاً

فيا لك في الإنعام من مُتفقد
ذويهم ومن يختصهم بالتودّد
وأقعدهم للشرّ في كل مرصد
يروح به ذو الاحتكار ويغتدي

الرصاصي يقرّظ كتابًا للزهاوي

هذا كتابٌ فيه يتّضح الهدى
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي
علنا فتسطع للعقول حقائق
فلقد بدا للحق «فجر صادق»

الأفول المشرق

عبرًا في أفولها كالشموس
في دياجير طالع منحوس
تتجلي منه داجيات النُحوس
ثم دسوا جسومكم في الرموس
هرّبوا المال من جباة المكوس؟
فعلة السوء منه بالتفليس
أن تكونوا في ربة الإنكليس
خاليات القرون في إبليس
شائع الذكر في بطون الطروس

أيها الأنجم التي قد رأينا
إن هذا الأفول كان شروقًا
وسياتي منه الزمان بسعد
شنقوكم ليلاً على غير مهل
أفكانوا في ظلمة الليل تجرّاً
هكذا الخائف المريب يواري
شنقوكم لأنكم قد أبيتم
فاستحقوا اللعن الذي كررته
سيديم الزمان لعناً عليهم



في أسى من مصابها محسوس
بأجل التمجيد والتقدّيس
هو تعظيمكم بخفض الرعوس
شرف خالد لكم قدموس
يوم بؤس كحرب يوم البسوس
وتلظى بحرّ نارِ المجوس
في شحوب وغبرة وعبوس
مثل تيار لجة القاموس
معرباً عن نشيجنا المهموس
يتأتى من صاخبات النفوس
إن نسي يوم شنقكم أو تُنوسي

أيها الأنجم التي تركتنا
في سبيل الأوطان منم ففزتم
وستبقى الذكرى لكم ذات رمز
وسيجري احترامكم في مجاري
إن يوماً به نعيتم إلينا
قد حكاها طولاً وشوْماً وبغياً
فيه أبدت منا الوجوه كلوحاً
إذ سكناً وفي القلوب ارتجاج
وأطلنا عن الكلام سكوتاً
ووجمنا حزناً وربّ وجوم
برأت ذمة المروءة منا

وقال هذه الأبيات مترجماً

فبك يا أغلوطة الفكر	حار فكري وانقضى عمري
سافرت بك العقول فما	ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت	لا على عين ولا أثر



يا واحد الذات كثير السعي	ومن تجلى ظاهراً واحتجب
أنت لدى الفرس تسمى خذا	أنت تسمى الله عند العرب



أول أنت ولكن أول	ما له في سانح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر	ما له في راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوي

بأيّ سلام أم بأي تحية
إليك أزين اليوم بدء خطابي
فإنك أهل للتحيات كلها
وما أنا فيما أدّعي بمُحابٍ

إلى البطل عبد الكريم الريفي

أعبد الكريم وأنت البطل	وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قرَّ سيفك في غمده	فما ذاك من خورٍ أو ملل
ولكنما دهرنا قُلَّبَ	وأيامه من قديم دُول
تهزُّ البطولة أعطافها	إذا ما جعلناك فيها المثل
سيخلد ذكرك في الناهضين	وتنتي عليك الطُّبا والأسل

بداعة لا خلاعة

فأرثني محاسنًا فتانه
بالمرايا قد زوّقوا جدرانه
ها من النور مبصر أسطوانه
حاكيًا من جمالها أعيانه
جعل الحسن كله عنوانه
تشتهيه وتتقي هجرانه
وتريني من حسنها أفنانه
أوجب الحسن بالهوى إيمانه
أصبح القلب صاليًا معمعانه

مثلت في دلالها عريانه
حيث طارحتها الغرام ببيت
فكأنني وقد نظرت لمعرا
وتجلى خيالها في المرايا
فتأملت في تقاطيع جسم
ظلتُ أرنو إلى الجمال بعين
فأريها من الغرام فنونا
ثم أسلمت للمليحة قلبًا
وتقحمت موهج الحب حتى



هاك من وصفها وإن شئت فاعذر
هي غمّازة اللحاظ لعوب
بضة نعمة لميس رداخ
ناهد النودلين محطوطة المت—
خذلة ساقها مهفهفة الخص—
ذات وجه كأنه بدر تمّ
لو رآها كسرى الملوك لخلّى
عقصت شعرها وقد زينته
فحكى شعرها على الرأس تاجًا
وتدلى قرط بسالفتيها
فحكى قرطها بقرب المحيا
وأظلت جبينها وهو صبح
فكان الجبين باقة نسري—

أو فلم مُملك الغرام عنانه
ذات دلّ ظريفة لحانه
غادة أحورية بهنانه
—نين خود رجراجة وركانه
—ر كعاب براقّة سيفانه
وقوام كأنه خوط بانه
ملكه تاركًا لها إيوانه
بحلّى من نقارس مزدانه
وحكت في جلالها خاقانه
رصّعت فيه ماسة بجمانه
زهرة الجو قارنت زبرقانه
طرة غيهبية فينانه
—ن تدلت من فوقها ريحانه



وقفت لي عريانة فتقدّم—
فتمشّت تخلُّعًا وتثنّت
ثم صدّت فأدبرت عن دلال
ولقد راعني وزاد فؤادي
ركبًا كعنبًا عضوًا مصوصًا
مشرف السطح رابئًا ذا انتصاب
قد حكى كومةً من اللؤلؤ الرط—
نعمة العيش أترفته وأخلت
عطر الريح قد تشممت منه
وشربت الرحيق وهو تجاهي
لو راہ العنّين يومًا لأمسي



شغفنتي تلك المليحة حتى
سلسّت في انقيادها بعد أن قد
فدعتني إلى الكفاح بغمز
وغدت في تجضم واعتلاج
واضعًا فايّ [فوق] فيها وكلّ
فغدت في ارتهازها تتلکّا
ثم قالت وقد ذوت مقلتها
أطعن الطاعنين للضاد، من بالض—

علمتني بكر الهوى وعوانه
أظهرت لي تمنعًا وحصانه
كررته من عينها الوسنانه
بشفاه وردية غيسانه
قد أمصّ الضجيع منه لسانه
بكلام لا تستتم بيانه
وشكت من فؤادها خفقانه
—اد قد أنطق الإله لسانه

في دار النقيب

أما وقد طلع الرجا في دار مولانا النقي— فاذهب لشأنك أيها ال—	ء يشع أنوار السرور ب بوجه مولانا الأمير يأس المخيم في الصدور
♦ ♦ ♦	♦ ♦ ♦
ماذا يريد المرجفو من بعد ما بدت المنى في دار مولانا النقي—	ن بكل بهتان وزور للقوم باسمه الثغور ب بوجه مولانا الأمير؟
♦ ♦ ♦	♦ ♦ ♦
ماذا يخاف القوم من بعد اقتران النيرري— في دار مولانا النقي—	ميل الزعانف للنفور؟ ن الساطعين بكل نور ب ووجه مولانا الأمير
♦ ♦ ♦	♦ ♦ ♦
مد النقيب إلى الأمي— فَلْيَخْزَ كل مشاغب وليحي مولانا النقيب	ر يد المعاضد والنصير في القوم يلهج بالشرور حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

مما كتبته إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته إلى النيابة بالمحكمة الشرعية:

وعد ممنوحًا إلى النائب	قد أخذ الحق من الغاصب
والمنهل العذب إلى الشارب	عالم بغداد وإنسانها
من ذاهب منهم ومن آيب	تختلف الناس إلى فضله
وتقتدي في رأيه الثاقب	في علمه ووعظه تهتدي
بجبهة المطلوب والطالب	والبشرُ قد لاحت أساريه
في جانب تزهو إلى جانب	ودار شرع الله مزدانة
أشرق شرع الله بالنائب	بعد ظلام دامس أرخوا

تحت تصوير النائب

مذ غاب عنا في المنية شخصه
تلقى المعاني المعربات عن العلا
فانظر إلى تصويره من غائب
في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

ومحبّ ذي أدبٍ أتى مستنشداً
فأجبتّه عبد الكريم محلق
فلكم سمعت له قوافي جمّة
شعرًا أنوّه فيه بالعلّاف
من شعره بقوادم وخوافي
كانت لعمر الله خير قوافي

الحريقات

وقفة عند شراغان^١

لِلرِصَافِي عِدَّةُ قِصَائِدٍ قَالَهَا فِي وَصْفِ مَا شَاهَدَ فِي الْأَسْتَانَةِ مِنَ الْحَرِيقِ الَّذِي يَكْثُرُ وَقُوعُهُ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ، فَرَأَيْنَا أَنْ نُنْشِثَ تِلْكَ الْقِصَائِدَ هُنَا عَلَى حِدَةٍ تَحْتَ عَنَوَانِ الْحَرِيقَاتِ، فَمِنْهَا الْقَصِيدَةُ الْآتِيَةُ:

عَدْلًا كِنَارٍ تَلَطَّتْ فِي «شِرَاغَانَا»	أَصْبَحْتُ أُعْذِلُ نَوَابًا وَأَعْيَانَا
إِلَيْهِ يَشْخَصُ طَرْفُ الْعَقْلِ حِيرَانَا	قَصْرَ أَطْلَ عَلَى الْبِسْفُورِ مَرْتَفَعًا
حَتَّى تَرَاهُ لَهَا نُورًا وَإِنْسَانَا	ذُو زَخْرَفٍ يُبْهِجُ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرْتُ
مُسْتَوْقَفًا صُنْعَهَا مِنْ مَرٍّ عَجَلَانَا	رَأَيْتُ مَبَانِيهِ إِتْقَانًا وَهَنْدَسَةً
إِذْ كَانَ أَكْرَمُهَا صَنْعًا وَبَنِيَانَا	كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا
مَشْيَ الْمُقِيدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمْعَانَا	يَمْشِي الْمُهَنْدِسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ
مَقْلَبًا فِي الْأَعَالِي مِنْهُ أَجْفَانَا	يَضُمُّ كَفَّيْهِ لِلْإِبْطِينَ مِنْبَهْرًا
لَا حَ الْجَمَالَ عَلَى مَبْنَاهِ أَلْوَانَا	عَرْشَ بِهِ تَعْرِفُ النَّاسُ الْجَلَالََةَ إِذْ
لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا	لَوْ كَانَ عَرْشًا لِبَلْقَيْسٍ لَمَا خَضَعَتْ
بِأَلْسِنٍ دَلَعَتْهَا فِيهِ نِيرَانَا ^٢	فِيهِ الْحَوَادِثُ أُمْسَتْ وَهِيَ نَاطِقَةٌ
وَالرِّيحُ تَصْفُوقُ لِلنَّيْرَانِ أَرْدَانَا	فَلَوْ رَأَيْتَ وَقَدْ شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ
يَذِيبُ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ عَقِيَانَا ^٣	رَأَيْتَ مَلَكًا كَبِيرًا ثُمَّ مُحْتَرَقًا
لِحَسَا يَدُكَ قُوَى الْبَنِيَانِ إِيهَانَا ^٤	طَالَتْ بِهِ أَلْسُنُ لِلنَّارِ تَلْحُسُهُ



قَوْمٌ وَكَانَ بِهَا الْبِسْفُورُ مَزْدَانَا	يَا دُرَّةَ فِي ضَفَافِ الْبَحْرِ ضَيِّعَهَا
وَرَصَّعْتَ مِنْ رُغُوسِ الْهَضْبِ تِيْجَانَا	كَمْ قَدْ أَضَاعْتَ بَوَاجِ الْبَحْرِ مَشْرِقَهَا
أَبْكَيْتَ فِي الْبَحْرِ أَسْمَاكَ وَحَيَاتِنَا	يَا أَيُّهَا الْقَصْرُ مَذْ أُمْسِيَتْ مُحْتَرَقًا
وَلَا لَدِي الْقَوْمِ أَبْقَى عَنْكَ سُلُوانَا	لَمْ يُبْقِ مِنْكَ لَهَيْبُ النَّارِ بَاقِيَةٌ
يَا لِلْعَجَائِبِ كَالْأَطْوَادِ جَدْرَانَا	مَعَاوِلٌ مِنْ شَوَاطِ النَّارِ هَادِمَةٌ
تَدُكُ مِنْكَ عَلَى الْأَرْكَانِ أَرْكَانَا	قَمْنَا أَمَامَكَ وَالنَّيْرَانِ صَائِلَةٌ
حَتَّى نَخَالُكَ مِنْهَا صَرْتِ بَرْكَانَا	كَمْ هَدَّةً لَكَ بَيْنَ النَّارِ تَفْزِعُنَا

يهتَزُّ فيك لهيبٌ، حين نبصره
فأنت تملأ صدر الجوِّ أدخنةً
ما أشرف القومَ لو كانت مدامعهم
ويلٌ لمُرْتَنَسٍ قد قام مجتهدًا
حق إذا كنت للنَّوَابِ مجتمعا
للنَّارِ فيك حسيْسٌ كنت أحسبُه
أشكو إلى الله قلبًا لا يطاوعني
يا قوم إنَّ بصدر الشعر موجدة
ما بال نوابنا أمسوا نوابنا
أما كفى أنهم لم يعملوا عملاً
هم يطلبون قصورًا يَنعمون بها
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة
قد ضيَّعوا الحزم حتى إنهم ندموا
يعيش ذو الحزم مسرورًا ومغتبطًا
وأحزم الناس مَنْ إن نام بات له
أين الطريق إلى العلياء نسلکہا؟
لا الشعبُ يخلع أثوابَ الخمول ولا
الناس تسعى لدينا نحن نهملها

نهتَزُّ بالحزن أرواحًا وأبدانا
ونحن نملأ صدر الأرض أحزانًا
مطافئًا لك تجري الدمع عُدرانًا!
يسعى بجعلك للنَّوَابِ ديوانًا
بانَّت عواقبُ ذاك السعي خسرانًا
ضِخْكَ على من بسوء الرأي أبكانا
ألا أكون على الأوطان غيرانًا
لا يستطيع لها سترًا وكتمانًا
إذ لا يبالون مكروهاً تغشَّانًا؟!
حتى أرادوا اجتماعًا في شراغانًا!
ونحن نطلب للأوطان عمرانًا
لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانًا
على الذي كان منهم بعدما كانا
وتارك الحزم لا ينفك ندمانًا
طرفٌ على حدثان الدهر يقظانًا
فإننا لم نزل يا قوم عميانًا
نوابه يلبسون الصدق قمصانًا
ما أسعد الناس في الدنيا وأشقانًا!

^١ «شراغان»: قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة، بناه السلطان عبد العزيز، وهو أعظم القصور فخامة في الآستانة، وأدقها صنعة وأبهجها منظرًا، ولما أعلن الدستور العثماني اتخذ مجلسًا للنواب، وكان ذلك بسعي من أحمد رضا رئيس مجلس النواب، فشب به حريق، وكان الرصافي في الآستانة، فقال هذه القصيدة.

^٢ أي أن الحوادث قد نطقت في هذا بالسن النيران.

^٣ العقيان: الذهب الخالص.

^٤ إيهانًا: أي إضعافًا.

أم الطفل في مشهد الحريق^١

هل خَفَّ بالقوم عنها اليوم ترحالُ؟!
واليوم لا سَمَر فيها ولا ضال^٢
تغبر فيهن أبكار وأصال؟
أو هَدَّ بنيانها من تحت زلزالُ؟!
ريخُ لها من لهيب النار أذيل
فما أتى الصبح إلا وهي أطلال
من الدخان كأنَّ النار أبطال^٣
صرعى، بيوت وأموال وأمال
دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
لحظَ المهجَّر إذ يبدو له الآل^٤
حتى تكاد لها الأرواح تنهال
إن الرماد الذي تذرير أموال

ما للديارِ تراءى وَهْيَ أطلالُ
كانت بها السَّمَرَاتُ الخضر زاهية
ما بالها وهي أنقاض مبعثرة
هل هَدَّ بنيانها من فوق صاعقة
بل قد عفتها ولم تترك بها أثرًا
شبَّ الحريق بها ليلاً مشيدة
أثارت النار في أطرافها رهجًا
حتى حكَّت معرَّكَ خَرَّت بساحته
دار السعادة أمست من تحرقها
ترنو إلى البحر ترجو نفع غُلَّتْها
تُهل كالرمل بالنيران أدورها
يا ريخُ مهلاً فلا تذرير الرماد بها



ولي عن الزُّمر الباكين تَسأل
وفي الشوارع نِسوان وأطفال^٥
وللغبار بعُرضِ الحيِّ تجوال
ولا يقيهنَّ حرَّ الشمس سِربال
وأدمعي لجَجَّ طورًا وأوشال^٦

قد رحَّت للحيِّ مذعورًا أَيْمُمُهُ
وفي العِراض ديارُ القوم خاوية
جلسن والشمس فوق الرأس دانية
ولا خِمار فيرددن الغبار به
حتى وقفتُ وقلبي كُلُّه جزعُ



وفوق وجنتها للدمع تهطل:
ما لي سوى طفلي الباكي بها مال
يعولني حيث لا زوج ولا آل^٧
وكننت من بعضها للقت أكتال^٨

ما أنسَ لا أنسَ أمَّ الطفل قائلة
إني تجرَّدت من دنياي حاسرة
أي امرئ بعد هذا اليوم ذي جدّة
أودى الحريق بدارٍ كنت أسكنها

واليوم أصبحت لا دارٌ ولا وَزْرٌ
إن الحريقَ خبت نيرانه ومضت
يا ربَّ رُحماك إني اليوم عاجزةٌ
يا ربَّ قد ضقت ذرعًا بالحياة فما
وعندما قد شجاني من مقالاتها
دنوت منها قليلًا وهي باكيةٌ
حتى وقفت وإيناسًا لوحشتها
وقلت: يا أختُ لا تستئيضي جزعًا
أتجزعين ابتئاسًا بين أظهرنا
ما لي أراك بعين اليأس باكيةً
ألسنت من أمةٍ أيدي الرجال بها
حتى لقد أصبحوا أبناء واحدةٍ
مستعصمين بحبلٍ من أخوتهم
أمسى التعاضد كالحصن الحصين له
فاستبشري اليوم فيما مسَّ من ظمًا
وإن حَقَّك عول في مساكنهم

أوي إليه ولا عمٌّ ولا خال
وما خَبَّت في فؤادي منه أوجالٌ
عما دَهَى وبظهري منه أثقال
أدري، حنانيك ربي! كيف أحتال؟!
لفظ يقطّعه في البين إعوَال
ومن بكاها بقلبي هاج بلُبال
حنيتُ رأسي وحنّي الرأس إجلال
فإنما الدهر إِدبار وإقبال
وكلُّنا عنك للبأساء حمَل
كأنَّ أَمرك عند القوم إهمالٌ
قد فُكَّ عنهنَّ بالدستور أغلال؟!
في المُرزئاتِ وهم في الحكم أشكال^٩
يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
إذا تصادَمَ بالأهوال أهوال
بأنَّ وردك عند القوم سَلَسال
وما هُمُ بأداء الحقِّ بخَال



تلك التي قد شجنتني في مقالاتها
فهل يُصدِّق قومي ما ظننت بهم
فالمجد يدرك مرماه البعيد فتى
وأكثر المال حمدًا ما يعان به
يا قوم هذي سبيل العُرفِ واضحةٌ
ومن تَكُ الحال فيها لا تساعده

وكم لها في نساءِ الحيِّ أمثال
حتى تقومَ لهم في المجد أفعال؟
رحبُ الذراعين طلق الكف مفضال
من عصَّهم من نيوب الدهر إقلال
فليمضِ فيها بكم وخُذْ وإِرقال^{١٠}
«فليُسعد النطقُ إن لم تسعدِ الحال»^{١١}

^٩ هذه القصيدة قيلت في حريق شب في حارة الفاتح من مدينة إسطنبول، وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات، فتركها قاعًا صفيصًا.

^{١٠} السمرات: جمع سمرة بفتح فضم، واحدة السمر: وهو شجر من العضاء. والضال: شجر من الدر، والمراد به هنا مطلق الشجر.

^{١١} الرهج: غبار الحرب.

^{١٢} المهجر: الذي يسير في الهجرة، وهي نصف النهار في القبط خاصة، وتكون شديدة الحر. والآل: السراب.

^{١٣} العراض: جمع عرصة وهي ساحة الدار، أو كل بقعة ليس فيها بناء.

٦ الأوشال: جمع وشل، وهو الماء القليل.

٧ ذي جدة: ذي غنى. الال: هنا بمعنى الأهل.

٨ أي: ذهب الحريق بدار كنت أسكن في بعضها، وأكرى الناس بعضها الآخر، فأكتال بكرائها قوتي.

٩ وهم في الحكم أشكال: أي متشاكلون متساوون.

١٠ الوخد والإرقال: كل منهما ضرب من ضروب مشي الإبل.

١١ هذا عجز بيت للمتنبى قاله مادحاً، وصدره: «لا خَيْلَ عندكَ تُهْدِيها ولا مَالُ».

ثالثة الأثافي

قالها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق باشا من مدينة إسطنبول، وكان ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

والطفلُ يجذب رُدنْها ويصيحُ
كالبرق يضحك في الدجى ويلوح
للشمس في وجناته تلويح
فجَري لذلك دمعُها المسفوحُ
تسخو سوى أن العزاء شحيح
لحظ برقراق الدموع سَبح
بيت بجائحة الحريق مَجوح^١
ما للملَم بأهلها تسريح
هذي وأكثرها ديار فيح؟!^٢
بعض السرور فكلها تتريح^٣
وانظر فقد قرعت بهنَّ السوح^٤
فغدت عراصًا وهي قبلُ صُروح
من هول مطلعها تذوب الروح^٥
حمراء تصفّق جانبيها الريح
نارًا وقد أخذ اللهب يسبح
برق المهالك بينهن لمُوح
نُوبًا برائحة الدمار تفوح
وبدت عليها سَفعة وكُلوح^٦

قعدت بقارعة الطريق تتوخُ
تبكي وقد ضحك الحريق بدارها
ضحيت وقد قلص الظلال فوجهها
جَرَ الحريقُ على الدّيار ذيولَه
ولقد وقفتُ حيالها ومدامعي
فغدا يُلَقِّنني الأسى من عينها
يا أيّما أجرى الغداة دموعَها
لا تهلكي جَزَعًا فإنّ بيوتنا
أعليك أنت تضيق كل ديارنا
فاقني عزاءك فالحياة وإن أرت
قف بالديار فقد أناخ بها البلى
نزل الحريق بها فشتت شملها
بكرَ الشواظ بها يُنْضِضُ السنا
نشر اللهب على البيوت ملاءةً
فتعبست منه السماء وأمطرت
وعلا الدخانُ على البيوت سحائبًا
أما الشرار فكان وبلًا مُنبئًا
والشمس قد كُسيّت بِجَوْنِ دخانِه



لا تسمعون لما يقول نصيح
كي لا يكون لها بكم تبريح؟!

يا قومُ ساء مصيرُكم فالى متى
هَلّا أخذتم للخطوب عَتادَها

هذا الحريق وكل يوم ناره
 فالنَّار ما برحت تفوهُ باللسنِ
 لَمْ لم تعوا ما قلن قبلُ مكرراً
 نمتم إلى نُوب الزمان فإن أنت
 وأهمكم أدنى الأمور وفاتكم
 كم في الحوادث من نذير قد أتى
 أما الحريقان اللذان تقدما
 قد أنذراكم بالخراب وأنبأاً
 عَجبي إلى تلك المصائب كيف قد
 سُرعان ما تنتسون عُظَم مصابكم
 لا تستنيموا للزمان فأخذه
 تغدو عليكم تارةً وتروح
 دُربٍ وإن كلامها لفصيح
 أو ما كفاكم ذلك التصريح؟!
 قمتم كما يتملل المذبوح
 نظر إلى الأمر القصي طموح
 فيكم بأسرار الزمان يبوح!
 فكلاهما شق لكم وسطيح^٧
 أن التراخي في الأمور قبيح
 نُسييت ولم تبرأ لهن جروح؟!
 ولو أن شُقة منتهاه طُروح^٨
 خلس وقوس الحادثات ضرُوح^٩

^١ الأيم: المرأة التي فقدت زوجها. والجائحة: النازلة العظيمة التي تجتاح المال؛ أي تستأصله. ومجوح: أي مستأصل، وهو صفة لبیت، والمراد أنها أبكاها اجتياح الحريق بيتها.

^٢ فيح: جمع فيحاء؛ أي واسعة.

^٣ قنى: حفظ وادخر. والتتريح: الأحران.

^٤ السوح: جمع الساحة، وقرعت السوح: أي خلت من الغاشية.

^٥ بكر الشواظ: أي أتى بكرة، والشواظ لهب النار الذي لا دخان فيه. وينضض ألسناً: يحركها، والمراد باللسن الشواظ: ما يمتد في شكل اللسان.

^٦ بجون دخانه: أي بدخانه الأسود. وقوله سفعة: أي لون أسود مشرب بحمرة. وكلوح: أي عبوس واكفهرار.

^٧ شق بدون أل: علم لكاهن من كهان العرب، كان في أيام سطيح، وسطيح: لقب كاهن اليمن المشهور، واسمه ربيع الذئبي.

^٨ شقة منتهاه: أي مسافة منتهاه. وطروح: بعيدة.

^٩ قوس ضرُوح: أي شديدة الدفع والحفز للسهم.

الجزء الثاني

المراثي

وا صديقاه!

قالها وهو في الأستانة، عندما بلغه منعى صديقه الشيخ محي الدين الخياط في بيروت.

تفكرت في كنه الحياة فلم أكن
وكم بثُّ فيها أخطب الليل راميًا
فلا أهتدي من أمرها لمقدّم
على أنني مهما تقدمت نحوها
وهبها كما قد قيل أحلام نائم
تأملت آثار الحياة فلم يلح
سوى أنني آنستُ شعلة قابسٍ
فبينما سناها يُبهج العين لامعًا
فما هي إلا خبوة ترتمي بها
كذلك محي الدين إذ غاله الردى
عليك العفا ببيروت هل لك بعدما
فتى كان ركنًا فيك للعلم والحجا
فقدنا به صلت الجبين مهذبًا
لقد عاش شيخًا في العلوم مقدّمًا
وما مات من أبقى له طيب الثنا
نعاه لي الناعي فكان كأنه
ولو لم يكن شدي الحيازيم دونه
خليلي عوجا بي على قبر ماجد
قفا نحتقر دمع العيون تجلة
ونندب في ملحوده المجد والعلا
عسانا بذا نقضي له بعض حقه

لأزداد إلا حيرة في تفكّري
إليها بلحظ الطارق المتنور
ولا أنتهي من أمرها لمؤخر
رجعت رجوع الناكص المتنقهر
أما في بني الدنيا لها من معبرٍ
لعيني منها وجه ذاك المؤثر
توقد في مُستنّ هوجاء صرصر^١
أنته كقطع الليل هموة معصر^٢
إلى ظلمات صبحها غير مُسفر
فأطفا منه نيرًا أي نير!
قضى فيك محي الدين من متصبرٍ؟
وغرّ القوافي والكلام المحبر
كريم سجايا النفس عفّ المؤرّر
فما ضرّه أن مات غير معمر
لدى الناس من بادٍ ومن متحضر
لدى نعيه أهوى إليّ بخنجر
خررت كما خرّ الصريع لمنخر^٣
ببيروت يحوي كل فضل ومفخر
لمن فيه من ذاك الجليل الموقر
ونسقيه غيث الدمع من كل محبر^٤
وإن حلّ أن يُقضى بدمع محقر

^١ القابس: طالب النار. والمستن: الطريق الواضح. والهوجاء: الريح العاصفة. والصرصر: الشديد البرد أو الشديد الهبوب.

^٢ الهموة: الغبار تثيره في الجو. والمعصر: الريح ذات الأعاصير.

^٣ الحيازيم: جمع حيزوم، وهو وسط الصدر.

^٤ الملحد: المدفون؛ أي الميت. ومحجر العين: العظم الدائر بها.

في الملكوت الأعلى

قالها وهو في الأستانة يرثي بها محمود شوكت باشا الصدر الأعظم، الذي قتله أناس من حزب المخالفين.

لقد بتُّ مطروف النواظرِ بالشُّهد
تساورني رَقْشاء من لاعبي الجوى
فأرقبُ تغويرَ النجوم بمقلّةٍ
أقول، وفرغُ الليل أسحم والأسى
متى يُسفر الصبح الذي أنا راقبٌ
إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه
فما أنا إلا غفوة فخيالة

تقبلني فوق الفراش يدُ الوجد
ويقدح في قلبي الأسى واري الزند
ترقرقُ فيها الدمع منفرطَ العقد
يدبُ دبيب السم في العظم والجلد: ^١
أليس قميص الليل عنه بمنقذٌ؟!
كما أسلت السيف الجراز من الغمد ^٢
لدى العالم العلوي في ربوة الخلد



رأيت كأنني قمت حول سُرادقٍ
أقاموا لواء الحمد فوق عماده
وقد أشرقت ملء السموات حوله
وقد لاح لي محمود شوكت جالساً
وفي يده سيفٌ أجيدٌ صقاله
وفي الرأس تاج بالثناء مرصّع
وقد جلّته بردة سندسيّة
وبين يديه زُهرة من ملائِك
تهنئه بالفوز طوراً وتارة
وقد قام من حول السرادق موكب

من النور مرفوع الدعائم ممتدّ
وَخطُّوا على حافاته سورة الرعدِ
قناديل خُضِرُ تستتير بلا وقد
به فوق كرسيّ الجلالة والمجد
على أنه من صنعة الله لا الهند
فُويقُ جبين مشرق بسنا الحمد
ومن تحتها درع إلهيّة السرد
مجنّحة الأيدي غُرانقة مُرد ^٣
تحبيه بالغض الطريّ من الورد
عظيم به اصطففت ألوف من الجند



فلما رأيته واقفاً بحياله
أشار أن أقرب يا رُصافي ما لنا

وقد كنت بين الجند معتزلاً وحدي
نراك وحيداً قد وقفت على بُعد؟!

فجئت وجسمي قد تعشّته رَجفة
فقمّت لديه وانحنيت أمامه
فقال: لقد آنست إذ جئت إننا
ولا ترتجف هوّن عليك فإنما
فأبلغ تحياتي إلى الوطن الذي
وقل لبنيه: إنني لست حاقداً
وإنّي لمّا أن تمثّلت قائماً
طلبت لهم عفواً من الله سابغاً
ويا ربّ إنني قد قصدت نجاحهم
وإنّي لأرجو منك مَرَحمةً لهم
فإنّي أرى موتي بخدمة أمّتي
ألا فاهدهم يا رب للمجد والعلا
وقال: أتدري من هُم الجند؟ إنهم
ألم ترهم دامين حتى كأنما
فسوف بحول الله أرأب صدعهم
وأذنّ في الحيّ المؤذّن غُدوةً
فقمّت وبني من خشية الله رعدة
وأصبحت لم أملك بواذر عبّرة
سأبكي وأستبكي الجيوش على فتّى
فتّى كان في أفق الوزارة كوكباً
وقد كان في وجه الخطوب تبسّماً
وما مات محمودُ الخصال وإنما
لئن غُيِّبَتْ عَنّا مَرائيه في الثرى
وما هو إلا السيف قد كان مُصلّتا
سببى له الذكر الجميل مُوبداً

كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقبلت بالتعظيم حاشية البُرد
عهدناك في زوّارنا مخلص الوُدّ
نزلت قرين الأمن في منزل السعد
سعيثُ إلى إعلائه باذلاً جهدي
عليهم فمثلي لا يميل إلى الحقد
بديوان ذي العرش الذي جل عن ند
وقلت له: يا ربّ لا تخزهم بعدي
فحقق لهم يا رب ما كان من قصدي
وإن قتلوني ظالمين على عمّد
حياة به طعم الشهادة كالشهد
فما من مُضلّ في الأنام لمن تهدي
من استشهدوا في حرب أعدائنا اللدّ
تسرّبل كلّ لبدة الأسد الورد؟^٤
وأغزو العدا فيهم على الضمّر الجرد^٥
فأيقظني التكبير من سِنَّة الرقد
وأحسست من رؤياي برّداً على كبدي
تخطّ سطور الدمع في صفحة الخدّ
فقدناه فقدّ الغيث في الزّمن الصلّد^٦
به في دجى الخطب الخلافة تستهدي
إذا عبست يوماً بأوجُها الرُّيد^٧
تنقل من هذا الفناء إلى الخلد
فما غُيِّبَتْ عَنّا معاليه في اللحد
على الدهر وهو اليوم قد قرّ في الغمد
تمرّ به الأيام حالية الأيدي

^١ الفرع: الشعر. والأسحم: الأسود.

^٢ الجراز: السيف القطاع.

^٣ الغرائقة: جمع غرنيق، وهو الشاب الأبيض الجميل.

^٤ الورد: الأحمر من الأسود.

٥ رأب الصدع: أصلحه. والضمير: الخيل اللطيفة الجسم الهضيمة البطن. والجرد: القليلة الشعر.

٦ الصلد: الصلب الأملس، أو الأرض التي لا تثبت شيئاً، ويعني به الزمن الشديد.

٧ الربد: جمع أربد، وهو المغبر اللون.

وا محمداه!

قيلت في رثاء محمد فوزي باشا العظم وكان موته فجأة.

أَيُّ خَظَبٍ دَهَى رُبُوعِ الشَّامِ
وَبَأَيِّ الْأَسَى رَمَتَهَا اللَّيَالِي
إِنْ تَكُنْ أَفْجَعْتُ بِشَهْمِ بَنِي الْعَظْ—
ذَلِكَ الْمَاجِدُ الَّذِي أَدْرَكَ الْمَجْ—
سَلْ دِمَشْقًا تَجْبِكَ عَنْ شَيْمٍ فِي—
قَدْ بَكَتْهُ شَجْوًا بِسَبْعِ عَيُونِ
وَرَثْتَهُ بِالْسُّنِّ مِنْ مَعَالِي—
فَقَدْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ نَذْبِ
وَعَدْتُ تَشْتَكِي إِلَى بَرَدَاها
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ سَاعَةً أَوْ دَى
إِنْ قَلْبِي قَدْ اسْتَطِيرَ بِمَنْعَاهُ
فَكَأَنَّ النَّاعِي لَدَى النَّعِي أَهْوَى
قَدْ فَقَدْنَا مِنْهُ خَلَائِقَ تَحْكِي
يَا أَبَا خَالِدٍ وَمَا هَذِهِ الدَّنْ—
إِنْ تَكُنْ هَالِكًا فَكَمْ لَكَ ذِكْرُ
خَطَفْتُ عَمْرَكَ الْمُنُونِ اخْتِلَاسًا
فَكَأَنَّ الْمُنُونَ خَافَتْ عَلَى نَلْ—
فَلذَا أَحْرَزْتُكَ غَضًّا طَرِيًّا
فَسَقَى اللَّهَ تَرْبَةً أَنْتَ فِيهَا

يَوْمَ أَمَسْتَ تَبْكِي بِطَرْفِ دَامِ
فَاكْتَسَتْ لِلْحَدَادِ ثَوْبَ ظِلَامِ
—مَ فَأَعْظَمَ بِخَطْبِهَا الْمِتْرَامِي!
—دَ بِأَيْدٍ إِلَى الْعِلَاءِ سَوَامِ
—هَ تَعَالَتْ عَنْ أَنْ تَزَنَّ بِذَامِ^١
فِي رَبَاهَا تَجُودُ بِالنَّسْجَامِ
—هَ حَدَادٌ تَقُلُّ حَدَّ الْحَسَامِ
ذَائِدٌ عَنْ حِيَاضِهَا وَمُحَامِ^٢
مِنْ أَحَرِّ الْأَسَى أَحَرُّ الْأَوَامِ^٣
مِنْ كَرِيمٍ غَمَرِ الرَّدَاءِ هُمَامِ
اخْتِطَافًا بِمَنْسَرِ الْآلَامِ
نَحْوَ قَلْبِي بِمُرْهَفٍ صَمِصَامِ
زَهَرَ الرُّوْضُ غَبَّ صَوْبِ الْغَمَامِ^٤
—يَا بَدَارٍ مَعْدَّةَ لُمُقَامِ
فِي الْعُلَا خَالِدٌ مَدَى الْأَيَّامِ
كَاخْتِلَاسِ الْمَنَى يَدُ الْأَوْهَامِ
—كَ الْمَعَالِي ذُبُولِهَا بِالسَّقَامِ
وَكَذَاكَ يَكُونُ مَوْتَ الْكَرَامِ
ثَوْبَ وَطْفَاءٍ مِنْ غَوَادٍ هَوَامِ^٥

تَزُنُّ بشيء: تتهم به. والذام: العيب.

٢ الندب: السريع إلى الفضائل.

٣ الأوام: العطش.

٤ غب: بعد وإثر. والصوب: المطر.

٥ الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة مائها. والغواضي: جمع غادية، وهي السحابة تنتشأ غدوة. والهوامي: جمع هامية، وهي الممطرة.

وا شيخاه!

أزمنت عَنَّا إلى مولاك ترحالا
رأيتنا في ظلام ليس يعقبه
كرهت طول مقام بين أظهرنا
ولم ترق نفسك الدنيا ونحن بها
وكيف تحلو لذي علم إقامته
لذاك كنت اعتزلت القوم منفردا
وما ركنت إلى الدنيا وزخرفها
لكن سلكت طريق العلم مجتهدا
«محمود شكري» فقدنا منك حبر هدى
قد كنت للعلم في أوطاننا جبلا
وبحر علم إذا جاشت غواربه
يا من بشوال قد شالت نعمته
أعظم برزئك في الأيام من حدث
أمسست لروعه الأبصار شاخصة
طاشت حصاة العلا لما نُعيت لها
إذا نعيك وافى «مصر» منتشرا
وإن أتى البيت «بيت الله» رُجَّ به
أما «العراق» فأمسى «الرافدين» به
بكى الورى فيك حبرا لا مثيل له
بكوك حتى قد احمرت مدامعهم
ولو لفظنا لك الأرواح من كمد
ولا نُخصص في رزء بتعزية
فإن رزءك عم الناس قاطبة

لما رأيت مُناخ القوم أوحالا
صبح فشمّرت للترحال أذبالا
بحيث تبصرنا للحق خذالا
لسنا نؤكد بالأفعال أقوالا
في معشر صحبوا الأيام جهالا؟!
حتى أقاربك الأذنين والآلا
ولا أردت بها جاها ولا مالا
تهدي به من جميع الناس ضلّالا
للمشكلات بحسن الرأي حلّالا
إذا تقسّم فيها كان أجبالا
تقاذف الدرّ في لجّيه مُنهالا
نغصت بالحزن شهر العيد شوالا^١
هزّت عليّ به الأيام عسّالا^٢
أما القلوب فقد أجفلن إجحالا
وكل ميزان علم بالأسى شالا
جننا «أبو الهول» يشكو منه أهوالا
وأوجس «الركن» من منعاك زلزالا
سَطرين للدمع في خديّه قد سالا
أقواله ضربت في العلم أمثالا
كأنهم نضحوا فيهن جريالا
لم نَقْضِ من حقك المفروض متقالا
إلا علوما أضاعت منك مفضالا
يا أكرم الناس أعماما وأخوالا

شكرًا لأفلامك اللائى كشفت بها
كتبن في العلم أسفارًا سيدرسها
أمددتها بمدادٍ ليس يعقبه
وكنّت أنت نطاسي العلوم بها
يا مطلعًا في سماء الفكر أنجمه
لو أنني بلغت زهرَ النجوم يدي
ما ضرَّ من بعد ما خلّدت من كتبٍ
إذا ذكرناك يومًا في محافلنا
إني أخفُ لدى ذكراك مضطربًا
لأشكرنَّك «يا شكري» مدى عُمرِي
فأنت أنت الذي لقّنتني حكمًا
أوجرتني من فنون العلم أدويةً
فصحَّ عقلي وقبلًا كنتُ مشتكيًا
أنا المقصر عن نعماك أشكرها
فاغفر عليك سلامُ الله ما طلعت

عن أوجه العلم أستارًا وأسدالا
أهلُ البسيطة أجيالًا فأجيالا
دمع الأنام وإن يبكوك أحوالا
وكن في سبر جُرح الجهل أميالا^٢
تهدي إلى العلم رُحالا وقفالا
نحْنُها لك بعد الموت تمثالا
ألا نرى لك بين الناس أنجالا
قمنا لذكراك تعظيمًا وإجلالا
وإن حملتُ من الأحزان أثقالا
وأبكيَنك أبكارًا وأصالا
بها اكتسيتُ من الآداب سربالا
شفتُ من الجهل داء كان قَتالا^٤
من علة الجهل أوجاعًا وأوجالا
ولو ملأت عليك الدهر إعوالا
شمسٌ وما ضاء بذر الليل أو لالا

١ شالت نعامته: مات.

٢ العسال: الرمح المهترز لينًا.

٣ الأميال: جمع ميل بكسر الميم، وهو عويد صغير من زجاج يسبر به عمق الجرح.

٤ أوجرتني: سقيتني.

في موقف الأسى

لمن تركت فنون العلم والأدب
نلك المدارس قد أوحشتها فعدت
ما إن تركت لها في العلم من وطرٍ
إن «الألوسي» محمودًا عرثه لدنٌ
فاهتز لابن أبٍ قي قبره وغدا
بحرين في العلم عجّاجين قد ثويا
من فخر أزماننا في العلم أنهما
عليك «شكري» غدت شكرى مدامعنا
ما كنت فخر «الألوسيين» وحدهم
ولا رزأت النهى والعلم وحدهما
ولم يخصّ الأسى دارًا نُعيت بها
من العراق إلى نجدٍ إلى يمنٍ
لقد ترحلت في يوم بنا انقلبت
حتى تقدم ما في القوم من ذنبٍ
وبات يحسو الطلا بالكأس من ذهبٍ
فاذهب نجوت رعاك الله من زمنٍ
تستقل الصدق فيه أذن سامعه
والخير قد ضاع حتى إن طالبه
أما الرجال فنارُ الشر مُوقدة
أفعالهم لم تكن جدًّا ولا لعبًا
إذا جلست إليهم في مجالسهم
أرقى الصحائف فيما عندهم أدبا
قد يطربون لشتم المرء صاحبه
أما خشيت عليها من يد العطب
خلوا من الدرس والطلاب والكتب
ولا لمنتابها في الدرس من أرب
لأفك «محمود شكري» خفة الطرب
يُيدي الحفاوة خيرُ ابنٍ لخير أب
فانصب مضطرب في جنب مضطرب
علّمتا هذه الأزمان والحب
تكفيك أدمعها السقيا من السحب
بل كل من ساد من صيّابة العرب^١
بل قد رزأت صميم المجد والحسب
بل عم مبتعدًا من بعد مقترب
إلى الحجاز إلى مصرٍ إلى حلب
حوادث الدهر فيه شرٌّ منقلب
فصار رأسًا وصار الرأس في الذنب
من كان يشرب رنق الماء بالعلب^٢
من عاش فيه دعا بالويل والحرب
وتطرب القوم فيه رنة الكذب
لم يلق منه سوى المسطور في الكتب
فيهم وهم بين نفاقٍ ومحتطب
لكن تراوغ بين الجد واللعب
تلقي القوارض فيها ذات مُصطخب
ما شد منها بهم عن خطة الأدب
كأنما الشتم مدعاة إلى الطرب

ويستلذون من قوم سبابهم
لا يغضبون لأمرٍ عمٍّ باطله
وليس تندى من النكراء أوجههم
يا راحلاً ترك الأماق سائلةً
أجبت داعي موتٍ حمٍّ عن قدرٍ
والناس أسرى المنايا في حياتهم
هذي جيوش الردى في الناس زاحفة
بين الدواء وبين الداء معتركُ
والناس فيه عتاد للحمام فلا
وإن للموت أسباباً يسببها
لا يخلق الله مخلوقاً يجول به
ولا يُميتُ بلا داء ولا سقم
وليس ذلك من عجز بخالقنا
لكنه جعل الدنيا مسببة

كما استلذ بحكّ الجلد ذو جرب
كأنهم غيرُ مخلوقين من عصب
كأنما القوم منجورون من خشب
يذرُّفن منسكباً في إثر منسكب
وأى نفس لداعي الموت لم تُجب!
من فاته السيف منهم مات بالوصب
لكنهنّ بلا نفع ولا لجب
فيه قضى ربنا للداء بالغلب
ينجون من عطبٍ إلا إلى عطب^٣
من سدّ كلّ طريق عنه للهرب
دُم الحياة بلا أمٍّ له وأب
ولا يُعيش بلا كَدٍّ ولا تعب
عن أن يُزجَّ بنا في قبضة الشجب^٤
لكل أمرٍ بها لا بد من سبب



يا من إذا ما ذكرناه نقوم له
لقد تركت يتيم العلم منتحباً
إن كنت في هذه الدنيا لمنقطعاً
أعرضت عنها مُشيحاً غير ملتفت
أولعت بالعلم تنميه وتجمعه
فعشت دهرًا حليف العلم تنصره

على الأخامص أو نجثو على الركب^٥
والكُنْب راثيةً منه لمنتحب
إليه عن كل موروث ومكتسب
إلى المناصب فيها أو إلى الرتب
منذ الشباب وما أولعت بالنشب^٦
حتى قضيت فقيد العلم والأدب

^١ صياغة القوم: لبابهم وخيارهم.

^٢ الطلا: الخمر. ورنق الماء: الماء الكدر.

^٣ الحمام: الموت. والعطب: الهلاك.

^٤ الشجب: الهلاك.

^٥ الأخامص: جمع أخمص، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

^٦ النشب: العقار أو المال الأصيل.

ذكرى الرجال من حياة الأمم

أراد شبان فلسطين أن يقيموا حفلة تأبين لروحي بك الخالدي، وكان الرصافي إذ ذاك في القدس، فطلب إليه أحد أصدقائه، وهو عادل أفندي جابر، أن ينشدهم في الحفلة المذكورة ما يناسب المقام، فقال هذه القصيدة:

لأبْلته من كَرِّ الليالي مَبَارِدُ	لعمرك لو كانت حديدًا جسومنا
جوارحنا هذي الدماء الجواسد؟! ^١	فكيف وَلَسْنَا بالحديد وإنما
وغايتها هانت علينا الشدائد	إذا ما افتكرنا في الحياة وأصلها
من الموت إذ كُلُّ على الموت وارد	وماذا عسى يُجدي التوجُّع والأسى
فيقرب من آجالنا المتباعدُ	تُعِين منايانا علينا بحزننا
إذا حبيث بالذكر منه المحامد	وليس برزءٍ أن نرى المرءَ هالكا
وليس له من بعده الدهرَ حامدُ	بل الرزءُ كل الرزءِ أن يذهب الفتى
فلم يتفقده من الناس فاقد	ويُدفن في التراب اسمه دَفَنَ جسمه
فآثار روعي الخالديَّ خَوالد	ومن تَفَنَّ بعد الموت آثار مجده
وأَيُّ حُسام ما لَهُ الدهرَ غامد!	فتى أغمدت منه المنون مَهَنَدًا
على أنه في الألمعيَّة واحد	يُعدُّ بألفٍ من رجال زمانه
مناقب غُرِّ دونهن الفراقد ^٢	لقد بقيت للخالديين بعده
بجيد العلا من دُرِّهن قلائد	وكم حَبَّرت أعلامه من صحائف
به فخره السيف الإلهي خالد	نماه إلى المجد الصراع متممًا
لدى محفلٍ قد ضمنا وهو حاشد	دعانا ابن جبرٍ أن نُلمَّ بذكره
نباهي به أحياءنا ونماجد	فقمنا لذكرى مجده بعد موته
وقد كثرت فيها عليها الشواهد	ونستشهد الدنيا على حسناته
ليشهد لي من «عادل» فيه شاهد	وإني وإن لم أحظَّ منه برؤية
عواطف كانت وهي فينا رواقد	ألا يا ابن جبرٍ أنت أيقظت للعلا
ففي ذكر فضل الغابرين فوائد	فقلت: اذكروا يا قومُ فضل رجالكم
لينشط كسلانٌ وينهض قاعد	وسيروا على آثارهم واهتفوا بها

ففي الغرب أمواتٌ أقيمت لذكرهم
أعادلُ قد أنهضت للعلم جُثمًا
أقمت لذكرى الخالديّ مَقامةً
وجاهدت في إنهاض حيٍّ بميتٍ
ذكرتَ مزاياءَ وذكَّرتنا به
فسعيك مشكور ورأيك صائب

تماثيل في كل البلاد أوابد ^٣
فأنت لنا في نهضة العلم قائد
بها حسُنت للقوم منك المقاصد
فجهدك في إنهاض قومك جاهد
وهل يذكر الأمجاد إلا الأمجاد
وفعلك محمود وسيرُك راشد

^١ الجواسد: الدماء اليابسة.

^٢ الفراقد: يقصد بها الفرقد، وهو نجم قريب من القطب يهتدى به.

^٣ الأوبد: الغرائب التي لا مثيل لها.

ذكرى الشيخ الخالصي

أنشدها في الحفلة التأبينية التي أقامها نادي الإصلاح في بغداد عند منعى الشيخ محمد مهدي الخالصي، أحد علماء الجعفرية بعدما أخرجته الحكومة العراقية إلى إيران.

من قديم وطاف يسقي أناسه^١
جعل الله عمره أنفاسه
نت لعمري خلافة حسّاسه!
قد أطالت بها على الحيّ باسه
وهو مستثمر بها أغراسه
س مُمَدًّا بفضلِه إيناسه
هُ فَقَدْنَا بِهِ النُّهْيَ والْكِيَّاسَه
— فاس حزنًا مضرّجًا بحماسه
حين أجرى إلى الهدى أفراسه
ع مقيمًا دليلَه وقياسه
— عمر فيه رعاية وحراسه
عندما أطفأ الردى نبراسه
فلأن كان ركنه وأساسه
— سوى فكانت طول الحياة لباسه^٢
حيث فيها انتهت إليه الرياسه

أدهقَ الدهر بالمنية كاسَه
كيف يُرجى طول البقاء لحيّ
تَعَسْتُ هذه الحياة وإن كا
قَصَرَتْهَا يَدُ الحَوَادِثِ لکن
غير أن السعيد من بَانَ عنها
والذي عاش مؤنسًا وحشة النا
مثل ذاك الشيخ الذي مَدُّ فَقَدْنَا
نُعِيَّ الخالِصِيَّ فارتجّت الأن—
هو ذاك «المهدي» أحرز سَبَقًا
هو ذاك الحَبْرُ الذي كان للشر
كان في الدين آية الله أفنى ال—
أفق العلم قد بدا مكفهرًا
إن بكاه الدين الحنيفي شجوا
كان ردءًا للحق مرتدي التق—
ولقد كان في العلوم إمامًا



—م وأغضي عن خوضه في السياسه
بل لأنني أعيب فعل السّاسة
—ات إلا ما ينجلي عن خساسه
أن تكون الغشّاشة الدّساسه
بيد من خديعة فرّاسه

أنا أبكي عليه من جهة العل—
لا لأنني أراه فيها ملومًا
ليس في هذه الهنّات السياسي—
قد أبت هذه السياسة إلا
رأيت أن تصافح الناس إلا

كلما مسَّت الأمور بكفَّ
إنَّ في هذه السياسة سهماً
ما تعاطى غير الخداع «غلايس»
إن أحسَّت بقوة من خصيم
وهي إن أنست من الخصم ضعفاً
لو أردنا إفاضة في هجاها
فلهذا أجلُّ عنها رجالاً

◆ ◆ ◆

رحم الله شيخنا إنه كا
ليت تلك العلوم قد شغلته
أنجبت بعده فأوحش أرضاً
ففضى بعد نأيه عن أناسٍ

◆ ◆ ◆

أيها القوم إن هذا لرأيي
فإذا كنت قد أصبت وإلا
لست بالشاعر الذي يرسل اللفـ
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا
إنما غاييتي من الشعر معنى

لوثتها بما بها من نجاسه
جعل الله باطلاً قرطاسه
توتن» فيها كلاً، ولا «دلكاسه»
كانت الطيبي لم يُزايِلْ كِناسه^٣
كانت الليث مبرزاً أضراسه
لكتبنا لكم به كرَّاسه
شغلته علومهم بالدراسه

ن بعيداً عما تريد السياسة
عن أمور لا تُشترى بنُحاسه
في العراقيين عُودت إيناسه
طلبوا علمه وراموا اقتباسه

في فقيدٍ لم تشهدوا إرماسه^٤
فانبذوا ما أقوله في الكناسه
ظ جزافاً لكي يصيب جناسه
ما جرى في سهولةٍ وسلاسه
واضحٌ يأمن اللبيبُ التباسه

^١ أدهق الكأس: أي ملاًها.

^٢ الردء: المناصر والعون.

^٣ الخصيم: الخصم. وكناس الطيبي: بيته في أصل شجرة ونحوها.

^٤ الإرماس: الدفن.

على ضريح النائب

هي دنيا بقاءها مستحيل
ليس يُغني فيها عن المرء شيئاً
إنما الراحة المُرجاة فيها
كل شيء في أهلها مستعار
ليس ما قد جنى علينا بها الإفـ
رتلت ألسن اللذائذ أي الـ
فرجونا طول البقاء وإن كنـ
وطلبتنا تعلّة لنفوس
قد قتلت الحياة خُبراً ولكن
كل ما قيل في الحياة ظنون
قد وهمنا في البدء منها وأما
إن يك العقل في دجى الشك نجماً
ويك إنَّ المعقول ما صحَّ عندي
كلنا خابطون في ظلمات
إنَّ حبَّ الحياة أُوهم أن الـ
إنما هذه الجُسوم مَبَانٍ
نزلتها الأرواح حيناً فأضحت
ثم لا بدَّ أن ترحل عنها
إنما هذه الجُسوم رسوم
ما يسقط اللوى مثلاً ولكن
ليس يُسلي الفتى عن الموت إلا
مثلما مات شيخنا «النائب» الحبـ
إن «عبد الوهاب» عاش جليل الـ

فَلْيَقِفْ عند حدّه التأميل
شرف باذخ ومجد أثيل
تعبّ والهدى بها تضليل
من سواه وكل حالٍ تحول
قار أدهى مما جنى التمويل^١
—عيش فيها فغرنا الترتيل
—ا علمنا بأننا سنزول
ليس يُشفي غليلها التعليل
أنا منها بحيرتي مقتول
جرّها في افتكارنا التخيل
منتهاها فستره مسدول
فخفيّ مثل السها وضيئل^٢
فمتى صح عندك المنقول
حائر بائر بهن الدليل
—موت نومٌ تحت الثرى لا يطول
قد بناها من الزمان عمول^٣
عامرات ما دام فيها النزول
فيسمى بالموت ذاك الرحيل
مُوحشات بعد الردى وطُلول
بسقوط البلى لهن مُثول^٤
خلف صالح وذكر جميل
—رُ فسالت من الدموع سيول
—قدر فَرَدًا ومات وهو جليل

وقضى عادى المثل فأمسى
حادث أظلمت به الأرض واستو
إن أسينا أسى عليه كثيرًا
كان فحل الفحول علمًا وفضلًا
كيف لا تجزع العلوم لمنعى
قد بكته مدارس عامرات
وبكاه الكتاب ذو الذكر شجوا
وبكته آي به محكمات
وبكته أرامل ويطامى
إن يكن أغمى الردى منه فى القلب—
أو رمى حدّه الردى بفلول
أو خلت منه دُوره موحشات
كيف لا؟! هؤلاء أبناؤه الغرُّ
كلهم فى العلاء مثل أبيه
هل تطيب الفروع فى الناس إلا
عذرة يا أبا الحسين بماذا
وإذا طاشت الحلوم ببيوم
أخرس الشعر يوم منعاك لكن
وإذا أسكت المقاويل حزن
فصلتك المنون عنا ولكن
لك فى العلم رتبة لن تُسامى
ومحيًا صلتُ الجبين طليق
ويذّ يجمع الشفاء عليها
إنما قد ذكرت بعض مزا
وإذا القول لم يفده اختصار

ما لمنعاه فى الخطوب مَثل
حش منها حُزونها والسهول
فكثير الأسى عليه قليل
فلهذا بكت عليه الفحول
رجل باعه بهنّ طويل
هو فيها المدرّس المسئول
وعلوم إلى الكتاب تنول
وبكاه التفسير والتأويل
جُدَّ عنها بموته التتويل
—ر حُسامًا فذكره مسلول
فمعالیه ما بهنّ فلول^٥
فَدَرَاها بفضلها مأهول^٦
شهوّد بما أقول عُدول
حسن الخلق فاضل بُهلول^٨
حيث طابت فيهم لهن أصول
نَصَفُ الرُّزءَ وهو رزء جليل
فيه فارقتنا فماذا نقول؟
ناب عنه تأوُّة وعويل
ترجمت عنهم دموع تسيل
أنت بالحمد والثنا موصول
فاضل القوم عندها مفضل
يتلّلا كأنه قنديل
كلما قد مددتها التقبيل
ياك وإلا فشرحهن يطول
لم يفده الإطناب والتفصيل

^١ التمويل: الغنى.

^٢ السها: كوكب خفي من بنات نعل الصغرى.

^٣ العمول: المطبوع على العمل.

^٤ سقط اللوى: موضع، ويشير هنا إلى بيت امرئ القيس الذي ذكر فيه هذا الموضع.

٥ الحزون: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع.

٦ الفلول: جمع فل، وهو التلثة في الحد.

٧ يقال: فلان في ذرا فلان؛ أي في ظله.

٨ البهلول: السيد الجامع لكل خير.

دموع الصداقة

أنشدت في المأتم الذي أقيم في بغداد للمرحوم عبد المجيد بك الشاوي.

عبدُ المجيد قضى فَوْراً أسفاً	ماذا يُفيد تأسُفي جَزَعا؟!
قم وَيَكْ نَبِكَ المَجْدَ والشرفا	وَنُعَزُّ طَرْفَ العين ما دمعا
فلقد فقدنا سيِّدَ الظرفا	وأجلَّ ساعٍ للعلاء سعي
لم يتخذ غيرَ العلا هَدَفاً	عن قوس همته إذا نَزَعا ^١
خبر طويئُ حشاي مرتجفاً	من هوله وسقطت مُنصِداً
ألقي بوجه حياتنا كلفاً	أو عاد لون العيش ممتنعاً ^٢
فالدمع من عيني إذا وَكفاً	جَلَلَّ وإن أرسلته دفعاً ^٣
صاحبت منه أخوا نهى ووفاً	يزهو النديُّ به إذا اجتمعاً
فسمعتُ من أقواله طَرْفاً	ورأيتُ من أفعاله بَدَعا
ساء المكارمَ كوئنه دِنفاً	يشكو إلى عُوَّاده الوجعا
الداء أذهب نفسه تَلْفاً	بُذِلَ الدواء له فما نجعا
بيروت منه أحرزت شرفاً	لَمَّا غدت لِغُلاه مُضطجعاً
لكنما قلب العراق هَفاً	حزنًا عليه إذ به فُجعا
وكفى بسعدونٍ له خلفاً	لفعاله في المجد مُتبعاً
يمشي على آثاره الخطفَى	ويقوم بالأعباء مضطلعاً



«عبدُ المجيد» قضى فوا حرباً	ماذا يرد إليَّ وا حَرْبي؟!
إن الرزايا قد قضت عجباً	مما رُزئنا من ذوي الحسبِ
رزءٌ أثار الحزن ملتهباً	في كل قلب أي ملتَهَب
وأسال غرب الدمع منسكباً	من كل عين إثر منسكب
وأمرَّ حلو العيش فانقلباً	بمحاوليه شر منقلب

في جانبها كل ذي أدب
يبغي الشفاء له من الوصب
يأتي من الآراء بالعجب
وتتال أقصى الأمر من كئيب
من بعد آخر غير مكتسب
يُرْهِى بغيطة كل ذي نسب
والحسُّ مصدره من العصب
وفقدت يا سعدون خير أب
صبراً لفقدك أكرم العرب
أكرمُ بمثلك أنت من عَقَب

فبكاه من بغداد مُنتحبا
يا راحلاً بالداء مغتربا
أوتيت فضلاً في النهى عجا
كم كنت تكشف فيه محتجبا
فبنيت مجداً منك مكتسبا
وبك العروبة قد زهت نسبا
قد كنت من عربيّة عَصبا
إنا فقدنا الظرف والأدبا
يا أكرم المتهذبين أبا
إذ كنت أنت لمثله عَقبا

^١ نزع: رمى بالسهم.

^٢ الكلف: جمع كلفة، وهي اغبرار لون الوجه.

^٣ وكف الدمع: سال قليلاً قليلاً.

هلم نبيك

هلمَّ نبيك النُّهى والعلم والشرفا
هلمَّ نبيك الذي كانت شمائله
هلمَّ نبيك الذي لم يغُلْ واصفه
عطا الخطيبَ الذي أَلَّ الخطيب به
نبيكي لمبكاھمُ حزناً بحيث نرى
قد فاجأته المنايا وهو معتدل
قامت بحسَّاده الأطماع هائجةً
فعارضوه بسيل من مكايدهم
وعرقلوا بدعاويهم مساعيهُ
فظلَّ يرُسُف في مسعاه مرتطمًا
حتى قضى راسبًا في مكرهم غرقًا
وبعدما قتلوه هكذا علموا
والمرء تظهر بعد الموت قيمته
لو عَجَل الله للحسَّاد لعنته
لكن يؤخِّرها عنهم إلى أجلٍ
هم جاوزوا العدل والإنصاف في رجلٍ
فَتَّى رزئناه بالأخطار مضطلعًا
لَمَّا رمى عن قِسيِّ الرأي مجتهدًا
ما شبَّ إلا على التَّقوى وكان له
مهذب الطبع عفُّ النفس ذو خلق
إذا تصورت في يوم خلائقه
وإن نظرت بإمعانٍ مساعيهِ
بيناه يدرك من دنياه زهرتها

فقد قضى من بهذا كان مُتَّصِفَا
كمثل قطر الغوادي رِقَّةً وَصفا
بالخير إلا رآه فوقَ ما وصفا
فَتَّت مصيبتهم أكبادنا أسفا
بدر التَّمام بأعلى أفقهم خُسفا
كالرمح دُق على الصفواء فانقصفا^١
لَمَّا رآوه مجَّدًا يطلب الترفا
قد سال فاكتسح الآمال واجترفا
ومدَّوا من دواهيهم له كِففا^٢
وكان يبني له من سعيه رَصفا
إذ عطل الموت منه الكف والكتفا
بأنهم قد أصابوا المجدَّ والشرفا
كمغرق اليمِّ بعد الانتفاخ طفا
لكان أسقط منها فوقهم كِسفا
يُخزي به كل من قد جار واعتسفا
ما كان قطُّ عن الإنصاف منحرفا
بالمجد مشتملًا بالفضل ملتحقا
لم يتخذ غير أسباب العلا هدفًا
قلب سليم بحب الخير قد شغفا
قد شابه الورد مشمومًا ومقتطفًا
فقد تصوَّرت منها روضةً أنفا^٣
فقد نظرت بعيني رأسك الشرفا
إذ جاءه الموت يمشي نحوه الخطْفَى^٤

أعظم به طودَ مجدٍ طال طائله
قد شرّفت بقعةَ الجيلِ حفرته

فكيف في ساعة بالموت قد نسفا؟!
كما ضريح عليّ شرّف النّجفا

^١ الصفواء: الحجر الصلد الضخم.

^٢ الكفف: جمع كفة، وهي حباله الصائد وشبكته.

^٣ الروضة الأنف: الجديدة النبت لم يرعها أحد.

^٤ الخطفي: مشية سريعة.

دمعة على صديق

قالها في رثاء صديقه الحميم عبد الوهاب المحمد أعا.

مضى عبْدٌ وهَّابِ الهباتِ لربِّه
مضى وهو محمود الخصالِ مخلِّفاً
مضى وله في كل قلب مكانةٌ
كذلك كنا معه قبل وفاته
وما زادنا إلا أسى بفرقه
إذا ما ذكرناه تفوح خلالُه
ونلجأ عند الإذكارِ إلى البكا
أخا سالم ما زلت عندي سالماً
تمثُّلك الذكرى لعيني جالساً
وتمزح طوراً ثم تتصاع ذاهباً
فتغضب أحياناً وتطرب تارة
طواك الردى عني وشخصك لم يزل
فما أنت ميتاً إذ خيالك سانح
ولا عجب، إن الحياة خيالة
سأنثر دمعي فيك نثر لآلي
لعلِّي بذا أقضي إخاءك حقه

فَلِلَّهِ من ماضٍ إلى ربِّه حُرٌّ
له عندنا آثارُ أخلاقه الغُرِّ
نديم له ذكراه بالحمد والشكر
نبجلُّه في السر منا وفي الجهر
فأمسى الأسى فينا له مالى الصدر
فننشق من تذكراها أطيب النشر
ونفزع من بعد البكاء إلى الصبر
وإن كان منك الشخص غيب في القبر
تحدثنا عما أهمَّ من الأمر
إلى الجدِّ تُغري بالحقيقة من تُغري
فتطرب من ذكر الحقيقة في شعري
بذكراك بعد الطيِّ متصل النشر
مدى العمر نصب العين في سانح الفكر
فلا فرق عندي بين شخصك والذكر
وأنظم شعري في رثائك من درِّ
وإن كان لا يُقضى بنظم ولا نثر

ميتة البطل الأكبر

أنشدت في دار المرحوم عبد المحسن بك السعدون في اليوم الثالث من انتحاره.

هكذا يُدرك في الدنيا الكمالُ	هكذا يُدرك في الدنيا الكمالُ
هكذا يشرف موت المبتغي	هكذا يشرف موت المبتغي
من كعبد المحسن الشهم الذي	من كعبد المحسن الشهم الذي
ما بعبد المحسن السعدون إذ	ما بعبد المحسن السعدون إذ
بل رأى أوطانه يُرهقها	بل رأى أوطانه يُرهقها
فانتضى الهمة كي ينقذها	فانتضى الهمة كي ينقذها
مارس الأحوال حتى إنه	مارس الأحوال حتى إنه
أعمل الرأي وقد جادله	أعمل الرأي وقد جادله
خذلوه فاغتدت آراؤه	خذلوه فاغتدت آراؤه
كم غدا ينصحهم حتى إذا	كم غدا ينصحهم حتى إذا
ورأى أن الذي يرجوه من	ورأى أن الذي يرجوه من
جاد للأوطان منه بدم	جاد للأوطان منه بدم
والفتى الحر له في موته	والفتى الحر له في موته
إنه لما أرادت نفسه	إنه لما أرادت نفسه
ميتة الأبطال فيها شممٌ	ميتة الأبطال فيها شممٌ
نال بالموت حياة ما لها	نال بالموت حياة ما لها
هو حيّ أبد الدهر فما	هو حيّ أبد الدهر فما
إن يكن قد زایل القوم فما	إن يكن قد زایل القوم فما
أو يكن عن أعين القوم اختفى	أو يكن عن أعين القوم اختفى
وإذا التاريخ أجرى ذكره	وإذا التاريخ أجرى ذكره
فاندبوا يا قوم منه بطلاً	فاندبوا يا قوم منه بطلاً

هكذا في موتها تحيا الرجالُ	هكذا في موتها تحيا الرجالُ
شرفاً ليس إذا ريم ينال	شرفاً ليس إذا ريم ينال
حفه بالموت عزٌ وجلال؟!	حفه بالموت عزٌ وجلال؟!
رام قتلَ النفس مَسَّ أو خبال	رام قتلَ النفس مَسَّ أو خبال
من بني الغرب انتدابٌ واحتلال	من بني الغرب انتدابٌ واحتلال
كانتضاء السيف ما فيه كلال	كانتضاء السيف ما فيه كلال
شاب في إصلاحها منه القَدال ^١	شاب في إصلاحها منه القَدال ^١
فيه بعض القوم واشتد الجدال	فيه بعض القوم واشتد الجدال
كسهام كسرت منها النصال	كسهام كسرت منها النصال
راء أن الداء في القوم عُضال ^٢	راء أن الداء في القوم عُضال ^٢
طلب استقلالهم شيء محال	طلب استقلالهم شيء محال
لسوى أوطانه ليس يُسال	لسوى أوطانه ليس يُسال
سعةً إن ضاق بالنفس المجال	سعةً إن ضاق بالنفس المجال
ميتة حمراء ما فيها اعتدال	ميتة حمراء ما فيها اعتدال
طأطأت من دونه الشم الجبال	طأطأت من دونه الشم الجبال
أبد الدهر فناء وزوال	أبد الدهر فناء وزوال
ضره من هذه الدنيا انتقال	ضره من هذه الدنيا انتقال
لمساعيه عن القوم زيال	لمساعيه عن القوم زيال
فله في أنفس القوم خيال	فله في أنفس القوم خيال
أخذ التأريخ بالفخر اختيال	أخذ التأريخ بالفخر اختيال
هو للأبطال حُسن وجمال	هو للأبطال حُسن وجمال

وأقيموا عاليًا تمثاله
واقصدوا مرقده حَجًّا فلا
واتركوا الغرب وأهليه ولا
وعلى أنفسكم فاتكلوا
فالمواعيد التي قد وعدوا
كلما قال لنا ساستهم
هكذا كونوا وإلا فاعلموا

فهو للأوطان عز وجلال
غروَ إن شدت لمثواه الرجال
تسمعوا منهم إلى ما قد يقال
خاب من فيه على الغير انكال
كلها منهم خداع واحتيال
نقضت أقوالهم منهم فعال
أنما استقلالكم شيء محال

منظر الرافدين

شب الأسى في قلوب الشعب مُستعرا
يوم به كل عين غير مبصرة
يوم به البرق رجَّ الرافدين أسى
فلو ترى القوم قاموا في ضفافهما
خلت العراقيين خَدَي ثاكل وهما

يومَ ابنُ سعدون عبد المحسن انتحرا
إذ كان إنسانها في الدمع منغمرا
غداة أدَّى إلى أقصاهما الخبرا
واستنزفوا من شئون الدمع ما غزرا
سَطران للدمع في الخدين قد سُطرا

الشعر والدمع

لله يوم فقدنا فيه مُضطلعا
يوم قد انهلَّ فيه الشعر منتظما
فبالدموع بكت في يومه شيعُ
فالشعر قد قرَّط الأسماع مندفعا
والدمع والشعر ممَّن قد بكى بهما
كلاهما انسجما حتى كأنهما
فالشعر من هذه الأكباد بلَّ صدى

بالأمر يُمعن في تدبيره النظرا
كما قد انهلَّ فيه الدمع منتثرا
وبالقوافي بكت في يومه الشعرا
والدمع قد قرَّح الأجفان منحدرًا
كلاهما حكيا في يومه الدررا
تسابقا في انسجام عندما انهمرا
والدمع من هذه الأوطان بلَّ ثرى

أبو علي وعزائمه

أبو عليٍّ قويٌّ في عزائمه
أخلاقه كالخضمِّ الرهو تحسبه
إذا أتاه شكِّي القوم قابله
ويهزم الجمع مجتثًا مكايده

لو رام بالعزم دحرَ الجيش لاندحرا
سهلاً ولكنه صعب إذا زخرا^٣
بكالنسيم جرى في روضة عطرا^٤
بكالعواصف هبَّت تقلع الشجرا

لما رأى الوطن المحبوب محتملاً
سعى لإنقاذه بالرأي مجتهداً
كم بات سهران في تحقيق مُنيته
وكم سعى راجياً تخليص موطنه
حتى إذا لم يجد للأمر مَتْسَعاً
أرمى مسدسه في صدره بيد
فيا لها رمية حمراء دامية
قد كان يحيا حياة غير خالدة
لو نَقْترى صحف التاريخ نسألها
لما رأينا كبيراً مات ميته
ما كان أشرفها من ميتة تركت
كنّا نقاسي ضللاً قبلها فإذا

يا أهل لندن

يا أهل لندن ما أرضت سياستكم
إن انتدابكم في قلب موطننا
وللمشورة في أوطاننا شبح
يجول في طرقات البغي محتقبا
لم يكفه أنه للحكم مغتصب
إذا رأى نهضة للمجد أقعدها
فكم ضغائن بين القوم أوجدها
في كل يوم لنا معكم معاهدة
جَفَّت بها سرحة استقلالنا عطشا
تقسو قلوبكم لما نفاوضكم
أما مواعيدكم فهي التي انكشفت
لا تفخروا أن كسرتم غرب شوكتنا
لا تستهينوا بنا من ضعف قوتنا
هذي البلاد اغرسوا فيها مودتكم
نكن لكم جلف صدق في سياستكم
لسنا بقوم إذا ما عاهدوا نكثوا
ولا نحالف أحلاقاً فنخذلهم

من الأجانب ما قد عمه ضررا
بالعزم متشحا بالحزم مؤتذرا
وفي الأمانى ما يستوجب السهرا
والشعب كان لما يرجوه منتظرا
ولم يجد عن بلوغ العز مُصْطبرا
لا تعرف الضعف في المرمى ولا الخورا
قد مات منها ولكن بعدها نُشرا
واليوم يحيا حياة تملأ العُصرا
عمن يساويه في الدهر الذي غبرا^٥
ولا وجدنا وزيراً مثله انتحرا
في نفس كل فتى من غبطة أثرا
بها الطريق إلى استقلالنا ظهرا

أهل العراقيين لا بدوا ولا حضرا
جرح ندائيه لكن لم يزل غبرا^٦
تخيف صورته الأشباح والصورا
للغش خلف ستار النصح مستترا
حتى غدا يقتل الآراء والفكر
وإن رأى فتنة مشبوبة نعرا
وكم بذور من التفريق قد بذرا!
نزداد منها على أوطاننا خطرا
حتى إذا ما مسنا عودها انكسرا^٧
كأنما نحن منكم ننقر الحجرا
عن مين من مان أو عن غدر من غدرا^٨
لا فخر للصقر في أن يقتل النغرا^٩
فكم ذبابة غاب أزعجت ثمرا!
ثم اقطفوا من جناها ودنا ثمرا
نمشي إلى الموت من جرائكم زمرا
ولو جرى الدم حتى أشبه النهرا
ولو لبسنا المنايا دونهم أظرا

فنحن أوفى الورى بالعهد شينشنة

ونحن أرفعهم في المكرمات ذرا ١٠

سعد وسعدون

سعد وسعدون محمود مقامها
كلاهما قد فدى بالنفس أمته
فكان بينهما بون وإن غدوا
فإن سعدون داني الشمس منزلة
هذا هنا قد سعى للمجد مبتدرا
يا أهل مصر وأنتم مثلنا عرب
إن كان قد أرخص الأموال سعدكم

هذا بمصر وهذا هنا اشتهدا
لكن سعدون لا سعدا قد انتحرا
في الشرق أعظم مذكورين ما ذكرا
وإن سعدا بمصر قارن القمر
وذا هناك سعى للمجد مقتدرا
ما قلتم عندما أعلمتم الخبرا؟!
فإن سعدوننا قد أرخص العمر

أيها البطل

نم أيها البطل الفادي بمهجته
نم نومة تجعل التاريخ محتفيا
فليعتبر بك هذا الشعب مفتديا
فسوف تحمدك الأوطان شاكرا
أيتركون الذي قد كنت تطلبه
فالشعب منهم مريد ما أردت له
يا من له مينة بكر معظمة

أوطانه نومة تستيقظ العبرا
بها لنهضة أهل الشرق مدبرا
إن كان شعبك بعد اليوم معتبرا
ماذا ستفعله من بعدك الوزرا؟
أم هم سيقضون من مطلوبك الوطرا؟
وليس يقبل عذرا ممن اعتذرا
لا غرو أن قلت فيك الشعر مبتكرا

١ القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

٢ راء: رأى.

٣ الخضم: البحر العظيم. والرهو: البحر الساكن.

٤ الشكي: المشتكي.

٥ افتري: تتبع واستقصى.

٦ الجرح الغبر: الذي اندمل على فساد ثم انتقض.

٧ السرحة: الشجرة الطويلة، أو التي لا شوك بها.

٨

المين: الكذب.

^٩ الغرب: الحدة. والنغر: البلب أو فرخ العصافير.

^{١٠} الشنشنة: الخلق والطبيعة. والذرا: جمع ذروة، وهي القمة.

ذكرى فتي السعدون

إذا ما الفتى في دهره أحسن الظنًا
وما الحزم إلا أن نرى الدهر هاجمًا
وما الدهر إلا مُبهرٌ في طباعه
يروع بنيه صائلاً بنباته
يذفُ عليهم بالظبا من خُطوبه
وما شُبهه إلا مخالب كيده
إذا ما تشمّمت الزمان وطبعه

فما أدرك المَغزَى ولا فهم المعنى
فنبني من تدبيرنا دونه حصنا
يغرّر بالأقوام يفتتهم فتنا^١
فقد ضلّ مَنْ مِن دهره يطلب الأمانا^٢
فكم جدعت أنفًا وكم صلمت أذنا!^٣
ثمُّدْ بجوف الليل داميةً حجنا^٤
تشمّمت من أعماق طينته نتنا



إليك فتي السعدون جئتُ مهنتًا
إذا ما ذمنا الدهر يومًا وأهله
أتى يومك الدامي بذكراك حافلًا
ففي مثل هذا اليوم بتّ مضرّجًا
وفي مثل هذا اليوم في حفرة البلى
عشية أطلقت المسدسَ ناره
فلله نارٌ قد بردت بحرّها
لئن أفقدت بالموت قلبك نبضه
وكم أنطقت دمع المحاجر بالأسى
فيا طلقه ريع العراق بصوتها
وردد مجرى الرافدين لصوتها
لقد جمع الأموال باسمك معشر
وما علموا أن المباني كلها
وأعظم تخليدًا لذكراك منهم
سعيت إلى استقلال قومك مخلصًا

بما نلّته عند الإله من الحسنى
فإنك من تلك المذمّات مُستثنى
فجدد في كل البلاد لنا حُرنا
وبتنا نحكي في مدامعنا المزننا
جعلنا بك الآمال مدفونة هنا
على قلبك الخفاق من يدك اليمنى
وإن سال منها دمعنا بالجوى سُخنا
فكم أنبضت بالحزن أفئدة منا
على أنها بالهول أخرست اللسنا
فبانّت به الآفاق عابسةً دُكنا
صدى الحزن من أقصى العراق إلى الأدنى
لتخليدهم ذكراك في معهد يُبنى
وإن قويت تفنى وذكرك لا يفنى
فعائلك الغراء والخلق الأسنى
وما كنت في يوم على القوم ممتنا

وقمت بأعباء السياسة ناهضًا
وأبديت في تلك المواقف كلها
فإن كنت لم تتجح فليس لعلّة



بهمة لا وإن ولا ناكص جنبنا
أصالة رأي قط لم يعرف الأفنا
سوى أن خصم القوم في كيده افنتنا

زكت لك نفس بين جنبيك حرة
لنا المثل الأعلى بحلمك والندی
فأحنف ربّ الحلم بالحلم فقنّه
ألست الذي قد رام قتلك قاتل
سببقي على الأيام ذكرك خالدا



فلا أظهرت كبرًا ولا أضمرت ضغنا
فكم بهما أثنى عليك الذي أثنى
وفي الجود قد فُتّ ابن زائدة معنّا
فأطلقته عفواً وأوسعته مَنّا
به صحف التاريخ قاطبة تُعنى

فيا بطلاً بالنفس ضحى وإنما
فعلّمنا أنّ التقادي واجب
سنسعى إلى ما قد سعيت من العلا
وإنّا لقومٌ مستقلّون فطرةً
فلو جُعِلت تبرًا سبيكًا ببيوتنا
يهون علينا في السياسة أننا
ولسنا نبالي دون إحياء مجدنا
إذا أدرك المجد المؤئل معشرٌ
نفوسًا وراثها كبارًا أبية

بذلك لاستقلالنا سُنّة سنّا
على كل قوم حاولوا شرف المَغنى
بصادق عزم ينكر الضعف والوهنا
إذا أنكر استقلالنا منكرٌ ثرنا
ولسنا بحكام أبينا بها السُكنى
نصلّب في الأعواد أو ندخل السجنا
أعشنا على وجه البسيطة أم مُتنا
أحدًا، فإنّا نحن ندركه مثنى
أبت في الدنا أن تحمل الضيم والعَبنا

١ المبهر: اسم فاعل من أبهر؛ إذا جاء بالعجب.

٢ بنات الدهر: حوادثه.

٣ ذف عليه: أجهز عليه. والظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف أو سنانه.

٤ الحجناء: العوجاء، جمعها: حجن.

٥ الأفن: ضعف الرأي.

ابن جبران

مَنْ سامع قصة لي كنتُ شاهداً
فقد رأيتُ غلاماً صبيغَ منفرداً
البدنُ يبدو حقيراً عند طلعتَه
في عينه حَوْرٌ في ثغره شنبٌ
إذا رَنا ناظرًا يرنو بساحرة
عليه ثوب بديع النسج طُرتَه
في جانبٍ منه تلقى الدرَّ منتظماً
وللعواطف في أثناؤه صور
تقاوح الطيبُ من أردانه عبقاً
تستخلص النفسُ من فحوى ملامحه
أبصرته واقفاً يبكي وأدمعه
يبكي وألحانُ موسيقاه مُشجية
يبكي وأنغام موسيقاه مطربة
يبكي فيرفضُ عقد الدمع منتثراً
لما أراني جلالَ الحسن ممتزجاً
فقمّت بين أناسٍ حوله وقفوا
وكلهم وقفوا مستسلمين إلى
حتى سألت عن الباكي وقصته
أبوه جبران أفناه الردى فغدا
فقلت: لم يفنَ جبران بميتته
بل أصبحت بابه ذكراه خالدة
إني أرى روحَ جبرانٍ مُرفرفةً

على الربا الخضر من جنّاتِ لبنان؟
بالحسن يصبو إليه كل إنسان
والشمسُ تعنو لوجهٍ منه نوراني
يفترُّ عن عَقْدِ دُرٍّ وسط مرجان
أو انثى ينثى من عطفِ نشوان
من صبغةِ المجد قد زينت بألوان
والدر منتثراً في الجانب الثاني
جادت بها ريشة في كفّ فنان
كما تقاوح أزهار ببيستان
أن الغرام الذي يُخفيه رُوحاني
توحي إلى كل قلب وحي أحزان
تهفو بأفئدةٍ منا وآذان
نهتزُ منهمنَّ أرواح بأبدان
بغير وزن وأحياناً بميزان
بروعة الحزن أشجاني فأبكاني
مستعبرين وكلُّ نحوه ران^١
تنهّدتِ وآهاتٍ وإرنان
فقيل: هذا هو الشّعْر ابنُ جبران
من بعده رَهْنٌ يُتم جُلْفَ أشجان
من خَلْفِ ابنًا كهذا ليس بالفاني
ما دام لبنان مأهولًا بإنسان
على الربا الخضر من جنّاتِ لبنان

^١ المستعير: الباكي.

جبر ضومط

وليس لكسر الموت في طَبْنَا جبر
لُغْرُ المساعي كان في عيشه نشر
تبسّم فيها العلم والفضل والفخر
يطيب له مدّ الزمان بها ذكر
وأثاره في نشر آدابها غرّ
ولكن له الإبداع والفكرة البكر
ولكنه في العلم كان له فكر
كما شقَّ بُرْد الليل مذ طلع الفجر
تلاميذه من بعده فهم كثر
ومن لفظه درٌّ ومن علمه بحر
يضيء به للعلم في أفقها بدر
ويرثيه من أبنائها النظم والنثر
وأفجعها أن يُفقد العالم الحَبْر
يمثلها في كل يوم لنا الدهر
ممثلة ما كان آخرها القبر

بكى الفضلُ لَمَّا أن قضى نحبه جبرُ
طوى الموت من جبر بن ضومط فاضلاً
مضى بعدما أمضى حياة سعيدة
وخلف آثاراً خوالد بعده
على اللغة الفصحى أياديه جمّة
وما كان يبيدي الرأي فيها مُقلداً
وما كان في استقرائه العلم جامداً
يشقُّ حجاب المشكلات برأيه
ومن شكّ فلينظر بكل مدينة
ليبصر منهم من جواه متقف
رزئناه في كلية العلم هادياً
سبيكيه في كلية العلم منبراً
فواجعنا في ذي الحياة كثيرة
ألا إنما هذي الحياة رواية
ولو لم تكن للفاجعات فصولها

أبو الملوك

بدا وجه العروبة في حُلوك
قضى متنازلاً بعد اعتلاء
قضى في المجد ليس بذِي نظير
مليكٌ واصل الإقدام حتى
لقد سلك الطريق إلى المعالي
وجدد للعروبة غرس مجدٍ
وأحدث نهضة في العرب هزّت
وأثبت بالسيوف لهم حقوقاً
ولكن غشّه الحلفاء حتى
وخانوا لم يفوا بعد انتصار
خطبنا ودّهم فتقبّلونا
وكم وعدوا بني قحطان وعدّا
لقد سترُوا شنيع الغدر منهم
فساستهم إذا وقعوا بضنك
وأبدوا في الرخاء لنا عبوساً
ونحنُ العُربُ نأبى غيرَ عزٍّ
ويومَ الروع تنتظم المنايا
ونمضغ في الهياج الموت دون الـ
وما عاب الفتى جسمٌ هزيل
وما الشرف الحميد سوى فعالٍ
قرينَ القبلتين عليك نبكي
فقدنا منك خير زعيم قوم
لقد ناح العراق عليك حزناً

غداة قضى الحسين أبو الملوك
كذاك الشمس تجنح للدلوك^١
وفي العزّات ليس بذِي شريك
أتاه بهلكه يوم الهلوك
إلى أن مات محمود السلوك
قديم كان كالعذق التريك^٢
جنوب الأرض كالريح السّهوك^٣
مؤيدة بكل دم سفيك
أتوه من الثعالب في مسوك^٤
بما كتبوه في بطن الصكوك
بعاطفة كعاطفة الفُرُوك^٥
به انقلب اليقين إلى شكوك
بثوب من سياستهم مَحوك
أرونا الودّ في وجه ضحوك
وهذا عُدٌّ من شيم الهلوك^٦
ونطمح في الحياة إلى السُموك^٧
ولم تكن السيوف سوى سلوك
—عُلا مضغ الأوانس للعلوك^٨
إذا ما كان ذا شرفٍ وديك^٩
حميد من معادننا سبيك
دمًا بالدمع من طَرف مَسِيك^{١٠}
وخير نضيج تجربة حنيك
وضجّ من الخليج إلى تبوك

لقد نُزّهت من غمزٍ ولمزٍ كما نُزّهت من شعرٍ ركيكٍ

-
- ١ الدلوك: الغروب.
 - ٢ العنق: عنقود العنب، أو ما يشبهه من النخلة. والتريك: المتروك؛ أي الذي أكل كل ما عليه أو بقي فيه شيء قليل.
 - ٣ الريح السهوك: العاصفة الشديدة.
 - ٤ المسوك: جمع مسك بفتح الميم، وهو الجلد.
 - ٥ الفروك: المبغضة للناس عامة، أو التي تبغض زوجها.
 - ٦ الهلوك: الفاجرة ذات الشهوة الشديدة.
 - ٧ السموك: جمع سمك، وهو السقف أو أعلى الشيء.
 - ٨ العلوك: جمع علك، وهو اللبان.
 - ٩ وديك: سمين.
 - ١٠ الطرف المسيك: العين التي لا تدمع كثيرًا.

الشيخ قاسم مدرس جامع النعمانية

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت
بكاه التَّقَى والعلم والحلم والنُّهى
فقدنا الذي قد كان في العلم عَيْلَمًا
لئن قد طواه الموت عنا فذكره
رُزئناه حَبْرًا في الطريقة مرشدًا
عفت أَرْبُع الإرشاد بعد ارتحاله
حليف التَّقَى ما دنس الدهر ثوبه
ترحَّل للأخرى وأبقى مناقبًا
يصوم نهار الصيف لله طائِعًا
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهه
ولما مضى للخلد قلت مؤرخًا:

جواهرُ فضلٍ ما لها الدهرَ قاسمُ
وحسن السجّايا والعُلا والمكارم
فماجت لَمَنعاه البحارُ العيالم^١
من العلم منشور على الدهر دائم
به اتضحت للسالكين المعالم
وكانت به منها تقام الدعائم
بإثم ولا مرت عليه المحارم
تضيء من الدنيا بهن المواسم
ويحيي الليالي وهو لله قائم
دلائل من نور الهدى وعلائم
«لقد بات في أعلى الفراديس قاسم»

^١ العيلم: البحر، أو البحر الزاخر.

غريق دجلة

يا من قضى بين المياه غريقاً
قد كنت فينا دُرَّةً فلأجل ذا
سَعْدَيْكَ يا «توماس» إنك لم تمت
لكن رَقِيت إلى السماء لثُجَّتِي
يا كوكباً عجل الردى بأفوله
إن كنت غبت عن العيون فإنما
عشقتك كل فضيلة وعشقتها
هَصَرَتْكَ أيدي الموت غصناً ناضراً
إن العراق على بضاضة قُطره
للَّه مَنَعَاكَ الجليلُ فإنه
إن كان شخصك بات في قيد الثرى

أذكى فراقك في القلوب حريقاً
تَخَذَ الحِمَامُ لك المياه طريقاً^١
ما دام ذكرك في الحياة عريقاً
لله في أعلى السماء رفيقاً^٢
من بعد ما ملأ السماء شروقا
أُسْكِنْتَ طي قلوبنا موموقاً^٣
لله درُّك عاشقاً معشوقاً
تهتز في رَوْضِ العلاءِ وريقاً^٤
أَمْسَى بفقدك يابساً معروقا
أعيا البليغَ وأخرس المنطيقا
فجميل ذكرك لا يزال طليقا

^١ اتخذ: اتخذ.

^٢ اجتباه: اصطفاه واختاره.

^٣ ومقه: أحبه.

^٤ الوريق: المورق.

شهداء الطيران

فتَمَّ لهم على الدهر البقاء^١
فهم لعزیز موطنهم فداء
مخلّدة يجلّلها الثناء
بها من حسنٍ مقدّمهم بهاء
نسورًا في الجنان لها اعتلاء

قضوا شهداء ليس لهم بواء
قضوا لعزیز موطنهم ضحايا
لهم في موتهم هذا حياة
تباشرت الجنانُ بهم فأمست
وحيًا «جعفر الطيار» منهم



بأجنحة الرياح لها ارتقاء
كما جالت بأوردة دماء
لعصر الكهرباء بها ازدراء
إلى زُهر النجوم له انتماء
فتعصف منهما الريحُ الرخاء
عن القوس الشّروح له ارتماء^٢
ويسمع كالرعود لها رغاء
بها في الأرض يندك البناء
إلى حيث احتفت بهم السماء
يُصغّرُها بأعيننا السّناء
وفي أوطانهم منهم رجاء

وطائرة مرفّعة الدُّنابى
يجول بها من البنزين روحُ
بعصر الكهرباء أتت فأمسى
تمرُّ كأنها في الجوّ نسر
وتختبئ الهواء بساعديها
فتمضي في السماء مُضيّ سهم
فبيصر كالنجوم لها علوّ
وقد ترمى الصواعق محرقات
قد امتطّوا الرياح بها فطاروا
سمّوا فتضاءلوا فحكّوا نجومًا
وفيهم كان للأوطان حبّ



بهم في الجوّ ريحٌ جريباء^٣
ولا منجاة إن نزل القضاء
بأعيننا قد اسودّ الفضاء
تنوح بها الحرائر والإماء
ولطّمت الخدود لكم نساء

ألا يا طائرين قد استقلتُ
لقد نزل القضاء بكم أليماً
فتمت مية بيضاء منها
لقد عظمت مناخكم فقامت
وشقّقت الجيوب لكم رجال

حياة ليس يدركها الفناء
لموطنكم نهوضٌ واعتلاء
ففي شَبَّانِه لكم الكِفَاءُ
ولولا ذَلِكُمْ عَزَّ العزَاءُ

غبطنا ميتةً قد أعقبَتكم
لكم بسقوطكم شرفٌ ففيه
ولا تأسُوا على الوطن المَفْدَى
فهم خلفٌ لكم فيما أردتم

^١ البواء: المثل والنند.

^٢ الشروح: الشدید الدفع للسهم.

^٣ الريح الجريياء: ریح الشمال أو بردها.

إلى أمين نخلة

في رثائي أبا أمينٍ رشيدا
حاز منه قريبه والبعيدا
نال منه قديمه والجديدا
أطلعته للمجد طَلْعًا نضيدا
مستظلاً منهن ظلاً مديدا

حَقٌّ للدمع أن يكون نشيدا
ألمعي تبوّع المجد حتى
وتعالى إلى أعاليه حتى
أنجبتَه أصولُ «نخلة» حتى
فنما في بواسقِ المجد فردًا



ت وقيدًا، أويّت ركنًا شديدًا^١
تلق في الهيج بُهمة صنيديدا^٢
كان بدعا في المكرّمات فريدا
كان في الشعر مفلحًا ومجيدا^٣
فكها مازحًا رقيقًا سديدا
ة بأسٍ تُفتت الجُلُمودا
مع إلا مستحسنًا مستفيدا
ثم شيخًا في التجربات عميدا
لم نجده إلا لخيرٍ مريدا
ليس في المستطاع أن يستزيديدا
قد رُزنناه في أهلك مجيدا
كنّ للحزن في القواد وقودا
خلفًا للفقيد ضاهي الفقيدا^٤
قادرًا باجتهاده أن يسودا
لك يرجو عمرًا طويلًا سعيدا
لد مجدًا في الماجدين تليدا
أن تعيد المجد القديم جديدا!؟

كان شهماً، إن جنّته في المُلما
وشجاعاً إن جنّته يوم هيّج
وكريمًا زكت سجاياه حتى
وفصيحا إن أنشد القوم شعراً
كان أطروفة الزمان ظريفًا
رقة فاقت النسيم إلى شد
إن شدا بالقريض لم تبصر الأد
ساد في الناس يافعًا ثم كهلاً
جُبلت نفسه من المجد حتى
بلغ المنتهى من المجد حتى
يا سليل الفقيد أعظم بمجد
أنا شاطرتك الأسى بدموع
وتأملتُ منك حرًا كريمًا
عازمًا في الفعال أن يتسامي
فلهذا أقول قول مُعزّ
يا أمين الرشيد أودعك الوا
كيف لا نرتجي وأنت أمين

فكن أنت يا أمين مُعيدا إن يكن مُبدئين آباؤك الغُرُّ

١ الوقيد: الشديد المرض، المشرف على الموت.

٢ الهيج: الحرب. والبهمة: الشجاع.

٣ الشاعر المفلق: المبدع.

٤ ضاهى: شاكل ومائل.

في يوم أبي غازي

القصيدة العصماء التي ألّفها شاعر العرب الكبير الأستاذ معروف الرصافي في حفلة تأبين فقيد العرب العظيم المغفور له الملك فيصل الأول طيب الله ثراه.

فأنطقنا التهاني والتعازي
بإنشاءٍ لهنّ وبارتجاز^١
حكى يوميّ عكاظ وذو المجاز
وحزنًا يجريان على التوازي
خوافق في جوانحنا نوازي^٢
وكنّ من اهتياجٍ في اهتزاز

أبو غازي قضى فأقيم غازي
وأطلقنا المدائح والمراثي
وجئنا حاشدين بصدر يوم
غداةً قلوبنا امتلأت سرورًا
فهنّ بعاملني فرح وحزنٍ
فكنّ من ابتهاجٍ في هدوءٍ



وحيدة المعارك والمغازي
لمرزئة محت كل المرازي
برزء للحسين أولو اجتياز
يفرّق في البكاء ولا امتياز
لها بهما غنى عن حزو حاز^٣
فأسسه على المجد الحجازي
بحسن الرأي مُعلّمة الطراز
ولا فُرصًا تمر بلا انتهاز
وإن سلّ المهند قال ماز^٤

قضى بدرُ المكارم والمعالي
فيا لله يوم نعاه ناع
رزئنا ابنَ الحسين فنحن منه
فما ميّز المحرّم من جُمادى
له كفّ تفيض ندَى ونبلاً
بنى مجداً عراقياً جديداً
وسار من السياسة في طريقٍ
فما ترك الجهود بلا نجاحٍ
إذا اعتزم الأمور مضى وأمضى



يُنَاجز دوننا يوم النجاز^٥
بحيث الأرض جيدة الركاز^٦
وقبلاً كان عنه ذا انحياز

أبا غازي فقدنا منك قرماً
حللت من العراق وأنت ركزٌ
فحلّ اليُمن منذ حللت فيه

لقد وُفقت بالقلم المسلي
ومهدت الأمور لنا ففرزنا
ودرّت ذات أيدينا وكانت
ولولا سعيك المشكور كنا
إذا المكاء أوتي منك حظًا

كما وفقت بالسيف الجراز^٧
من الآمال بالغرر العزاز
كحلب النوق أيام الغراز^٨
كذي سفر يسير بلا جواز
يطير إلى العلا بجناح باز^٩



لأهل الرافدين عليك حزنٌ
فأنت هديتهم سبُل المعالي
لئن لبسوا الحداد عليك حزنًا
وما هو بالبكاء جزوك شيئًا

له بقلوبهم فضل ارتكاز
كما جنّبتهم طرق المخازي
فقد ألّبتهم ثوب اعتزاز
ولكنّ الإله هو المجازي



لقد قوّيتنا من بعد عجزٍ
وكنا كالبغاث فقمّت فينا
فنحن اليوم إذ دهمت خطوب
نقوم إلى الهياج بلا توانٍ
فلسنا من صروف الدهر نخشى
ونحن من الألى في كل عصر
نراعي الحق في سلم وحرب
ولو شكّت الحقيقة لانتزعنا
وقد علمت بنو آثور أنا
فنحن بسيفك الماضي جرزنا

به كنا نحيد عن البراز^{١٠}
بما صرنا به مثل البوازي^{١١}
نظرنا للخطوب بطرف هازي
ونبتدر الأمور بلا احتراز
عوادي ذات سلب وابتزاز
عزا لهم المكارم كلّ عاز
ونترك في مغارمنا التجازي
شكايتها بتضحية المجازي
أولو بأس يعرقب كل ناز
نواصي جمعهم أيّ اجتزاز



أفَيَصِلُ نمّ بقبرك مستريحًا

فإن الملك بعدك ملكٌ غازي

١ الارتجاز: قول الرجز.

٢ النوازي: الواثبة الخافقة.

٣ حزو حاز: تبصر متبصر، والحازي الخبير بالأمور.

٤ المهند: السيف من صنع الهند. وماز الشيء: فرزه عن غيره.

٥ القرم: السيد. ويناجز: يقاتل.

الركز: الرجل الحكيم الكريم، والركاز: ما ركزه الله؛ أي أحدثه ودفنه في المعادن من ذهب وفضة وغيرهما.

٧ السيف الجراز: القاطع.

٨ درت ذات يده: اتسعت حاله واغتنى. وأيام الغراز: التي لا لبن فيها.

٩ المكاء: طائر من القنابر، له تصعد وهبوط في الجو، أبيض اللون وله صغير حسن. والبازي: من الطيور الجارحة.

١٠ البراز: المباراة والقتال.

١١ البغاث: طائر أغبر أصفر من الرخم، بطيء الطيران، يضرب به المثل في الضعف.

ذكرى الكاظمي

أنشئت في حفلة أقيمت في بغداد سنة ١٩٣٥ لتأبين شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي، وكان قد توفي بمصر.

ليس في غاية الحياة البقاء	فلذا خاب في الخلود الرجاء
غير أن الحياة بالعز عند الرّ	جل الحرّ غاية غراء
أي فخر للناعمين بعيش	لم تجلّله عِزة قعساء؟!
حسب من رام في الحياة خلودًا	أنه بعد موته علواء
وكفى المرء بعد موت حياة	أنّ ذكره حلوة حسناء
قد قضى الكاظمي وهو جدير	أن تعزّي في موته الشعراء
عاش منسي عارفيه ولمّا	مات فاضت بنعيه الأنباء
ذكرته نُعاته بنعوت	قبله حاز مثلها العظماء
فلئن كان ما يقولون حقًا	أفهم بالذي نسوا لؤماء؟
كيف ينسون في الحياة أديبا	عبريّا عنت له الأدباء
أفئسي حيّا ويُذكر ميتا	إن هذا ما تنكر العقلاء
إن هذا أمرٌ يتيه ضلالًا	في بوادي تفسيره الحكماء
ضحكوا منه في الحياة ومذ ما	تّ تعالى نحيبهم والبكاء

أيها النادبون

أيها النادبون غريّ غرّوا	برّح اليوم للبيب الخفاء ^١
يكرم الميت بالثناء وتحيا	عندكم في المهانة الأحياء
كلّ من يخبر الأناسي خبري	لا يبالى أحسنوا أم أساءوا
أنا جرّبتهم إلى أن تساوى الـ	يوم عندي سبائبهم والثناء
غرّي الناس بالهوى فضلال	كلّ ما يفعلونه أو رياء ^٢
قد تمادى في القائلين غلو	وتوالى في الفاعلين رياء

أيها الكاظمي نَمَ مستريحًا
عشت في مصر باحترام يؤدّي—
إنَّ للنيل من جزائك شكرًا
لم تعش عيشة الرفاه ولكن
أُيِّ حر في الشرق عاش سعيدًا
وهنيئًا إذ لم تعش في العراقي—
من شقاء العراق أنَّ ذوي النع—
إن جفتنا بلادنا فهي حبٌّ
لم نحل عن عهدنا مذ جفتنا
قد بكينا شجراً عليها ومنها
كم أردنا سخطاً عليها ولكن
إنما هذه المواطن أمٌّ
إن خدَمنا فلا نريد جزاء

حيث لا مبغض ولا إيذاء
—ه إليك الأمائل الفضلاء
ستؤدّيه دجلة اللسان
لك في العيش عزة وعلاء
لم تشب صفو عيشه الأقداء
—ن مضاعًا تنتابك الأرزاء
—مة فيه أجانِب غرباء
ومن الحبِّ يُستلذُّ الجفاء
بل لها الودُّ عندنا والوفاء
وعَنانا سَقامها والشقاء
غلب السخط في القلوب الرضاء
مُستحق لها علينا الولاء
ومن الأم هل يُراد جزاء؟!

^١ برح الخفاء: زال اللبس والغموض.

^٢ غري الناس بالشيء: أولعوا به.

رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر

ألقيت في الحفلة التأبينية الكبرى في نابلس سنة ١٩٣٢.

الشعر بعد مصابه بكبيره
بيناه يبكي حافظاً بشهيقه
لم يقضِ بعض حداده لنصيره
ما إن خبت في الأفق شعلة نوره
بالأمس ظل مرزاً بمبينه
أخذت فرزدقه المنون وضاعفت
رزان ملتهبان قد نضحتهما
فالشعر بعدهما استطال بكاؤه
وهزاره ترك الصداح وليثه



يا نيرًا فجع القريض بموته
وخلت سماء الشعر بعد أفوله
ومؤمراً لم تنتفض بوفاته
إذ لن يقوم نظيره من بعده
لك في الخلود مكانة ما نالها
إن الدفين مضمخاً بحنوطه
إن المتوج فوق عرش ذكائه
ما مات من تركت لنا أقلامه
صوراً تمثل ذاته وصفاته
فكانه وهو الدفين بقبره
وكانه في القوم ساعة حفلهم

فبكته عين وزينه وكسيره
من مشرقات شموسه وبدوره
في الشعر بيعته على تأميره
هيهات أن تأتي الدُّنا بنظيره
فرعون في ديماسه وحفيره
دون الدفين محنطاً بشعوره
يعلو المتوج فوق عرش سريره
صوراً خوالد من بنات ضميره
حتى يقمن لنا مقام نشوره
حيّ يعيش بحزنه وسروره
متكلم بنظيمه ونثيره

وحيّ أتى من جبرئيل شعوره
بذكائه فأصاب كشف ستوره
كالصبح مفتلحاً أوانَ ظهوره
من وشي سندس لفظه وحريره
إذ موت شوقي كان نفخة صوره
محتاجة المحيا إلى تفكيره
يتطرب الأرواح لحن صريره
فمن المسامر بعد فقد سميره
فبدت فنون الحق في تحريره
ليطيع غيرك قط في تسخيره
ولكم صدحت بنغمة من زيره
طرباً وليس يمل من تكريره

لأبي عليّ من قريحة شعره
كم قد رمى الغيب الخفي فؤاده
وتصور المعنى الدقيق فردّه
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى
فالشعر قد دكت جبال فنونه
يا راحلاً ترك القوافي بعده
لهفي على ذيلك القلم الذي
الشعر كنت أميره وسميره
حرّرتَه من رق كل تصنع
سخرت من أوتاره ما لم يكن
ولكم شدوت بنغمة من بُمه
تتمايل الأبدان في إنشاده



أمر قضاه الله في تقديره
بوفاة سيده وموت أميره
يتنازعان السبق في تحبيره
والنيل مدّ أنينه بخريره

يا أهل مصر عزاءكم فمصائبكم
الشعر قد ثلّت بمصر عروشه
علمان من أعلامه كنا به
لكليهما الهرمان قد خشعا أسى

نسائيات

المرأة في الشرق

ألا ما لأهل الشرق في بُرَحاءٍ
لقد حَكَمُوا العادات حتى غدت لهم
إذا تختبرهم في الحياة تجدُ لهم
وما ذاك إلا أنهم في أمورهم
لقد غمطوا حق النساء فشَدَدُوا
وقد ألزموهن الحجاب وأنكروا
أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم
قد انتبذوا عنهنَّ في العيش جانبًا
وقد زعموا أن لسن يصلحن في الدُّنَا
فما هنَّ إلا متعة من متاعهم
أهانوا بهنَّ الأمهات فأصبحوا
ولو أنهم أبقوا لهن كرامةً
ألم ترهم أمسوا عبيدًا لأنهم
وهان عليهم حين هانت نساؤهم
فيا قوم إن شئتم بقاءً فنازعوا
أيسعد محياكم بغير نساءكم
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح
ولكنَّ عارًا أن تزيَّا رجالكم
أقول لأهل الشرق قول مؤلَّبٍ
ألا إن داء الشرق في كبرائه
وأقبح جهل في بني الشرق أنهم
وأكبر مظلوم هو العلم عندهم
لو اقتصَّ أهل العلم للعلم منهم

يعيشون في ذُلٍّ به وشقاءٍ^١
بمنزلة الأقياد للأسراء^٢
حياة تخطت خُطة السعداء
أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء
عليهن في حبسٍ وطول ثواء
عليهن إلا خَرْجَةً بغطاء
يغارون من نورٍ به وهواء
فما هن في أمر من الخُطاء
لغير قرار في البيوت وباء^٣
وأن صِنَّ عن بيع لهم وشراء
بما فعلوا من ألام اللؤماء
لكانوا بما أبقوا من الكرماء
على الذل شبُّوا في حجور إماء
تَحُمِّل جور الساسة الغرباء
سواكم من الأقوام حبل بقاء
وهل سعدت أرضٌ بغير سماء؟!
تمثل حالي عِزَّة وإباء
على مسرح التمثيل زِيَّ نساء
وإن كان قولي مُسَخِّط السفهاء
فبُعْدًا لهم في الشرق من كبراء
يسمُّون أهل الجهل بالعلماء
فقد يدَّعيه أجهل الجهلاء
لصَبَّ عليهم منه سَوَطُ بلاء

ولاستأصل الموتُ الوحيُّ نفوسهم
ولكنَّ حلمَ الله أبقى عليهم
لقد مزَّقوا أحكام كل ديانةٍ
وما جعلوا الأديان إلا ذريعةً
فما علماء الجهل إلا مساقمٌ
ألا يا شباب القوم إني إلى العلا
أما أن للأوطان أن تنهضوا بها
فقد بَحَّ صوتي واستشاطت جوانحي
على أن لي فيكم رجاءٌ وإن يكن
وما أنا في وادي الخيال بهائمٌ

ونادى عليهم مؤذنا بفناء^٤
فعاشوا ولو في ذلةٍ وشقاء
وخاطوا لهم منها ثياب رياء
إلى كل شغبٍ بينهم وعداء
رمت جهلاء العلم بالقُوباء^٥
لداع فهل من يستجيب دعائي
لإدراك مجدٍ وابتغاء علاء
وقلَّ اصطباري واستطال بكائي
من اليأس مسدودًا طريقُ رجائي
وإن كنت معدودًا من الشعراء

١ البرحاء: الشدة والأذى، أو الشر.

٢ الأقياد: القيود.

٣ الدنا: جمع دنيا.

٤ الموت الوحيُّ: السريع.

٥ القوباء: داء معروف.

نساؤنا

إلى صاحبة مجلة الخدر

ألا خلياني في الكلام من السَّجَعِ
وإن أنا أرسلت الحديث فأصغيا
فإني ما أطلعتُ شمسَ حقيقة
ولست أبالي بعد إفهام سامعي
وإني إذا قُبلتُ رأسًا ولم أجد
إذا كان علم الأصل عندي حاصلًا
فإن بانَ لي سير الكواكب لم أبلُ
شكوت إلى ربِّ السموات أرضه
فقد جار في الأرض البسيطة خَلْقُه
وإن السموات العلا لكثيرةٌ
وإني لأشكو عادةً في بلادنا
وذلك أنا لا تزال نساؤنا
وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
أفي الشرع إعدام الحمامة ريشها
وقد أطلق الخلق منها جناحها
فتلك التي ما زلت أبكي لأجلها
بكيتُ بلا دمع ومن كان حزنه
فيا ربَّة الخدر اسمعي ما أقوله
أيا ابنة «فندي» إن للمجد غايةً
وإني أرى في القوم بعض مخايل
فقد لا يُروينا السحاب بمائه

ولا تجربا في القول إلا على الطبع
وإلا فما يجدي لسمعكما قرعي
لمستمع إلا لتغرب في السمع
أكان بخفض لفظ ما قلت أم رفع ^١
به فضل عقل كان أجدر بالصفع
ففيمَ اهتمامي بعد ذلك بالفرع
أكان بجذب ذلك السير أم دفع
وما الأرض إلا من سمواته السبع
على خلقه جورًا إلى الحزن يستدعي
وإن لم نعدَّ اليوم منها سوى تسع
رمى الدهر منها هضبة المجد بالصدع
تعيش بجهلٍ وانفصالٍ عن الجمع
يَعُدُّون تشديد الحجاب من الشرع
وإسكاتها فوق الغصون عن السَّجَعِ؟!
وعلمها كيف الوقوع على الزرع
بكاء إذا ما اشتدَّ أدَّى إلى الصرع
شديدًا بكى من غير صوتٍ ولا دمع
لعل مقالي فيه شيء من النفع
وإني في إدراكها باذلٌ وسعي
وأحذر من أن ينقشعن بلا همع ^٢
وإن كان فيه البرق متصل اللمع

يقولون لي: إن النساء نواقص
فأنكرت ما قالوه والعقل شاهدي
إذا النخلة العِطاء أصبح طلعها
ولكن على الجذع الذي هو نابئ
ووالله ما أن ضقتُ ذرعاً بقولهم
أمرق دعواهم إذا ما طعنتها
ألا فاصدعي يا ربّة الخدر بالذي
فأنت مثال للكمال الذي حوى
أدامك ربّ الناس للناس حجة

ويُذلون فيما هم يقولون بالسمع
وما أنا في إنكار ذلك بالبدع
ضعيفاً فليس اللوم عندي على الطلع^٢
بمنبت سوء فالنقيصة في الجذع
ولكنما قد ضاق من فعلهم ذرعي
ولو أنها كانت من الدين في درع
ترين من الآراء في الرد والردع
من العلم أسباباً تجل عن القطع
على من نَمى نقص النساء إلى الطبع

^١ الخفض والرفع: من مصطلحات النحو ومراد الشاعر أنه لا يتأنق ولا يعرب في عبارته.

^٢ المخايل: جمع مخيلة وهي السحابة المبشرة بالخير، ضربها مثلاً للصفات التي تنبئ عن حسن الاستعداد في الإنسان. والهمع: الأمطار.

^٣ العِطاء: المرتفعة. والطلع: الثمر.

حرية الزواج عندنا

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم
طمعوا بوفر المال منه فأخجلوا
أفكوكب نحس يقارن في الورى
فإذا رفضت فما عليك برفضه
إن الكريمة في الزواج لحرّة
قلب الفتاة أجل من أن يُشترى
أتباع أفئدة النساء كأنها
هذا لعمُر الله يأبى مثله
بيت الزواج إذا بنوه مجددًا
يا من يُساوم في المهور مغاليًا
أقصر فكم من حرة مذ أنزلت
إن الزواج محبة فإذا جرى
لا مهر للحسنة إلا حبّها
خير النساء أقلّها لخطيبيها
وإذا الزواج جرى بغير تعارفٍ
هو عندنا رمي الشباك بلجة
أو مثل محتطبٍ بليل دامس
ولقومنا في الشرق حالٌ كلما
تركوا النساء بحالة يرثى لها
قل للآلى ضربوا الحجاب على النساء:
شرف المليحة أن تكون أديبة
والوجه إن كان الحياء نقابه
واللوم أجمع أن تكون نساؤنا

إذ أكرهوك على الزواج بأشييا
بفضول هاتيك المطامع أشعبا
من سعد أخبية الغواني كوكبا
عارٍ وإن هاج الولي وأغضبا
والحر يأبى أن يعيش مذنبًا
بالمال لكن بالمحبة يُجتبى^١
بعض المتاع وهن في عهد الصبا
من عاش ذا شرف وكان مهذبًا
بالمال لا بالحب عاد مخربًا
ويميل في أمر الزواج إلى الحبا^٢
من منزل الرجل الغني بها نبا
بسوى المحبة كان شيئًا متعبًا
فحببها كان القران محببًا
مهرًا وأكثرها إليه تحببا
وتحبب فالخير أن نترهبها
أتصيب أخبث أم تصادف أطيبا
أيدوس أفعى أم يلامس عقربا
زدت افتكارًا فيه زدت تعجبا
وقضوا عليها بالحجاب تعصبا
أفتعلمون بما جرى تحت العبا؟
وحجابها في الناس أن تتهذبًا
أغنى فتاة الحي أن تتنقبا
مثل النعاج وأن نكون الأذوبا

هل يعلم الشرقي أن حياته
وقضى لها بالحق دون تحكُّم
فالشرق ليس بناهض إلا إذا
فإذا ادَّعيت تقدماً لرجاله
من أين ينهض قائماً من نصفه
كيف البقاء له بغير تناسُبٍ
والشعر ليس بنافع إنشاده
تلك الحقيقة للرجال أرفها

تعلو إذا ربَّى البنات وهذبا
فيها وعلمها العلوم وأدبا
أدنى النساء من الرجال وقربا
جاء التأخر في النساء مكذبا
يشكو السقام بفالج متوصِّبا؟! ^٣
والدهر خصص بالبقاء الأنسبا؟!
حتى يكون عن الحقيقة مُعربا
ولها أقيم من القوافي موكبا

^١ يجتبي: يختار ويصطفى.

^٢ الحيا: المهر، وأصله: الحياء، ممدود.

^٣ المتوصب: المريض.

المرأة المسلمة

لم أرَ بين الناس ذا مظلِمة
منقوصة حتى بميراثها
قد جعلوا الجهل صواناً لها
والعلم أعلى رتبة عندهم
ما تصنع المرأة محبوسة
ضاقت بها العيشة إذ دونها
أحق بالرحمة من مسلمة
محجوبة حتى عن المكرمه
من كل ما يدعو إلى المأثمه^١
من أن تلقاه وأن تعلمه
في بيتها إن أصبحت مُعذمه؟!
سُدت جميع الطُرُق المُعلمه



كم في بيوت القوم من حُرّة
قد لوّحت نارُ الطوى وجهها
عاب عليها قومها ضِلّة
من أيّ وجه تبتغي رزقها
وكيف والقوم رأوا سعيها



وكم فتاة فقدت بعلاها
فانقطعت في العيش أسبابها
تبيت لم تحمد لفرط الجوى
من حيث لا تملك من دهرها
جفّ على مُرضعها ثديها
فعاش عيش الأمّ لم يوفه
فشب منهوك القوى مثلها



فهذه حالة نِسواننا
ما هكذا يا قوم ما هكذا
وهي لعمرى حالة مؤلمه
يأمرنا الإسلام في المسلمه

فهل بكم من راحٍ للنسا

فهنَّ أولى الناس بالمرحمه؟

^١ الصوان، بتثليث الصاد: ما يسان به الشيء ويحفظ.

التربية والأمهات

إذا سُقِيَتْ بماءِ المَكْرُماتِ
على ساقِ الفضيلةِ مُثْمَراتِ
كما اتسقت أنابيبُ القناة ^١
بأزهارِ لها مُتَضَوِّعاتِ
يُهْدَبُها كحُضنِ الأمهاتِ
بتربيةِ البنينِ أو البناتِ
بأخلاقِ النساءِ والوداتِ
كمثلِ ربيبٍ سافلةِ الصفاتِ
كمثلِ النبتِ ينبت في الفلاةِ

هي الأخلاقُ تنبت كالنباتِ
تقوم إذا تعهدتها المُرَبِّي
وتسمو للمكارمِ باتِّساقٍ
وتتetch من صميمِ المجدِ رُوحًا
ولم أرَ للخلائقِ من محلٍّ
فحُضنِ الأمِّ مدرسةً تسامتُ
وأخلاقُ الوليدِ تقاسُ حسنًا
وليس ربيبٌ عاليةِ المزايِ
وليس النبتِ ينبت في جنانِ



فأنتِ مَقَرُّ أَسْنَى العاطفاتِ
يفوقُ جميعَ ألواحِ الحياةِ
تصاويرُ الحنانِ مصوِّراتِ
كما انعكس الخيالُ على المِراةِ
لتلقينِ الخصالِ الفاضلاتِ
يكونُ عليكِ يا صدرَ الفتاةِ
إذا نشئوا بحُضنِ الجاهلاتِ؟!
إذا ارتضعوا تُدَيِّ الناقصاتِ؟!
أتَينِ بكلِ طَيَّاشِ الحِصاةِ؟! ^٢
فضاعَ حنُّ تلكِ المرضعاتِ

فيا صدرَ الفتاةِ رَحُبَتْ صدرًا
نراكِ إذا ضُمَّتِ الطفلَ لَوْحًا
إذا أَسْتَدَّ الوليدُ عليكِ لاحتِ
لأخلاقِ الصبِيِّ بكِ انعكاسُ
وما ضَرَبَانُ قلبك غيرَ درسِ
فأوَّلَ درسِ تهذيبِ السجايِ
فكيفَ نَظُنُّ بالأبناءِ خيرًا
وهل يُرَجَى لأطفالٍ كمالُ
فما للأمَّهاتِ جهلُنَ حتى
حَنَوْنَ على الرضيعِ بغيرِ علمِ



مصيبتنا بجهلِ المؤمناتِ
«نكاد نَغْصُ بالماءِ الفراتِ»

أُمُّ المؤمنينِ إليكِ نشكو
فتلكِ مصيبةٌ يا أُمُّ منها

تَخَذْنَا بِعَدِكَ الْعَادَاتِ دِينًا
فَقَدْ سَلَكُوا بِهِنَّ سَبِيلَ خُسْرٍ
بَحِيثٍ لَزِمْنَ قَعَرَ الْبَيْتِ حَتَّى
وَعَدُوهُنَّ أَضْعَفَ مِنْ ذَبَابٍ
وَقَالُوا: شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي
وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ
وَقَالُوا: الْجَاهِلَاتُ أَعْفُ نَفْسًا
لَقَدْ كَذَبُوا عَلَى الْإِسْلَامِ كِذْبًا
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ فَرَضًا
وَكَانَتْ أُمْنًا فِي الْعِلْمِ بَحْرًا
وَعَلَّمَهَا النَّبِيُّ أَجَلَ عِلْمٍ
لِذَا قَالَ: ارْجِعُوا أَبَدًا إِلَيْهَا
وَكَانَ الْعِلْمُ تَلْقِينًا فَأُمْسَى
وَبِالنَّقِيرِ مِنْ كِتَابِ ضَخَامٍ
أَلَمْ تَرَ فِي الْحَسَانِ الْغَيْدَ قَبْلًا
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ قَدَمًا
يَكُنَّ لَهُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ عَوْنًا
وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ أَسْرَتْ وَذَاقَتْ
فَمَاذَا الْيَوْمَ ضَرَّ لَوْ التَّفْتَتَا
فَهُمْ سَارُوا بِنَهْجِ هُدًى وَسَرْنَا
نَرَى جَهْلَ الْفَتَاةِ لَهَا عَفَافًا
وَنَحْتَقِرُ الْحَالِئِلَ لَا لَجْرَمٍ
وَنَلْزِمُهُنَّ قَعَرَ الْبَيْتِ قَهْرًا
لَئِنْ وَأَدَا الْبَنَاتُ فَقَدْ قَبْرَنَا
حَجَبْنَاهُنَّ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي
وَلَوْ عَدِمَتْ طِبَاعُ الْقَوْمِ لَوَّمًا
وَتَهْذِيبِ الرِّجَالِ أَجَلَ شَرْطٍ
وَمَا ضَرَّ الْعَفِيفَةَ كَشْفُ وَجْهِهِ
فِدًى لَخَلَاتِقِ الْأَعْرَابِ نَفْسِي
فَكَمْ بَرَزَتْ بِحَبِّهِمُ الْغَوَانِي
وَكَمْ خَشَفَ بِمَرْبَعِهِمْ وَطْبِي
وَلَوْلَا الْجَهْلُ ثُمَّ لَقَلْتُ مَرَحِي

فَأَشْقَى الْمُسْلِمُونَ الْمَسْلَمَاتِ
وَصَدُّوهنَّ عَنْ سَبِيلِ الْحَيَاةِ
نَزَلْنَ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَدَاةِ ٣
بَلَا جَنَحٍ وَأَهْوَنَ مِنْ شِدَاةِ ٤
بِتَفْضِيلِ «الَّذِينَ عَلَى اللُّوَاتِي»
تَضْيِيقٍ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ
عَنِ الْفَحْشَا مِنَ الْمُتَعَلِّمَاتِ
تَزُولُ الشَّمُّ مِنْهُ مَزَلَزَلَاتٍ
عَلَى أُنْبَائِهِ وَعَلَى الْبَنَاتِ
تَحُلُ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلَاتِ
فَكَانَتْ مِنْ أَجْلِ الْعَالِمَاتِ
بِثَلَاثِي دِينِكُمْ ذِي الْبَيِّنَاتِ
يُحْصَلُ بِانْتِيَابِ الْمَدْرَسَاتِ
وَبِالْقَلَمِ الْمَمْدِّ مِنَ الدَّوَاةِ
أَوَانِسُ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتٍ
يُرْخُنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغَزَاةِ
وَيُضْمِدْنَ الْجُرُوحَ الدَّامِيَاتِ
عَذَابُ الْهُونِ فِي أَسْرِ الْعُدَاةِ
إِلَى أَسْلَافِنَا بَعْضُ التَّفَاتِ!
بِمَنْهَاجِ التَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ
كَأَنَّ الْجَهْلَ حَصَنٌ لِلْفَتَاةِ
فَنُؤْذِيهِنَّ أَنْوَاعَ الْأَدَاةِ
وَنَحْسِبُهُنَّ فِيهِ مِنَ الْهَنَاتِ ٥
جَمِيعَ نِسَائِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ
فَعَشْنَ بِجَهْلِهِنَّ مُهْتَكَاتِ
لَمَّا غَدَتِ النِّسَاءُ مُحَجَّباتِ
لَجَعَلْنَ نِسَائَهُنَّ مُتَهَذَّبَاتِ
بَدَا بَيْنَ الْأَعْقَاءِ الْأَبَاةِ
وَإِنْ وَصَفُوا لَدِينَا بِالْجُفَاةِ
حَوَاسِرَ غَيْرَ مَا مَتَرِيَّاتِ
يَمُرُّ مَعَ الْجَدَايَةِ وَالْمَهَاةِ ٦
لَمَنْ أَلْفَوْا الْبِدَاوَةَ فِي الْفَلَاةِ

١ القناة: الرمح وكل عصا مستوية.

٢ الطياش: الذي لا يقصد وجهًا واحدًا لخفة عقله. والحصاة: العقل والرأي.

٣ الأداة: الآلة، يريد بها ما يستعمل في البيوت كالآنية، والشاعر يقرع بذلك بعض من لا أخلاق لهم.

٤ الشذاة: كسر العود.

٥ الهن: كناية عن كل جنس، ومعناه شيء ومؤنثة هنة، وجمعها هنوات وهنات، يريد بذلك أننا نحسب المرأة من جهلنا شيئًا من أشياء البيت.

٦ الخشف والطبي: الغزال. الجداية والمهاة: الغزالة، وفي الكلام مجاز لا يخفى.

المهجور أو مشهد الحسد في الحزن

- وبيضاء أغناها عن الحلي ثغرها
إذا ابتسمت في ظلمة اليأس أشرقا
نرى وجهها بدرًا محاطًا من السنا
يذكرني من مطلع الشمس شعرها
تراعت فأما نفسها فحزينة
بدت في جداد ترسل الطرف وانيا
رأيت بها بدرًا تردى دُجْنة
فكانت لها سوْدُ الجلابيب حلية
تَبَسَّم حينًا ثم تجهش بالبكا
كأنَّ تلاميخ الأسي في جبينها
وكم أبصرت عينايا لما تنهدت
فقد كان منها الصدرُ يعلو ويرتمي
ومما شجا نفسي ذبولٌ بخدّها
ولما انقضى صبري وقفت تجاهها
فقلت وقد أَلَقْتُ على الصدر كَقْها
لك الخير من حُرٍّ يسائل حرّة
سقاني بكأس الحبّ حتى شربتها
فلما رأني قد سَكَرْتُ بحبه
ألا إِنَّ قلبي اليوم إذ مسّه الجوى
ألفزُعُ ممن يدّعي الحب قلبه
على أن قلبي لم يعد عنه صابرا
إذا أشرقت شمسي تناسيت ذكره
واني على ما نابني من جفائه
- بِسْمَطين من درّ مُضيئين في الثغر^١
فَعَدْنَا من الآمال في أنجم زُهر
بصبحين من ثغرٍ وضيءٍ ومن نحر
ذوائبٍ تُرخى من أشعتها الصفر
وأما محيّاها فكالكوكب الدرّي
يُغَضُّ على وَجْدٍ ويُفْتَحُ عن سِحْر
غداة أميط السجفُ من جانب الخدر^٢
ولا عجب أن الدجى من جلى البدر
فمن لؤلؤ تُبدي ومن لؤلؤ تذري^٣
بقايا ظلام الليل في غرّة الفجر
تموّح بحر الحب من عاصف الهجر
فبيعت بي شجواً يموج به صدري
كما ذبلت في بيتها باقة الزهر
أسائل عما ناب من ثوبِ الدهر
تشد ضلوغاً ينطوين على جمر:
شكت هجر بَعْلٍ لم يكن بالفتى الحر
ولم أدِر أن الحب ضرب من الخمر
صحا قلبه من حيث لم أصح من سكري
وإذ مالَ بعلي في هواي إلى الغدر
كما فزعت قُمرية الروض من صقر
ألا لا أَمالَ الله قلبي إلى الصبر
وإن جَنَّ ليلى بت منه على ذكرٍ
لأقنع منه بالخيال الذي يسري

ولما شكت لي حُرقة في فؤادها
أرى قطراتِ الدمع في وجناتها
هنالك ألقت راحتها بوجهها
وقالت وقد كان النشيجُ يصدُّها
سأحمل ما قد حمَّلتني يد الهوى
فقلت: أما والله لو أنَّ لي يدًا
لشدَّدت في زجر المحبين إن جفوا

ترقرق دمع العين في خدها يجري
فأحسبها الياقوت رُصع بالدرِّ
تكفكف أسرابًا من الدمع بالعشر
عن القول إلا عن كلام لها نزر:
من الوجد حتى يحملوني إلى القبر
على كل حكم جاء من ظالم الدهر
وعاقبت منهم من يميلُ إلى الهجر

١ السمط: العقد.

٢ الدجنة: الظلمة.

٣ أذرى الدمع: أسقطه.

إلى الحجابيين

لمناسبة كتاب «السفور والحجاب» للأنسة نظيرة زين الدين.

قل للحجابيين كيف ترونكم
كشفتُ به ما كان من حُجب العمى
سُفر أقام على السفور أدلةً
يا لاجئين إلى العناد خصومة
هل من نظير بينكم لنظيرة
هدمت «نظيرة» ما بنّت عاداتكم
أفتمكثون على العناد وقد بدا
نحن — السفوريين — أعلم بالذي
أ يكون ما شرع النبي محمد
إنّ اعتراضكم النساء ترفعاً
حتى رجال الصين تحترم النساء
كلاً ولكن عادة همجية

من بعد سُفر للسفور مبين؟
عنكم «نظيرة» بنت «زين الدين»
تركت دُبابكم بغير طنين
ما كان حصن عنادكم بحصين
أو من فقيه مثلها وفطين
من كل سجنٍ للنساء مهين
من بعد ليل الشك صبح يقين؟!
شرع النبي محمد من دين
شيئاً يخالف شرعة التّمدين؟!
أمرٌ يناقض حكمة التكوين
أفنحن ننقص عن رجال الصين
جعلتكم حُرّاً لكل حَسين^١

^١ الحَسين: الحسن.

هوان المرأة عندنا

فلقد شجاني ذُلُّها وخضوعها
وسلاحها عند الدفاع دموعها
كانت لزامًا لا يجوز مبيعها!
وحليلها عند الطلاق يُضيعها
هذا يعرِّيها وذاك يُجيعها

ما أهون الأنثى على دُكراننا!
ضَعُفَتْ فحجَّتْها البكاء لخصمها
هي مُتَعَةٌ المستمتعِين وَلَيْتَها
فولئِها عند الزواج يبيعها
وكلاهما متحكِّمٌ في أمرها

التاريخيات

ضلال التاريخ

أقول، وطرفي في المحال مُحَدَّقُ:
أما لِلْغِزَاءِ الزمان مفسَّرُ
لقد خامرتني في الزمان وأهله
أرى الدهرَ في أمرين يعمل دائبًا
يُجَدِّدُ للموتى مناقبَ لم تكن
فكم من قبور عظم الناس أهلها
ورُبَّ امرئٍ قد عاش يستقطر الثنا
سقى الدهر للأموال غرس مناقبٍ
أرى كلَّ ميتٍ ما تقادم عهده
فأقربهم عهدًا أقلُّ غضاضة
كأن كرامات الفقيد بواسق
إذا شطَّ جيلٌ خط من جاء بعده
فما كتب التاريخ في كل ما روت
نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا
وما صدقتنا في الحقائق أعين
وهل قد خُصِّصنا دون من مات قبلنا



لعمرك أقصاني الزمان المفرِّقُ
خليلي هل من بالرصافة عالمُ
بلادٍ إذا ما هبَّت الرياح نحوها
أبيتُ على شوق وقلبي موثَّقُ
إذا ما تذكَّرت العجوزَ بكيئها
وما شرقي بالدمع يا أمَّ وحدهُ

أبالدهر مسَّ أم بأهليه أولقُ؟^١
فقد حار فيها الألمعي المدققُ؟^٢
شكوكٌ عليها يُعذَّر المتزندق
صنَّاعُ اليدين فيهما يتأنق^٣
لديهم وللأحياء يُبلي ويخلق
بما لم يكن عند النُّهى يتحقق
فلما قضى سال الثنا يتدفق
بمئينِ فظل الغرس ينمو فيبسق^٤
تُقام له سوقُ الثناء فتتفَّقُ^٥
وأقدمهم عهدًا أغضَّ وأسمقُ^٦
يؤبِّرها كر القرون فتعذقُ!^٧
أكاذيب عنه بالثناء تُروِّقُ^٨
لقرائها إلا حديثٌ ملفَّقُ
فكيف بأمر الغابرين نصَّدقُ؟
فكيف إذن فيهن يصدق مُهْرَقُ؟^٩
بخُبث السجايا؟ شدَّ ما نتَحَمَّقُ!^{١٠}

فهل أنا من بعد التشاؤم مُعْرَقُ؟^{١١}
بأنِّي إلى من بالرُّصافة شيقُ^{١٢}
تمنيْتُ لو أني بها أتعلق
بهمي ودمعي فوق خدي مُطلق
بدمع به الأهداب تطفو وتغرق^{١٣}
ولكن بروحي عند ذكراك أشرق

ويهفو بقلبي الشوق حتى كأنما
فيا أم صبرًا إن لابنك همّة
تضايق عنها الدهر مستعظمًا لها
أكلف منها الدهر ما لا يطيقه
لقد صغرت بغداد عن أن تضمّها

ومنها:

أبت كتب التاريخ للحق مُلتقى
فإن شرقت في الحق فهو مغرب
تجور بها الأهواء جورًا وإنما
فيا أيها التاريخ أغرق مُغاليا
قتلت الوري خُبرًا فليس بخادعي
ولي في بني الدنيا حصاة رزينة

ومنها:

هَذَايْكَ لَا تَجْفَلْ مَقَالَ مُؤرِّخٍ
كَذَابٌ عَلَى وَجْهِ الطُّرُوسِ مَسْطَرٌّ
فَدَعِ عَنْكَ لُغَوَ النَّاطِقِينَ وَخُذْ بِمَا
فَإِنْ ذَكَرُوا النِّعْمَانَ يَوْمًا فَلَا تَنْقُ
فَأَصْدُقْ مِنْهُمْ فِي الْمَسَامِعِ لَهْجَةً
تَتَوَرَّتْ وَجْهَ الْحَقِّ فِي ظُلُمَاتِهِمْ
مَلَكَتْ مِنَ الدُّنْيَا حَقِيقَةً أَهْلَهَا

تخطّفه من بين جنبيّ سوْدُقْ^{١٤}
إلى المجد ترمي أو إلى المجد تسيقُ
وأهلوه عنها يا أميمة أضيق
فليس بعارٍ أنني فيه مخفق
وما وسعَتْها بعد بغداد جَلَقُ^{١٥}

فبينهما من زُخرف القول مَوْبِقُ^{١٦}
وإن غرّبت في الحق فهو مشرق
على مُزَلَّقات المَين تمشي فتزلقُ
فما ضرَّ بعد اليوم أنك مُغرق
حديثٌ مُطَرَّى أو كلامٌ مُنَمَّقُ
إذا طاشَ حِلْمٌ لَا تَطِيئُشْ وَتُنْزَقُ^{١٧}

وَلَا يَسْتَفْزِنُكَ الْكَلَامُ الْمَشَقُّ^{١٨}
يَعِصُ بِه الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيَشْرَقُ
رَوَاهُ مِنَ الْآثَارِ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ
بَأَكْثَرَ مِمَّا قَالَ عَنْهُ الْخَوَرْنَقُ^{١٩}
ضَفَادِعُ فِي الْمُسْتَتَفَعَاتِ تُتَفَقِّقُ
فَلَمْ أَرْ نُورًا غَيْرَ ذَا يَتَأَلَّقُ
وَإِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِهَا أَتَصَدَّقُ

١ الأولق: الجنون.

٢ لغيزاء: تصغير لغز.

٣ رجل صنع اليدين وصناع اليدين وصنيع اليدين: حاذق ماهر في العمل بهما.

٤ المين: الكذب.

٥ تتفق: تروج.

٦ الغضاضة: مصدر الغض، وهو الطري من النبات واللحم ونحوها.

يؤبّرُها: يلقحها. وتعذق: نثمر.

٨ تزوق: تخلط وتموه.

٩ المهرق: نوع خاص من الصحف، كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها.

١٠ شد ما نتحمق: ما أشد حماقتنا!

١١ التساؤم هنا: الذهاب إلى الشأم، ومعرق: داخل العراق، ويقال: أشأم: فهو مشئم، وأعرق: فهو معرق.

١٢ شيق: مشتاق.

١٣ يريد بالعجوز أمه.

١٤ السّوذق: الصقر أو الشاهين.

١٥ جلق: دمشق.

١٦ الموبق: الحاجز بين الشيئين.

١٧ حصاة: عقل. وتنزق: تطيش وتضل.

١٨ ههذ: أسرع، وهذاذك: إسراعًا بعد إسراع. الكلام المشقق: الفصيح الذي ذهب فيه القائل مذاهب التجميل والتحسين.

١٩ الخورنق: من آثار ملوك الحيرة، يريد لا تنثق بأخبار الكتب، وعول على ما ينطق به البناء من عظمة صاحبه.

جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي

ألا لفتة منا إلى الزمن الخالي
تَلونا أناسًا في الزمان تقدّموا
ألا فاذكروا يا قوم أربع مجدكم
تطلبتم صفو الحياة وأنتم
وما أنتم إلا كسكران طافح
مشى بارتعاش في الطريق فتارة
يمدُّ إلى الجدران كفَّ استتادةٍ



رمى الدهر قومي بالخمول فلمتهم
فهاج البكا يأسى فلما بكيتهم
نظرت إلى الماضي وفي العين حُمرة
فشمتُ بروق الأولين منيرة
«تنوّرتها من أدّرعَات وأهلها
وقلّبتُ طرفي في سماءِ رجالها
فأنست آثارًا وهم سلك درّها
ولما طويْتُ الدهر بيني وبينهم
قعدت بأوساط القرون فجاءني
فتى عاش أعمالًا جسامًا وإنما
حكيمٌ رياضي طبيبٌ منجّم
أتى فيلسوفًا للنفوس مهذبًا
لقد طبَّب الأرواح من داء جهلها

فنغبط من أسلافنا كل مفضال!
وكم عبرة فيمن تقدّم للتالي!
فقد درست إلا بقية أطلال
بجهلٍ، وهل تصفو الحياة لجهالٍ
تحسّى من الصهباء عشرة أرطال^١
يقوم وأخرى ينهوي فوق أوحال
فتنذفه الجدران قذفة عدال

وأوسعتهم عدلًا فلم يجدِ تعذالي^٢
بدمعي حتى بلّ دمعي سربالي
كأنّ على أماقها نضح جرّيال^٣
على أفقٍ من ذلك الزمن الخالي^٤
بيثرب أدنى دارها نظرٌ عال^٥
وهم فوق عرش للجلالة محال^٦
وأبصرتُ أعمالًا وهم جيدها الحالي
على بعد أزمان هناك وأجيال
«أبو بكر الرازي» فقامت لإجلال
تقدر أعمار الرجال بأعمال
أديب وفي الكيمياء حلال إشكال
بأفضل أفعالٍ وأحسن أقوال
كما طبَّب الأجسام من كل إعلال

مولده

تولد عام الأربعين الذي انقضى
إلى زكريا ينتمي، إنه له
على حين كانت بلدة الري عادة
مدارس بالشبان تزهو ودونها
بها جل درس القوم طب وحكمة
وكانت نفيسات الصنائع عندهم
وما كان هذا الحال في الري وحدها
فإن هدى الإسلام أنهى فتوحه
وبدل أبطال الحروب من الوري
فدارت رحي تلك العلوم وقطبها
وكانت يد المأمون في ذاك أخلت

لثالث قرن ذي مآثر أزوال^٧
أب تاجر في الري صاحب أموال^٨
إلى العلم تعطو جيدها غير معطال^٩
كتاتيب للتعليم تزهو بأطفال
وفلسفة فيها لهم أي إيغال
يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
بل الحال في البلدان طرأ كذا الحال
وأصلها للحد أحسن إيصال
بأبطال علم للجهالة قتال^{١٠}
بيغداد مركز بريرة إجلال
لسان العلاء في شكره أي إخال

منشؤه

تدرج في تلك المدارس ناشئاً
تعلم فن الصوت بادئ بدئه
فكانت بموسيقى اللحن دروسه
وقد جاوز العشرين سنًا ولم يكن
فرام أبوه منه تحويل عزمه
فقال له: دعني مع العلم إنني
وهل يستطيع المرء شغلًا إذا غدا
هناك استقى الرازي من العلم شربه
ثنى سعيه نحو التعلم بادئاً
وقد كان مفتاح العلوم تفسف
فزاول أنواع العلوم تنقلًا
نضا همّة في العلم مشحودة الشبا
وقد أكمل الطب المفيد قراءة

مترجمنا يسعى بجد وإقبال^{١١}
ومارس تفصيلًا به بعد إجمال
تغنى باهزاج وتشدو بارمال^{١٢}
لشيء سوى فن الغناء بميال
بجذب إلى شغل التجار وإدخال
إذا ما أمّت الجهل أحييت آمالي
له شاغل بالعلم عن كل أشغال!^{١٣}
فجاد بإعلال له بعد إنهال^{١٤}
بعلم لدى أهل التفلسف ذي بال
نقك به من جهلهم كل أغلال
بأبين أوضاع لها غير أغفال^{١٥}
جلت ما لحرب الجهل من ليل قسطل^{١٥}
على الطبري الحبر أحسن إكمال^{١٦}

سياحته

ومذ جاوز الرازي الثلاثين واغتنى
 رأى من تمام العلم للمرء أنه
 وما العلم إلا بالسياحة إنها
 فقام وشدَّ الرحل والغرز وامتطى
 فجاء بلاد الشام تَوًّا وجازها
 وخاض عُباب البحر للغرب قاصداً
 ففيها احتلاه العز مذ لاح طالعاً
 وحلَّ حلولَ البدر في السعد نائلاً
 وهبَّ هبوبَ الرِّيح ثَمَّةً ذكره
 وودَّعها من بعد ذلك راجعاً
 ومنها إلى بغدادَ سافر قاطعاً
 فألقى عصا التَّسيار من عرصاتها
 وبغدادُ كانت وهي إذا ذاك جنة
 كأن رجالَ العلم في عُرفاتها
 فكم محفل للكتب فيه خزانة
 ولما غدا الرازي ببغدادَ باسطاً
 أقيمَ لمارستانها عن كفاية
 فرتب مرضاه وأصلح شأنه
 وظل به يسعى طبيباً مُمرَّضاً
 ويُلقى السريريَّات وهي مسائلٌ
 فقد كان يلقيها على القوم ناطقاً

مآثره العلمية

لقد أشغل الرازي ببغدادَ شغلَهُ
 فقضى بها أيامه في تجاربٍ
 فلقب فيها بالمجربِ حرمة
 وأصبح مشهوراً بأسنى مآثرٍ
 فإن أبا بكرٍ لأول مفسح
 وأول من أبدى لهم كيف يُبتى
 وألف في المستشفيات مؤلفاً
 ولا تنس للرازي الكحول فإنه

مدلاً على أقرانه أيّ إدلال^{١٧}
 يسيح بضرب في البلاد وتجوال
 لمن عملوا في علمهم درس أعمال
 لقطع الفيافي متنَّ هُوْجاء شمال^{١٨}
 إلى مصر في وخْد حثيث وإرقال^{١٩}
 مواطن للإسلام لم يسلمها السالي
 لها كهلالٍ يُجتلى عند إهلال
 بقُرطبة آماله ناعم البال
 يطير على صيت من العلم جوال
 إلى مصر لا توديع مُستكره قال^{٢٠}
 إليها الفلا ما بين حل وترحال
 بمغرس عرفان ومنبت إفضال
 بها العلم أجرى منه أنهار سلسال
 بلابل تشدو غُدوة بين أدغال
 وكم مرصد دان وكم مرقب عال^{٢١}
 من العلم أبواعاً له ذات أطوال^{٢٢}
 رئيساً بتطبيب وتدبير أحوال
 بما كان لم يخطر لسابق أجيال^{٢٣}
 ويبدل جهداً لم يكن فيه بالآلي^{٢٤}
 لدى سرور المرضى تقرّر في الحال
 بأوضح تبيان وأحسن إملال^{٢٥}

عدا الطب في الكمياء أعظم إشغال
 وواصل أبقاراً لهنَّ بأصال^{٢٦}
 تقرّد مخصوصاً بها بين أمثال
 من العلم لم يسبق إليها وأعمال
 إلى الناس بالدرس السريريّ مقال
 ويُفرش مارستانهم قصد إبلال^{٢٧}
 تقصى به في وصفها دون إغفال
 يجدد طول الدهر ذكراه في البال

ومن عمل الرازي انعقاد لسكّر

وما كان في محصوله غير سيّال

أخلاقه

أرى العلم كالمرآة يصدأ وجهه
أخو العلم لا يغلو على سوء خلقه
ولو وازن العلم الجبال ولم يكن
وإن المساوي وهي في خلق عالم
ولكنما الرازي قد ازدان علمه
خلائق غرّ إن أردت بيانها
فتى كان مملوء الجوانح رحمة
يزور بيوت البائسين بنفسه
ويأتيهم بالمال والعلم مُسعداً
وما كان يقنو المال إلا لبذله
وكان حليف الجد لم يأل جهد
فكم راح مخذولاً به متطبّب
وكان سليماً في العقيدة قلبه
وخلّ تفاصيل الألى ينسبونه

وليس سوى حسن الخلائق من جال
وذو الجهل إن أخلاقه حسنت غال
له حسن خلق لم يزن وزن مثقال
لأقبح منها وهي في خلق جهال
بأحسن أخلاق وأشرف أفعال
بدأت بحرف الحاء والميم والdal
بكل هزيل الجسم من سقم إقلال
ويفتقد المرضى بفحص وتسأل
لتطبيب أوجاع وتأمين أوجال^{٢٨}
لتعليم علم أو لإعطاء سُؤال
بدحض خصوم العلم من كل هزال
سعى كاذباً في طبّه سعيّ إضلال
بعيداً عن الإلحاد ليس بختال
لزيغ فقد أغناك عنهن إجمالي

عودة إلى الريّ

ولما قضى الرازي ببغداد بُرهة
فلما أتى تلك البلاد غدا بها
وألف للمنصور إذ ذاك باسمه
ولم تصف للرازي أواخر عمره
فقد عميت عيناه من بعد وَاغْتَدَى
وإن عداً الدهر شينشنة له
ولما انتهى نحو الثمانين عمره
ولكنه في الناس خلّف بعده
فكم كتب أبقى بها الذكر في الورى
وما ضرّ من أحيا له العلم بعده
وإني وإن طنّبت في بحر علمه

مضى قافلاً للريّ شوقاً إلى الآل
طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالي
كتاباً حوى في الطب أحسن أقوال
وعاد أخا همّ شديدٍ وبلبال
يجول من الفقر الشديد بأسمال
يصول بها قهراً على كل مفضل^{٢٩}
قضى نحبه من غير مالٍ وأنسال
من العلم آثاراً قليلة أمثال
وألفها نسجاً على خير منوال
على الدهر ذكراً أنه ميّت بال
لمقتصر منه على بعض أوшал^{٣٠}

ولكن بعجزي عن نهوضٍ بأجيال
بما قال في بيتين معناهما حال:
بعاجل ترحالٍ إلي أين ترحالي»
من الهيكل المنحل والجسد البالي»

وها أنا أنهي القول لا لتمامه
وأجعل هذا الشعر مسكًا ختامه
«لعمري وما أدري وقد آذن البلى
«وأيّن محل الروح بعد خروجها

-
- ١ تحسى: شرب. الصهباء: الخمر.
 - ٢ العذل والتعذل: اللوم.
 - ٣ الأماق: جمع مؤق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين. النضح: رشاش الماء ونحوه. الجزّيال: صبغ أحمر.
 - ٤ شمت: نظرت، والوشيم: هو النظر إلى البرق خاصة.
 - ٥ تنورتها: تبصرتها. أذرعات: بلد بالشام. يثرب: اسم المدينة المنورة.
 - ٦ المحلال: المكان الذي يحل كثيرًا، وهو صفة لعرش.
 - ٧ أزوال: جمع زول، وهو العجب.
 - ٨ الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن.
 - ٩ تعطو: ترفع، المعطال: التي ليس في جيدها حلي.
 - ١٠ قتال: جمع قاتل.
 - ١١ مترجمنا: يعني أبا بكر الرازي.
 - ١٢ الإهزاج: مصدر أهزج المغني إذا أتى بالهزج. الإرمال: مصدر أرمل المغني إذا أتى بالرمل، وهو لحن من ألحان الموسيقى.
 - ١٣ الإعلال: السقي بعد السقي. الإنهال: السقي الأول.
 - ١٤ الأوضاح: جمع وضح، وهو الضوء، وبياض الصبح. الأغفال: جمع غفل، وهو ما لا علامة فيه توضحه وتبينه، طريقًا كان أو غيره.
 - ١٥ نضا: جرّد. مشحودة: مسنونة. الشبا: جمع شباة، وهي حد السيف. القسطال: الغبار، أو هو خاص بغبار الحرب.
 - ١٦ الحبر: العالم.
 - ١٧ أدلّ على أقرانه إدلّالًا، فهو مدل: بمعنى تاه عليهم وتعالى.
 - ١٨ الرجل: مركب للبعير. الغرز: ركاب الرجل من جلد، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب. امتطى: ركب. الفيافي: الأراضي المقفرة. المتن: الظهر. الهوجاء: الناقة السريعة السير. الشمال: الناقة السريعة الخفيفة.
 - ١٩ الوخذ: سير البعير السريع، حثيث: سريع. الإرقال: الإسراع، أو هو نوع من سير الخبب.
 - ٢٠

قال: مبغض.

٢١ المراد بالمرصد والمرقب هنا: المكان الذي ترصد فيه النجوم وترقب.

٢٢ الأبواع: جمع باع، وهو قدر مد الذراعين، ويكنى به عن الشرف والفضل، كما هنا. ذات أطوال: ذات أفضال، وهو جمع طول.

٢٣ إن أبا بكر الرازي هو أول من وضع نظامًا لترتيب المستشفيات وبنائها.

٢٤ الآلي: المقصر.

٢٥ الإملاء: الإملاء.

٢٦ الإبكار: هو من طلوع الشمس إلى الضحى.

٢٧ مصدر أبل المريض بمعنى شفي من مرضه.

٢٨ الأوجال: جمع وجل، وهو الخوف.

٢٩ الشنشنة: العادة.

٣٠ الأوشال: جمع وشل، وهو في الأصل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة.

الحرب في البحر أو وقعة توشима بين الروس واليابان

سَعَرُوهَا فِي الْبَحْرِ حَرْبًا ضَرُوسًا
قَرَّبَ «جُوشِيمَ» قَدْ تَصَادَمَ أُسْطُوطُ
يَوْمَ «طُوغُو» دَهَا بِأُسْطُوطِهِ الرُّوسِ
فَحْدَاهَا بِوَارِجًا تَمْلَأُ الْبَحْ—
كُلَ مَخَّارَةٍ إِذَا حَرَّكَتْ دُفًّا
مَذَبَنُوهَا لَهُمْ كَنِيسَةً حَرْبِ
عَرْشُ بَلْقَيْسٍ فِي الْمَنَاعَةِ لَكِنْ
أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحًا
وَإِذَا تَتَشَرَّ النَّبُودَ النَّصْ—
وَإِذَا جَنَّهَا عَلَى الْبَحْرِ لَيْلٌ
قَدْ أَبَى بِأَسْهَ الشَّدِيدِ سِوَى الْفَوْ
سَيَّرُوا الْبَرْقَ بَيْنَهُنَّ رُسُولًا
فَهُوَ فِيهَا لِسَانُ صَدَقٍ يُوَدِّي
إِنَّمَا سَلَكَهَ الْأَثِيرُ الَّذِي رَا
جَهَّزُوهَا مَدَافِعًا فَغَرَّتْ أَفْ—
دَلَعَتْ أَلْسِنًا مِنَ النَّارِ حُمْرًا
تَرْسُلُ الْمَوْتَ فِي قَنَابِلٍ كَالشَّهْ—
طَالَمَا بَانْفَجَارَهَا انْفَلَقَ الْبَحْ—



بَثَّ أُسْطُوطُهُ فَلَبَّسَهُ «طُوغُو»
حَيْثُ قَدْ أَجْفَلَتْ مِنَ اللَّجَجِ الْحَيِ—
وَعَلَا الْبَحْرَ مَكْفَهْرٌ غَمَامُ
ثَارَ طَرَادُهُمْ يَجِيشُ بِنَسَا
تَأْكُلُ الْمَالُ نَارُهَا وَالنَّفُوسَا
لَانَ أَرْدَى الْيَابَانَ فِيهِ الرُّوسَا
سَ قَتَالًا وَكَانَ يَوْمًا عَبُوسَا
رَ وَقَارًا طَوْرًا وَطَوْرًا بُوسَا
عَهَا خَضَخَضَتْ بِهِ الْقَامُوسَا^١
تَخَذَتْ كُلُّ مِدْفَعٍ نَاقُوسَا
قَدْ حَكَتْ فِي احْتِشَامِهَا بَلْقَيْسَا
فَتَهَادَتْ عَلَى الْعِبَابِ عَرُوسَا^٢
رَ فِيهَا تَخَالُهَا الطَّائُوسَا
أَطْلَعَ الْكَهْرِبَاءُ فِيهَا شَمُوسَا^٣
لَاذَ دِرْعًا لَجْسَمِهَا وَلِبُوسَا
صَادَقًا لَيْسَ يَعْرِفُ التَّدْلِيْسَا
دُونَ سِلَاحٍ كَلَامِهَا الْمَأْنُوسَا
حَ بَطِيٍّ اهْتَزَّازَهُ مَدَسُوسَا
وَاهِ نَارٌ قَدْ التَّقَمْنَ الشُّوسَا^٤
وَيْلٌ مِنْ قَدْ غَدَا بِهَا مَلْحُوسَا
بَ ذَرِيْعًا مُسْتَأْصِلًا عِتْرِيْسَا^٥
رَ انْفِلَاقًا مُذَكَّرًا عَهْدَ مُوسَى

غُو» بِأُسْطُوطِ خَصْمِهِ تَلْبِيْسَا
تَتَانُ تَخْشَى مِنَ اللَّهْيَبِ مَسِيْسَا
مِنْ دُخَانٍ هَمَى وَلَكِنْ بُوسَى^٦
فَاتِ سُنْفُنٍ لَهُمْ سَجَرَنَ الْوُطِيْسَا^٧

كجبالٍ قرى البراكينَ فيها
فأباحوهم هُنالكَ قتلاً
فسلِ اليمَّ كم تضمَّن منهم
هاجموه وللهياج سعيئ
فكسوهم من الهوان لبوساً
صرعت في الوغى ليوث من اليا
فانتضوها عزائماً ماضيات
وَجَلوها في الروع ببيضَ فعالٍ
إنَّ يوماً لهم تقصَّى بجوشي—
بات «طوغو» يجني الأمانِي إذ با
قائد لم يرد لظى الحرب إلا
تاه أسطوله على اليمِّ عُجْباً
إنَّ شهماً تقلد العقل سيفاً
ومليكا ولى الأمور ذويها
وسل البر عنهم كم سعوا في—
رَجَلَةً يملأ الفضاء وخيلاً
صَوَّبوها بنادق تطلق المو
هكذا شَيِّدوا بناء المعالي

تقذف الموت جارفاً والنحوسا
واغتناماً نفوسهم والنفيسا
مُغرَقاً في عُبابه مغموسا!
ملأت واسعَ الخضمِّ حسيسا
وسَقوهم من المنون كُئوسا
بان أسطولَ خصمها مفروسا
طأطأ الروسُ دُونهنَّ الرعوسا
أقرأتهم كُتُبَ الفخار دروسا
—ما ليومٌ بالذكر زان الطروسا
ت قنوطاً عدوُّه ويئوسا
مُصدراً رأيَه لها جاسوسا
حين أضحى لمثله مرَّعوسا
لحريٍّ بأن يكون رئيسا
لجدير بملكه أن يسوسا
—ه خميساً عرمرماً فخميسا^٨
حملت للوغى الكماة الشُّوسا^٩
ت رصاصاً به أبادوا النفوسا
هكذا أحسنوا لها التأسيسا

١ الدفاع: الشيء العظيم يدفع به مثله؛ وأراد به ما يكون في مؤخرة الباخرة ليدفعها للسير. خضخضت: هيجت وحركت. القاموس: البحر.

٢ العباب: معظم الماء.

٣ جنَّها: سترها.

٤ الشوس: جمع أشوس. يطلق على الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً أو تغيظاً، وعلى الجريء على القتال الشديد.

٥ الذريع من الخيل: الخفيف السير والواسع الخطو، ويقال: موت ذريع: أي قاسٍ. العنريس: من معانيه: الجبار الغضبان، والغول الذكر، والداهية، والضابط الشديد.

٦ البوسى: ضد النعمى.

٧ سجرن: أشعلن.

٨ الخميس: الجيش.

٩

الكفاءة: جمع كمي، وهو الشجاع.

هولاكو^١ والمستعصم^٢

هو الدهر لم يرحم إذا شَدَّ في حربٍ
يُزمر أحيانًا ويضحك تارة
فلا هو في سَلْمٍ فنأمن بطشه
يسالم حتى تأخذ القوم غرةً
أرى الدهر كالميزان يصعد بالحصى
أدال من العرب الأعاجم بعدما
ولم أرَ للأيام أشنع سبّة
صفت لبني العباس أحواضَ عزهم
عنت لهم الدنيا فساسوا بلادها
فكانوا طفاح الأرض عزًا ومنعة
لقد ملكوا ملكًا بكت أخرياته
تشاغل بالذات عن حوط ملكه
أطال هجودًا في مضاجع لهوه
لقد غرّه أن الخطوب روابضُ
فكان كمروانَ الحمارِ إذ انقضت

ولم يَنُتدِ إما تمخض بالخطبِ
فيظهر في بُردين للجِدِّ واللَّعِبِ
ولا هو في حرب فنقعد للحربِ
فيهجم زحفًا في زعازعة النكبِ
ويهيئ بالموزون ذي الثمن المربي^٣
أدال بني عباسها من بني حرب^٤
لعمرك من ملك العلوج على العرب^٥
زمانًا وعادت بعدُ مخلبة الشرب^٦
بعدل أضاء الملك في سالف الحُقبِ
خلائف ساسوا بالسيوف وبالكنبِ
بدمع على المستعصم الشهم مُنصبٌ
فدارت على ابن العلقميّ رَحَى الشَّغْبِ
على ترفٍ والدهر يقظانُ ذو ألبِ
ولم يدرِ أن الليث يربض للوثبِ
به دولةٌ مدّت يدَ الفتح للغرب^٧



جرت فتنةٌ من شيعة الكرخ جلّحت
فقامت لدى ابن العلقميّ ضغائنُ
فأضمرَ للمعتصم الغدر وانطوى
وخادعه في الأمر وهو وزيره
فأبعد عنه في البلاد جنوده
ودسَّ إلى الطاعي هُلاكو رسالةً
وقال له: إن جنّت بغداد غازيًا

على شيعةٍ في الكرخ بالقتل والنهب^٨
تَحَجَّرن من تحت النياط على القلب^٩
على الحقد مدفوعًا إلى الغش والكذب
مواربة إذ كان مستضعفَ الإربِ
وشتتهم من أوب أرضٍ إلى أوب^{١٠}
مُغلغلةٌ يدعوها فيها إلى الحرب^{١١}
تملكتها من غير طعنٍ ولا ضرب

فثار هُلاكو بالمغول تؤمه
وقاد جيوشاً لم تمرّ بمخصب
جُيوش ترد الهضب في السير صفصفاً
فما عثمت حتى بنت بغبارها
ولما أبادت جيشَ بغداد هالكا
أقامت على أسوار بغداد بُرهة
فضاق عليها بالحصار خناقها
وقد حُمّ فيها الأمن بالرعب فانبرت
هناك دعا المستعصم القوم باكياً
فأبدى له ابن العلقمي تحزناً
وقال له: قد ضاق بالخطب ذرعنا
فكم نحن نبقى والعدو محاصراً
وماذا عسى تجدي الحصون بأرضنا
فدع «يا أمير المؤمنين» قتالهم
ولسنا «وإن كانت كباراً قصورنا»
فهادنه واخرج في رجالك نحوه
والأ فإن الأمر قد جدّ جدّه



فلما رأى المستعصم الخرق واسعاً
مشى كارهاً والموت يُعجل خطوه
وراح بعقد الصلح يجمع شمله
فأمسكه رهناً وقتل صحبه
وأغرى ببغداد الجنود كما غدا
فظلّت بهم بغداد تكلّى مرّة
وجاسوا خلال الدور ينتهبونها
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعاً
وبانت به من واكف الدمع بالبكا
وراحت سبايا للمغول عوائل
لقد شربوا بالهون أوшал عزها
فقصّ ظلّ كان في الملك وارقاً



كتائب خضّر تضرب السهل بالصعب
من الأرض إلا عاد ملتهب الجذب
وتعرك في تسيارها الجنب بالجنب
سماء على أرض العراق من الترب
على رغم فتح الدين قائده الندب
تعص بها عصّ الثقاف على الكعب
وغصت بكرب يا له الله من كرب!
له رُحضاء من عيون أولي الرعب^{١٢}
بدمع على لحيته منهل سكب
طوى تحته كشحاً على المكر والخب
وأنت ترى ما للمغول من الخطب
نُذِلُّ ونشقى في الدفاع وفي الدب
وهم قد أقاموا راصدين على الدرب
على هُدنة تبيقك ملتئم الشعب
نردُّ هُلاكو بالقتال على العقب
وصاهره واشدد منه أزرِك بالقرب
وليس سوى هذا لصدعك من رأب

وأن ليس للداء الذي حلّ من طبّ
يؤمّ لفيفاً من بنين ومن صحب
كمن راح بين النون يجمع والضّب!^{١٣}
هُلاكو ولم يسمع لهم قط من عتب
بأدماء يغري كلبه صاحب الكلب
تفجّع بين القتل والسبي والنهب
وصبوا عليها بطشهم أيّما صبّ
مهتكة أستاره خائف السرب
عيون المها شتراء منزوعة الهُذب
من اللأ لم تمدد لهن يد التلب
وما أسأروا شيئاً لعمرِك في القعب
وأمحلّ ملك كان مغلوب العشب

لقد بات إذ ذاك الخليفة جائئاً
وخارت قواه بالسُّعار لمنعه
فقال، وقد نَقَّتْ ضفادع بطنه:
فقال هلاكوا: عاجلوه بقصعة
وقولوا له: كل ما بدا لك إنها
ألست لهذا اليوم كنت أدخرتها؟
وكنّت بها دون الممالك معجبا
ولو كنت في عزّ البلاد أهنتها
لما أكلتك اليوم حربي وإن غدت
سأبذلها دون الجنود أزيدهم
وسوف وإن لم يبق إلا حديثنا

على الخسف مرقوباً بأربعة غلب
ثلاثة أيام عن الأكل والشرب^{١٤}
ألا كسرة يا قوم أشفي بها سغي؟
من الذهب الإبريز واللؤلؤ الرطب
لألي لم تعبت بهن يد الثقب
فدونك فانظر هل تتوب عن الحب!
وفاتك أن المقت من ثمر العجب
وأنزلت منها الجند في منزل خصب
تذيب لظاها عنصر الحجر الصلب
صيالاً بها فوق المطهمة القُب^{١٥}
تميز ملوك الأرض دأبك من دأبي



هنالك والطوسي أفتى بقتله
أشار هلاكوا نحو علج فتله
فأدرج في ليد وديس بأرجل
وقد أثخت بغداد من بعد قتله
وما اندملت تلك الجروح وإنما

فروه بقتل أدب أفجع الأدب
فخر صريعاً لليدين وللجنب
إلى أن قضى بالرّفس ثمة والضرب^{١٦}
جروح بوار جاء بالحجج الشهب^{١٧}
ببغداد منها اليوم ندب على ندب

^١ هو لأكو: هو الذي أسر المستعصم بالخدعة، ثم قتله وامتلك بغداد بعد أن قتل ما لا يحصى من العلماء والصلحاء وعامة الأهلين.

^٢ المستعصم: هو آخر خلفاء بني العباس وكان ضعيف الرأي، قد غلب عليه أمراء دولته؛ لسوء تدبيره.

^٣ المربي: الزائد.

^٤ يقال: أдал الله بني فلان من عدوهم؛ أي جعل الكرة لهم عليهم، وأдал الله زيّداً من عمرو؛ أي نزع الدولة من عمرو وحولها إلى زيد.

^٥ السبة: العار. العلوج: جمع علج، وهو الرجل الضخم من كفّار الأعاجم.

^٦ مخلبة: فاسدة ذات حمأة.

^٧ مروان الحمار: وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم.

^٨ جلع عليه: أي أقدم عليه إقداماً شديداً وكاشفه بالعداوة.

^٩ النياط: الفؤاد، وعرق نيط به القلب إلى الوتين، فإذا قطع مات صاحبه. وابن العلقمي هذا وزير المعتصم: هو الذي كاتب هولاء بأن يحضر ويغزو بغداد انتقاماً من الخليفة وابنه أبي بكر.

- ١٠ الأوب: الجهة.
- ١١ الرسالة المغلغة: المحمولة من بلد إلى بلد.
- ١٢ الرحضاء: عرق يتصبب عقيب الحمى، ومعنى البيت: أن الأمن لما صار محمولاً بالرعب، كانت رحضاؤه الدموع المنسكبة من عيون المرعوبين.
- ١٣ النون: الحوت. والضبُّ: حيوان يعيش في البر، والمعنى أنه راح يجمع بين الضدين.
- ١٤ السعار: الجوع.
- ١٥ صيالاً: شدة واستطالة. والمطهمة: يريد الخيل المطهمة، وهي الخيل البارعة الجمال. والقب: جمع أقب، وهو الضامر، وهو من صفات جياذ الخيل، وخاصة جياذ الحرب.
- ١٦ أدرج: لف.
- ١٧ الحجج: السنون. والشهب: جمع شهباء، وهي البيضاء، كناية عن سنة الجذب والقحط والجوع.

أبو دلالة والمستقبل

- قضت المطامع أن نطيل جدالا
في كل يوم للمطامع ثورة
ما ضرَّ من ساسوا البلاد لو أنَّهم
أمن السياسة أن يقتل بعضنا
لا درَّ درُّ أولي السياسة إنهم
غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها
نثروا الدماء على البطاح شقائقا
تفنى الجيوش ولا ضغائن بينها
قالوا: كرهت الحرب؟ قلت: لأنها
وأجلت فكري في الحروب فلم أجد
طاشت منافعها الصغار عن الورى
ما أجشع الحرب الضروس، فإنها
كم سخَّ من رهج الحروب على الرُّبا
لولا الحروب ومحركات صواعق
قَبَحَتْ بنا الأرض الفضاء وما حوت
- وأبينَّ إلا باطلا ومَحالا^١
باسم السياسة تستجيش قتالا
كانوا على طلب الوفاق عيالا^٢
بعضا ليدرك غيرنا الأمالا
قتلوا الرجال ويَتَمُوا الأطفالا
بدم هريق على الثرى سيالا
وتوهموها الروضة المحاللا^٣
سبقا ولا ترة ولا أنحالا^٤
دارت لتغتصب الحقوق ألالا^٥
أبدا لهنَّ سوى الخمر مثالا
ورست مآثمها الكبار جبالا
تحسو النفوس وتأكُل الأموال!
وبل الدماء فَرَادَها إمحالا
منها لأبْقَلَتِ الرُّبا إيقالا
في غير ما زَمَنِ الْفِطْحِلِ جَمالا^٦



- أبني السياسة إن سَلَكْتُم بِالوَرَى
إن جرت الحربُ الكمالَ لأمةٍ
إن الحياة كثيرة أعمالها
وتَقَحَّمُوا حرب الحياة فإنها
واستلثموا زَرَدَ الوفاق وأشرعوا
واقنوا لكم بيضَ المساعي شُرْبًا
واعلوا على صهواتهنَّ رواكضا
- طُرُقَ الرشاد فاعلموا الجُهَّالا
فالعلم أحرى أن يجرَّ كمالا
فَدَعُوا الأنام وحاربوا الأعمالا
للحرِّ أضيق مأزقا ومَجالا
فيها تعاونكم قَنَّا ونصالا^٧
تجري رعائا للمُنَى فرعالا^٨
للمكرمات تُسابق الأجالا

ودعوا صيالا في الملاحم إن في
أوكلما طمع القوي شراة
لا غرو أن يلد الزمان بمره
إذ راح يقتل بالعواطف قرنه
إذ جهز «المنصور» جيشا قاده
فمضى وفيه أبو دلامة مكرها
حتى إذا التقت الجيوش وعُبت
برز الكمي من الشراة مجردا
فأجال روخ في الجنود لحاظه
فدعا إليه أبا دلامة قائلا:
فجرى إليه أبو دلامة هازلا
فشكا لروح جوعه فأزاده
فانصاع عن عجلٍ وسمط زاده



فأتى وقد شهر الكمي بوجهه
فدنا إليه أبو دلامة قائلا:
إني أتيت وما أتيت مقاتلا
فاسمع مقالة من أتك ولم يكن
واعلم بأنني لا أخاف مني
لكن أرى سفك الدماء محرما
أمن المروءة أن تُريق دماءنا
هل كنت من قبل اللقاء رأيتني
أم هل طرقت خيام قومك جانبا؟
ماذا جرى بيني وبينك قبل ذا
حتى شهرت علي سيفك تبتغي
فاربأ بنفسك أن تكون من الألى
فراى الكمي مقالة متعاليا
فعنا وأذن للحقيقة مغمدا
ولوى العنان من المطهم قائلا:
فمشى إليه أبو دلامة مخرجا
ودعاه يا ابن أولي المكارم راشدا

هذي الحياة ملاحما وصيالا
أكل الضعيف تحيئا واغتالا؟
كأبي دلامة من بنيه رجالا
قتلا أدام حياته وأطالا
«روخ» يريد من «الشراة» قتالا^٩
للحرب أخرج كي يُصيب نكالا
صفا وصفا يمنة وشمالا
للسيف يطلب من يطيق نزالا
والقوم ينتظرون منه مقالا^{١٠}
يا ليت دونك ذلك الرئبالا^{١١}
ثم استقال فلم يكن ليقالا
بدجاجتين، وحثه استعجالا
ومضى يُخب لقرنه مختالا^{١٢}

سيفا يروع غراره الأغوالا^{١٣}
مهلا فأغمد سيفك القصالا
من لست أطلب عنده أنخالا
فيما يقول مُخادعا محتالا
جُبنا ولا أتهيب الأبطالا
وأعيز رأيك أن تراه حلالا
سَفها لمطمع طامع وضلالا؟
يوما؟ وهل مني لقيت نكالا؟
أم هل خربت بحيهم آبالا؟^{١٤}
مما يجز خصومة وجدالا
ضربا يُقطع مني الأوصالا؟
زحفوا جنونا للوغى وخبالا
حقا وكل حقيقة تتعالى
سيفا أجادته القيون صقالا^{١٥}
رُح بالأمان فلا لقيت وبالا
زادا تعلق بالسُموط مثالا
أكرم أخاك بوقفة إمهالا

إنني لأرجو أن تكون مؤاكلي
فتدانيا متخالفين وأقبلا
حتى إذا أكلا سواء أدبرا

في ذا الشواء ألا تحب إكالا
وهما على فرسيهما إقبالا
بعد الوداع ووليا الأكفالا^{١٦}



رجعا فسار أبو دلامة ظافرا
حتى اذا وافى الأمير وقام عن
وغدا يقول وكان رَوْحٌ ضاحكا:
وقتلته بالقول لا بمهتدي
وأخذت في الهيجا عليه موائعا

والمهرُ يجفل تحته إقبالا
كثب ترجل دونه إقبالا
إنني كفيئتُك قرني الرئبالا
والحربُ أحرى أن تكون مَقالا
ألا يعود يُنازلُ الأبطالا



إن الهواتف لا تزال بمسمع
لا تياسن فللزمان تنفس
والدهر طاهٍ سوف يُنضج أهله
إن الدهور وهنَّ أمهر سابك
حتى كأني بالطباع تبدلت
وكأنني ببني الملاحم أصبحوا

منِّي تقول إذا شكوت الحالا:
فارقبه أن يتبدل الأبدالا
بالحادثات يزيدُها إشعالا
سترُدُّ أضداد الورى أشكالا
غير الطباع ورُزلت زلزالا
لأبي دلامة كلهم أمثالا

١ المحال: المكر والكيد والاحتيال.

٢ عيالًا: جمع عيل، يريد متكلمين.

٣ الروضة المحلل: التي يحلها الناس كثيرًا، ويطلبونها.

٤ الأذحال: جمع ذحل، وهو بمعنى الترة؛ أي الثأر والحقد والعداوة.

٥ الألال: كسحاب؛ الباطل، وهو هنا نائب عن المفعول المطلق؛ أي اعتصابًا باطلاً.

٦ زمن الفطحل: زمن قديم قبل أن يخلق الناس على الأرض.

٧ استلثموا: البسوا اللأمة، وهي الدرع.

٨ شزبا: جمع شازب، وهو الضامر من الناس أو الخيل من غير هزال. والرعال: جمع رعيل، وهو الجماعة من الخيل.

٩ الشراة: هم الخوارج، وروح: قائد من قادة أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي.

١٠ لحاظه: نظره بلحاظ عينه، وهو في مؤخرها.

١١ الرئبال: الأسد.

١٢

انصاع عن عجل: انفتل راجعًا. وسمط زاده: من التسميط، وهو التعليق، يريد أنه علق الزاد على حصانه. والخبب: ضرب من السير متقارب الخطو في سرعة خفيفة. والقرن: الذي ينازلك في الحرب.

١٣ الكمي: البطل. والغرار: حد السيف. والأغوال: جمع غول، وهو حيوان منكر الخلقة.

١٤ خربت: سرقت، والخارب: اللص.

١٥ القيون: جمع قين، وهو صانع السيوف وكل شيء من حديد.

١٦ الأكفال: جمع كفل، بتحريك الفاء، وهو مؤخر الحصان عند ذيله.

أطلال العلم أو المدرسة النظامية في بغداد

قَوَّضَ الدهرُ بالخرابِ عمادي
كم أنادي وليس لي من مجيبٍ
ضعضع الدهرُ من بنائي أركا
طالما رفرفت من العلم رايا
كنتُ للعلم روضةً باكرت أز
وجميع الأنام تضرب أكبا
فالغزاليُّ سلَّه بي، وأبا إسـ
سلَّه إذ في طلابي الإبلُ النُّجـ
فرمتني صواعق الدهر فانهـ
فبكتني من السماء دَراريـ

ورمّني يدها بالأنكاد
وا ضياعاه جهرةً كم أنادي!
نأ شِدادًا طالت على الأطواد
ت فخارٍ مني على بغداد
هارها الغرّ بالعهد الغواي^١
د المطايا كي تجتني أورادي^٢
حاق عما حويت من إرشاد^٣
بُ تُحَفِّي مَضروبة الأكباد
بنائي وصرت بعض الوهاد
ها وكانت تَعُدُّ من حُسادي



أهل بغداد ما لأعينكم تغـ
أهل بغداد هل ترقُّ قلوبُ
رقَّ حتى قلبُ الجماد لفقدي
أفلا تتجدون مدرسة العلـ
أين ما شيدَ من نظامي رُبعي؟
أين تلك العلوم وَهْيَ التي كا
كيف قَضَتْ خيامها زِعزُعُ الدمـ
أقفرْتُ سُوحها وقد نعي العلـ
وتوارت بالجهل ظلمًا وكانت
أيها الدهر كلما شئت فافعل
ورعاني من راح من ظلمه العدُ
فرّقوا جمع أمة قبلهم كا

مِض عني كأنكم في رُقاد؟!
منكم راعها انقضاضُ عمادي؟!
فلتكوننَّ قلوبكم من جَماد
م وعهدي بكم أولي إنجاد؟!
فلقد كان نُجعة المرتاد
نت ربوعي تُذيعها في البلاد؟
ر وكانت رصينة الأوتاد؟!
م فلاحت تجرُّ ثوبَ الجِداد
خافقًا فوقها لواء الرِشاد
إذ حدا في ركائبي غيرُ حاد
ل فقيدًا ميعاده في المَعاد
نت لعمرى وحيدة الإتحاد

^١ العهد: جمع عهد، وهو المطر بعد المطر.

^٢ الأوراد: جمع ورد، والمراد به هنا: الجزء الذي يقرؤه العالم من العلم، أو القارئ من القرآن في المرة والواحدة.

^٣ أبو إسحاق: كان من مشيخة بغداد، وإمام المذهب الشافعي بها.

في سلانيك

قالها عندما زحف جيش سلانيك إلى الأستانة بقيادة محمود شوكت باشا؛ وذلك لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس سنة ١٩٠٨.

لقد سمعوا من الوطن الأتينا	فضجوا بالبكاء له حنينا
وناداهم لنُصرتِه فقاموا	جميعًا للدفاع مسلحين
وثاروا من مرابضهم أسودًا	بصوت الإتحاد مُزمجرينا
شباب كالصوارم في مضاء	يُروُن، وكالشموس مُنورينا
سلانيك الفتاة حوت ثراء	بهم فنصت عن الوطن الديونا
لقد جمعوا الجموع فمن نصارى	ومن هود هناك ومسلمينا
فكانوا الجيش أُلْف من جنود	مجندة ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدين عزماً	وما هم فيه متحدين ديناً
هي الأوطان تجعل في بنيتها	إخاء في محبتها رصينا
وتتركهم أولي أنف كباراً	يرون حياة ذي ذل جنونا
وأن الموت خير من حياة	يظل المرء فيها مستكينا



مشوا والوالدات مشيعات	خرجن وراءهم والوالدينا
يقلن وهن من فرح بوالك	وهم من حزنهم متبسمونا
على الباغين منتصرين سيروا	وعودوا للديار مضفرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدوا	وراموا كيدنا وتخونونا
فإن لم تتقذوا الأوطان شرًا	بدار الملك كي يستعبدونا
هم الأشرار باسم الدين قاموا	فعاثوا في المواطن مُفسدينا
فما تركوا من الدستور «شورى»	ولا أبقوا لنغمته «طيننا» ^١



وكم قد قلن من قول شجيٍّ
ومذ حان الوداع دنون منهم
وما أنسَ التي برزتْ وقالت
ألا يا راحلين لحرب قوم
خذوني للوغى معكم خذوني
وإن لم تفعلوا فخذوا ردائي

لهم فتركهم متهيجنا
فقبّلن الصوارمَ والجفونا^٢
وقد لفتوا لرؤيتها العيون:
لئام ضيعوا الوطن الثمينا
ممرضة لجرحاكم حنونا
به سُدوا الجروح إذا دمينا



ولما جدَّ جدُّهم استقلُّوا
فطاروا في مراكبه سراعًا
وظل الجيش صُبْحًا أو مساءً
فلم يتصرَّم الأسبوع إلا
هنالك قمتُ مرتحلًا إليهم

على ظهر القطار مسافرينا
بأجنحة البخار مرفرفينا
تسير جموعه متتابعينا
وهم برُّبا فرُّوق مخيِّمونا^٣
لأبصر ما أوْمَل أن يكونا



وباخرةٍ علت في البحر حتى
يؤثر جريها في البحر إثرًا
فتترك خلفها خطًّا مديدًا
ركبت بها على اسم الله بحرًا
فرحنا منه ننظر في جمال
ومرأى البحر أحسن كل شيءٍ
كأنك منه تنتظر في سماءٍ

حكّت بعبابه الحصن الحصينا
تكادُ به تظنُّ الماء طينا
بوجه البحر يمكث مستبينًا
غدا بسكون لجَّتِه رهينا
يعز على الطبيعة أن يهونا
إذا لبست غواربه السكونا^٤
وقد طلعت كواكبها سفينا



أتينا دارَ قسطنطين صُبْحًا
وظل الجيش جيش الله يشفي
فأزهق أنفس الطاغين حتى
ورَدَّ الخائنين إلى جزاءٍ
وحطُّوا قَصْر يلدز عن سماءٍ
وأصبح خاشع البنيان يُغضي
خلا من ساكنيه وحارسيه
هوى عبد الحميد به هويًا
وأنزل عن سرير الملك خلعا
فسيق إلى سلايك احتباسًا

وقد فتحت لهم فتحًا مبينا
بحدَّ سيوفه الداء الدفينا
سقاهم من عدالته المنونا
أحلَّهم المقابر والسجونا
له فانحطَّ أسفل سافلينا
عيونًا عن تطاوله عمينا
فلم تر فيه من أحدٍ قطينا^٥
إلى درك الملوك الظالمينا
وأفرد لا نديم ولا قرينا
له كي يستريح بها مصونا

ولكن كيف راحة مستبَدَّ
يراهم حول مسكنه سِياجًا
وموت المرء خير من مقامٍ

غدا بديار أحرار سجينًا؟!
ويعجز أن ينم لها عيوننا
له بين الذين سَقَوْه هُونًا



لقد نقض اليمينَ وخان فيها
وقد كانت به البلدان تشقى
فكم أذكى بها نيران ظلم
وكان يُديرُ من سَفَهٍ رَحَاها
وقد كانت به الأيام تمضي
ولمَّا ضاق صدر الملك يأسًا
أتى الجيش الجليل له مغنيًا
وأضحى سيف قائده المفدَّى
حماه من العداة فكان منه
وأسقط ذلك الجَبَّارَ قَهْرًا
فقرَّت أعينُ الدستور أُمْنًا

فذاق جزاءً من نقض اليميننا
شقاءً من تجبُّره مهيننا
وكم من أهلها قتل المئيننا
بجعجةٍ ولم يُرها طحيننا
شهورًا والشهور مضت سنينا
وصار يردُّ الوطن الأنينا
فصدَّق من بني الوطن الظنوننا
على الدستور محتفظًا أميننا
مكانَ الليث إذ يحمي العريننا
وأنبأه بصارمه اليقيننا
وشاهت أوجه المتمرديننا

^١ يشير إلى ما حل بجريدة طنين إذ ذاك وبمحل إدارتها من الهدم والتخريب في تلك الحادثة.

^٢ الصوارم: السيوف. والجفون: جمع جفن، وهو الغمد.

^٣ لما حدثت حادثة ٣١ مارس في الآستانة، كان الرصافي في سلانيك؛ فذلك قال: هنالك قمت ...

^٤ الغوارب: جمع الغارب، وهو في ذوات الخف ما بين السنام والعنق وفي الكلام استعارة.

^٥ قطيئًا: أي قاطئًا وساكنًا.

وقفة عند يلدز

قالها عقب خلع عبد المجيد وإرساله إلى سلاتنيك سجينًا.

آهلات رُبُوعه أم خوالي؟
باليّا مجده بلى الأطلال
قد رمته السماء بالزلزال
نطقَتْ فيه حادثات الليالي
باكيات بأعين الآصال

لِمَن القصر لا يجيب سُؤالي
مَشْمَخِرُ البناء حيث تراءى
لم تصبه زلازل الأرض لكن
وكستهُ الأيام بالصمت لَمّا
فتراعت أبكاره شاحبات



لا تكن ساكنًا على تسّالي
ذاكرًا أنت عهدهم أم سال؟
قد تداعى بناء تلك المعالي
ض وكل العباد في الأعمال
مَهبط العز، مصدر الإذلال
بالعّا للنفوس والأموال!
منك تدلي مطامع العمال
أين يا قصر أين عرش الجلال؟!
قاسمَ الرزق، باعث الآجال؟!
كخيال يمر بعد خيال
كوقوفي على الطلول البوالي؟!

أيها القصرُ إيه بعض جواب
ليت شعري والصّمت فيك عميق
ما تداعى منك البناء ولكن
كنت كل البلاد في الطول والعز
كنت مأوى العُلاء، مثار الدّنايا
كنت جُبّا وأيّ جُب عميق
موردَ الخائنين كنت وكانت
قصرُ عبد الحميد أنت ولكن
أين خاقانك الذي كان يُدعى
ما أرى اليوم ذلك المجد إلا
هل وقوفي على مبانيك إلا



جئت فيها لنا بكل محال^١
تلك أعوام حطة للأعالي
عليها مشمّر الأذيال

قد تخوّنتنا ثلاثين عامًا
تلك أعوام رفعة للأداني
يَثبّ العدل طافرًا كلما مرّ

ملأت خطة الزمان شنارًا
وكأنني أرى اضطراب نفوس
أسمع الآن فيك ما كان يعلو
حائثات على الذي فيك أبقي—
تلك يا قصر أنفس أنفت من—
وترقّت إلى ذؤابة أعلى
وهي اليوم أحرقتك بشهب
لم يضع مجدها وإن هي أمست



فأبتها كلّ العصور الخوالي
كنت تغتالها وأيّ اغتيال!
من أنين لها ومن إعوال
من دفينًا على الرُفات البالي
كك فطارت إلى سماء المعالي
كوكب في سمائه جوال
قدفتها عليك ذات اشتعال
ضائعات الأشلاء والأوصال

لَقَحَت منك حَرْبُها عن حِيال؟! ^٢
خاذل كل عالم مفضل
يغرس البغض في قلوب الرجال
رُ تَبالي بالقوم أم لا تَبالي؟
قُضي الأمر فاصطبر باحتمال
نكس الدهر من ذراه العوالي
بعد أن طال شاهقات الجبال
ساقطًا بالملوك والأقيال ^٣
يصبح الملك باسم الآمال
ينهض العدل ناشطًا من عقال ^٤
—م وتأبى أن تستكين لوالي
عنصرًا من أواخر وأوالي
فقدفناه سافلًا من عال
بزئير الغضنفر الرئبال
ه ذليلاً يقاد بالأغلال
لأولي الجور لا من الصلصال
بملوك تجور في الأفعال!
كم لعبد الحميد من أمثال
عشتم مُوثقين بالأوجال
كل إثم عليكم ووبال! ^٥

كيف ننسى تلك الخطوب اللواتي
يوم كنّا وكان للجهل حكم
أمر من عتوّه كلّ أمر
أفأصبحت نادمًا أيها القص—
لم تفدك الندامة اليوم شيئًا
وعزاء فلست أول قصر
قد تداعى من قبل إيوان كسرى
وكأين من قصر ملك ترامي
فابق يا قصر عابس الوجه كيما
وتعثر فلا لعا لك الحق
إنما نحن أمة تدرأ الضي—
أمة سادت الأنام وطابت
فإذا ما غلا الغشوم نهضنا
نملأ الأرض إن مشينا لحرب
وإذا ما غلا المليك رددنا
نحن من شعلة الجحيم خلقنا
يا ملوك الأنام هلا اعتبرتم
ليس عبد الحميد فردًا ولكن
فاتركوا الناس مُطلقين وإلا
هل جنيتهم من التجبر إلا

تخونتنا: تعهدتنا.

٢ لقحت الناقة: ضربها الفحل فحملت. والحيال: عدم الحمل، يريد إنك هيجت تلك الحرب بعد أن كانت ساكنة.

٣ الأقيال: جمع قيل، وهو الملك الصغير يتبع الملك الكبير، كبعض ملوك الولايات في إمبراطورية كبيرة.

٤ لا لعل له: لا أنعشه الله إذا سقط.

تموز الحرية

إذا انقضی مارث فاکسر خلفه الکوزا
أکریم بتموّر شهرًا إنّ عاشره
شهرٌ به الناس قد أضحت محررة
سل أهل باريز عن تموّر تلق لهم
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
وإن تموّر شهر قام فيه لنا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت
هي المساواة عمّتنا فما تركت
أمست لنا قسمة بالملك عادلة
كنا من الجور عميانًا وليس لنا
حتى نهضنا إلى العلياء تقدّمتنا
إن تلقهم تلق منهم في الوغى جبلاً
قوم إذا طعموا في حومة تخذوا
قمنا على الملك الجبار نفرعه
حتى تركناه في هيجاء معضلة
إنا لنأبى على الطاغي تهضّمتنا
ونأكل الموت دون العز نمضغه
لا عاش من لا يخوض الموت مرتضياً
راعت سلانیک دار الملك فانتبهت
حتى غدت وهي في تموز ناكسة
فالشاه في شهر تموّر هوى وكذا
يا شهر تموز لا راعتك رائحة
يا شهر تموز قد زينت رايتنا

واحفل بتموّر إن أدركت تموّزا
قد كان للشرق تكريماً وتعزیزا
من رق من كان يقفوا إثر جنکيزا
يوماً به كان مشهوداً لباريزا
بسالة هدّت البستيل مبزوزا ^١
على البقاع لواء العز مرکوزا
بيض الصوارم بالدستور تتجيزا
فضلاً لبعض على بعض وتميزا
حُكمًا وكانت على علّاتها ضيزى ^٢
من قائدين ولم نملك عكاكيزا
عصابة برّزت في المجد تبريزا
أو هجنّهم للمنايا هجت راموزا
قصاعهم من قحوف القوم لا الشيزى ^٣
بالسيف مُنصلتًا والرمح مهزوزا ^٤
ألقت ضرامًا على الطاغين مأزوزا
حتى نهوّر في الهيجاء تهويزا ^٥
كمضغنا التمر برنّياً وسهريزا ^٦
بقاءه بعصيّ الذل موكوزا ^٧
من ذاك طهران تخشى أمر تبريزا
رايات شاه رماء الخلع مجنوزا ^٨
عبد الحميد هوى في شهر تموزا
ولا لقيت من الأحداث إرزيزا ^٩
بالعدل توشية فيها وتطريزا

من لي بأنجم هذا الأفق أنظمها
أو أنحت الماس أقلامًا مُعرّضة
وأجعل الجو في تموز أمدحه
قصائدًا فيك مدحًا أو أراجيزا؟
أمدّها ذهبًا في الطرس إبريزا
طرسًا أجادته كف النور ترزيزا^{١٠}

^١ مبرزًا: مغلوبًا، وفي المثل: من عزَّ بَزَّ: أي من قوي تغلب وانتصر.

^٢ قسمة ضيزى: أي جائزة.

^٣ القحوف هنا: عظام الجماجم. والشيزى: نوع من الخشب تصنع منه الجفان.

^٤ نفرعه بالفاء: نعلو فرعه، وهو رأسه، وفي الأصل: نقرعه.

^٥ هوز تهويزًا: مات موتًا.

^٦ البرني: ضرب من التمر أصفر مدور. والسهريز بالسين والشين، بضمهما وكسرهما: نوع من التمر، معرب.

^٧ موكوزًا: مدفوعًا مطعونًا.

^٨ المجنوز: المحجوز المستور.

^٩ الإرزيز: الرعدة.

^{١٠} يقال: رزرت لك الأمر ترزيزًا: أي وطأته لك.

المجلس العمومي

يا شرق بُشراك أبدى شمسك الفلكُ
أضحى بك القوم أحرارًا قد اعتصموا
نادٍ به القولُ عن أهليه مستمع
نادٍ إذا نفرت عنا الأمور به
يصطاد فيه شروُدُ الحق عن كُثْب
إن السحائب لم تظهر بوارقها
وللتدابير حرب لا يخيب بها
هذا هو المجلس الرحب الذي وسعت
هو السماء التي نعلو السماء بها
دارت بها شمس عزّ الملك حيث لها
قد أصبح الأمر شورى بيننا فيه
وأصبح الناس في قُربى وإن بعدت
هذا الذي جاءنا الدين الحنيف به
هذا به نهض الإسلام نهضته
يا قوم قد حان حينٌ تسخرون به
مات الزمان الذي من قبلُ كان به
هلا نظرتما لما في الغرب من سننٍ
لم تُلَقَّ للحق وجهًا فيه محتقرًا
في الغرب أصوات علم يبعثون بها
فشمروا يا رجال الشرق عن همم
ولست أطلب منكم فعلًا ما فعلوا
بل فاذكروا أوليكم كيف قد سلفوا
واستخلصوا عسجد المجد الذي بلغوا

وزال عنك وعن آفاقك الحلكُ
من النجاة بحبلٍ ليس ينهتكُ^١
والحق متبع والأمر مشترك
لهنَّ يمتد من نسج النهى شرك
كالماء يصطاد في ضحضاحه السمك
ما لم يكن للقوى فيهن مُعترك
قوم بمستنقع الآراء قد برّكوا
أحكامه الناس من عاشوا ومن هلكوا
تبدو من العدل في آفاقها حُبكُ^٢
حرية العيش برج والنهى فلك
على الرعية لا يستأثر الملكُ
أديانهم، ما بهم حقد ولا حسكُ^٣
وحيا من الله مبعوثًا به الملكُ
من قبلُ إذ قام يستولي ويمتلك
ممن بكم سَخروا من قبلُ أو ضحكوا
يحيا امرؤ لم يكن في السعي ينهمك
كلُّ به سائرٌ طَلَقًا ومُنسلَك
ولم تجدْ حُرمة للعلم تنتهك
مَن في القبور فهل في سمعكم سَككُ؟!^٤
حجابها عند أهل الغرب منتهك
ولا أحاول منكم ترك ما تركوا
ثم اسلكوا في المعالي أيّة سلكوا
سبكًا على قالب العلم الذي سبكوا

لا عذر للشرق عند الغرب بعدئذٍ
واستجدوا العلم إنَّ العلم شِكَتُهُ
أما المدارس فلترفع قواعدها
منابع العلم إن غاضت بمملكة
من شاد مدرسة للعلم هَدَّ بها
وكم أثارت رياح الجهل من سُحبٍ
فالعلم والجهل كل البون بينهما
ضدان ما استويا يومًا ولا اجتمعا
نادوا: البدارَ البدارَ اليوم إنكم
كم رُدِّدت كلمات الناصحين لكم
يا قوم قد طلعت شمس الهدى وبها
وانشد الشرق مسرورًا يؤرِّخها:

إن لم يتمَّ له من شأوه الدرك^٥
في حومة العيش تبلى دونها الشكك^٦
حتى تقوم وطود الجهل مؤتفك^٧
فاضت بسيل الدواهي حولها برَك
سجنًا لمن أفسدوا في الأرض أو فتكوا
تَهْطالَهْنَ دم في الأرض منسفك
هذا الفسوق وذاك الفوز والنسك
وهل تُرى يتساوى النورُ والحلْكُ؟!
يا قومُ ساهون حيث الأمر مرتبك
حتى لقد ملَّ من مضغٍ لها الحَنَك
للناس قد وضحت من رشدهم سكك
«حرية المُلْك أهدى شمسها الفلك»

^١ ينهتك: ينقطع.

^٢ حبك جمع حبيكة، وهي الطريقة.

^٣ حسك الصدر: حقد العداوة، يقال: إنه لحسك الصدر.

^٤ السكك، بوزن سبب: الصمم.

^٥ الدرك: اللحاق.

^٦ الشكك: جمع شكة، وهي السلاح.

^٧ مؤتفك: منقلب، يقال: انتفكت بهم الأرض: انقلبت.

يوم العروس

وزوجها الأنكليس ^١	زفت إلينا العروس
فيه الشقا والنحوس	زفت إلينا زفافاً
والعرس حرب ضروس	المهر منا دماء
وكم أضيعت نفوس	كم مَزَّقت حرّمات
بالبعل تلك العروس	وكل هذا لتحظى
يوم كرية عبوس	يوم العروس لعمري

^١ الأنكليس والأنقليس، بفتح الهمزة: سمك شبيه بالحيّات رديء الغذاء.

السياسيات

إلى الأمة العربية ^١

هو الليلُ يغريه الأسى فيطولُ
أبيتُ به لا الغارباتُ طوالُ
وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفاً
ولي فيه دمع يلذع الخدَّ حره
بكيت على كل ابن أروغ ماجدٍ
يليح من الضيم المذلُّ بغرة
من العرب: أما عرضه فموفر
له سلفٌ عزوا فبزوا نباهة
وساروا بنهج المكرمات تقلُّهم
وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقت
أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم
وقد أعطشته السحب حتى لقد علت
رعى الله من أهل الفصاحة معشرًا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما
فأمست من العمران خلوا بلادهم
وعادت مغاني العلم فيها دوارسًا
وقوّضت الأيام بنيان مجدها

ويُرخي وما غيرُ الهموم سُدُول؟ ^٢
علّي ولا للطالعات أفول
فتطويه منّي رنةٌ وعويل ^٣
وحزن كما امتدَّ الظلام طويل
له نَسَبٌ في الأكرمين جليل
لها البدر ترَبُّ والنجوم قبيل ^٤
مصون، وأما جسمه فهزيل
ولم تعتورهم فترة وخمول ^٥
قلأصُّ من سَعْيٍ لهم وخلول
به غرر من مجدهم وحجول
ولم تَسِرْ فيه نسمة وقبول
على الزهر منه صُفرة وذبول
لهم كان فوق الفرقدين مقيل
له عندهم دون الأنام ذحول
فهنَّ حُزون قفرة وسهول
تجرُّ بها للرامسات ذيول
فرَبع المعالي بينهن مَحول



نظرت إلى عرض البلاد وطولها
ولم تبدُ لي فيها معاهد عزها
نظرت إليها من خلال دوارفٍ
فكنت كراءٍ من وراء زجاجة
ولم أتبيّن ما هنالك من عُلا

فما راقني عرض هناك وطول
ولكن رسوم رنةٌ وطلول
من الدمع طرفي بينهنَّ كليل
بعينه كيما يَسْتَبِينُ ضئيلُ ^٦
لكثرة ما قد دبَّ فيه نحول

هناك حنيت الظهر كالقوس رابطاً
وأوسعتُ صدري للكآبة فاغدت
وأرسلت دمع العين فانهلَّ جارياً
أأمنع عيني أن تجودَ بدمعها
فإن تعجبوا أن سال دمعِي لأجله
وما عشتُ أني قد تناسيت عهده
وإن امرءاً قد أثَّلَ الهم قلبه
أفي الحق أن أنسى بلادي سلوة
أقول لقومي قول حيران جازع
متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم
وينطق بالمجد المؤثِّل سعيكم
تريدون للغليا سبيلاً؟ وهل لكم
أناشدكم أين المدارس؟ إنها
وأين الغني المرتجى في بلادكم
بلاد بها جهل وفقر كلاهما
أجل إنكم أنتم كثير عديدكم
ولو أن فيكم وحدة عصبية
ولكن إذا مستنهض قام بينكم
وأني فريق قام للحق صده
وإن كان فيكم مصلحون فواحد
على أن لي فيكم رجاء وإن أكن
ألستم من القوم الألى كان علمهم
لهم همم ليس الطبأة تقلُّها
ألا نهضة علمية عربية
ويشجع رعديد ويعتزَّ صاغر
فإن لم تقم بعد الأناة عزائم

بكفي على قلب يكاد يزول
بأرجائه تحت الضلوع تجول
له بين أطلال الديار مسيل
على وطني؟! إني إذن لبخيل
فإن دمي من أجله سيسيل
ولكن صبري في الخطوب جميل^٧
كقلبي ولم يلق الردى لَحْمول
وما لي عنها في البلاد بديل؟
تهيج به أشجانه فيقول:
فتذهب عنكم غفلة وذهول؟!
فيسكت عنكم لائم وعذول!
إليها وأنتم جاهلون سبيل؟!
على الكون فيكم والحياة دليل
يجوُّد على تشييدها ويطول؟
أكل شروب للحياة قنول
ولكن كثير الجاهلين قليل
لهان عليكم للمرام وصول
تلقاه منكم بالعناد جهول
فريق طلبو للمحال خذول
فعول وألف في مداه قنول
إلى اليأس أحياناً أكاد أميل
به كل جهل في الأنام قتيل؟
وإن كان منها في الطبأة فلول
فتتعش أرواح بها وعقول؟
وينشط للمسعي الحثيث كسول
فعتبي عليكم والملام فضول

^١ مثل شبان العرب في الأستانة رواية وفاء السموعل في مسرح «نبيه ماشي» الكبير، الكائن في حي «بك أوغلي»، وطلبوا إلى الرصافي أن يحضر وينشدهم شعراً، فقال هذه القصيدة يعارض بها لامية السموعل المشهورة، وقد أنشدهم إياها في المسرح المذكور، وكان المكان غاصاً بمن كان في الأستانة من رجال العرب، وكثير من رجال الترك.

يغريه: يحضه؛ أي أن الأسى يحض الليل على الطول فيطول.

٣ اللبد، بكسر فسكون: كل شعر أو صوف متلبد.

٤ يليح: أي يخاف ويحاذر، والباء في قوله بغرة للمصاحبة، أو هي للتعدية، على تضمين يليح معنى يحيد ويعدل، فيكون المعنى: يحيد مليحًا من الضيم بغرة.

٥ عزُّوا فبزوْا: أي غلبوا فسلبوا.

٦ شبه نفسه وهو ناظر إلى الديار من خلال الدموع الذوارف برجل وضع على عينيه زجاجة ينظر من ورائها، والمراد بالزجاجة ما تسميه العامة اليوم بالمنظرة أو بالعينات.

٧ وما عشت أني: أي لأنني، فحذف الجار، وحذفه قبل إن وأن قياس.

شكوى إلى الدستور^١

إلى قائم الدستور والعدل والحق
لها الحكم دون الناس في الفئق والرتق^٢
مطيحاً ولو من أجلها ضربت عنقي
بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق؟
علينا طلوع الشمس من منتهى الأفق
لقائك حتى جاوزت مبلغ العشق
هتفنا جميعاً بالوفاق وبالرفق
ولكن تراخي الأمر متسع الخرق
لديهم فيا لله للمسعد المشقي
وأنت عليهم حُجة لا على الخلق
وسدوا على من حولهم منبع الرزق
وكم مخضوا أوطاننا مخضة الزق^٣
ولم يتركوا للساكينها سوى المذق^٤
وتصبح للباقيين حبراً على ورق؟!
سوى نغمة من بعض سؤرهم الرنق^٥
كساقٍ يُرينا الماء عذباً ولا يسقي
نسابق أهل المجد في حلبة السبق؟!
أنحن من الأحرار أم نحن في رق؟!
وتأليف أخرى مثل تلك بلا فرق
وساروا بمنهاج التبصر والحق؟
فإن طريق العدل من أوضح الطرق؟
إذا لم تقم أخرى على العدل والصدق
كما جرى حقي فمثلها حقي^٦

شكاية قلب بالأسى نابض العرق
ملوك على كل الملوك ثلاثة
وأقسم أنني لا أكون لغيرها
فهل أيها الدستورُ تسمع شاكياً
لقد جئت من أفق الصوارم طالعاً
فصادفت منا أمة قد تعشقت
ولم نبذ عنفاً حين جئت وإنما
وظلنا نرجي منك للخرق راقعاً
بك اليوم أشقانا الألي أنت مُسعد
نراك بأيديهم على الخلق حُجة
قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به
كأننا لهم شاء فهم يحلبوننا
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها
أترضى بأن تختص بالحكم معشراً
وهم يردون الصفو منك ولم نرد
فما نحن إلا كالظماء وإنهم
ألم تر أننا طولَ عهدك لم نقم
ولم نك ندري لا هتضام حقوقنا
ولم نستفد إلا سقوط وزارة
وما ضرهم لو أسقطوا نهج سيرهم
ألم يُبصروا للعدل غير طريقهم
وماذا عسى يُجدي سقوط وزارة
مضى كامل من قبل حلمي وإن جرى

وما الهُمُّ عندي بالذي قد ذكرته
ولكن وراء الستر كَفُّ خفية
ولولا يَدُّ شدت لساني بنسعة
فيا أيها الدستور فاقض بما ترى
ولسنا نريد اليوم حُكْمًا عليهم
تعالوا إلى أمر نسأويه بيننا
فإن يفعلوا هذا فيا مرحبًا بهم
سنطلب هذا الحقَّ بالسيف والقنا
بكل ابن حرب كلما شدَّ هزها
تراه إذا ما عبَس الموت وجهه
من العرب مطبوع الطباع على العلا

وإن كان يشجيني ويدعو إلى الزعق
ترحزح من شاعت عن الأمر أو تبقي
لبحثُ بسر كالشجا هو في حَلقي^٧
وأبرق ولكن لا تكن خُلْبُ البرق
ولكن نناديهم وندعو إلى الحق
وبينكم في الجَلِّ منه وفي الدَّق^٨
وإلا فيا سُحق المعاند من سحق
وشيب وشبان على ضمَّر بُلُق
بعزم من السيف المهند مشتق
بوجه يُلاقي الموت مبتسم طَلَق
بدمع معاني الحسن في الخلق والخُلُق

^١ نشرت هذه القصيدة في المؤيد بمصر سنة ١٣٢٧ هجرية، قالها لما سقطت وزارة حلمي باشا، وقامت بعدها وزارة حقي باشا، ينتقد خطة الاتحاديين عقب الدستور.

^٢ أي لا طاعة إلا لهذه الأمور الثلاثة: الدستور، والعدل، والحق؛ فهي الملوك ولها الحكم في كل أمر.

^٣ قوله: «مخضوا أوطاننا»: أي استغلوا خيرها بمخضها.

^٤ المذق: هو اللبن الممزوج بالماء، المستخرج منه زبده.

^٥ النغبة: بفتح النون وبضمها: الجرعة. والسؤر بالضم: بقية الماء التي يبقئها الشارب في الإناء.

^٦ كامل وحلمي وحقي: أسماء وزراء في الدولة العثمانية.

^٧ النسعة، بالكسر: حبل من أدم. والشجا: عظم يعترض في الحلق، وهو عندهم مثل للأمر المزعج.

^٨ الجَل والدق، وكلاهما بالكسر: الجليل والدقيق؛ أي العظيم والحقير.

في معرض السيف^١

هي المُنَى كَثُغُورُ الْغَيْدِ تَبْتَسِمُ
دَعِ الْأَمَانِيَّ أَوْ رُمَهْنَ مِنْ طُبِيَّةٍ
وَالْمَجْدُ لَا تَبْنِيهِ إِلَّا عَلَى أُسُسٍ
لَوْ لَمْ يَكُ السِّيفُ رَبَّ الْمَلِكِ حَارِسَهُ
مَنْ سَلَّهَ فِي دُجَى الْأَمَالِ كَانَ لَهُ
وَالْعِلْمُ أَضْيَعُ مِنْ بَذْرِ بِمَسْبَخَةٍ
إِنَّ الْحَقِيقَةَ قَالَتْ لِي وَقَدْ صَدَقْتَ
وَالْحَقُّ لَا يُجْتَنَى إِلَّا بِذِي شُطْبٍ
إِنْ أَسْمَعْتُ أَلْسُنَ الْأَقْلَامِ ظَالِمَهَا
فَلِلْحَسَامِ صَلِيلٍ يَرْتَمِي شَرَرًا
هَبِ الْبِرَاعَةَ رِدَاءَ السِّيفِ تَأْزِرُهُ
فَالْعِلْمُ مَا قَارَنْتَهُ الْبَيْضُ مَفْخَرَةٌ
وَإِنَّمَا الْعَيْشُ لِلْأَقْوَى فَمَنْ ضَعِفَتْ
وَالْعِزُّ كَالْجَهْلِ فِي الْأَزْمَانِ قَاطِبَةٌ
وَالْمَجْدُ يَأْتِلُ حَيْثُ الْبَأْسُ يَدْعُمُهُ
وَإِنَّ شَأْنَ الْمَعَالِي لَيْسَ يُدْرِكُهُ



آهًا فَأَهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَرَفٍ
أَيَّامُ كَانُوا وَشَمْلُ الْمَجْدِ مَجْتَمِعٍ
كَانُوا أَجَلَ الْوَرَى عَزًّا وَمَقْدَرَةً
وَأَرْبَطَ النَّاسَ جَاشًا فِي مُوَافَقَةٍ
قَوْمٌ إِذَا فَاجَأَتْهُمْ غَمَةٌ بَدَرُوا
عَلَى الْحَصَافَةِ قَدْ لَيْثَتْ عَمَائِهِمْ

لِلْيَعْرُبِيِّينَ قَدْ أَلَوَى بِهِ الْقَدَمُ
وَالشَّعْبُ مَلْتَمٌ وَالْمَلِكُ مُنْتَظَمُ
إِذَا الْخُطُوبُ بِحَبْلِ الْبَغْيِ تُحْتَرَمُ
مِنْ شِدَّةِ الرَّعْبِ فِيهَا تَرْجَفُ اللَّمَمُ
وَأَوْفَرْتَهُمْ إِلَى تَكْشِيفِهَا الْهَمَمُ^٥
وَبِالْحِزَامَةِ شُدَّتْ مِنْهُمْ الْحُزْمُ

قضوا أعاريبَ أقحاحًا وأعقبهم
جار الزمان عليهم في تقلُّبه
دب التباغض في أحشائهم مرضًا
فأصبح الذل يمشي بين أظهرهم
فأكثر القوم من ذلٍّ ومسكنة
كم قد نحتُّ لهم في اللوم قافية
وكم نصحتُ فما أسمعتُ من أحدٍ



خلف هم اليوم لا عُرب ولا عجم
حتى تبدلت الأخلاق والشيم
به انبرت أعظمُ منهم وجفَّ دم
مَشْيِ الأمير وهم من حوله خَدَم
تُلْفِي الذباب على أنافهم يَنَمُ^٦
من الحفيظة بالتقريع تحتدم
حتى لقد جفَّ لي ريق وكَلَّ فَمُ

يا راكبًا مَتَنَ مُنْطاد يطيرُ به
يمرُّ فوق جناح الريح مخترقًا
يعلو إلى حيث يستجلي العيانُ له
حتى إذا حط منقضًا على بلدٍ
أبلغ بني وطني عني مُغلغلةً
ما بالهم لم يُففقوا من عمايتهم
إلى متى يخفرون المجدَ ذمته
ومن يَعشُّ وهو مضياغٌ لفرصته
وكل من يدَّعي في المجد سابقة

كما يطير إذا ما أفزع الرخم^٧
عرض الفضاء ويعدو وهو مُعترم
ما غمه الأفقُ أو ما وارت الأكم
ينقض والبلد الأقصى له أَمَم
في طيها كَلَم في طيها ضَرَم
وقد تَبَلَّج أصبح المنى لهم؟!
أليس للمجد في أنسابهم رحم؟!^٨
ذاق الشقاء وأدمى كفه الندم
وعاش غير مجيد فهو متهم

^١ لما قام الإصلاحيون في بيروت يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح، قال الرصافي هذه القصيدة يؤيدهم بها.

^٢ «تحل حباها» بضم الحاء: جمع حبوة، وهي اسم بمعنى الاحتباء، وتطلق على ما يحتبى به الرجل من ثوب أو عمامة، ويقال: «حلَّ فلان حبوته»؛ إذا قام، كما يقال: عقد حبوته؛ إذا قعد، والمراد بكون الظلم في هذا البيت تحل حباها، أنها تزول دون ذلك الفجر.

^٣ قوله: «بمسبخة»: صفة لمحذوف؛ أي بأرض مسبخة وهي الأرض التي تحرث ولا ينمو فيها زرع.

^٤ «بذي شطب»: صفة لمحذوف؛ أي بسيف ذي شطب، والشطب: جمع شطبة، وهي طريقة السيف في منته، وقوله: «في غريبه»: أي في حذيه.

^٥ بدروا: أسرعوا. وأوفرته: أعجلتهم.

^٦ ونم الذباب ينم: إذا سلح، ومصدره الونيم.

^٧ الرخم: طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة، والواحدة منه رخمة.

^٨ خفر فلانًا: أي نقض عهده وغدر به.

ما هكذا ^١

أصبحت أوسعهم لومًا وتثريبًا
والهبت منهم الأهواء جارية
وأرسلوهنَّ مُرخاة أعنتها
فأرهجوا الشر حتى إن هبوته
راموا الصلاح وقد جاءوا بلائحة
قد كلّفوا شططًا فيها حكومتهم
عدّوا النصارى وعدّوا المسلمين بها
قد حكّموا الدين فيها فهي مُعرّبة
مَنْ مُبلّغ القوم أن المصلحين لهم
ما بالهم وطريق الحق واضحة
أو في مصالح دنياهم وهم عربّ
ما ضرّهم لو نحّوا في الأمر جامعةً
لكنهم أمة تأبى مشاربهم
قد حاولوا الحق واشتطّوا بمطلبه
قد يطلب الحق طيّاش فيبطله
قاموا يريدون إصلاحًا فقمّت لهم
ورحت أحنّتهم حدّوا بقافية
حتى إذا محضوا آراءهم ظهرت
ساروا وسرّت فكان السير مختلفًا
كانوا أحق البرايا مطلبًا فغدّوا
راموا انشقاق العصا بالشغب ملتهبًا
إني لأبصر في بيروت قائبة
أو أكرة من «دناميت» إذا انفجرت

لما امتطوا غارب الإفراط مركوبا
إلى التفرق ألهوبًا فألهوبا ^٢
يُغلن في الأمر إحضارًا وتقريبًا
مدت سرادقها في اللوح مضروبا ^٣
خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
وخالفوا الحزمَ فيها والتجاريبا
ونحن نعهدهم طرّا أعاريبا
عما يكون لدعوى القوم تكذيبا
أمسوا كمن لبس الجلباب مقلوبا؟
لا يسلكون إلى الإصلاح ملحوبا؟ ^٤
جاءوا على حسب الأديان ترتيبا؟
تتفي الكنائس عنها والمحاريبا
إلا التعصب للأديان مشروبا
حتى بدا وجهه كالليل غريبيا ^٥
ما كل طالب حق نال مطلوبًا
أستتطق الشعر تأهيلًا وترحيبا
غازلت في صدرها الآمال تشيبيا
للناس زبدتها ثأيا وتخيبيا ^٦
يرمي لوجهين تشريقًا وتخريبًا
من أبطل الناس في الدنيا مطاليبا
والحدق مضطرمًا والضغن مشبوبا
للشر موشكة أن تخرج القوبا ^٧
فنارها تنسف الشبان والشبابا

وقد رأيت أناسًا وأصلين بها
وآخرين بمصرٍ يطلبون لها
ويترك الناس في دهياء مظلمة
قل للعريسي، والأنباء شائعة
علامَ تعقد في باريز مؤتمراً
وهل تعمّد «حقي العظم» فَعَلْتَه
إذا راح يستتجد الإفرنج منتصفاً



وهم بباريزٍ مُلْبارود أنبوا^٨
تفرقاً يجعل المعمور مَحْروباً
يرتدُّ منها بياض الشمس حُلُوباً^٩
والصحف تروي لنا عنه الأعاجيبا:
ما كنت فيها برأي القوم مندوباً؟
لما نمت خبراً «للطان» مكنوباً؟^{١٠}
كأنه حملٌ يستتجد الذيبا

خافوا التذبذب في أعمال دولتهم
وكان خوفهم حقاً لو أنَّهم
لكنَّهم جاوزوا نهج الصواب إلى
ولم يُبالوا بما أبدوه من جَنَفٍ
فهم كمن فرَّ من قَطَرٍ يبُلِّله
لو كان في غير باريز تَأْلُبُهُمْ
لكنَّ باريز ما زالت مطامعها
ولم تزل كل يوم من سياستها
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتهم



صَجُّوا بباريز إفساداً وتشغيبا
تفتنُّ في المكر أسلوباً فأسلوباً
تسطو عليهن تمزيقاً وتأريباً
محض النصيحة في الدعوى جلابيبا
ويُسبَلُ الدمع في الخدين مسكوباً

يا أيها القوم لا يغزركم نفر
جاءت رسائلهم بالشر مُغْرية
فطالعوهم بالأيدي مطالعة
إن يصدقوا إنهم لا يلبسون سوى
فسوف يقرع كلُّ سنَّة ندماً

^١ لما اطلع الشاعر على لائحة الإصلاحيين في بيروت ورأى فسادها، قال هذه القصيدة يؤنبهم ويفند رأيهم في ذلك، وفي عقدهم مؤتمراً في باريس.

^٢ ألهبت منهم الأهواء: في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبَّه الأهواء بالخيال العادية، ومعنى ألهبت: اجتهدت في عدوها حتى أثارت الغبار، والألهوب: اسم بمعنى الإلهاب.

^٣ أرهبوا الشر: أي أثاروا رهج الشر؛ أي غباره. والهبوة: الغبرة، واللوح بضم اللام: الهواء بين السماء والأرض.

^٤ ملحوباً: أي واضحاً، وهو صفة موصوف محذوف، أي: طريقاً ملحوباً.

٥ الغريب: الأسود.

٦ الثأري: الضعف والركاكة. والتخبيب: العش والإفساد.

٧ القائبة: البيضة. والقوب: الفرخ.

٨ ملبارود: أصله: من البارود، فحذف نون من الجار، واتصلت بالمجرور خطأ، وقد جاء استعمالها كذلك في شعر الأقدمين. وجملة: «وهم بباريز» معترضة. وأنبوا: مفعول لواصلين. وملبارود حال من أنبوا.

٩ الحبوب: الأسود الحالك.

١٠ لما عقد المتهمسون من العرب في باريز، أرسل حقي العظم إذ ذاك بمصر تلغرافاً إلى جريدة الطان الباريزية، يطلب فيه من الحكومة الفرنسية أن تتدخل في أمر سورية، ففي هذا البيت وما بعده إشارة إلى هذا التلغراف الذي أرسله حقي العظم.

١١ وادي تهلك، بضم التاء والهاء وتشديد اللام المكسورة: هو الباطل، ويستعمل ممنوعاً من الصرف.

في ليلة نابغية^١

خاضَ الدجى وظلام الليل مختلطُ
يُبْتُ في الليل حزناً لو أحس به
أبديه منقبضاً منه على شَجَن
أرسلت منه أنيباً فات أوله
والليل أرسل وخفّاً من غدائره
والنجم في القبة الزرقاء تحسبه
كم قلت والليل جَبُلُ الشعر فاحمه
ينجاب ليل العمى عن قلب سامعه
لهفي على حكم ما زلت أنثرها
ضاع الدواء الذي قد كنت أوجره
تقول لي — إن غبطتُ القومَ — تجربتي:

صوت به الوجدُ مثلُ السيفِ مختَرطُ^٢
لبان في لَمَّتِيهِ الشيبُ والشمطُ^٣
فيملأ الليلَ إرناناً وينبسط
سمعي وآخره بالقلب مرتبط
كأنه بثُرياً الأفقَ يمتشطُ^٤
فرائداً وهي من فيروزِج سَفَطُ^٥
شعراً به كاد فرع الليل ينمط^٦
كالفجر إن لاح فالظلماء تنكشط
درّاً ثميناً وما في القوم ملنقط!
مَن ليس يشرب أو من ليس يَسْتَعِطُ^٧
لا تغبطنّ فما في القوم مغتبط



قُلْ لِلْأَلَى نطقوا بالضاد مُدْغَمًا:
أيحسنُ اللحنُ إذ أبأؤكم فصّحوا
فيكم غلوٌ وتقصير وبينهما
إني ابتليت بقوم يبعرون على
شطوا بأقوالهم حتى لقد غضبوا
فبدّلوا القول إن صحت عزائمكم
قد حرت في الأمر؛ إني حين أسخطهم
فاز الذي كان في أحواله وسطاً
قل للأعاريب: قد هانت مكارمكم
برأت للعرب العرباء من فئة
أين المكارم إن هم أصبحوا عرباً

لم يدغم الضاد أباءً لكم فرطوا^٨
أم يحسن العجز إذ أباءكم نشطوا؟!
ضاع المراد أنتم أمة وَسَطُ؟!
أعقابهم، وإذا عَنَفْتَهُمْ ثَلَطُوا^٩
إذ قلت: يا قومُ في أقوالكم شطط
فعلًا وإلا فإنني يائس قنيط
يرضون عني وإن أرضيتهم سخطوا
فالمرُّ يُعْقَى وإن الحلو يُسْتَرط
حتى ادّعاها أناس كلهم نبط^{١٠}
ينمون للعرب إلا أنهم سقط
فإنها في طباع العرب تشتط؟

إن يغمطوني لأني جئت أنهضهم
 هم كالضفادع فاسمعهم إذا رطنوا
 يستنثرون صغاراً من معاطسهم
 العارُ يرحل مَعهم أينما رحلوا
 من كل أشوة لاحت من مغامزه
 قد رثَ عرضاً وإن جدَّت مآزره
 تراه يشخر عند الأكل من جشع
 الخلق كالخطِّ لا تقرأ لئامهم
 إن رُمّت تشبع من مجد فكلُّ همماً
 نفسي تجيش لأمر لو صدعت به
 فأني مستتهض ذي نجدة غمطوا
 فما هنالك إلا اللغو واللغط
 ولا يبالون أن قالوا وأن شرطوا
 والخزي يهبطُ معهم أينما هبطوا
 في وجه كل حياة حوله نقط
 من كل مخزية في وجهه شرَط^{١١}
 كأنما هو عند الأكل يمتخط
 واشطب عليهم بنعل إنهم غلط
 كأكل السمن ملبوكاً به الأقط
 لزلزلت دونه البلدان والخطط

^١ لما نشر الرصافي قصيدته «ما هكذا» ضج له ضجيج القوم، وأخذت صحفهم تشنع عليه الأمر، وترميه بما هو براء منه وخلاء، فبلغه الخبر وهو إذ ذاك في الأستانة فبات له قلق الحشا، فكتب هذه القصيدة وكأنه كان في ليلة نابغية.

^٢ مخترط بصيغة المفعول: أي مسلول.

^٣ الشمت: بياض الشعر، فعطفه على المشيب من قبيل عطف التفسير.

^٤ الوحف، بفتح فسكون: الشعر الأسود الحسن.

^٥ السفط بفتحيتين: وعاء مقعر مستدير كالقفة، أكثر ما تستعمله النساء لوضع حليها.

^٦ الجتل من الشعر: الكثير اللين. والفرع: الشعر التام. وينمعت: يتساقط ويتمرط، والمراد بفرع الليل: ظلامه، وبانمعاطه: انجلاؤه وإضاءته.

^٧ قوله: «أوجره» نقول: أوجرت المريض الدواء؛ إذا صببته في فيه، ويستعط: يدخل السعوط في أنفه.

^٨ فرطوا: أي سبقوا وتقدموا.

^٩ يبعرون: أي يرمون رجميعهم بعراً، وهو رجميع ذات الخف. وقوله: «تلطوا» أي: سلحوا سلحاً رقيقاً، يقال للإنسان إذا رق نجوه: هو يتلط تلطاً. ومعنى البيت: إني إذا لمتهم على خطئهم الصغير، فبذل أن يكفوا عنه يأتون بخطأ أكبر.

^{١٠} النبط بالتحريك: جبل من العجم، ويستعمل أيضاً في أخلاط الناس وعوامهم.

^{١١} الشرط، بالتحريك: العلامة.

إلى السلطنة

هم يَعْتُونُ بالمئات ذكوراً
ولهم أَعْبَدُ بها وإماء
تركوا السعي والتكسب في الدن—
يتجلى النعيم فيهم فتبكي
يأكلون اللُّبَاتَ من كَدِّ قوم
فكأنَّ الأنام يشقون كَدًّا
وكان الإله قد خلق النـا
نعموا في غضارة الملك عيشاً
فإذا صاولَ العدوَّ خرجنا
وإذا هم جرُّوا الجرائرَ يوماً
وإذا ما استهلَّ فيهم وليد
قد رضينا بذاك لو لا عتوُّ
ما بهم ما يميزهم عن بني السو
هم من الناس حيث لو غُرِبِلَ النـا
ومن الجهل حيث لو صوِّرَ الجـه—
حملونا من عيشهم كل عبءٍ
فكفينا أصهارَهم مؤنة العي—
تلك والله حالة يقشعُرُ
هي منهم دناءة وشنارُ
ليس هذا في مذهب الإشتراكي—
وهو في الملة الحنيفية البي—

وإنَّنا لهم قصور مُشـالـه
ونعيم ورفعة وجلاله
ـيا وعاشوا على الرعية عاله
أعين السعي من نعيم البطاله
أعوزتهم سَخينة من نخاله^١
كي تنال النعيم تلك السَّـلالـه
س لمَحيا آل السلاطين آله
وحملنا من دونهم أثقاله
دونهم للوغي نردُّ صياله
فعلينا تكون فيها الحماله^٢
فعلينا رِضاغُه والكفاله
أظهروه لنا على كل حاله
قة إلا رسوخهم في الجهاله
س لكانوا نفايةً وحثاله
ـل لكانوا بين الورى تمثاله
ثم زادوا أصهارَهم والكلاله^٣
ـش فكانوا ضغنًا على إِبـالـه^٤
الحقُّ منها وتشمئزُ العداله
وهي منا حماقة وضلاله
ـة إلا من الأمور المُحـالـه
ـضاء كفرُ برِّنا ذي الجلاله

١ سخينة: طعام أو حساء يتخذ من دقيق وتمر، ويؤكل أيام الجهد. والنخالة: ما يبقى في المنخل بعد الدقيق من قشر الحب.

٢ الحمالة: ما يتحمله المحاربون من ديات القتلى.

٣ الكلالة: ذو القرابة غير الوالد والأولاد؛ يريد من ليسوا شديدي القرابة.

٤ الضغت: ما يملأ الكف من قضبان أو حشيش أو شماريخ. والإباله: الكومة الكبيرة منه.

الوطن والأحزاب^١

وقد أمسى الشَّقَّاقُ لنا مَطَافًا؟!
وكنا قَبْلُ نملؤه هُتَافًا
من الأقوال نرسلها جُزَافًا
يَهْزُ فرائصُ الأمن ارتجافًا
ونحن أشدَّ ظلمًا واعتسافًا
بوشك البين تحسبه الغُدا
فأنبِتْنَا بأدمعنا «الخلافا»
لنملاً في موائدنا الصحافا
نخيّط على مطامعنا غلافًا

متى نرجو لِعُمَّتِنَا انكشافًا
ملأنا الجو بالجدلِ اصطخابًا
وما زلنا نهيم بكلِّ وادٍ
ونرجف في البلاد بكلِّ رعب
وننَّهَمُ الحكومَةَ باعتسافٍ
وكم من ناعبٍ في القوم يدعو
تَبَاكِينَا على الوطن اختداعًا
أجاعتنا المطامع فاختلَفنا
ولكننا من الوطن المُفدَّى



غداً يَتَشَمَّمُ الحَدَثُ الجَرَافا^٢
عطاس يملأ الدنيا رَعافا
تردُّ به الهزاهز والنَّقَافا^٣

أرى أنفِ الحوادثِ مَشْمَخَرًا
ويوشك أن يمزق منخريه
فهل لوزارة «الغازي» اقتدارٌ



بيانًا للحقيقة واعترافًا:
فكنا نحن أسوأها اختلافا
بأن لهم أقاويلًا لطافا
وإن أبدت ظواهرهم عَفَافا
ليأكلَ أقوياءُهم الضَّعَافا
وبُغْيَةٍ كل من دأب احترافا
ونكثر حول كعبته الطوافا
وغيرَ هواه ما ارتشفوا سلافًا
ولكن حبه بلغ الشغافا

أقولُ، ولو يسوء القومَ قولي
قد اختلف البرية واختلَفنا
فلا تغررك أحزاب شداد
فإن بواطن القوم احتراضٌ
وما اختلفوا لمصلحة ولكن
هو الدينار مُنية كل راجٍ
نَحْجُ لأجله بيت المخازي
تري كل الأنام به سُكاري
فحبُّ سواه في الأفواه جارٍ

كتائب كل من طلب الزحافا
فأَمَّنْ صوته الأمل المُخافا
أقام له بنو الشرف الزفافا
قد اخترقوا إلى الفتن السَّجافا
وبئس الرأي ما التزم الجُنافا
فما صَوَّبَتْ من راموا «ائتلافا»
كِلَا الحزبين يرتشف ارتشافا
يراه أحق بالحق اتصافا
إذا أفعالهم كانت عِجافا؟!
بها أشتى تدابرهم وصافا؟!
وحاذر أن تكون لهم مضافا
ويسلم منه من لزم الضِّفافا

هو الحرب التي زحفت إليها
وكم قد رنَّ في أمل مُخاف
إذا خطب الوضيع به المعالي
أرى الأحزاب من طمع وحرص
يجانف بعضهم في الرأي بعضًا
لئن خطأتُ من راموا «اتحادًا»
فإن مشارب العدوان منها
وهم كأولي الديانة كل حزب
وماذا نفع أقوال سيمان
وأنى يُصلح الأوطان قومٌ
فكن منهم على طَرَفٍ بعيدًا
فهم كالبحر يهلك راكبوه

^١ قال الرصافي هذه القصيدة عندما سقطت وزارة الاتحاديين، وقامت وزارة أحمد مختار باشا الغازي، وذلك قبل الحرب البلقانية، وكان الخلاف بين الاتحاديين والائتلافيين في أشد حالاته.

^٢ الجراف: الجارف.

^٣ الهزاهز: الحروب والفتن التي تهز الناس. والنقاف: هو المضاربة بالسيوف على الرؤوس. ووزارة الغازي: هي وزارة أحمد مختار باشا الغازي.

عند سياحة السلطان^١

قل للحكومات في البلقان: هل علقت
إن الذي تضمرون اليوم من طمع
لم تعرفوا مَدْ لَمَسْتُمْ عرق نخوتنا
إنا لنعرف لغزاً في سياستكم
ألم تروا أننا مستوفزون لكم
زار المليك بلاد الروم حيث غدا
فزال كل فساد كان منتشراً
حتى اطمأنت قلوب الناس هادئة
وأصبح المترجّي من مطامعكم
ولا عبثت نسّمات الحب ألوية
يا أيها الملك السامي بحكمته
قد عَيَّ في وصف ما أوتيت من حكم
غزوت غزو سلام دون غايته
ملكيت بالعفو والإحسان أفئدة
وأنت لو شئت إرهاباً لجنتهم
لكنما جنتهم بالعفو تأخذهم
فاغمد سيوفك إن العفو منصلت
بالتترك بالروم بالألبان قاطبة
أما بنو العرب فالإخلاص يرفعهم
إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه
ورض بهم كل صعب، إنهم فئة
وهم ركاز العُلا لو زرت أرضهم
إن يعجز الأمر عن مشي فهم سند

آمالكم من مواعيد بإنجاز؟
أمسى لأشعب يعزو مثله العازي
إذ قد لمستم بكف ذات قفّاز
وما السياسة إلا بيت ألغاز
إذ نحن منكم على جذر وأوفاز^٢
يُلقي الدسائس منكم كل همّاز^٣
من عندكم بين إغراء وإيعاز
وكل قلب لكم من غيظه نازي^٤
يرنو إليكم بطرف ساخر هازي
من الرشاد أقيمت فوق أنشاز^٥
والمبدل الناس من ذلّ بإعزاز
كلا كلامي: إطنابي وإيجازي
غزو الحروب فأنت الفاتح الغازي
كانت إلى السيف فيها بعض إعواز
بصارم لنواصي القوم حرّاز
والعفو أفضل ما يجزي به الجازي
واهناً بشعبٍ مُحبٍّ غير منحاز
بالأرمنيين بالبلغار باللاز
إلى مقام على الأقوام ممتاز
فاضرب بغاث العدا منهم بأبواز
تبغي الصدور ولا ترضى بأعجاز
يوماً لأركزت فيها أيّ إركاز^٦
لو كنت مُسنده منهم بْعَاز

وإن خشيت على البلدان جنتها
وسيفُ مُلكك إن رثت حمائله
زر أيها الملك المحبوب موطنهم
وانظر إليه بعين منك شافية
أشتم وأغرق وروح من بعد محتجزا
ماذا على ملك الدستور من وطن

فقط بها من نُهاهم بعض أحرار^٧
أغنوك في رأيها عن كل خراز^٨
ولو زيارة عجلان ومجتاز
ما نابيه اليوم من جهل وإعواز
وأيمنت بعزم غير هزهاز^٩
لو جال منه بأطراف وأجواز

- ١ لما أخذت حكومات البلقان تشتغل بإيقاد الفتن السياسية في مقدونيا وبلاد الألبان، وخرج السلطان رشاد إلى البلاد المذكورة سائحا سياحة سياسية، قال الرصافي هذه القصيدة، وقد رفعها إلى السلطان فأجازه عليها بساعة من ذهب، ذات سلسلة ذهبية.
- ٢ مستوفزون: متهيبون للوثوب عليكم، نحن على أوفاز: أي حد عجلة، أو على سفر قد أشخصنا، والأوفاز: جمع وفز وهو العجلة.
- ٣ الهمّاز، كشّداد: العيّاب الطعان.
- ٤ نازي: أي واثب.
- ٥ أنشاز: جمع نشز بالتحريك، وهو المكان المرتفع.
- ٦ الركاز: ما ركزه الله في المعادن من ذهب وفضة.
- ٧ الأحرار: مفردها الحرز؛ ما يتخذ لدفع الشر والجنون.
- ٨ في رأيها: أي في إصلاحها. والخراز: فعال من الخرز، وهو خياطة الجلود.
- ٩ احتجز الرجل: أتى الحجاز، وأيمن: أتى اليمن. وقوله: «بعزم غير هزهاز»؛ أي غير مضطرب.

الحق والقوة

مشى ضارباً في الأرض تلفظه الطُرقُ
وحيداً فما يؤويه غربٌ ولا شرقُ
إلى حيث لا إنس ولا طائر يزقو
ويظهر أحياناً كما أومض البرق
وهم من قديم الدهر أعداؤه الزرق
إذا ظهرت ينسدُّ من دونها الأفق
قدائف من نارٍ كما أمطر الودق^١

أرى الحق لم يغش البلاد وإنما
فيُصبح في أرض ويُمسي بغيرها
توطن فقر الأرض مبتعداً بها
وقد يهبط الأمصار وهو محجَّب
ومن عجب أن الورى يدعونه
أعدوا له في البر والبحر قوةً
وطاروا بطياراتهم يُمطرونه



تُذل لها الأعناق قهراً وتندق
ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق؟
تعارض في أوصافها الكذب والصدق
بأشياء من بطلانها ضحك الحق
أجازوا لهم أن يشمل الأمم الرق
من الأسر مشدوداً بأعناقها ربق؟
من العنف لم يمرر بساحتها رفق
بكأس من العدوان ليس لها مدق
تُعاف؛ لأن الماء في حوضها رنق
من الضيم غورٌ ما لأوشاله عمق

يقولون: إن الحق في الخلق قوة
فما باله يُمسي ويصبح شاكياً
إلى الله نشكو الأمر من مدنيّة
وكم قد سمعنا ساسة الغرب تدعي
فهم منعوا رق الأسير وإنما
ألم تر في القطر العراقي أمة
قد اختط فيه السيف للقوم خطة
وأجرهم سمّاً من الذل ناقعاً
فدجلة من وقع الشوائب أصبحت
وإن الفرات الغمر أمسى وماؤه



إذا ذكرت يهتز بي نحوها عشق
خاطر لم يسمح بإفشائها النطق
أنوح عليها مثلما ناحت الورق^٢
يكاد لها قلبي من الحزن ينشق

رعى الله بين الواديين مواطنًا
قضيت بها عصر الشباب فلي بها
فلا تعجبوا من أنني عند ذكرها
وإني إذا أبصرتها مستضامة

ألم ترها قد أصبحت من إسارها
تجر قيود الذلّ راسفةً إلى
ويحلب شطريها العدو ضرائباً
سلامً على وادي السلام الذي به
سنفديه حتى لا حياة عزيزة
وندرك فيه ثأرنا بكتائب
وإن الليالي بالخطوب حوامل
فتنتج حرباً ما يبوخ سعيها
بكل أخي عزم كأنّ مضاءه
تلقّف رايات العلا بسواعد
فإما المنايا نستطبّ بطبها
إذا نحن لم نملك على الدهر أمره

تليح بطرف في لوحظه العتق؟
تكاليف حكم في سياسته المحق
ويمخضها درّاً كما يُمخض الزق
تقاوم هول الخطب واتسع الخرق
ونبذل حتى لا نفيس ولا علق
لها نسب من صلب يعرّب مشتق
ولا بدّ يوماً أن سيأخذها الطلق
وتستنّ في ميدانها الدّهم والبلق
مشطّبة بيض ومسنونة زرق
لهنّ بتصريف القنا في الوعى حذق
وإما منى فيها يتم لنا سبق
فلا دام فينا نابضاً للعلا عرق

^١ الودق: المطر كله؛ شديده وهينه.

^٢ الورق: الحمائم، مفردها الورقاء.

صبح الأماني^١

تَبَلَّجَ أَفُقُ الشَّرْقِ مِنْ بَعْدِ مَا اغْبَرَّا
وَلَوْ كَانَ صُبْحًا نَاصِعَ اللَّوْنِ سَرْنِي
وَلَكِنَّهُ صُبْحٌ يَلُوحُ لِنَاضِرِي
أَرَاهُ كَوَجْهَ الْغَادَةِ الْخُودِ رَاقِنِي
لَمَحْتُ تَبَاشِيرَ الْمَنَى مِنْ خِلَالِهِ
وَلَمْ أُدِرْ لِمَا اسْتَبْهَمْتُ أُخْرِيَّاتُهُ
وَلَوْ كُنْتُ أُدْرِي مَا وَرَاءَ احْمَرَارِهِ
وَلَكِنَّهُ وَرَى عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
يَهَامِسْنِي بِالْوَعْدِ قَوْلًا مَجْمَعًا
وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَكُونَ بِوَعْدِهِ
وَمَا كُلُّ صَبْحٍ يَرْتَجِي النَّاسَ خَيْرُهُ
فَإِنْ كُنْتُ يَا صَبْحَ الْأَمَانِيِّ صَادِقًا



أَقُولُ بِهَا حَقًّا وَإِنْ قَلْتَهُ مُرًّا؟!
حَجَابًا بِأَفَاقِ الْعِرَاقِينَ مُمْتَرًّا^٣
سُدُولًا بِهَا جُودَ السَّمَاءِ قَدْ اغْبَرَّا
بِهَا عَادَ وَجْهَ الْأَفَاقِ أَسْفَعَ مَكْدَرًا^٤
بِهِ مَرْبَعُ الْأَمَالِ أَقْفَرُ وَاقُورًا^٥
وَأَمَالُهُمْ أَمْسَتْ كَتَيْبَتُهَا فُرِّي^٦



عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَصْبَحُوا يُنْكِرُونَنَا
هُمْ أَسْمَعُونَا نَعْرَةَ عَرَبِيَّةٍ
فَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ قَامَ فِيهَا مَثْرَثًا
وَقَدْ عَرَفُونَا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَرَّا
فَدَوَّى صَدَاهَا فِي الْمَسَامِعِ مُضْطَرًّا
فَطَرَّى لَنَا مِنْ يَابِسِ الْقَوْلِ مَا طَرَّى

وكم شاعرٍ قد أرخص الشعرَ دونها
وكنّا أجبناهم إليها إجابة
رجاء اتحاد في طريق سياسة
فمذ حان أن يخضَلَ غصن اعتزازنا
نصبنا خياشيم الرجاء لريحهم



وكم قلم فوق الطروس بها صرّا
بها قد تركنا جانب الدّين مزورّا
تعمّ مراميهما بني يعرب طرّا
ويرجع بعد اليّيس رطبًا ويخضرّا
فهبت لنا نكباء عاتية صرّا

لعمري لقد ساء الكرام ابنُ غانم
نفى عن مَناميه العروبةَ وأدعى
وهل حسبوا أن العروبة في الوري
كأن لم يقيم من بينهم ناعراً بها
فما أحدٌ منهم وفى بعهوده
وكان غروراً كل ما حالفوا به
وعاد الذي كنا نوّمل منهم
وقد صوّحت تلك الأمانى كلّها
وأصبح فينا شامتاً كل من غدا

بباريس إذ قد قال ما يُخجل الحرّا
جُزافاً وخلّى منهج القوم وابترّا^٧
من العرّ حتى أنكروا ذلك العرّا؟!^٨
ولم يك ضرّانا بها أمس من ضرّا^٩
ولا أحدٌ منهم بما قال قد برّا
وشر الحليفين الذي خان أو غرّا
إلى غير ما كنا نوّمل مُنجراً
فحاكت نبات الأرض إذ هاج مصفرّا
لأبناء قنطوراء يغضب ممقراً^{١٠}

^١ نشرت الجرائد مقالاً لشكري غانم بباريس صرح فيه بالتبرؤ من الأمة العربية، قائلاً: إننا — معاشر السوريين أو اللبنانيين — لسنا بعرب، وإن تكلمنا بالعربية، وإنما نحن فينيقيون، فقال الرصافي هذه القصيدة؛ يرد على شكري غانم.

^٢ يشير بقوله: «تبلج أفق الشرق» إلى حكومة دمشق، وكنى عنها بافترار الشرق عن صبح الأمانى.

^٣ يقال: امترّ به؛ أي مرّ به.

^٤ الغيبة: كل ما أظّل الإنسان من فوق رأسه، كالغبرة والسحابة ونحو ذلك. وأسفع: ذو سواد وشحوب. ومكدرًا: أي كدر.

^٥ اقورّ: ذهب نباته.

^٦ قوله: «نوءهم متخاذل»: أي ضعفاء. وقوله: «أمسّت كتيبتّها فُرّى»، بضم الفاء وتشديد الراء: أي منهزمة.

^٧ نفى عن مَناميه: أي عن مناحيه. ابتر: من الابتزاز، وهو الاعتزال والانفراد عن الأصحاب.

^٨ العر بالفتح: العيب.

^٩ قوله: ضرّانا بها: أي أغرانا، يقال: ضراه بكذا تضرية؛ أي ألجه به وأغراه وعوده إياه.

^{١٠} أبناء قنطوراء: الترك. وقوله ممقراً: أي ناتئاً عرقه، ويكون ذلك عند الغضب.

نواح دجلة

قالها بعد سقوط بغداد في أثناء الحرب العامة؛ جوابًا عن قصيدة الشاعر التركي الشهير سليمان نظيف.

كُلُّ حُزْنٍ لِمَائِهَا يَمْتَاخُ	هِيَ عَيْنِي وَدَمْعُهَا نَضَّاخُ
بِيدِ الذَّلِّ هَالِكٌ مَجْتَاحُ؟!	كَيْفَ لَا أَذْرُفُ الدَّمُوعَ وَعِزِّي
جَلَّ مَا لِلَّيْلَةِ إِصْبَاحُ	قَدْ رَمَتْنِي يَدُ الزَّمَانِ بِخَطْبِ
ظُلُمَاتٍ تَخْفَى بِهَا الْأَشْبَاحُ	حَيْثُ غَمَّتْ عَلَيَّ وَجْهَ سَمَائِي
شَرَفَ فِي مَوَاطِنِي وَضَاحُ	وَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنِي مَضْمَحًا
— يَمِ عَنِي وَلَا طُبًّا وَرِمَاحُ	يَوْمَ أَمْسَيْتُ لَا حُمَاةَ تَذُودُ الضُّ—
لَا شِرَاعٌ لَهَا وَلَا مَلَّاحُ	فَأَنَا الْيَوْمَ كَالسَّفِينَةِ تَجْرِي
قَبِيدَ شِبْرِ لِي الْفَجَاجِ الْفِسَاحُ	ضَقْتُ ذِرْعًا بِمَحْنَتِي فَتَرَاءْتُ
أَلْسُنُ الدَّمْعِ فِيهِ دُلُقٌ فِصَاحُ	أُخْرَسَ الْحُزْنُ مَنْطِقِي بِنَحِيبِ
وَاعْتَرَانِي مِنَ الْعَوِيلِ بُحَاخُ	نُحْتُ حَتَّى رَثَى الْعَدُوَ لِحَالِي
وَخَرِيرِي هُوَ الْبُكَاءُ وَالنُّوَاحُ	فَمِيَاهِي هِيَ انْسِكَابُ دَمُوعِي
خَفَقْتُ فِي جَوَانِبِي الْأَرْوَاحُ؟!	أَوْ مَا تَبْصُرُ اضْطِرَابِي إِذَا مَا
هُوَ مِنِّي تَتَهَدَّدُ وَصِيَاخُ	لَيْسَ ذَا الْمَوْجِ فِيَّ مَوْجًا وَلَكِنْ
أَدْمَعِي أَحْرَقْتَنِي الْأَتْرَاحُ	إِنْ وَجَدِي هُوَ الْجَحِيمُ وَلَوْ لَا
مَنْ أَسَى جَفَّ مَأْوُهُ الضَّحْضَاحُ	لَوْ دَرَى مَنْبَعِي بِمَا أَنَا فِيهِ
هُوَ بَاكِ وَدَمْعُهُ سَفَّاحُ	عَلَّه قَدْ دَرَى بِذَاكَ فَهَذَا



نَهْبَةً فِي يَدِ الْعَدُوِّ وَرَاحُوا؟	أَيْنَ أَهْلُ الْحِفَاطِ هَلْ تَرْكُونِي
أَفَجِدُّ بَرَاخُهمْ أَمْ مُزَاحُ؟	بَرْحُوا وَادِي السَّلَامِ عَجَالًا
وَعَزِيزٌ مِنْهُمْ عَلَيَّ انْتِزَاحُ؟	مَا لَهُمْ يَبْعُدُونَ عَنِّي انْتِزَاحًا
لِلْمُعَادِينِ بَعْدَهُمْ مُسْتَبَاحُ؟	أَوْ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ حَرِيمِي

لَالَيْهِمْ بَوْدَهُ طَمَّاح
أَلَمَّا مَا تَطْيِيقُهُ الْأَرْوَاح
لَبَكُوا مِثْلَمَا بَكَيْتِ وَنَاحُوا
يَوْمَ بَانُوا وَلَا الصَّبَاحُ صَبَاحُ
بَجْنَاحٍ وَأَيْنَ مِنْي الْجَنَاحُ!
لَمْ يَذُوقُوا غَمَضًا وَلَمْ يَرْتَاخُوا
—فَ بَجِيْشٍ بِهِ تَغْصُ الْبِطَاحُ
بَعْدَهَا وَثْبَةً لَهُ وَكَفَاحُ
زَانَهُ مِنْ وَدَادِهِمْ أَوْضَاحُ؟!
وَلَهُ رَايَةُ الْهَلَالِ وَشَاحُ
نَتِّ بَقْلَبِي مِمَّنْ أَحَبُّ جِرَاحُ
بَلَّغِيهِمْ شَكَائِي يَا رِيَّاحُ

فَلَنْ يَبْعِدُوا فَإِنْ فَوَّادِي
تَرْكُونِي مِنَ الْفِرَاقِ أَقَاسِي
لَوْ رَأَوْنِي سَبِيًّا بِأَيْدِي الْأَعَادِي
لَا مَسَائِي بَعْدَ الْبَعَادِ مَسَاءُ
أَتَمْنَى بِأَنْ أَطِيرَ إِلَيْهِمْ
أَنَا أَدْرِي بِأَنَّهُمْ بَعْدَ هَجْرِي
بَلْ هُمْ الْيَوْمَ عَازِمُونَ عَلَى الزَّحَى—
إِنْ تَأَنَّنُوا فَرِبْضَةُ اللَّيْثِ تَأْتِي
كَيْفَ يُغْضُونَ عَنْ إِغَاثَةِ وَادٍ
فَعَلِيهِ مِنْ فَخْرٍ عَثْمَانِ تَأْجُ
أَنَا بَاقٍ عَلَى الْوَفَاءِ وَإِنْ كَا
فَالِيهِمْ وَمِنْهُمْ الْيَوْمَ أَشْكُو

بعد براح الشام

قد صَحَّ عِزْمُكَ وَالزَّمَانُ مَرِيضُ
مَا بَالُ هَمِّكَ فِي الْفَوَادِ كَأَنَّهُ
كَمْ بَتَّ مُعْتَلِجُ الْهَمُومِ بَلِيلَةً
طَنَّتْ بِمَسْمَعِكَ الْهُوَاجِسُ فِي الدَّجَى
تَتَبَوْا جُنُوبَكَ عَنْ فَرَاشٍ نَاعِمٍ
وَكَأَنَّ جَنْبَكَ بِالْجَوَى مُتَقَرِّحٍ
كَبُرَتْ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ لُبَانَةٌ
مَا زِلْتَ تَقْتَحِمُ الْمَهَالِكُ دُونَهَا
لِلَّهِ أَنْتَ فَأَيُّ هَوْلٍ تَمْتَطِي



وَلَرَبَّ قَافِيَةٍ كَمْؤْتِلَقِ السَّنَا
صَرَّحْتُ فِي إِنْشَادِهَا بِحَقِيقَةٍ
وَلَقَدْ أَجَرَنِي الْقَرِيضُ عِنَانُهُ
وَأَتَى الْمَدَى يَوْمَ السَّبَاقِ مَجْلِيًّا
قَدْ كُنْتُ أَنْبِطُ لِلْقَرِيضِ قَرِيحَةً
وَلَكُمْ وَقَفْتُ مِنَ السِّيَاسَةِ مَوْقِفًا
مُسْتَنْهَضًا بِالشَّعْرِ قَوْمِي لِلْعَلَا
أَيَّامَ لَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ شَاعِرُ
حَتَّى إِذَا دَارَ الزَّمَانُ مَدَارَهُ
وَعَدَا يِنَازِعُنِي الْحُرُورَةُ شَاعِرُ
وَيَبْزُنِي ثَوْبَ الْأَمَانَةِ خَائِنُ
كَمْ مَدَّعٍ دَعَاوِي فِي وَطَنِيَّةٍ
مِنْ كُلِّ عَبْدٍ فِي السِّيَاسَةِ بَاعُهُ

حَتَّامَ تَذْهَبُ فِي الْمَنَى وَتَتَيْضُ؟^١
عَظُمَ يَقْلُقُ فِي حَشَاكَ مَهِيضُ؟
مَا لِلظَّلَامِ بِفَجْرِهَا تَقْوِيضُ!
فَنَفَتِ كَرَاكَ كَمَا يَطْنُ بَعُوضُ
فَكَأَنَّ مَضْجَعَكَ الدَّمِيثُ قَضِيضُ
وَكَأَنَّ قَلْبَكَ بِالْهَمُومِ رَضِيضُ
ضَاقَتْ سَمَوَاتُهَا وَأَرُوضُ
فَالْهَوْلُ يَرْكَبُ وَالصَّعَابُ تَرُوضُ
أَمْ أَيُّ مَعْتَرَكِ الْخَطُوبُ تَخُوضُ؟^٢

يَجْلُو الشُّكُوكَ يَقِينُهَا الْمَحْوُوضُ^٣
فَاتِ الْأَنَامَ بِمَثَلِهَا التَّعْرِِيضُ
وَنَحَا بِي الْمِضْمَارُ وَهُوَ مَرُوضُ^٤
يَجْرِي سَبُوحٌ خَلْفَهُ وَرَكُوضُ
بِمَفَاخِرِ الْعَرَبِ الْكِرَامِ تَقِيضُ
مَحْيَايَ فِيهِ عَلَى التَّوَى مَعْرُوضُ^٥
إِذْ كَانَ فِيهِمْ فَتْرَةٌ وَرَبُوضُ
قَبْلِي وَلَمْ يَنْشُدْ هُنَاكَ قَرِيضُ
خَابَ الْقَرِيضُ وَعَادَ وَهُوَ جَرِيضُ^٦
مَا كَانَ حَرًّا شَعْرُهُ الْمَقْرُوضُ^٧
كَأَبِي بِرَاقِشٍ طَبْعُهُ الْمَرْفُوضُ
أَنَا كُنْتُ أَبْنِيهَا وَكَانَ يَقُوضُ!
وَشَرَاهُ هَذَا الدَّرْهَمُ الْمَقْبُوضُ

تَعَسَّ المَخَاصِمَ إِنَّ لِي لَقَصَائِدًا
فَإِذَا ادَّعَيْتُ فَهَنَ فِي دَعَايَ لِي
وَسَلَّ الْيِرَاعَ يُجِبُّكَ عَنِّي نَاطِقًا



طَرَفُ المَعَانِدِ دُونَهُنَّ غَضِيضٌ^٨
حُجَّجَ دَوَامُغُ مَا لَهْنُ دُحُوضٍ
بِمَقَالِ صِدْقٍ لَيْسَ فِيهِ غَمُوضٌ

لَمَّا تَكَرَّهَنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّنِي
وَلَقَدْ بَرِئْتُ إِلَى الْوَفَاءِ مِنْ أَمْرِي
وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثَالِهَا
لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً
وَإِذَا مَخَضَّتْ مِنَ اللَّيَالِي صَرْفَهَا
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلَ نِسَائِهَا
وَلَرَبَّمَا أَنْتَجَنَ كُلُّ كَرِيهَةٍ
قَدْ سَاءَ مَنْقَلَبُ الْبِلَادِ بِأَهْلِهَا
ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَكَمْ رَأَيْنَا صَاغِرًا
وَقَحَّ تَعَامَى عَنْ مَدَانِسِ عَرْضِهِ
غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَنَامِ فَخِيرَهُمْ
كَيْفَ السَّعَادَةِ فِي الْحَيَاةِ وَلِلْوَرَى
أَمْ كَيْفَ تَبْتَدِعُ الْمَعَالِي أُمَّةً
لَنْ تَعْدَمَ الدُّنْيَا الشَّقَاءُ بِأَهْلِهَا
وَيَحُذِرُ الذِّكَاءُ فَقَدْ تَأَخَّرَ أَهْلُهُ
أَخْزَى الْبِلَادِ مَفَاسِدًا بَلَدٌ بِهِ
وَإِذَا الْفَتَى قَعَدَتْ بِهِ أَفْعَالُهُ
وَالْمَرْءُ إِنْ عَدِمْتَ سَجِيَّتَهُ الْعُلَا

أُنِي إِلَيْهِمْ يَا أُمِيمَ بَغِيضٌ
عَهْدُ الصَّدَاقَةِ عِنْدَهُ مَنقُوضٌ
إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضٌ
مَا لِلْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمِيضٌ^٩
أَبْدَى الْعَجَائِبِ صَرْفَهَا الْمَمْخُوضُ
فِي الْحَكْمِ تَطْهَرُ تَارَةً وَتَحْيِضُ^{١٠}
سُودَاءُ تَقْنَأُ فِي وَغَاهَا الْبَيْضُ^{١١}
فَانْحَطَّ أَوْجٌ وَاشْمَخَرَّ حَضِيضٌ^{١٢}
قَدْ جَاءَ وَهُوَ لَمَذْرُوبُهُ نَفُوضٌ^{١٣}
فَزَهَاهُ عُجْبًا ثُوبُهُ الْمَرْحُوضُ^{١٤}
دَبْتُ وَقَطَرُ شُرُورِهِمْ إِغْرِيضٌ^{١٥}
فِي قَوْسٍ كُلِّ ضَغِينَةٍ تَنْبِيِضُ؟!^{١٦}
فِي الْعِلْمِ قَلَّ نَصِيبُهَا الْمَفْرُوضُ!^{١٧}
مَا دَامَ مَلِكٌ فِي الْبِلَادِ عَضُوضٌ
حَتَّى تَقْدَمَ مَنْ قَفَاهُ عَرِيضٌ
مُقَتَّ الْأَدْيَبُ وَأَكْرَمُ الْعَرِيضُ
أَعْيَاهُ بِالنَّسَبِ الرَّفِيعِ نَهْوضُ
لَمْ يَبْتَغْثَهُ إِلَى الْعُلَا تَحْرِيطُ

١ أض يئيض أيضًا: رجع.

٢ الممحوض: من المحض، وهو الخالص.

٣ أجزني الفرس عنانه: أسلس لي قياده. والمضمار: الميدان الذي يضممر فيه خيل السباق. والمروض: المدرب على الجري في السباق.

٤ توى يتوي توى من باب فرح: هلك، يريد: وقفت في السياسة مواقف كثيرة تعرّضت فيها حياتي للحمام.

٥ الجريض: غصص الموت.

الحرورة: بفتح الحاء، كالحرية والحرورية، والحرارة والحرار، وهي العتق والنفاسة.

٧ يبزني: يسلبني. وأبو براقش: حيوان لا يزال جلده يتلون ألوانًا في ضوء الشمس.

٨ غضيض: مغضوض؛ أي مكسور.

٩ وضع اللبن في السقاء وتحريكه لاستخراج الزبد منه.

١٠ تقنأ: تحمر. والوغى: الحرب. والبيض: السيوف، جمع أبيض.

١١ المذروان: مثنى مذرى، وهو طرف الألية. ونقوض: محرك؛ أي كم حقير ذليل جاء يستطيل على غيره ويهدده.

١٢ زهاه: ملأه. والمرحوض: المغسول.

١٣ الدث: أضعف المطر وأخفه، جمع دثاث. والإغريض: قطر كبار.

١٤ التنبيض يقال: نبض قوسه نبضًا؛ إذا جذب وترها.

تجاه الريحاني

شكواي العامة

هذه هي القصيدة التي أنشدتها الرصافي في حفلة أقامها المعهد العلمي؛ تكريماً لأمين الريحاني عند قدومه بغداد في أيلول سنة ١٩٣٣.

وبرافديه وباسقات نخليه	إن العراق بعرضه وبطوله
ويش مبتسماً بوجه نزليه	يهتز مبتهجا بمقدم ضيفه
ومؤهلاً والحمد في تأهليه	ومرحباً والشكر في ترحيبه
بكبير معشره، بفخر قبيله	بربيب لبنان، بريحانيه
بأديب أمته، بداهي جيله	بالعبري، بفيلسوف زمانه
في فكره وبفعله وبقيله	بأصح أحرار الأنام تحرراً
تبجيل كل الفضل في تبجيله	إنا نبجل منه خير مبجل
ما فيه من غرر العلا وحجوله	أأمينُ جنّت إلى العراق لكي ترى
والقوم مُحترَبونَ بعد أُوله	عفوًا فذاك النجم أصبح أفلاً
قد فاق مُقَفِّره على مأهوله	أوما ترى فطر العراق بحسنه
لكن مَسِيلُ الماء غير مَسِيله	أما الحيا فيه فذِيَاك الحيا
من جهل ساكنه اشتداد مُحوله	وربيعه ذاك الربيع وإن شكا
عن قطر مصر وعن موارد نيله	فأقم به ولك الغنى بفرائه
برغيد عيش تحت ظل نخيله	وانزل على وادي السلام ممّناً
يشفي من المشتاق حرّ غليله	والثم به ثغر الطبيعة باسماً
هبّ النسيم فُجسّ نبض عليه	وترقّب أسحاره حتى إذا
وانشق أريج شماله وقبوله	وانظر محاسن أرضه وسمائه
والحسن فيه دقيقه كجليله	فالجو فيه مُنيرة أوضاحه
وكواكب الإكليل من إكليله	والليل فيه مكلل بمرصع

وترى النهار به كذهنك واقداً
وترى ضياء الشمس فيه مغلفاً
وإذا وقفت بدارس من مجده
وانحبت كما نحبت الحزين مكفكفاً
فلقد عفا المجد القديم بأرضه
وإذا نظرت إلى قلوب رجاله
تجد الرجال قلوبها شتى الهوى
متاكرين لدى الخطوب تتاكراً
فالجار ليس بأمن من جاره
والدين فيه يقول ذو قرانه
وإذا تأول قولهم متأول
وإذا تكلم عالم في أمرهم
حال لو افتر الحكيم بكنهه
من ذا يبذله فإن قوارعي
والجهل لا يبغي على أربابه
أأمين لا تغضب عليّ فإنني
من أين يرجى للعراق تقدم
لا خير في وطن يكون السيف عن—
والرأي عند طريده، والعلم عن—
وقد استبدّ قليله بكثيره
إنني إذا جدّ المقال بموقف
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكتّم فضله متواضعاً
شكواي بحث بها إليك وليس في
إن المريض ليستريح إذا اشتكى
وكذا الحزين إذا تهيج حزنه
إنني لأنف أن أبوح بمضمري
ولديّ إن وصل الحبيب تمسك

بالشمس تشرق في وجوه سهوله
بنظيره ومُسلّلاً بمثيله
فكوقفه الباكين بين طلوه
غرب الدموع بجانب منديله
وعليه جرّ الدهر ذيل خموله
فانظر حديد الطرف غير كليله
مدّ الشقاق بها جبالة غوله
يعيا لسان الشعر عن تمثيله
والخلّ ليس بواثق بخليله
قولاً يحاذر منه ذو إنجيله
صرفوه بالتفكير عن تأويله
خفروا ذمام العلم في تجهيله
طول الزمان لعي عن تعليله
يئست لعمر الله من تبديله؟^١
كالسيف ليس براحم لقتيله
لا أدعي شيئاً بغير دليله
وسبيل ممتلكيه غير سبيله؟
—د جبانته، والمال عند بخيله
—د غريبته، والحكم عند دخيله
ظلماً، وذلّ كثيره لقليله
فضّلت مجمله على تفصيله
أغنى اختصار القول عن تطويله
والناس مجمعة على تفضيله
شكوى الزميل غضاضة لزميله
مما به لطيبه وخليله
يئكي فيسكن حزنه بعويله
إلا لمقتدر على تحصيله
بالعزّ يمنع فاي من تقبيله

^١ قوارعي: جمع قارعة، وهي الكلمة الشديدة، تفرع الأذان بشدتها.

بعد النزوح

قالها في بيروت سنة ١٩٢٢، وكان قد خرج من بغداد على ألا يعود إلى العراق.

هي المواطن أدنيها وتقصيني
قد طال شكواي من دهرٍ أكابده
كأنني في بلادي إذ نزلتُ بها
حتى متى أنا في البلدان مغتربٌ
فتارة في المواصي فوق مُوقرة
كم أغرقنتي الليالي في مصائبها
أنا ابن دجلة معروفًا بها أدبي
قد كنت بلبلها الغريد أنشدها
حيثُ الغصون أفلتني مُكللة
فبينما كنت فيها صادقًا طربًا
إذ حلَّ فيها غرابٌ كان يُوحِشني
حتى غدوت طريدًا للغراب بها
فطرتُ غير مبالٍ عند ذاك بما

مثلُ الحوادث أبلوها وتبليني
أما أصادفُ حُرًّا فيه يُشكيني؟!
نزلتُ منها ببيت غير مسكون
نوائب الدهر بالأنياب تدميني؟!
وتارة في الطوامي فوق مشحون^١
فَعُمتُ فيهنَّ من صبري بذلفين!^٢
وإن يك الماء منها ليس يُرويني
أشجى الأناشيد في أشجى التلاحين
بالورد ما بين أزهار البساتين
أستنشق الطيب من نفح الرياحين
وكان تتعابه بالبين يؤذيني
وما غدوت طريدًا للشواهين^٣
تركت من نرجسٍ فيها ونسرين



ويل لبغداد مما سوف تذكره
لقد سقيتُ بفيض الدمع أرْبَعها
ما كنت أحسب أني مذ بكيت بها
أفي المروءة أن يعتزَّ جاهلها
وأن يعيش بها الطرطور ذا شَمَمٍ
تالله ما كان هذا قطُّ من شيمي
ولست أبذل عرضي كي أعيش به

عني وعنّها الليالي في الدواوين
على جوانب ودِّ ليس يسقيني
قومي بكيت على من سوف يُكيني
وأن أكون بها في قبضة الهون؟!
وأن أسامَ بعيشي جدَّ عَرْنيني؟!^٤
ولا الحياة على النكراء من ديني
ولو تأدّمت رَقُومًا بغسلين^٥

أغنت خشونة عيشي في دَرَا شرفي
عاهدت نفسي والأيام شاهدة
ولا أصادق كذَّابًا ولو ملكًا
أما الحياة فشيءٌ لا قرارَ له
سيان عندي أجاء الموت مخترمًا
ما بالسنين يقاس العمر عندي بل
لو عشت ستين عامًا لاستعصت بها
فإنما أطول الأعمار أجمعها
إن اللئيمَ دفينٌ قبلَ ميته



ما كنت أحسب بغدادًا تحلُّني
حتى تقلَّدَ فيها الأمرَ زِعْفَةً
ما ضرَّني غيرَ أنني اليوم من عَرَبٍ
تالله ما ضاع حقي هكذا أبدًا
علامَ أمكث في بغداد مضطربًا
لأجعلنَّ إلى بيروت مُنتسبي
خابت ببغداد آمالٌ أو ملَّها
فليت سورِيَّة الوطفاء مزنَّتها
قد كان في الشام للأيام مُدُّ زمنٍ
إذ كان فيها النشاشيبيُّ يُسعفني
وكان فيها ابن جَبَر لا يقصِّر في
إن كان في القدس لي صَحْبٌ غطارفة

عما أرى بخسيس العيش من لين^٦
ألا أقرَّ على جَوْرِ السلاطين
ولا أخالط إخوان الشياطين
يحيا بها المرء موقوفًا إلى حين
من قبل عشرين أم من بعد تسعين
بما له في المعالي من تحاسين
ستين مكرمة بل دون ستين
للمكرمات من الأبكار والعون
وما الكريم وإن أودى بمدفون

عن ماء دجلتها يومًا وتظميني^٧
من الأناس بأخلاق السراحين^٨
لا يغضبون لأمر ليس يرضيني
لو كنت من عَجَم صُهب العثانين^٩
على الصُّراعة في بُحبوحة الهُون^{١٠}
لعلَّ بيروت بعد اليوم تُثويني
فهل تخيب إذا استندرت بصنَّين؟
عن العراق وعن واديه تغنيني
ذنب محتة الليالي في فلسطين
وكنت فيها خليلًا للسكاكيني
جبر انكسار غريب الدار محزون
فكم ببيروت من غرٍّ ميامين!

١ المواصي: جمع موصاة، وهي الصحاري المقفرة. والموقرة: الناقة التي حملت عليها الأوقار، وهي الأحمال الثقيلة. والطوامي: جمع طامي، وهو البحر. والمشحون: صفة لمحذوف؛ أي الفلك المشحون.

٢ الدلفين: حيوان بحري يحمل الغرقى إلى الشواطئ، ولعلَّه هنا يريد سفينة تشبه الدلفين في صورتها.

٣ الشواهين: جمع شاهين، وهو من جوارح الصيد.

٤ الجدع: القطع. والعرنين: مقدم الأنف.

٥ تأدمت: اتخذت إدامي، والإدام ما يؤكل بالخبز. والزقوم: شجرة يطعم منها أهل النار المعذبون. والغسلين: ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه.

٦ ذرا شرفي، بفتح الذال: ظلّه وجانيه.

٧ تحلثني: تمنعني وتطرّدني.

٨ الزعانف: جمع زعنفة، وهم أراذل القوم. والسراحين: جمع سرحان، وهو الذئب.

٩ الصهب: جمع أصهب، وهو أصفر اللون. والعثانين: جمع عثون، وهو شعر الذقن.

١٠ الهون: الذل والهوان.

إلى هربير صموئيل

ألقى يهودا محاضرة تاريخية، ذكر فيها مدنية العرب في الغرب والشرق، ولما أتمها قام هربير صموئيل، المندوب السامي من قبل إنكلترة في فلسطين، وألقى على القوم كتابًا مؤنفًا، وعدهم فيه مواعد سياسية سر بها الحاضرون الذين كانوا قد حضروا بدعوة من راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس، فقال الرصافي هذه القصيدة مسجلًا بها ما قاله المندوب، وشاكراً له على ذلك.

وذكرنا ما نحن منه على دُكر
وما لبني العباس في الشرق من فخر
تبوّأه هربير صموئيل في الصدر
إليه فلبّوا دعوة من فتى حرّ
يحقّون من هربير صموئيل بالبدر
تكون على علاتها ليلة القدر
وقد سرّنا من حيث ندري ولا ندري
بسحر مقالٍ جلّ عن وصمة السحر
وما لهم في العلم من خالد الذكر
على صخرة البيت المقدّس من إثر^١
سنرأب ما أثّأته منكم يدُ الدهر
مقومةً ما اعوجّ فيكم من الأمر
سرورية من دونها هرة السكر

خطابُ يهودا قد دعانا إلى الفكر
ومجدّ ما للعرب في الغرب من يدٍ
لدى محفل في القدس بالقوم حافل
دعاهم رئيس القدس ذو الفضل راغب
فأمسوا وفي ليل المحاق اجتماعهم
فيا ليلةً كادت وقد جلّ قدرها
ولمّا تناهى من يهودا خطابه
تصدّى له هربير صموئيل ناطقًا
فصدّق ما للعرب من تالد العلّا
وزاد بأن أوما إلى ما لصنعهم
وقال وقد أصغى له القوم: إننا
ونُنهضكم في منهج العلم نهضةً
فكانت لهذا القول في القوم هزة



على الدهر من حقّ مضاع ومن وتر!
وكرّ علينا لابسًا جلدة النمر^٢
فلم يأتنا إلا بحادثة بكر
سوى ما ورثنا من إباءٍ ومن صبر
نقرّ على ذلّ وننقاد عن دُعر
مصاعيب لا نعطي المقادة بالقسر

حنانيك يا هربير صموئيل كم لنا
لنا قلب الدهر الخئون مجنّه
وأغرى بنا الأحداث مبتكرًا لها
وقد أفنت الأيام كل عتادنا
فلسنا وإن عضّت بنا اليوم نابها
فمن سامنا قسرًا على الضيم يلقتنا

لنا أنفُسٌ تحيا بثروة عِزِّها
إذا نحن عاهدنا وفينا ولم نكن
فإن شئتَ يا هربز صموئيل فاختبرْ



وإن نشأت بين الحَصاصة والفقر
إذا ما اتُّمنا جانحين إلى الختر
خلائق منا لا تميلُ إلى الغدر

وعدتْ فأمسى القوم بينُ مشكِّك
فكذب — وأنت الحرُّ — من ساء ظنُّه
ولسنا كما قال الألى يتهمونا
وكيف وهم أعمامنا وإليهم
وإنِّي أرى العُربيَّ للعُرب ينتمي
هما من ذوي القُربى وفي لغتيهما
ولكننا نخشى الجلاء ونتقي
وهل تثبت الأيام أركان دولة
وها أنا قبل القوم جنئك معلنا

ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فقد قيل: إن الوعد دينٌ على الحر
نعادي بني إسرائيل في السرِّ والجهر
يمتُّ بإسماعيلَ قدماً بنو فِهر؟!
قريباً من العُبريِّ يُنمى إلى العبر
دليل على صدق القرابة في النجر
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزر
لك الشكر حتى أملأ الأرض بالشكر

^١ أوما: أصله أوما؛ أشار برأسه.

^٢ المجن: الترس يتقي به المحارب قرنه، وقلب المجن كناية عن الاستعداد للمنازلة في الحرب.

مظاهر التعصب في عصر المدنية

قالها بعدما ألقى غورو على المسلمين خطابه المشهور في بيروت.

رُويَدَكَ «غورو» أيهذا الجَنيرالُ!
أتيت بلاد الشرق من بعد هدنةٍ
فجاء إليك ابن الدنا وهو مسلم
وقام خطيباً معرباً عن عواطفٍ
فقمّت له في محفل القوم خاطباً
فذكرته أهل الصليب وحربهم
وقلت عن الإفرنج قومك: إنهم
فحرّكت حزناً كان في الشرق ساكناً
أسأت إلينا بالذي قد ذكرته
ذكرت لنا الحرب الصليبية التي
وتلك لعمرى قرحة قد نكأتها
فيا عجباً من أمة قدت جيشها
ولو أننا قلنا كما أنت قائل
وقالوا لنا: أنتم أولو جاهليةٍ
فلا تصمّن الحرب بعد انقضائها
ولا تنس فضل الشرق إذ كان ناصراً
فقد قادت الأعراب نحو عدوكم
وقامت لكم منهم بمكة راية
لقد أغضبوا البيت الحرام وربّه
ولو أنّ عهد المسلمين كعهدهم
ولكنهم باعوا الديانة بالدُّنا

فقد آلمتنا من خطابك أقوالُ
قد اضطربت في المسلمين بها الحال
يكيل لك الودّ الصميم ويكتال
لقومك تكريمً بهن وإجلال
تجرّ ذبول الفخر عجباً وتختال
إذ انبعثت منهم إلى الشرق أبطال
لأبطال هاتيك المعارك أنسال
وجددت عهداً منه في الشرق أوجال
من الأمر فاستاءت عصور وأجيال
بها اليوم قد تمّت لقومك آمال
بما قلته فاهتاج بالشرق بلبالُ
تشابه كردينالها والجَنيرال
لأنحى علينا بالتعصّب عدّال
وإن خالفوا وجه الصواب بما قالوا
بما هو للدنيا وللدين إخال^١
لقومك فيما أحرزوه وما نالوا
خيولاً لها في حومة الحرب تجوال
لكم فتحت فيها من القدس أقفال
وهم بمقام البيت لا شكّ جُهل
قديمًا لحالت دون ذا النصر أهوال
فحالت لعمرى منهم اليوم أحوال

لذلك قام ابن «الدنا» عن دناءةٍ
ولا تحسبته مخلصاً في مقالته
فكان قتيلاً بالمطامع عزّه



يحابيك فيما فيه للقوم إذلال
ولكنه في مكسب المال محتال
فذل وإن الحرص للعزّ قتال

خليلي قوما بي نطأطي رعو سنا
لدى الحدث الفرد الذي فيه قد ثوى
فنبكي على الأوطان حول رجامة
ونستنزف الدمع الغزير لتربه
حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع
إليك صلاح الدين نشكو مصيبة
ودارت رعوس القوم فيها توجعاً
وقطبت الأيام حتى تشابهت
وأمسى حمى الإسلام تنتاب روضه

لدى جدث تغنو لمن ضمّ أجيال
من الملك الفرد ابن أيوب رنبال
كما قد بكت من فقدتها الأم أطفال
كما استنزفت دمع المحبين أطلال
لينهض ثاو في مطاويك مفضل
أصيب بها قلب العُلا فهو مُغتال
وحزنًا كما دارت بسكران جرّيال^٢
بها غدوات كالحات وأصال
فترعاه من سرح المعادين آبال^٣

^١ فلا تصمن: فلا تحدث وصمة، وهي العيب.

^٢ الجرّيال: الخمر.

^٣ آبال: جمع إيل.

ولسون بين القول والفعل

قال قولاً به استحقَّ احتراماً
رجل قد تنكَّب الحق قوساً
كان منه المقال نوراً فلمّا
خاض حربَ العدا بِمِقُولٍ حرّاً
وبذا عرّف الورى أن قول الـ
إذ غدا ناطقاً بمرقد واشنـ
معرباً عن مبادئِ محكمات
قال: حرية الأنام هي الغا
فاشرأب الورى إليه وظنُّوا
واطمأنّت له القلوب بفوز
شام منه الورى بوارق غيم
فتصدّى لغيثه كل قوم
ثم خابت ظنونهم فيه لما

وتعدّاه فاستحق ملاما
ومن البطلِ ظلٌّ يرمي سهاماً
حان حين الفعل كان ظلاماً
فاق فيها المهتد الصمصاماً
ـمرء في الحرب قد يفوق الحساما
ـطون نطقاً شفى به الأسقاما
ساميات تحرر الأقواما
ية لي في الوغى فغزّ الأناما^١
أنهم سوف يبلغون المراما
يعتدي في فم الزمان ابتساما
من وراء البحر المحيط ترامى
قد شكوا غلة بهم وأواما
مر في الجو خُلْباً وجهاما



مدّ ولسون في السياسة حبلاً
فلبعض الأنام كان عصاماً
ملاً الدهر في فيومة فخرّاً
إن أزمير صيرت ما لولسو
فهل الحق عنده في سوى الغر
أو هل الشرق وحده في الأقا
أم هل القوم عاهدوا الله في أن
ما لهم أرهقوا بني الشرق ظلماً
فاستباحوا حريم أزمير نهباً

جمع النقض فيه والإبراما
ولبعض الأنام كان خصاماً
وبأزمير أخلج الأياما
ن من الفخر في فيومة ذاما^٢
ب حقير أقل من أن يُحامى؟!
ليم مُباح أن يُستبى ويُضاماً؟!
لا يُراعوا للمسلمين ذاماً؟!
وعلى الترك أشلوا الأرواما^٣
واستحلّوا من الدماء حراما

حيث جاسوا خلالها بجنود

ركبت في عُتْوِها الآثاما



أيها المجلس الرباعي مهلاً
أنت سكرانٌ خمرة النصر فاحذر
لك عينٌ ترى السها في الدياجي
أولم تَدْر أن للدهر عيناً
لا تكن تابعاً هوى النفس فيما
فهوى النفس قد يضلُّ ذويه
ويرون الجُسامَ أمراً صغيراً
لا يغرّنك الزمان إذا ما
كم أشال الزمان أعلام قوم
مثلما دار للفرنج على الجرمن

فلقد جُرّت في الأمور احتكاما
حين تصحو ندامة ولواما
وعن الشمس في الضحى تتعامى^٤
إن تتم عين أهله لن تناما؟
أنت فيه تقرّر الأحكاما
فيطيشون في الورى أحلاما
ويرون الصغير أمراً جُساما
لك أبدى بشاشة وابتساما
في الذرا ثم نكس الأعلاما
حرباً فأدركوا الانتقاما



أيها المسلمون لستم من الغر
إنما أنتم لدى الغرب قوم
فإذا ما وسعتم الناس حلماً
وإذا ما ملأتم الأرض عدلاً
وإذا ما فعلتم الخير يوماً
وإذا زلّة لكم دفن الدمـ
وإذا ما افتري عليكم عدو
وإذا ما جنى عليكم أناس
كم بأرضِ البلقان منكم قتيل
نثر الظالمون في الأرض منهم
لو أتينا تلك البلاد رأينا الـ
ما نضا للدفاع عنهم بنو الغر
إن تكن هذه السياسة عدلاً
رحم الله أمةً أصبح الغر

ب بحالٍ تستوجبون احتراماً
خُلقوا عن سوى الشرور نياما
عدّه الغرب شيرةً وعُراما^٥
عُدّ جوراً، أو مفخرًا عُدّ ذاما
حسبوه جناية وأثاما
مر أملوا بنبشها الأفلاما
أيدوه وصدقوا الأوهاما
سكتوا عنهم ومرّوا كراما
وأيامى مضاعة ويتامى
جُثّاً تملأ الفضاء وهاما
—يوم منهم جماجماً وعظاما
ب حساماً ولا أचारوا كلاما
فإلى الظلم نشتكى الآلاما
ب يرى كل ذنبها الإسلاما

^١ غر الأنام: خدعهم وغشهم.

^٢ الذام: العيب.

٣ أشلى الكلب على الصيد: سلطه عليه ليصيده.

٤ السها: نجم صغير لا تكاد تراه العين لبعده.

٥ عراما: عتوّا وطغيانًا.

يا محب الشرق

أنشئت في حفلة كبيرة أقامها الحزب الوطني في بغداد لتكريم المستر كراين الثري الأمريكي الشهير لمناسبة مجيئه إلى بغداد سنة ١٩٢٩.

يا محب الشرق أهلاً	بك يا مستر كراين
مرحباً بالزائر المشـ	—هور في كل المدائن
مرحباً بالقادم المشـ	—كور في هذي المواطن
فضلكم باد على الشر	ق وشكر الشرق عالين
كم لكم من وقفات	دونه ضد المشاحن



جئت يا مستر كراين	فانظر الشرق وعين
فهو للغرب أسير	أسر مديون لدائن
إن هذا الشرق والغـ	ب لمغبون وغابن
فترى الشرق تجاه الـ	—غرب يسعى سعي ماهن
وترى الغرب عليه	واقفاً موقف خائن
منكراً منه المزايـ	مُوجدًا فيه المطاعن
غاصباً منه المواني	شاحناً فيه السفائن
حافراً فيه المعادن	نابشاً فيه الدفائن ^١
فهو يمتص دماء الشـ	—رق من كل الأماكن
باذراً من كيده في	أهله بذر الضغائن
حاكماً فيه على أمـ	—ليه حكم المتهاون
جاعلاً في رجله قيـ	—د الونى والقيـد شائن ^٢
فترى الشرق لهذا	ماشياً مشية واهن
أفهذي يا محب الشـ	—رق أفعال المهادن؟! ^٣
أين ما قد قاله ولـ	—سن يا مستر كراين



لم يكن ولسنُ فردًا
فعلام الغرب لا ين—
كم يسوم الغربُ أهلَ الش—
وإلى كم ساسة الغر
كم وكم نسمع منهم
إن في الشرق تجاه ال—
سوف ينشق حجاب الد
وإذا قامت حروب
فمن المسئول عن ذ

إنَّ في الغرب ولاسن
فكُ للشرق مضاعن؟
—رق خسفًا ويخاشن!
ب تُداجي وتداهن؟
قول خداع ومائن! ^٤
—غرب نيرانًا كوامن
هر عنها بالدواخن ^٥
من بني الشرق طواحن
لك يا مستر كراين؟



وإذا تسأل عما
فهو حكم مشرقي الض—
وطنِّي الإسم لكن
عربي أعجمي
فيه للإيعاز من لن—
هو ذو وجهين وجه
قد ملكنا كل شيء
نحن في الباطن لا نم—
أفهذا جائز في ال—

هو في بغداد كائن
—رع غربي الملاين
إنكليزي الشناشن ^٦
معرب اللهجة راطن
—دن بالأمر مكامن
ظاهر يتبع باطن
نحن في الظاهر لكن
—لك تحريكًا لساكن
—غرب يا مستر كراين؟

^١ المعادن: المناجم.

^٢ الونى: الفتور والخمول.

^٣ الرئيس ولسن: كان رئيس حكومة الولايات الأمريكية.

^٤ مائن: كذاب مخادع.

^٥ الدواخن: جمع دخان على غير قياس.

^٦ الشناشن: جمع شنشنة، وهي الطبيعة والخلقة والسجية.

إلى بطل الشرق الأكبر

قالها عقب انتصار الغازي مصطفى كمال على اليونان سنة ١٩٢٣.

سميَّ المصطفى لا زلت تعلو
فدُر كالشمس في فلك المعالي
نُصرتَ على بني يونان نصرًا
وأطلع في سماء الشرق شمسًا
فسرَّ المخلصين وكل حرَّ
وما اليونان كفؤك في نزال
ولكن قد غلبت جيوش قوم
تركت جيوشهم من فرط رعب
إذا ذكروا سُماك ولو منامًا
لئلا يسمعه فيعتريهم
هم اليونان الأُم كلُّ قوم
أرقُّ شجيرة منهم وأرقى
فلا تغررك أوجههم بياضًا
وجوه قد حكين الثلج لونًا
فيا أمضى الورى رأيا وسيفًا
لقد أنقذت من أزمير خودًا
وقمت على البلاد مقام عيسى
فعالجت الفتوق بحسن رثقٍ
ورحت إلى التجدد في المعالي
وتخطب في الجموع بيوم حفل
وتأتيك الوفود من الأفاصي

إلى أوج يطاول كلَّ أوج
وحُلَّ من الكمال بكل بُرج
أقام الغرب في هرج ومرج
تفيض عليه أنوار الترجي
وساء الخائنين وكل سمج
وإن ملئوا السهول وكل فج
أذلوا بالبوارج كل لج
تعاهد للهزيمة كل نهج
تحاموا ذكره بسوى التهجي^١
ضنى دائين من شلل وفلج
وأخوف في الوغى من فرخ قنبج^٢
حمير الوحش سارحة بمرج
فإن طباعهم كطباع زنج
ولكن فاتهنَّ نقاء ثلج
وأعرفهم بمصعد كل أوج
تسام الخسف في يد كل علج
على مرضاه من عُمي وعُرج
ولاءمت الخروق بحسن نسج
تقود الناهضين بها وترجي
كما خطب النبي بيوم حج
لتسمع قول مذرَّها المثلج^٣

فقودك للعقول بيوم سلم
لقد جددت للأوطان عهدًا
لتبتدر الشعوب إلى المعالي
وتتهج منهج العمران فيما
وأنت اليوم حارسها المفدى
وتبتدر الملم إذا عراها
إذا ذكر الهبوط فأنت مُعل
وتشرب أنت كأس المجد صرفًا

كقودك للجيش بيوم هيّج^٤
تجاري فيه أوطان الفرنج
وتبلغ ما تريد وما ترجي
بها للناس من دخل وخرج
تحوط أمورها من كل هرج
فتعزري الجواد بغير سرج^٥
وإن خيف الحبوط فأنت مُنج
ويشربها سواؤك ذات مزج

^١ سماك بضم السين: اسمك.

^٢ القبيج: نوع من الطير يسمى الحجل والكروان.

^٣ مدره أقوم: المحامي عن أحسابهم. المئج: الفصيح الغزير المادة.

^٤ الهيّج: الحرب.

^٥ تعزري الجواد: تركبه عريانا من غير سرج ولا أداة.

تجاه الريحاني

هي النفس

أنشدها في حفلة أقيمت في بيروت لأمين الريحاني، بعد رجوعه من سياحته في بلاد العرب.

هي النفس أغشى في رضاها المعاطبا
تكلفني أن أخطب الليل بالشورى
وتتهضني للمجد بالعزم ماضياً
ولم ترض إلا كالجبال معزة
إذا أنا أنزلت النجوم لأرضها
وترفض مني كل عيش منعم
ولم تبغ لي إلا الحقيقة بغية
تقول إذا أوردتها ماء مذنب
وإني لأشكوها إليها تظلماً
على أن لي منها حصاة رزينة
لقد تعبت فيما تروم من العلا
ألم تر ما لاقى ابن لبنان في العلا
تيمم من بعد الحجاز تهامة
وجاء إلى أرض العراقيين مبحراً
ليجمع من أبناء يعرب شملهم
أخو همة لو مدّ باعاً إلى العلا
له قلم عزّ القرائح شاعراً

وأحمل منها بين جنبي قاضبا^١
وأن أمتطي فيه من الهول غاربا^٢
وبالهمّ مقلّاقاً وبالرأي صائباً
ولم تهو إلا كالشموس مناقباً
أبتهن إلا أن يكنّ ثواقباً
إذا ازورّ ذاك العيش بالذل جانباً
ولم ترض لي إلا الكريم مصاحباً
رد البحر بي غمراً وخل المذانباً^٣
فأرجع عنها بعد شكواي خائباً
قتلت بها كل الأمور تجارباً^٤
كذلك نفس الحرّ تلقى المتاعباً
من الأين لما ساح في الأرض ضارباً؟!
وراح إلى صنعاء يُزجي الركائباً
وكرّ إلى مجد يجوب السباسباً^٥
ويقضي حقاً للمواطن واجباً
لأوشك منها أن ينال الكواكباً
كما ابتزّ فرسان البلاغة كاتباً^٦



لقد زرت نجدًا يا أمين فقل لنا
فما حالة الإخوان فيها فإننا
أتذكر من أخبار نجد جوائبا^٧
نرى الناس عنهم يذكرون الغرائب؟

فهل كفّروا من ليس يرسل لحية
وما أنا من قوم يدينون باللّحي
ودع عنك أخبار العراق فإنني
فويحاً لأهل الرافدين إذ انطوا
ألا عدّ عمّا في العراق فإنني
معايبُ لو أني هتكت ستارها
فلا تحسبته أنه ذو حكومة
لئن ألّفوا بالكذب فيه وزارة
وإني لأهوى الفجر إن كان صادقاً

وهل فسّقوا من ليس يحفي الشواربا^٨
ولم يقبلوا إلا من الحلق تائباً
لأعلم منها ما يفوق العجائب
على اليأس من نور يشقّ الغياهبا^٩
أراه بأخلاق الزمان معاييبا
لأرسلت منها للمعاند حاصبا^{١٠}
ولو ضربوا ظلماً عليه الضرائبا
فإن بها للكاذبين مآربا
وتتكر عيني الفجر إن كان كاذبا



تبسم لبنان بعود أمينه
أخا الفضل قد أنست لبنان حاضراً
وما أنت إلا البدر يبهج طالعا
محييك في بغداد إذ جنّت قادماً

وأضحى لأذيال المصرة ساحبا
كما كنت قد أوحشت لبنان غائباً
ويحزن آفاق المواطن غارباً
يحييك في بيروت إذ جنّت أثباً

١ المعاطب: المهالك. وأصل القاضب: السيف القاطع، شبه نفسه بالسيف في مضائه.

٢ غارب البعير: ما بين سنامه وعنقه.

٣ المذانب: جمع مذنب كمنبر، وهو كهيئة الجدول.

٤ الحصاة: العقل.

٥ السباسب: جمع سباسب، وهو الفقر والمفازة.

٦ عزّ القرائح: غلبها. وابتز: فاق وغلب.

٧ الجوائب: جمع جائبة، وهي الأخبار تجوب الأرض من بلد إلى بلد.

٨ إحقاء الشارب: الأخذ منه.

٩ فويحاً: رحمة. والرافدان: دجلة والفرات. والغياهب: جمع غيهب، وهو الظلمة.

١٠ الحاصب: الريح تحمل الحصباء، وهي صغار الحجارة.

في المدرسة الحربية

أيها القوم ما لكم في جمود
كلما قد هزرتكم لنهوض
طال عُثبي على الحوادث فيكم
فمتى سعيكم وماذا التواني
أنا غريد شاردات القوافي
كنت قبلًا أثني عليكم لأنني
فانقوا اليوم صولة من يراع
أيها القوم نحن في عصر علم
جعل الحرب تُدرّس اليوم فنًا
إن للعلم في حروب بني العيص—
إذ بدا بأسه الأشدُّ فأنسى
أيها القوم فادخلوا المعهد الحر
واستعدوا لردّ كل عدو
وأعزّوا الملك الذي نبتغيه
قد دعتم أوطانكم فأجيبوا
نحن لا نقصد الحروب ولكن
أرأيتم مُلكًا بغير جنود
فاجمعوا الجيش في العراق ليرعى
ويردّ العدو عنكم ويحمي
لا تقرّوا على الهوان وأنتم
يكرهون الحياة إلا حياة
أشرف الموت عندهم هو موت
وأعزّ الأعمار عمر قصير

أوما يستفزكم تفنيدي؟
عُدْتُ منكم بقسوة الجُلمود
مثلما طال مَطْلُها بالوعود
وإلى كم أحتُكم بالنشيد؟
أفلم يُشجكم بها تغريدي؟
أبتغي الحثّ بالثناء الحميد
واقف في مواقف التنديد
جعل الحرب في طراز جديد
مغنيًا عن شجاعة الصنديد
—رَبَّاسًا يفوق بأس الحديد
كلّ بأسٍ من الحديد شديد
بَيَّ طَوْعًا وانضُّوا ثياب الجمود
أنكر الحق ناقضًا للعهود
بجنود مبنوثة في الحدود
دعوة الأمرين بالتجنيد
نبتغي الذود عن تراث الجدود
إنما الملك قائم بالجنود
ما به من طريفكم والتلبد
عيشكم من شوائب التنكيد
عربٌ من بني الأباة الصّيد
ذات عزٍّ ببأسهم صَيّهود^١
في صُها الخيل تحت خَفَق البنود^٢
تحت ظل من السيوف مديد

وأذلّ الحياة عندي حياة

قد أهينت حقوقها بجحود

^١ أصل الصيهد: الشدّيد الحر، والمراد هنا الحياة القوية.

^٢ صها الخيل: جمع صهوة، وهي الظهر.

الْعِلْمُ وَالْعَلَمُ

لواعجُ الهم في جنبِي تضطرمُ
كم قد أذاقتني الأيامُ من حرقِ
أكلما قلت شعراً قال سامعه
ما بال شعرك مثل النار ملتهباً
إنا لنعجب من شعرٍ توجَّبه
لا تعجبوا فالأسى في النفس ملتهبٌ
استبردَ النارَ مَنْ حرَّت عزائمه
وكيف يصبح من دنياه في دعةٍ

والهمُّ مقداره من أهله الهمُّ
من فوقها أسفٌ من تحتها ألم
نار تفوه بها للناس أم كلم؟!
يذكو، على أنه كالماء منسجم؟
ناراً ولم يحترق في كفك القلم
والعزم منقذ والهم محتدم
واستصغر الخطبَ مَنْ في نفسه عظمُ
من بات في نفسه الآمال تزدحم؟!



أما المُعزَّان في الدنيا فإنهما
كلاهما ضامنٌ للناس حُرمتهم
من لم يك العلمُ الخفاق شارتهم
وليس ينفع قوماً لا علوم لهم
فالعلم في أمةٍ ليست بحاكمةٍ
والعلم أوهن من أن يستظل به
ما أحسن العلمُ الخفاق منتصباً

هما على ما أراه العلم والعلمُ
هذا له الحكم أو هذا له الحكم
فليس يُجديهم العلم الذي علموا
أن يُنشر العلمُ الخفاق فوقهم
كالسيف يحمله في الحرب منهزم
إن لم تقم من سيوف تحته دَعَم
به تشير إلى استقلالها الأمم!



قد علّمتني الليالي في تقلُّبها
وأن أصدق بَرَقِ أنت شائمه
وأخصب الأرض أرضاً لا تسحُّ بها
من كان يكذبني أن الحياة مُنى
وأنه في كلا الحالين منبعها
وأنه وهو فوق الأرض منتثرٌ

أن الموفق فيها السيف لا القلم
برقٌ تبسم عنه الصارم الخذمُ
إلا من النقع في يوم الوغى ديمُ
فليس يكذبني أن الحياة دم
يدور في الجسم أو في الأرض ينسجم
كمثله وهو تحت الجوف منتظم

إنني أرى المجد في الأيام قاطبةً
فالمجد يَنبِت حيث العلم منتشراً
والمجد أعطى الظُّبا ميثاق معترفٍ



إلى عبيط دم المحيا به قَرَم
من حيث تعترك الأبطال والبُهم^١
أن ليس يضحك إلا حين تبتسمُ

فليذهب اليأس عني خاسئاً أبداً
ولست ممن إذا يسعى لحادثةٍ
لا تسأمن إذا حاولت منزلةً
فالعيش تستبشع الأذواق مطعمه
وكن صليباً إذا عصنتك حادثةٌ
إن الخصال التي تسموا الحياة بها
لا يكسب النفس ما ترجوه من شرفٍ
لا يؤنسك أن الحرَّ محتقرٌ
فالعقل يتهم الدهر المسيء بذا
هذي ملامتكم يا قوم فاستمعوا
قد أنشد الشعر تعريضاً بسامعه

إنني بحبل رجائي اليوم معتصم
يسعى وأرجله بالخوف تصطدم
فيها يَرفُ عليك المجد والكرم
إذا تسرّب في أثناؤه السأم
تعضُ منك بعود ليس ينعجم^٢
عزّم وحزم وإقدام ومُفتَحَم
إلا الإباء وإلا العز والشّمَم
عند اللئام وأنّ الوغد محترم
وما يعيبك أن الدهر متهم
منها إلى كَلَم في طيّها حكم
فهل وعى ما أردت السامع الفهم؟

^١ البهم: جمع بهمة، بوزن غرفة، وهو البطل الذي لا يعرف قرنه من أين يناله؛ لقوته وشدة حذره.

^٢ ينعجم: يتأثر بالعجم، وهو العض بالأسنان.

السجاياء فوق العلم وفوق العالم

وقد نظم الشاعر الكبير الأستاذ الرصافي هذه القصيدة الاجتماعية الجبارة؛ جواباً عن قصيدة الشاعر الأمير عادل أرسلان، وقد كان الأمير عادل أرسلان قد اطلع على قصيدة الأستاذ الرصافي «العلم والعلم» التي ينصح بها الأمة العربية، ويحضها على الجهاد في سبيل الحرية فنظم قصيدة يعارضها بها.

في كل عصر به قد سادت الأمم إلا بأن سجاياءهم لها دعم نفع إذا ما السجاياء الغرّ تتعدم فليس ينفعهم علم ولا علم إلا إذا اختلت الأخلاق والنشيم ما سادت الناس لا غرب ولا عجم وأنفه باحتمال الذلّ مُردّم ^١ كأنّ أشهر قومي كلها حرم! واليوم أقعدهم عنها أن انقسموا حازوا به الشرف الوضاح واغتنموا نار التخاذل بالشحناء تضطرم روح التعادي إلى أن ماتت الهمم فالأجنبي عليهم ظلّ يحتكم وهل يكون بعظم رمة عظم	علم يُعزّزه من دولة علم ودولة القوم لم تثبت قواعدها فليس للعلم مهما اعتزّ جانبه إذا استحالت سجاياء القوم فاسدة وليس يختلّ حبل الملك مضطرباً لولا سجاياء على حبّ العلا جُبلت لا خير في العيش يغدو فيه صاحبه ما بال قومي على الإرهاق قد صبروا قد أنهضتهم إلى العلياء وحذتهم كان التعاون غرراً في غرائزهم ثم اغتدوا بعد حين في جوانحهم قد زال روح التفادي منهم ونما ألقى التخاذل ضعفاً في عزائمهم تعاظموا لعظام يفخرون بها
---	--



فقد فشا الداء حتى استفحل السقم حتى فسَدَ فزال العز والشمم إلى هوى النفس، فيما شأنه عم ^٢ بليّتها علينا الظلم والظلم والحرّ منا مُهانّ ليس يحترم	داء التأخر منا في خلائقنا كانت خلائقنا للعز ضامنة وأصبحت عندنا الغايات تابعة نمشي من الجهل في ظلماء ظالمة حرية الفكر فينا غير جائزة
---	---

♦ ♦ ♦
لا دَرَّ دَرَّ رجال الدين إنهم
واستعملوه كما تهوى مآربهم
تالله ما كان في الإسلام من حَرَجٍ
بل كله جاء تيسيرًا وتبصرة
لكنما القوم ظلوا جامدين على
إذا سلكت إلى الإصلاح مسلكه
وإن تصادمت بالعادات تُنكرها
وإن أُتيت ببرهانٍ فأعجزهم
وإن ثَقُلَ لهم قولًا لتقنعهم
خلاتق كظلام الليل من يرَها

♦ ♦ ♦
قد أظهروا فيه منهم غير ما كتموا
كأنه ليس إلا آلة لهم
على الأنام ولا في نهجه غمَم
للعاملين وأحكامًا بها حَكَم
ما منه قَدْ وهموه، بنس ما وهموا!
فأنت في رأيهم بالكفر مُتَّهم
فأنت في زعمهم بالدين تصطدم
لم يحسنوا الردَّ، بل من عجزهم شتموا
شدُّوا عليك وردُّوا قبلما فهموا
يقل بأمثال هذي تُمَسَّحُ الأمم

♦ ♦ ♦
لله دَرَّ بني معروف إذ صبروا
أخلوا منازلهم للكرِّ ثانية
ولازموا الفقر، عاشوا في مجاهله
بذاك حُبهم الأوطان يأمرهم
باتت دمشق لهم ترنو نواظرها
أيام لم يبق من بيتٍ بغوطتها
ثم انضوى بعدما اجتاحت معالمها
فاستقتلوا في سبيل الدود عن وطنٍ
كانوا أشدَّ مضاءً من صوارمهم
عند الهجوم كموج البحر تُبصرهم
صلَّت سيوفٌ بأيديهم يسْلُن دَمًا

♦ ♦ ♦
على التجالد ما كلُّوا ولا سئموا
كالأسد ترتدُّ خلفًا ثم تقتحم
عيش القناعة لا حلو ولا دَسَم
إذ همُ بسيماء حب الوطن اتسموا
كما رنا للطبيب المدنف السَّقم
إلا ذكت فيه نارٌ أو أريق دم
منها إلى جمعهم أبطالها البُهم
صينت له من قديم عندهم ذم
فليس يثنِيهم ثانٍ إذا هجموا
وكالجال الرواسي هم إذا التحموا
حتى حكين الغوادي حين تَهْتَزَم^٣

♦ ♦ ♦
من مبلَّغٍ للأمير الشَّهم مألُكةً
إلى فتى آل رسلان الألى رَسختُ
لبعضهم شهرةً بالسيف واحدة
كعادلٍ وشكيبٍ في أكفَّهما
صبرًا فديتك بالعُقْبَى وإن بعدتُ
ولم يَفْتَكْ نجاح في محاربةٍ
يا عادلًا كاسمه لا تنسَ مَظلمتي

♦ ♦ ♦
كالشمس تشرق إلا أنها كلم^٤
في معدنِ المجد من قَدَمٍ لهم قَدَم
وبعضهم شَهْرَتاهُ السيف والقلم
جال اليراع وصال الصارم الخَدَم^٥
للصابرين وعُقْبَى الخائن الندم
أقلُّ ما حزت فيها المجد والكرم
عندي خصوم وما عندي لهم حَكَم

١ مزدلم: مقطوع.

٢ أمر عمم: تام عام.

٣ صلت صليلاً: صوتت. والغواذي: جمع غادية وهي السحابة تتشأ فقط غدوة. تهترم: من الهزيم وهو صوت الرعد.

٤ المألكة والألوكة: الرسالة يؤديها الرسول بلسانه.

٥ سيف خذم: ومخذم: بكسر الميم: أي قاطع.

الحرية في سياسة المستعمرين

يا قوم لا تتكلموا
ناموا ولا تستيقظوا
وتأخروا عن كل ما
ودعوا التفهم جانباً
وتتبتوا في جهلكم
أما السياسة فاتركوا
إن السياسة سيرها
وإذا أفضتم في المبا
والعدل لا تتوسموا
من شاء منكم أن يعي—
فليمس لا سمع ولا
لا يستحق كرامة
ودعوا السعادة إنما
فالعيش وهو منعم
فارضوا بحكم الدهر مه—
وإذا ظلمتم فاضحكوا
وإذا أهنتم فاشكروا
إن قيل: هذا شهدكم
أو قيل: إن نهاركم
أو قيل: إن ثمادكم
أو قيل: إن بلادكم
فتحمّدوا، وتشكروا

إن الكلام محرّم
ما فاز إلا النوم
يقضي بأن تتقدّموا
فالخير ألاً تفهموا
فالشر أن تتعلموا
أبداً وإلا تندموا
لو تعلمون مُطلّسم
ح من الحديث فجمجموا
والظلم لا تتجهموا
ش اليوم وهو مكرّم
بصرّ لديه ولا فم
إلا الأصم الأبكم
هي في الحياة تؤهم
كالعيش وهو مذمّم
ما كان فيه تحكّم
طرباً ولا تتظلموا
وإذا لُطمتم فابسموا
مرّ، فقولوا: علقم
ليل، فقولوا: مظلم
سيل، فقولوا: مُفعِم
يا قوم سوف تُقسّم
وترنحوا، وترنّموا

^١ الشّاد: جمع ثمّ بالتحريك، وهو الماء القليل.

غادة الانتداب

دُعْ مزعج اللوم وخل العتاب
من قصّة وإقصيّة غصّة
في الكوخ من بغداد مرّت بنا
لبنّتها موقرةً بالحلى
ووجهها يطمس سَخْناءه
تمشي العَرْضُنَى في جلابيبها
تَخْتَلُبُ الناسَ بأوضاعها
قد وضعت تاجًا على رأسها
يُحَسِّبُ من دُرٍّ بتمويهه
كاسية الجسم أرق الكسى
قد غولط الناس بأثوابها
وهي لعمرى دونَ ما ربيّة
فالغش في لحمتها والسدى
قال جليسي يوم مرّت بنا:
قلت له: تلك لأوطاننا
نحسبها حسناء من زيّها
ظاهرها فيه لنا رحمة
مصائبنا أمسى فظيعةً بها
تالله قد حق لنا أننا

واسمع إلى الأمر العجيب العُجاب
تضحك بل تدعو إلى الانتخاب^١
يومًا فتاة من ذوات الحجاب
وكفّها مشبعة بالخضاب^٢
عنا ظلامٌ من سواد النقاب
مشية إحدى المومسات القحاب
وكل ما يصدرُ منها خلاب
يلمع في الظاهر لمع الشهاب
وهو إذا حقّقته من سِخاب^٣
موشية الثوب بوشى كذاب
في أنها من معمل الانتخاب
منسوجة في منسج الاغتصاب
وكل ما يدعو إلى الارتياب
من هذه الغادة ذات الحجاب؟
حكومة جاد بها الانتداب
وما سوى «جنبول» تحت الثياب
والويل في باطنها والعذاب
يا ربّ ما أقطع هذا المصاب!
نحثو على الأروُس كلّ التراب

^١ واقصة: اسم فاعل من وقصه؛ إذا دق عنقه، والمراد أنها مؤلمة أشد الألم.

اللبة: موضع القلادة. وموقرة: محملة.

٣ السخاب، ككتاب: خيط ينظم فيه خرز، تلبسه الصبيان والجواري.

الفيل والحمل

أنشدها يخاطب بها الزعيم الهندي محمد علي، وقد كان مدعوًا معه في مأدبة أقامها له الأستاذ الشعالبي عند مروره ببغداد سنة ١٩٢٩.

سؤالاً له أرجو الجواب تفضلاً	إليك زعيم الهند أورد ها هنا
فلم يخشَ فيه الحرُّ أن يتَقَوَّلاً	فنحن هنا في مجلس ذي أمانةٍ
تخيَّلت فيلاً بالحديد مُكبلاً	إذا ما سمعت الهند في قول قائل
فيمضي بأعباء الأجانب متقللاً	ترجّيه كف الأجنبيِّ مُسخَّراً
له أنّة من ثقل ما قد تحملاً	ويبرك أحياناً على الأرض رازحاً
فيمضي على رغم القيود مهرولاً	ويُنَحَس أحياناً فتعلوه رَجفة
تكون له، لو شاء من ذاك موئلاً	وإني أظن الفيلَ صاحبَ قوّة
لهزّ بها شم الجبال وقلقلاً	فلو قام هذا الفيل واستجمع القوى
لما رمث عن هذا جواباً مفصلاً	ولو لم تكن بالفيل عندي علاقة
غدا من وراء الفيل للذئب مأكلاً	لنا حَمَلٌ وهو العراق نظنّه
نجونا وإلا أصبح الأمر معضلاً	فإن يَنْجُ هذا الفيل من قيد أسره
تروى سوى هذا عليه المعوَّلاً؟	فإن لم يكن هذا صحيحاً فما الذي
أحييك باسم الناهضين إلى العلا	ومن بعد هذا يا محمد إنني

دمشق تتدب أهلها

أنشدها في حفلة أقيمت في بغداد لجمع الإعانات لمنكوبي سورية سنة ١٩٢٦.

بصوتٍ له الصخر الأصم يلين
لها في مناحي الغوطتين أنين
وخيم صمتٌ في الدجى وسكون
تميد له في الغوطتين غصون
فتبصرها في الرافدين عيون
أبو الهول منها واجدٌ وحزين

بكت في ظلام الليل تتدب أهلها
وباتت وقد جلَّ المصابُ حزينه
تننُّ وقد مدَّ الظلام رواقه
إذا هي مدَّت في الدجنة صوتها
وتلهب منه في الفضاء شرارة
وتهبو له في ساحل النيل هبوة



فأسفر منها عارض وجبين
بخديه سر للجمال مصون
له سببٌ في المكرمات متين
مكان من الحسن المهيّب مكين
صريع على وجه الثرى وطعين
تقاذف منها بالدموع شئون
لها كلٌّ أن زفرة وحنين
تورم منها بالبكاء جفون
فلاحت من الأشجان فيه فنون
كما ترتمي بالعاصفات سفين
لك اليوم خلٌّ صادق وأمين؟
عن القصد فيها مُعربٌ ومبين
أما أنت في مغنى دمشق قطين
فمنهم قتيل بالطبّا وسجين

ومن بعد وَهْنٍ أشرق البدر طالعا
فأبصرتُ منها الوجهَ أزهَرَ مُشرقاً
جمال بديعٍ بالجلال متوج
وبَرَقَها حزنٌ فكان لوجهها
فتاة جَثَتْ في الأرض تبكي وحولها
فضمَّت إلى الصدر اليدين وعينُها
وقد شخّصت نحو السماء بطرفها
وما أنسَ لا أنسَ العشيّة أنها
وأنَّ غزيرَ الدمع خدَّ خدّها
ولما انقضى صبري تراميت نحوها
وقلت لها: مَنْ أنتِ رحماك إنني
فقلت وقد أَلقت إليّ بنظرة
أنا البلدة التُكلى دمشقُ ابنة العُلا
ألم ترَ أبنائي يُساقونَ للرَدَى

فأين أباة الضيم من آل يعرب
فقلت لها: لبيك يا أمّ إنهم
سندرك فيك الثأر من أنفس العدا
ألم يأت منهم ناصر ومعين؟
سيأتيك منهم بارز وكمين^١
ونوقد نار الحرب وهي زبون^٢



فهذي دمشق يا كرام وهذه
أحاديث عنها كلهنّ شجون

^١ بارز وكمين: أي ظاهر وخفي.

^٢ الزبون: الدفوع، يقال: ناقة زبون، وحرب زبون: أي تدفع الناس إلى الهلاك.

معتزك الأهواء

قالها يمثل حالة الصحف في الأستانة عقب الهدنة للحرب العامة.

أرى الأتراك في دار الخلافه
غدوا يتطاعنون بكل هُجْرٍ
فما عملت رماح الخط فيهم
ترى كلًّا تهياً للترامي
وأترع كفه حمأً ننتيأ
تراهم مُزبدِين لهم شقوقُ
لهم صَخَبٌ كعريدة السكارى
على حين العدوُّ بهم محيطٌ
سفينة ملكهم فيها خروق
وقد وقفتْ بِدُرْدورٍ شديدٍ
وليس لها هنالك من عريفٍ
عجبت لهم إذ اختلفوا بملكٍ
كأنني إذ أراهم في احترابٍ
أرى كبشين ينتطحان جَهْلًا
خِصامٌ يضحك السفهاء منه
وإنَّ تدابرَ الأقوام شيء

تمادوا في الخصومة والسخافه
من القول المخالف للشرافه^١
كما عملته أقلام الصحافه^٢
وشمّر عن سواعده لحافه
ليُلطخ وجه من يُبدي خلافه^٣
كشدقي حالبٍ شربِ النشافه^٤
وقد شربوا المطاعم كالسلافه
يذيقهم المذلة والمخافه
وهم لا يحسنون لها القلافه^٥
ولم تأمن من الموج انقذافه^٦
يُفَوِّمها بسكان العرافه
يكون الإختلاف عليه آفه
بملكٍ يطلب الغرب انتسافه
لدى الجزّار في دار الضيافه
ويبكي منه أرباب الحصافه
يئول إلى الندامة والأسافه

^١ الشرافة: الشرف، وكلاهما مصدر شرف الرجل؛ إذا علا في الدين أو الدنيا.

^٢ الخط: بلد في البحرين تصنع فيه الرماح الجيدة.

^٣ الحمأ: الطين.

٤ المزيد: البعير الذي خرج الزبد حول فمه. والنشافة: الرغبة التي تعلو لبن الإبل والغنم إذا حلب.

٥ قلف السفينة: خرز ألواحها بالليف، وجعل في خللها القار، والقلافة اسم تلك الصناعة.

٦ الدردور: موضع في وسط البحر يجيش ماؤه، لا تكاد تسلم منه سفينة.

نفثة مصدر ١

شجونَ فتى يشكو الأليم من البت؟
ويسأم مثلي كلُّ محترثٍ حرثي
أما لنيام القوم في الشرق من بعث؟
جوائح أودت منه بالكِرش والفرث ^٢
وصار سمين القوم يبطش بالغث
بسحق دريسٍ من مفاقره رث ^٣
من العلم جذراً فوقه غير مُجتث
نفوساً على خُبث المطاعم لا تُغثي
فقد طال عنها في مواطنكم بحثي؟!
أرى حبلها في كل يوم إلى النكت؟!
يزيد بها من طول غفلتكم نفثي ^٤
أوائلكم قبلاً فأندب أو أرثي
على ركبتيه الدهر من خشية يُجثي
فهل بطلت في خَلقكم سنة الإرث؟
من المجد، لا لا، بل أقل من التلث!
بعزٍّ على وجه البسيطة مُنبث
يَحْنُثُون منكم للعلا غير محنت!
عدمُ العلا إن بثُّ منها على حنث
وأستُرُّ أفق اليأس بالرهج الكث ^٥
ولستُ أبالي بالكوارث من كرت
وأخبط ليل المزعجات بلا لبث
كتبثُ هجاء الدهر بالقلم التلث ^٦

خليلي هل من مُنصتٍ فأبثه
فإني سنمت العيش في عُنفوانه
أقول، وليل الغرب ليس بنائم
لقد جاح هذا الشرق بعد اعتزازه
فساء من الإملاق والجهل خلقه
وعادَ هزيباً مجده مُتلفعاً
وهبَّت به هوج الرياح فلم تدع
أرى غثياناً في النفوس وهل ترى
فيما قومنا أين المساواة عندكم
وأين موثيق الأخوة إنني
وإنَّ بصدري للقريض لفورة
أراكم فأهجو ثم أطرق ذاكرًا
وأبكي على المجد الذي كان دونه
يقولون: إنَّ الإرث في الخلق سُنَّةٌ
فهلَّا ورثتم ثلثَ ذاك الذي بنوا
قعدتم وقاموا واستكنتم وفاخروا
وما أتعب المستنهضيكم فإنهم
أما والعلاء، واهّا لها من أليّة
لأحتقرنَّ الموتَ في معرك المني
وأركبُ متنَّ الهول دون لبانتي
وأجري بمستنَّ الخطوب مشمراً
ولولا إبائي أن أخاطب ماجناً

^١ قال الرصافي هذه القصيدة وهو في الأستانة، وأنشدها بشبان العرب في المنتدى الأدبي.

^٢ أودت منه بالكرش والفرث: [يريد] أنها ذهبت منه بما عز وبما هان.

^٣ متلفعاً: متلحفاً. وسحق في قوله: «بسحق» صفة لمحذوف؛ أي بثوب سحق، وهو البالي من الثياب. والدريس: الخلق، وكذلك الرث. والمفاقر: وجوه الفقر، لا واحد لها.

^٤ نفثي: أي نفخي من الغضب.

^٥ الرهج: الغبار.

^٦ القلم الثلث: أصله قلم الثلث، وهو الذي يكتب في ثلث الطومار، والطومار: نوع من الورق، متفق على مقدار طوله وعرضه، وهذا من اصطلاح كتاب الدواوين، وقد جرى الشاعر على أسلوب عامة المتكلمين، فجعل الثلث وصفاً للقلم: يريد القلم العريض.

إخفار الذمم أو عبد العزيز شاويش

قالها في الأستانة عندما أسلمت وزارة أحمد مختار باشا الغازي الشيخ عبد العزيز شاويش إلى الحكومة المصرية.

إني عهدتك لا تكون يئوسا
كم قد صَدَمَتِ النائبات بهمةٍ
غدروك يا عبدَ العزيزِ وإنما
ما أسلموك إلى الخديو إنما
هدموا بأيديهم قواعدَ مجدهم
وأحق شيءٍ بالرياء لدى الوري
وأقل أبناء الزمان حمية
قد أخجلوا علمَ الهلال بفعلهم
وغدا بنوه وإن تقادم فخرهم
ما هنت أنتَ وإنهم بفعالهم
جارتِ سياستهم عليك فأغضبت
لو كان هذا الشعب يعرف نفسه
ولو أن أخلاق الرجال صحيحة
إن العلا همست إليك بسرّها
فنهضت بين المسلمين تلثمهم
فرماك منهم حاسدوك بتهمة
إن يمقتوك فإن حبك لم يزل
والشمس تشهدُ أن فضلك مثلها
يا ليت شعري أي كأسٍ مرة
وبأي سلسلةٍ رموك مكبلًا
قد بثّ من جزعي عليك منجمًا

مهما لقيت مصائبًا ونحوسا
جعلتُ لها الصبر الجميل لبوسا
غدروا الشهامة فيك والناموسا^١
قد أسلموا شرفًا لهم فُذُموسا^٢
فهوى وأصبح رسمه مطموسا
شرف بأرجل أهله قد ديسا
من كان بيت نزيلهم مكبوسا^٣
هذا فأصبح رأسه منكوسا
عند الفخار يُطأطئون رعوسا
هانوا لدى أهل الحفاظ نفوسا
أهل العدالة سائسا ومسوسا
لأقام حربًا من جراك ضروسا
ما كان حقك عندهم مبخوسا
ولقد فهمت كلامها المهموسا
وتجدُّ منهم مُخلَقًا ودَريسًا^٤
ملئوا الفضاء بزورها تدليسًا
في قلب كل موحّد مغروسا
يحي النفوس ويقتل الحنديسا^٥
لك أدهقوا إذ جرّعوك البوسا!^٦
وبأي سجن غادروك حبيسا
في الليل عنك أسائل البرجيسا^٧

يَجْنِي الثَّنَاءَ وَيَقْطِفُ التَّقْدِيسَا
فَالْحَقُّ عِنْدَكَ قَدْ أَقَامَ أَنْيَسَا
لَقِيَ الْأَذَاةَ مَفْجَعًا مَتَعُوسَا
وَجْهَ الْحَقِيقَةِ فِي الْأَنَامِ عَبُوسَا

إِنْ يَسْجَنُوكَ فَإِنْ ذَكَرَكَ مَطْلَقًا
أَوْ يُوَحِّشُوكَ بِقَعْرِ سَجْنِكَ مَفْرَدًا
وَلَنْ لَقِيتَ أَدَى فَكَمٍ مِنْ مَصْلَحٍ
ضَحَكَتْ وُجُوهُ التَّرَهَّاتِ وَلَمْ يَزَلْ

١ الناموس: وعاء العلم.

٢ القدموس: القديم.

٣ المكبوس: الذي يهجم عليه ويفتس.

٤ وتجد: تجدد. والمخلق: البالي. الدريس: الدارس البالي.

٥ الحندس: الظلام، والحنديس؛ الحندس وقد أشبع كسرة الدال، فوجدت الياء.

٦ البوس: البؤس.

٧ البرجيس: نجم، قيل: هو المشتري.

ياسين باشا

قالها بلسان أحد المتظاهرين، وكان إذ ذاك في دمشق، لما دبرت حكومة الشام العربية بواسطة رجال الإنكليز مكيدتها المعلومة لياسين باشا الهاشمي فأخذوه واعتقلوه في الرملة، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين بلاد الشام.

أفأنت للوطن العزيز مودّع؟!	ياسينُ إنك بالقلوب مَشِيْعُ
بيد الخداع ومثلهم من يَخْدَع	أخذوك يا بطلَ المعامع غيلةً
لقيامك أعجزهم إليك المطلع	ولو أنهم تركوا الخداع وحاولوا
هاجوا بمأخذك الخطوب وزرعوا؟!	أوليس يدري أخذوك بأنهم
سرعان ما نقضوا العهود وضيعوا!	أينَ الذمام ونحن من خلفائهم؟!
في المجد تأمر من تشاء فيسمع؟!	أفيجهلون بأننا من أمة
تمشي كمشيكَ للعلاء وتتبع	لا تجزَعَنَّ فإنَّ خلفك أمة
فالشعب خلفك هائج لا يهجع	إن أخرجوك من المواطن مكرهاً
أو تبتطوك فإن جيشك مُسرِع	أو غيبوك فإنَّ أمرك حاضراً
حتى يضيق بها الفضاء الأوسع ^١	فلنملائَنَّ بك البلادَ هَراهِراً
شماء يبصرها الجبان فيشجُع	ولننهضنَّ إلى الهياج بهمة
ورءوسهم فيها لسيفك رُكع	ولنسعرنَّ معامعاً يصلونها
ترمي الجبال بمثلها تتصدّع	ولنرمينهم بمعضلةٍ إذا
فيصل صمصامٌ ويصرخ مدفع	ونقودها خرساء يُنطقها الردى
أبشر فإنك عن قريب ترجع	يا راحلاً عنا بكيد عدونا

^١ الهزاهز: الفتن والثورات التي تهز الناس وتقلقهم.

كيف نحن في العراق؟

أيكفينا من الدُولات أنا
وأنا بعد ذلك في افتقار
تجوز سيادة الهنديّ فينا
إذن فالهند أشرف من بلادي
وكم عند الحكومة من رجالٍ
كلابٍ للأجانب هم ولكن
وليس الإنكليز بمنقذينا
متى شفق القويّ على ضعيفٍ
ولكن نحن في يدهم أسارى
أما والله لو كنا قروداً

تعلّق في الديار لنا البنودُ؟!
إلى ما الأجنبيّ به وجودُ؟!
وأما ابن البلاد فلا يسود
وأشرف من بني قومي الهنودُ
تراهم سادة وهم العبيد
على أبناء جلدتهم أسود
وإن كتبت لنا منهم عهد
وكيف بعهاد الخرفان سيّدُ؟!
وما كتبوه من عهد قيود
لما رضىت قرابتنا القروُدُ

في طريقي إلى حلب

جئْتُ إلى الدير ضُحى يوم الأحد
فاعترضتني شرطةٌ ذات رَصْدٍ
فعاقني ذاك من اليوم لغد
سفينة أمسكها ماء جَمَدٍ
وقلت من يَأْسِي وقد قَلَّ الجَلَدُ:
يمرُّ زحفاً بين أشداق الأسد
لكنني أبقى زمناً من غير حد
لم أدرِ جدُّ فعلكم أم هو دَدٌ
إذ في عاثوا عيثَ ذنبٍ في نَقْدٍ
أفاد كالقائل قيدَ للقود
كأنني سارق مالٍ مُفْتَقِدٍ
ولست ممن سيمَ حقاً فَجَحَدُ
لكنَّما الأمرُ لديهم قد فسَدُ
فالقوم أما حظهم فقد رَقْدُ
منهم، وأما نحسهم فقد وَقْدُ
وقد وَقْدُ، وقد وَقْدُ، وقد وَقْدُ

أَقْصِدُ منه حَلْباً فيمن قَصْدُ
تطلب تصديق جوازي في الصدد ^١
كأنني والغيط في قلبي اتقد
حتى لقد يئسْتُ من فتح السَدِّد
كأنَّ من يمر من هذا البلد
لولا كرام أدركوني بالمدد
يا صاحب الشرطة ما هذا اللدد؟ ^٢
فإن أجنادك جاءوا بالفَنَدُ ^٣
تعاورتنِي مِنْهُمْ يَدُ فيدٍ ^٤
حتى ثيابي فتشوها والجسدُ ^٥
ما أنا ممن جرَّ جرماً فشرُدُ
كلا ولست جانياً على أَحَدُ
والحكم قد جارَ عليهم واستبَدُ
عنهم، وأما سَعْدُهُمْ فقد خَمَدُ
وقد أضاعوا مجدهم إلى الأَبَدُ

^١ الصدد: الطريق.

^٢ اللدد: شدة الخصومة والجدال.

^٣ الدد: اللعب واللهو. والفند: ما يلامون عليه.

^٤ النقْد: ضرب من صغار الغنم، كالمعز.

• القود: القصاص.

حكومة الانتداب

أَللُّمُ فِي تَفْنِيدِهَا وَأُعَنِّفُ؟!
مَنْ أَنْ يَقُولُوا: شَاعِرٌ مُتَطَرِّفٌ
كَذِبٌ، وَكُلُّ صَنِيعِهَا مُتَكَلِّفٌ
فَجَمِيعٌ مَا فِيهَا بِهَارِجٌ زُيْفٌ
لِلْأَجْنَبِيِّ وَظَاهِرٌ مُتَكَشِّفٌ
وَالظَّاهِرُ الْمَكْشُوفُ فِيهِ تَصَلِّفٌ

أَنَا بِالْحُكُومَةِ وَالسِّيَاسَةِ أَعْرِفُ
سَأَقُولُ فِيهَا مَا أَقُولُ وَلَمْ أَخْفُ
هَذِي حُكُومَتَنَا وَكُلُّ شُمُوخِهَا
غَشَّتْ مَظَاهِرَهَا وَمُؤَةً وَجْهَهَا
وَجِهَانٌ فِيهَا بَاطِنٌ مُتَسْتَرٌ
وَالْبَاطِلُ الْمُسْتَوْرٌ فِيهِ تَحْكَمُ

◆ ◆ ◆

كُلُّ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مُحَرِّفٌ
أَمَّا مَعَانِيهَا فَلَيْسَتْ تُعْرَفُ
وَفَقًّا لَصِّكَ الْإِنْتِدَابُ مُصَنَّفٌ
فِي عِزٍّ غَيْرِ بَنِي الْبِلَادِ يُرْفَرُ
لِمَرَادٍ غَيْرِ النَّاخِبِينَ مُؤَلَّفٌ
بِقَيُودِ أَهْلِ الْإِسْتِشَارَةِ تَرْسُفُ

عَلَّمَ وَدُسْتُورٌ وَمَجْلِسُ أُمَةٍ
أَسْمَاءٌ لَيْسَ لَنَا سِوَى أَلْفَاطِهَا
مَنْ يَقْرَأُ الدُّسْتُورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
مَنْ يَنْظُرُ الْعِلْمَ الْمَرْفُوفَ يَلْقَاهُ
مَنْ يَأْتِ مَجْلِسَنَا يَصْدُقُ أَنَّهُ
مَنْ يَأْتِ مُطَرَّدَ الْوِزَارَةِ يُلْفِيهَا

◆ ◆ ◆

كَلِمًا تُمَوِّهُ لِلْوَرَى وَتَزْخَرِفُ؟!
كَالطَّبْلِ يَكْبُرُ وَهُوَ خَالٍ أَجُوفٌ
عَمَلٌ بِمَنْفَعَةِ الْمَوَاطِنِ مُجْحَفٌ
تَجْتَاحُ أَمْوَالُ الْبِلَادِ وَتُتَلَفُ
فِي غَيْرِ مَنْفَعَةِ الرِّعْيَةِ تَصْرَفُ
أَمَّا عَلَى الدُّخْلَاءِ فَهِيَ تَخَفُّفُ
فِي السَّائِسِينَ فِظَاطَةٌ وَتَعْجُرُفُ
لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَنْبَلِّشُفُوا

أَفْهَكَذَا تَبْقَى الْحُكُومَةُ عِنْدَنَا
كَثُرَتْ «دَوَائِرُهَا» وَقَلَّ فَعَالُهَا
كَمْ سَاعَنَا مِنْهَا وَمِنْ وَزَرَائِهَا
تَشْكُو الْبِلَادُ سِيَاسَةً مَالِيَةً
تَجْنِي ضَرَائِبُهَا الثَّقَالَ وَإِنَّمَا
حَكَمْتَ مُشَدَّدَةً عَلَيْنَا حَكْمَهَا
يَا قَوْمُ خَلُّوا الْفَاشِيسِيَّةَ إِنَّهَا
لِلْإِنْكِلِيزِ مَطَامِعُ بِلَادِكُمْ

◆ ◆ ◆

بالله يا وزراءنا ما بالكُم
وكأن واحدكم لفرط غروره
أفتنعون من الحكومة باسمها
هذي كراسي الوزارة تحتكم
أنتم عليها والأجانب فوقكم
أيعدُّ فخراً للوزير جلوسه



إن دام هذا في البلاد فإنه
لا بد من يوم يطول عليكمُم
فهناكُم لم يغن شيئاً عنكمُم
الشعب في جزع فلا تستبعدوا
وإذا دعا داعي البلاد إلى الوغى
أيذلُّ قوم ناهضون وعندهم
كم من نواصي للعدا سنجزُّها
إن لم نضاحك بالسيوف خصومنا



زُر ردهة التاريخ إن فناءها
قد كان للعرب الأكارم دولة
عاش الأديب منعماً في ظلها
أيام كان المسلمون من الورى
ثم انقضى عهد العروبة مذ غدا
حتى تقلص بعدُ من سلطانها
وغدت ممالكها الكبيرة كلها
فبنو العروبة أصبحوا في حالة
والمسلمون بحالة من أجلها

إن نحن جادلناكُم لم تُتصفوا؟
ثملٌ تميل بجانيبه القرقف^١
ويفوتكم في الأمر أن تتصرفوا؟!
كادت لفرط حيائها تتقصّف
كلُّ بسلطته عليكم مشرف
فرحاً على الكرسي وهو مكتّف؟

بدوامه لسيوفنا مسترّع^٢
فيه الحساب كما يطول الموقف
لُسُّ تقول ولا عيونٌ تذرف
يوماً تنور به الجيوش وتزحف
أتظنُّ أن هناك من يتخلف؟
شرفٌ يعزز جانيبه المرهف^٣
ولحى بأيدي الثائرين ستنتف
فالمجد باكٍ والعلا تتأفّف

للمجد من أبناء يعربٍ مُتخَف
من بأسها الدول العظيمة ترجف
والعالم النحرير والمتفلسف
في ظلها لهم المحل الأشرف
عنها الزمانُ بسعده يتحرّف^٤
ظلُّ بأقصى المشرقين مُورّف
لسهام كل دويلة تستهدف
منها العروبة لا أبا لك تأنف
تالله ضجَّ بما حواه المُصحف

١ القرقف: الخمر.

٢ مسترّع: مسبب للرعاف وهو سيلان الدم من الأنف ومن السيف.

٣ المرهف: السيف أو السنان المشحوذ.

يتحرف: ينحرف.

الوزارة المذبذبة

دار ذا الدهر مداره
كل فعل الدهر فعل
أهل بغداد أفيقوا
إنّ ديك الدهر قد با
شأنها شأن عجيب
هي للجاهل عز
ملك البدو بها الأم—
كم لها من هفوات
حببت للوطني ال—
بيع للأطماع فيها
فكأن الحكم والعد
كم وزير هو كالوز
مُحمّ لو كان لفظاً
ووزير ملحق كالذ
ذنب يستوجب الإخ—
قل لأرباب الوزارة
أنتم الأصنام لولا
أحلوّم كفراش
أم جيوب زرها الدم—
أم وجوه لو بدت للش—
أمع الذلة كبر
كيف لا تخشون للأح—
يا بني الأوطان هبوا

فرأى الناس ازوراره
فيه للحرّ إثاره
من كرى هذي الغراره^١
ض ببغداد وزاره
قصرت عنه عباره
ولذي العلم حقاره
ر على أهل الحضاره
تسلّب الطود وقاره
حرّ أن يهجر داره
حقكم بيع الخساره
ل بها قط وفاره
ر على ظهر الوزاره
شخصه كان استعاره
يل في عجز الحماره
—لاص والصدق انبتاره^٢
عدلاً أضرمت ناره
نزقات مستطاره
وقلوب كحجاره؟!
ر على كل دعاره؟!^٣
مس لم تنتشر حراره؟!
أم مع الجبن جساره؟!
رار في البطش مهاره؟!
وانقضوا هذي الغراره

إن وجه الحق بادٍ أدركوا الحق فقد شُلَّ—
لا تسَل عنه وزير الـ فوزير القوم لا يَعـ
وهو لا يملك أمرًا يأخذ الراتب إما
ثم لا يعرف من بعـ حدّث الناس الـ
فلعلّ الدهر منهم كسراج في مناره
ت على الحق الإغاره قوم واسأل مستشاره
مَل من غير إشاره غير كرسيّ الوزاره
بلغ الشهر سراره ٤
د: خراب أم عماره لؤم عن هذي الخُشاره ٥
بدم يغسل عاره

١ الغرارة: الغفلة وقلة الفطنة للشر.

٢ انبتاره: بتره وقطعه.

٣ الدعارة: الفجور والخيانة.

٤ السرار: الظلام الذي لا يظهر فيه القمر آخر الشهر.

٥ الخشارة والخشار: الرديء من كل شيء، وخصّ اللحياني به رديء المتاع، وفي البيت خلل، لكن هكذا ورد في الأصل.

يوم الفلوجة

أيها الإنجليز لن نتناسى
ذاك بغي لن يَشْفِي الله إلا
هو كَرْب تأبى الحميَّة أنا
هو خطب أبكى العراقيين والشا



حلها جيشكم يريد انتقاماً
يومَ عاثت ذئاب أثور فيها
فاستهنتم بالمسلمين سفاهاً
وأدرتم فيها على العُزل كأساً
واستبحتم أموالها وقطعتم
أفهدا تمُدُّ وعلاءً
أم سكرتم لما غلبتم بحربٍ
قد نتجنا لقوحها عن خداج
هل نسيتم جيشاً لكم مُبذعراً
وهوى بانهازمه حصن أقري—
سوف ينأى بخزيه وبعارٍ
لا تغرَّ نكم شباك كبارٍ
لستم اليوم في الممالك إلا
وطن عشت فيه غير سعيد
أتمنى له السعادة لكن
أخصب الله أرضه ولو أني
كل يوم بعزه أتغنى
ما حياة الإنسان بالذل إلا

بَغِيكُمْ في مساكن الفلُوجه^١
بالمواضي جريحه وشجيجه
بسوى السيف نبتغي تفريجه
م وركنَ البنيَّة المحجوجه

وهو مُغرٍ بالساكنين عُلوجه^٢
عيثة تحمل الشنار سَميجه
واتخذتم من اليهود وليجه^٣
من دماء بالغدر كانت مزيجه
بين أهل الديار كل وشيجه
شعبكم يدعي إليه عروجه؟!
لم تكن في انبعاثها بنضيجه؟
فلذاك انتهت بسوء النتيجة^٤
شهدت جنبه سواحل إيجه؟^٥
ط وأمسى قَدَى على عين فيجه^٦
عن بلاد تريد منها خُروجه
أصبحت لاصطيادنا منسوجه
جُعلاً تحت صدره دُحروجه^٧
عيش حرّ يأبى على الدهر عوجَه
ليس لي فيه ناقة منتوجه^٨
لست أرعى رياضه ومروجه
جاعلاً ذكر عزه أهزوجه
مُرّة عند حسوها ممجوجه

فتناء للرافدين وشكرًا وسلامًا عليك يا «فلّوجه»

-
- ١ الفلوجة: قرية على الفرات.
 - ٢ مغرٍ: مسلط محرض. والعلوج: جمع علج، وهو الرجل الضخم من كفار العجم.
 - ٣ وليجة: بطانة.
 - ٤ نتج الناقة: ولدها. واللقوح: الحامل. الخداج: نزول المولود قبل استكمال مدة الحمل.
 - ٥ المبذعر: المتفرق.
 - ٦ أقریط: كريت.
 - ٧ الجعل: ذكر الخنافس. والدحروجة: كرة يكورها من خرئه، يدحرجها ويجري وراءها.
 - ٨ منتوجة: والدّة.

الإنكليز في سياستهم الاستعمارية

لقد جمع الدهر المكاييد كلها
وصب عليها من بئار صروفه
وأنقع فيها ما يعادل ثلثها
وفتت أوطالاً من الغدر فوقها
وأوقد ناراً للخديعة تحتها
ففارت ملياً فيه ثم تصعدت
فصاع طباع الإنكليز من الذي
دع اللوم واسمع ما أقول فإنني
كأنهم والناس عت وصوفة
فكم حرثوا في أرض مستعمراتهم
وكم أيقظوا والناس في الليل نوم
وهم يأكلون الزبد من منتجاتها
فيحظون منها بالنفائس دونهم
زر الهند إن رمت العيان فكم ترى



يقولون: إنا عاملون لسعدكم
فكم بعثوا في الشرق حرباً ذميمة
وكم أرسلوا دساً جواسيس مكرهم
وهم سلبوا أرض العراق سمينها
إذا ما رأيت القوم في فخ مكرهم
فلا تزج في الدنيا وفاء لعهدهم
وما الحكم إلا عندنا كمطتة

ولم يعملوا غير الكوارث والكراث^٧
تمثل في أهوالها ساعة البعث
على الناس يشتدون بالنبش والنبت
ولم يتركوا للقوم منها سوى الغث
رقت لهم تبكي على القوم أو ترثي
فلا بد في الأيام للعهد من نكت
رموها إلينا كي يروا لعبة الطث^٨

-
- ١ الغضا: شجر جزل، ناره قوية. والرمث: شجر يشبه الغضا لا يطول ولكن ينبط ورقه.
 - ٢ الأنبيق: جهاز معروف يستعمل في التقطير.
 - ٣ المطر الدث: الضعيف الخفيف.
 - ٤ الدجن: الغيم. الوعث: المكان السهل الكثير التراب، تغيب بينه الأقدام.
 - ٥ الفرث: السرجين ما دام في الكرث.
 - ٦ السقيط: سقط المتاع. والخرثي: أردأ متاع البيت.
 - ٧ كرثه الأمر كرثًا: اشتد عليه.
 - ٨ المطثة: لعبة للصبيان يرمون بخشبة مستديرة عريضة، يدقق أحد رأسها، نحو الفلة.

بين الانتداب والاستقلال

سلّ الإنكليزيّ الذي لم يزل له
أنت وزير أم عميد وزارة
فها أنت مُلقة إليك أمورنا
وتأخذ منا راتبًا كموظف
أنحمل منك اليوم عبء تحكّم
وما شأن ذيّاك السفير الذي له
وكانت لكم من قبل فينا استشارة
تبدّلتم استقلالنا بانتدابكم
خلقتم لنا من كل عهد مموّه
إلى أن غدا استقلالنا ضحكة الوری
وصار كسيف قاطع في أكفكم
غررتم به الأغرار والله شاهد
وهل يستقل الشعب في حكم نفسه
فما هو إلا المّين منكم أعانكم
وما سكت الأحرار عن مخزياتكم
ولا تعجبوا أن يمّقت الشعبُ دأبكم
روبيدًا فإن رمت من الشعب وُدّه
وكونوا له عونًا على ما يهّمّه
وإلا فأنتم ظالمون وإنما

بدست وزير الداخلية مقعدُ
نراك إليها كل يوم تردّد!
تحلّ لنا ما شئت منها وتعدّد
وهذا لعمر الله أنكى وأنكد
وندفع فيه الأجر منا وننقّد!
على الجانب الغربي قصر مشيّد
فزالت ولكن دام منكم ترصّد
ولكن على وجه لنا هو مُعيد
قيودًا بها استقلالنا يتقيد
به ساخرٌ كل امرئ ومندد
يجرد للإرهاب طورًا ويغمّد
على أنه في الحكم لفظ مجرد
إذا لم يكن في حكمه يتقرّد!
عليه رجالٌ خائنون وأيدوا
فكم أبرقوا غيظًا عليكم وأرعدوا
فيظهر وهو الساخط المتمرد
فخلوا له الأمر الذي يتقلد
يكن لكم عونًا على ما يعدّد
أخو الظلم مأخوذ بما يتعمد

بني وطني

تفشت سعايات لكم بالتجسس
على كل تدليس أتى من مُدّلس:
لما كنت تلقى بيننا غير مُدّيس^١
لما كنت تلقى بيننا غير مفلس
فنشري خسيئًا بالثمين المقدّس
شقاء نزيهاً للنعيم المدّس
على موحش من أمركم غير مؤنس
من العيش إلا فوق عز مؤسس
بغير شروق الشمس لم يتنفّس
ولو عشت في العزّى بفول مدمس
لجدوى أبتّها رغبة المتلمس^٢
فلست أبالي بالزمان المعبّس
وأعرف منهم وجهها بالتفرس
وأظهر كالخطريس للمتغطّرس
ولكن بصفح القادر المتحمس
ولا من أولي حمل السلاح المسدس
أتاكم بكافٍ من غلاه ومُخرّس
وإن جلّ عن تعريفه بالمهندس
وأغلس فيهم كنهه كل مُغلس
فساروا به كالعمي في كل حنّس
بحمرتها عن كل ثوب مورّس^٣
ولا لابس عند النهى غير ملبّس
إذا كان في الحاظه غير مُلبّس^٤

بني وطني ماذا أوّمل بعدما
أقول لمن قد لامني في تشدّدي
لو اسودّ وجه المرء من قُبْح فعله
ولو نال بالإخلاص مُثْر ثراءه
نحاول عزّا بابتذال نفوسنا
ومن جهلنا استكراهنا في معاشنا
سأرحل عنكم للذي قد أقامني
أبيت لنفسي أن تحل مكانة
ولو أن هذا الصبح كان انبلاجه
فلا أبتغي بالذل عيشًا مرفها
وما أنا كابن العبد إذ عانق الرّدى
إذا ابتسمت لي عفّتي ونزاهتي
أقابل أخلاق الرجال بمثلها
فأغوى لمن يغوى وأقسو لمن قسا
ولست أجازي المعتدي باعتدائه
وما أنا من أهل الدعارة والخنا
ولكنّ لي فيكم يراعًا إذا شدا
وما خالق الأكوان إلا مهندس
تجلّى على أكوانه بصفاته
وأقبسهم نورًا شديدًا جلاؤه
وألبسهم حمر الغرائز فاغتنوا
وما مُقبس عند النهى غير قابس
فأيّان جال الطرف لم ير غيره

حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى
ألا إنني للكائنات موحد

حقيقته دُع عنك حدس المحدث
ولو أرغمت كل المذاهب معطسي

١ المدفَس: الذي اسود وجهه من غير علة.

٢ ابن العبد: طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي، والمتلمس: جرير بن عبد المسيح شاعر معروف، ولهما قصة في وفادتهما على عمرو بن هند، ومنادمتهما أخاه قابوس.

٣ حمر الغرائز: كذا بخطه، ولعله يريد الغرائز المعجبة، فإن الحمرة شعار الحسن. والمورس: المصبوغ بالورس، وهو الزعفران.

٤ المبلَس: من الإبلَس، وهو الحيرة.

٥ المعطس: الأنف.

يوم سنغافورة

فعدوا بالشهور لها السنين
تجاوزت الألوف مع المئين
وجنُّوا في تناحرهم جنونا
فأوقد نارها المترئسونا
أولاك هم البغاة الطامعون
فشرشل أكبر المتجشعين
يزور في إطالتها الميونا^١
حياد فأعجب المتكذبين^٢
كدعوى العفة المتهتكونا
به من أمرهم يتفوهونا
ولا يمسي به أحد مشينا

أطالوا الحرب طاحنة ربونا
وقد زحفت لهم فيها جيوش
لقد خربوا البلاد ودوخوها
ولم تُرد الشعوب لها انتقادا
أولاك هم الجناة بها علينا
إذا ذكر الورى جشعا وحرصا
وما رُزفلت فيها غير جانٍ
أعان على الهياج وقال حيدي
فما دعواه في الحيوان إلا
كذلك ساسة الأقوام فيما
خداع لا يراه ذووه شيئا



على أعدائهم حربا طحونا
لها قصف تدك به الحصونا
وترسل في تهزمها المنونا
تطاول في مناعتها القرونا
وتستعشي بروعتها العيونا
لجيش حل مرصفها العيونا
لغلق البحر من نار كُرينا
تجول به فوارد أو ثُبينا^٣
تردد فوقه نظرا شفونا^٤
وتبدي من تماقلها فنونا
فتقلب الظهور بها بطونا

بسنغافورة اليابان سُتوا
لهم فيها طوائر صاعقات
رواعد تملأ الآفاق رعبا
تزلزلت الحصون بها وكانت
حصون تستخف بكل طود
لقد سكنت مدافعها وجوما
على بحر بلجته أقاموا
وقد بثوا البوارج فاسبطرت
ترى الحيات فيه قد اشرابت
وتطفو تارة وتغوص أخرى
وتضرب بالزعانف جانبيها

بحيث يقول من يرنو إليها:

لعلّ بهنّ صرعًا أو جنونا



وبحر الهند أصبح في اضطراب
أُفْتُتِحَ بابُه فيكونَ حرًّا
ويُمسي الهندُ عندئذٍ طليقًا
فبشرى للبلاد إذن وبشرى
فسوف تكفُّ عنهن الليلي

يُرجّم في عواقبه الظنونا
لمن يُزجى بلجته السفينا
من الأثر الذي قطع الوتينا °
لمصر وللعراق بما هويها
مطامع ساسة متحكمينا



هنالك حفرة الأطماع يُمسي
وتحتدم الحفائظ في البرايا
وتتسع السياسة للتصافي
ويصبح كل تمويه وغش
ويصبح كل خداع كذوب
ويصبح كل شعب مستقلًا
ويمسي الناس قاطبة سواء
يُعاون بعضهم بعضًا ويؤوي
تسير بها شرائع عادلّات
سواء لا يفرقهم لسان
فما من سائد أو من مسود
ويصبح كل مُحترثٍ مُشاعًا
وما أهل البلاد سوى عيالٍ

خداع الإنكليز بها دفينا
فتضرم فوق مدفنه أتونا
فيستصفي الخدين بها الخدينا
لأنظار البرية مستبيننا
رجيمًا في سياسته لعينا
عزيزًا لن يذلّ ولن يهُونا
بدين أخوة متدينينا
قويهم الضعيف المستكينا
إلى أوج السعادة مرتقيننا
ولا دين له يتعبدونا
ولا من دائن يُربي الديونا
لمن فيه ثؤوا مُتوطّنيننا ٦
على العمل الذي هم يحسنونا

١ الميون: جمع مين، وهو الكذب.

٢ الهياج: الحرب والشر. وحيدى حياذ: كلمة يقولها الهارب من شيء يخافه.

٣ اسبطرت: استطالت. وفوارد: مفردات. وثبين: جماعات.

٤ الشفون: النظر إلى شيء نظر المعجب منه.

٥ الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

٦ المحترث والمزدرع: موضع الحرث والزرع. والمشاع: الشائع بين الناس لا يختص به أحد. وثوى بالمكان: أقام وتوطن.

نحن والحالة العالمية

صاح إن الخطوبَ في غليانٍ
جلَّ رب الأنام في كل يوم
خالق الكون ذو الجلال قديم
كلُّ ما ضم ملكه كلماتٌ
نسمع اليوم للخطوب أزيزًا
إنني مُبصرٌ تباشير صبح
ليس تلك الدماء في الحرب إلا
إنني أَسْتَشِفُّ من غيرِ الدمـ
سيلوح الداني به وهو قاص
ويكون المُعَزُّ غيرَ مَعَزٍّ^١
وسیغدو الضعيف محترم الحق
والثريا ستعتلي في أمان
يتجلَّى رب السموات والأر
فیبوء «المستعمرون» بخسر



معشر العرب أين أنتم من القو
أنیامٌ والدهر يفتح فيكم
نقض القوم عهدكم قبل هذا
واستهانوا بالوعد إذ أخلفوه
وأقاموا بها قواعد جوَّ
ثم بثُّوا بها العيون یعیثو
ثم ساروا في حكمها سیر فُلُكٍ
كل هذا وأنتم مستقلو

م إذا ما تمَّ انقلاب الزمان؟
من جَدیدیه مقلَّتِي یقْطان؟!
واستخفُّوا بحفظه في حواني^٢
واستغلُّوا دفائن الأوطان
لاحتشاد الجنود والطيران
ن فسادًا في سوحها والمباني^٣
هم بها آخذون بالسكان
ن بزعمٍ من عندهم وامتنان^٤

قَيِّدُوكُمْ لِنَفْعِهِمْ بَعُهود
أَوْتَقُوكُمْ بِهَا إِسَارًا وَقَالُوا:
لَيْسَ تِلْكَ الْعُهُودُ يَا قَوْمُ إِلَّا
أَفْلا تَذْكُرُونَ مِنْ أَوْلِيكُمْ
يَوْمَ سَارُوا وَالْعِزَّ فِيهِمْ يَمَاشِي
وَتَعَالَتْ رَايَاتُهُمْ خَافَقَاتٍ
فَانْهَضُوا الْيَوْمَ مُسْتَجِدِّينَ مَجْدًا
إِنْ لِلْمَجْدِ فِي الْمَسَاعِي مَحَلًّا

نَاطِقَاتٍ مِنْ أَمْرِكُمْ بِلِسَانٍ
لَيْسَ هَذَا لَكُمْ سِوَى إِحْسَانٍ
كَعُهُودِ الذَّنَابِ لِلْحَمَلَانِ
أُنْفًا مِنْ مَسِيْسِهِمْ بِهَوَانٍ
حَزْبِهِمْ بِالْمُشْطَبِ الْهِنْدَوَانِي^٥
فِي جَبُوشٍ عَنَّا لَهَا الْخَافِقَانِ
كَالَّذِي كَانَ دُونَهُ الْقَمَرَانِ
عَالِيًّا لَا يَحُلُّهُ الْمَتَوَانِي



قُلْ لِمَنْ رَامَ صَدْعُنَا بِشِقَاقٍ
وَيْكَ إِنْ الْإِسْلَامَ أَوْجَدَ فِينَا
فَاعْتَصِمْنَا مِنْهَا بِحَبْلِ وَثِيقٍ
لَيْسَ مَعْنَى تَوْحِيدِنَا اللَّهَ فِي الْمَلَكِ
فَلِهَذَا نَعْمُ! لِهَذَا، لِهَذَا
وَحْدَةً لَا يَفُلُّهَا الْمَتَوَالِي
وَحْدَةً جَاءَنَا مِنْ اللَّهِ فِيهَا
فَهْدَانَا بِهَا إِلَهٌ قَدِيمٌ
مَا نَرَى سُلْطَةً عَلَيْنَا لَخَلْقِ

أَنْتِ كَالْوَعْلِ نَاطِحِ الصَّفْوَانِ^٦
وَحْدَةً مِثْلَ وَحْدَةِ الرَّحْمَنِ
هُوَ حَبْلُ الْإِخَاءِ وَالْإِيمَانِ
ةً إِلَّا اتَّحَادُنَا فِي الْكِيَانِ
نَحْنُ دِنًا بِوَحْدَةِ الدِّيَّانِ
مِنْ صُرُوفِ الدَّهْوَرِ وَالْأَزْمَانِ
مُرْسَلٍ بِالْكِتَابِ وَالْفُرْقَانِ
وَاحِدٌ، عِنْدَهُ الْقُرُونُ ثَوَانِي
غَيْرُ سُلْطَانٍ خَالِقِ الْأَكْوَانِ

^١ يطرق: أصل الطرق: الإتيان ليلاً، ولم أجد في المعاجم التطريق بهذا المعنى الذي يريده الشاعر. والملوان: الليل والنهار.

^٢ الثريا، والعيوق، والدبران: أسماء نجوم، وكذلك الثور والفرقدان.

^٣ الحواني: الضلوع، جمع حانية.

^٤ سوحها: جمع ساحة.

^٥ المشطب: السيف ذي الشطب.

^٦ الصفوان: الحجر الشديد الأملس.

الحرييات

إلى الحرب

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب
ولا تغترر أن قيل: عصر تمدن
ألست تراهم بين مصر وتونس
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدثهم
فإني أرى الطليان منهم بمنزل
فلولا هم لم ينفُضِ العهد ناقض
بلاد غدت في الحرب تندب أهلها
قد اغتالها الطليان وهي بمضجع
فما انتبهت إلا لصرخة مدفع
فأمست وأفواه المدافع دونها
صواعق من سحب الدخان تدكها
غدت ترتمي فيها عشياً وبُكرةً
وما إن شكا من عضّة الحرب أهلها
فما خفقت عند الهياج قلوبهم
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم

وقبل غرار السيف واسل هوى الكُتُب
فإن الذي قالوه من أكذب الكذب
أباحوا جمى الإسلام بالقتل والنهب؟
ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب
يعدُّ «وهم يُغرونه» منزل الكلب^١
ولا ضاع حق في طرابلس الغرب
فتبكي وتستبكي بني الترك والعرب
من الأمن لم يقضض برعب على الجنب^٢
وما نهضت إلا إلى موقف صعب
تمجّ عليها النار كالوابل السكب
وتنسفها نفس الزلازل للهضب
فلا يابساً أبقت ولم تبق من رطب
ولكنهم شاكون من غصة الجذب
ولا أخذت أعصابهم رجفة الرعب
فجرت عليها كلل الحجج الشهب^٣



يعزُّ علينا أهل برقة أنكم
وأنا إذا ما تستغيثون لم نجد
وقد علم الأعداء أن سيوفنا
ولكن هو البحر الذي حال بيننا
ولولاه فاجأنا العدو بفيلق
فيا بحر فاجمأ أو فغر إن جيشنا
ويا سحُب هلاً تنزلين فتحملي

تدور عليكم بالدمار رحي الحرب
إليكم على بُعد المسافة من درب
تململ في الأغمار شوقاً إلى الضرب
فلم نستطع زحفاً على الضمّر القب^٤
يبين ضحى من هوله مطلع الشهل
عليك غدا كالبحر يرخر بالعتب
إلى الحرب جيشاً ينشر النقع كالسحب

ويا ريحُ قد ضيقنا فهل لك طاقة
إلى خير أرض داسها شرُّ مَعشر



أما والعُلا يا أرض برقة إننا
نراك على بُعد تسامين ذلة
وما نحن إلا الليث شُدَّت قيوده
يرى الشبلَ مأكولًا فيزار موثقًا
فلا يستطيع الوثب إلا تمطيًا
ويا أهل بنغازي سلام فقد قضت
حميتم حمى الأوطان بالموت دونها
ومن مُبلغ عنا السنوسي أنه
فإننا لنرجو أن يقود إلى الوغى
فيحامي بلاد المسلمين من العدا
فإن حشا الإسلام أصبح داميًا
فقم أيها الشيخ السنوسي مدركًا
وكن أنت بين الجند قطب رحي الوغى



ويا مَعشر الطليان قَبَحَتْ مَعشرًا
تركت وراء البحر مَزحف جيشنا
أتحسب هاتيك الديار وقد خلت
فما هي إلا أرض أكرم مَعشر
سترجع عنها بالفضيحة ناكصًا
مشيتم إلينا مُعجبين بجمعكم
فلما حللتم أرضنا ذقتُم الردى
سنلبسُكم ثوب المهالك ضافيًا
ونستمطرُ الأهوال حتى نخيَضكم
وما دَعوة «البابا» لكم مستجابة
أجل إنكم أغضبتُم الله فاتقوا



أيًا زعماء الغرب هل من دلالة
تقولون: إن العصر عصرُ تمدن

بحمل مناينا إلى المعرك الرُحْب
بأرجلهم قَطَّعن من أرجل جُرب

لَنَشْرُقَ من جَرَّاك بالبارد العذب
فيحزننا أن لم نكن منك بالقرب
وَأَلْقِي حَيًّا شبله في فم الذئب
ويضرب كفيه على الأرض للوثب
وزأرًا وإنشَابَ المخالب بالترب
صوارُكم حقَّ المواطن في الذَّبِّ
وذاك بما فيكم لهنَّ من الحب
يمد لهذا الصَّدع منه يدَ الرأب
طلائع من خيل ومن إبل نجب
وينهض كشافًا لهم غمة الخطب
إلى الله يشكو قلبه شدة الكرب
جنود بني عثمان في الجبل الغربي
وهل من رحي إلا تدور على قطب

ولا كنت يا شعبَ المخانيث من شعب
وأججت نارًا في طرائلس الغرب
من الجند تخلو من ضراغمة غلب
من الغرب لم تتبت سوى البطل الندب
وتذكرك الأيام باللعن والسب
تظنون حرب المسلمين من اللعب
بأسيافنا حتى صحوتم من العجب
ونحملكم منها على مركب صعب
بسيل دم فوق البسيطة مُنصب
فقد أغضبت طغواكم غيرة الرب
وإن رضيت تلك الحكومات في الغرب

لديكم على غير الخديعة والكذب؟
أمن دَلُكم قتل النفوس بلا ذنب؟!

على الأرض والجرحى يئنُّون في الحرب؟!
ويخجلكم شن الإغارة للغصب؟!
بأغطية قدَّت من الحجر الصلب؟!
تقدُّ لها الأوداج بالصارم العَضْب
مَواضٍ كما قد كنَّ في سالف الحُقْبِ

ألم تبصروا القتلى تمجُّ دماءها
أفي الحق أم في العلم ألا يسوءكم
وهل أغلفت هذي العلوم قلوبكم
كذبتُم فإن العصر عصر مطامعٍ
فلا تغضبوا الإسلام إن سيوفه

^١ أغرى الكلب بالصيد: أي حظه عليه وأرسله، والمعنى: أن منزلة الأمة الطليانية من سائر أمم الغرب، كمنزلة الكلب من الصياد.

^٢ قوله: «يقضض» يقال: أقض عليه المضجع يقض إقضاؤا إذا خشن وتترب، ومعنى البيت أن الطليان قد أخذوا طرابلس الغرب على غرة، فهجموا عليها وهي نائمة في مضجع الأمن.

^٣ قوله: «نكب الرياح»: جمع نكباء، وهي الرياح المائلة عن مهبها، ونكب الرياح عندهم من دواعي الجذب والمحل. والحجج: جمع حجة، وهي السنة. والشهب: جمع شهباء، يقال: سنة شهباء؛ أي مجدبة لا خضرة فيها.

^٤ الضمر: جمع ضامر، وهو من الخيل القليل اللحم، اللاصق البطن. والقب: جمع أقب، وهو الدقيق الخصر من الخيل.

في طرابلس

هو النصر معقود برايتنا الحمرا
حليفان من نصر مبين ورأية
لئن أدبر «الطلّيان» عند كفاحنا
فإنّا لقوم إن نهضنا لحادث
نذك هضاب الأرض حتى نثيرها
ونأكل مرّ الموت حتى كأننا
فسلّ جيش «كانيفا» بنا كيف قومث
وكيف هزمناهم فولّوا كأننا
وكم قد نثرنا بالسيوف جماجماً
وما جزعي للحرب يحمى وطيسها



لك الله يا قتلى طرابلس التي
أداموا بها قتل النفوس نكاية
ولما أحاط المسلمون بجيشهم
تقهقر يبغي في الديار تحصناً
وأصبح يُنكي أهلها من تغيط
فأوسعهم بالسيف ضرباً رقابهم
وما ضر «كانيفا» اللعين لو أنّه
أيحجم عنا هارباً بعُلوّجه
وهل حسبوا قتل النساء شجاعةً
لقد شجّعوا والموت ليس له يد
يعزّ على أسيفنا اليوم أنها
ولم تك لولا الحرب تعلو سيوفنا

بها حَكَمَ الطليان أسياهم غَـدَرا
إلى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
فعاد الفضاء الرحب في عينه شبرا
ففر بها من خشية الموت واستندرى^٢
فبقتلهم صبرا ويُرهِقُهم عُـسـرا
وأنافهم جَدَعًا وأجوافهم بَقـرا
تَقَحَّم في الهيجاء عسكرنا المَجْـرا!
ويبغي بقتل الأبرياء له فخرا؟!
وقد تركوا عند الرجال لهم ثارا؟!
ولم يشجّعوا والموت يطعنهم شَزْرا
تقارع قوماً قرعُهم بالعصا أحرى
ر عوساً نرى ملء القحوف بها عهرا^٣

ومن مُبكيات الدهر أو مضحكاته

لدى الناس حُرٌّ لم يكن خصمه حرا



لئن «أيها القتلى» أريقَتْ دماؤكم
سنثأر حتى تسأم الحربُ ثأرنا
وإني لتغشاني إذا ما ذكرتكم
على أنْ فُرسَ الشمس عند غروبها
فأبكي تجاه الغُرب والبدر لائح
ويا أهلَ هاتيك الديار تحية
فقد قمْتُم للحرب دون بلادكم
وثرتم أسودًا في الوغى يَعْرِبِيَّةً
تراها لدى الحرب العوان مُشِيحةً
ولو أنْ كَفِّيَ تستطيعُ تناوُشًا
لرَبَّبت منها في السماء قصيدةً
وخلدتها آيا لكم سَرْمَدِيَّةً
يقولون: إن العصرَ عصر تمدن
إلى الله أشكو في الورى جاهلية
أنتنا بثوب العلم تمشي تبخترا
فلا تلتنمظ في مدحها متمطقا
لقد ملكَ الإفرنج أرضَ مراكش
ففاجأنا الطليان من بعد مُلكهم
وقالوا: ألم تأتِ الفرنجة تونسًا
فخلُّوا لنا ما بين هذي وهذه
فقلنا لهم: إِنَّا أَحَقُّ بِمُلْكِهَا
أهذا هو العصر الذي يدعونه

فما ذهبت عند العدا بعدكم هذرا
ونقتلُ عن كل امرئ أنفُسًا عشرًا
لواعجُ حُزن ترتمي في الحشا جَمرا
يذكرني تلك الدِّماء إذا احمرًا
من الشرق حتى أبكي الشمس والبُدرًا
توفِّيكُم الشكر الذي يرأس الشكرا
تدودون عن أحواضها البغي والنكرا
غدا كل سيف في برائتها ظُفرا
تهمُّهم حتى تُنطقَ الفَتكَةُ البِكرًا^٤
فتبُلُغ في أبعادها الأنجم الزُّهرا
لكم واتخذت البدرَ في رأسها طُغرا
مدائحها تستوعب الكون والدهرا
فما باله أمسى عن الحق مزورًا
يَعُدُّون فيها من تمدنهم عصرا
إلى الخير لكن قد تَأَبَّطَتِ الشرا
فإن أظهرت حُلُوا فقد أبطنت مُرًا
وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا
لكي يسلبونا في طرائس الأُمرا
وهذي جيوش الإنكليز أتت مِصرًا
وإلا قسرناكم على تركها قسرا
فقالوا: ولكن زَنَدُ قَوَّتِنا أورى
فَسُحِّقًا له سَحِّقًا ودَفَرًا له دَفرا!^٥

^١ يكتح الذعر: أي يسفيه ويذروه، فيرميه عليهم.

^٢ استندى: استتر واختبأ.

^٣ القحوف: جمع قحف، وهو عظم الرأس المجوف.

^٤ مشيحة: أي جادة، أو مقبلة على الحرب، مانعة لما وراء ظهرها. وتهمهم: أي تردد زئيرًا في صدورها، يقال: همهم الأسد: إذا سمعت له دويًا. والفتكة البكر: التي لم تسبق بمثلها.

• سحفاً له: أي بعداً. ودفراً له: أي نتناً.

أدرنة ١

سترعى لك العهد والموثقا
وداعا ولكن إلى الملتقى

أدرنة مهلا فإن الظبا
وداعا لمغناك زاهى الربا



أفارق محرابه المنبرا؟!
يجيب المؤذن إن كبرا؟
به فجع الدهر أم القرى
ومثوى ضجيعه مثوى النقى
ومن شهدوا الفتح والخذقا

عزاء لمسجدك الجامع
وهل في مصلاه من راع
فيا لسقوطك من فاجع
وقبر النبوة في يثربا
ومن في البقيع ومن في قبا



وإن قد أمضك هذا الأذى
فلا حبذا العيش لا حبذا
ونحن الفرنسيين من بعد ذا
سلام على أفقك المُنْتَقَى
وكان لتوحيدنا مَعْبَقَا؟

رويدا أدرنة لا تجزعي
إذا أنت بالسيف لم ترجعي
ألا أنت «ألزاسنا» فاسمعي
سلام على قُطْرِكَ الْمُجْتَبَى
أيمسي لشرك العدا ملعبا



حلول الحقارة بين الجلال
تنوُح على نجمها والهلال
إذن لا بلغنا العلا والكمال
نقوم لها فيلقا فيلقا
وتضحك أسيافنا المَشْرِقا ٢

لقد حلَّ فيها لواء مُريب
فظلّت بأدمعها والنحيب
أننسى أدرنة عما قريب؟!
فسوف على الرغم من أوربا
فتبكي هزاهرنا المَغربا



على حين قد قعدَ المسلمون

أرى الدهر أنهض كل العدا

فكم جرّعونا كنّوس الردى
أيحسُّ يا قومُ أن نقعداً
فَسَيْلُ المصائب غَطَّى الرُّبا
وأوشكت الأرض أن تقلّبا

ونحن على كيدهم صابرون
وقد آن أن ينهض القاعدون؟!
وَعِيم النوائب قد طبقا
وصبح القيامة أن يفلّقا



دع الغربَ يَنعم في باله
ولا تسألنّه بأفعاله
فنحن اغتررنا بأقواله
سنأبى عليه أشدَّ الإبا
ونركبُ من عزمنا مركبا

وإن لقيَ الشرقُ منه الكروب
فعهد التمدُّن عهد كذوب
ولكننا بعد هذي الحروب
فإما الفناء وإما البقا
ونرقى وإن صَعُب المرتقى



لقد آن يا قومُ تركُ الونى
إلى كم نكابد هذا العنا
وبالعلم من قبلُ نلنا المنى
ولكنما العلمُ قد غرّبا
فهبُّوا إليه هبوب الصّبا

وترك الشّقاق وترك الدِّد^٣
ونخبِطُ في جهلنا الأسود؟!
وفزنا من العيش بالأرغد
فلا عيش إلا إذا شرّقا
عسى أن يسحَّ ويغدّو دقا

^١ هذه القصيدة قالها الرصافي لما سقطت «أدرنة»، وأخذها البلغار، وذلك في الحروب البلقانية العثمانية.

^٢ هزاهنا: أي وقائعنا وحروبنا.

^٣ الدد: اللهو واللعب.

الجيش بقائده^١ أو هزيمة «لولا برغاز»

يا مَوطِنًا ما انتضيها مُهَنَّدَةً
ولا ركبنا مَنابِنا مُطَهَّمَةً
سَقِيًّا ورعيًّا لروض منك ذي أنق!
تالله لم ينكسر في الحرب عسكرنا
وكيف وهو تفوق الطَّيس كثرته
لكنَّ قائده ما كان يَمَانُهُ
حتى لقد نفدت في الحرب عينته
فظل يرْسف في النيران مُرتبِكا
حتى غدا جُلُّه للنار مأكلة
ولا استكان لهول الحرب من فرق
فخاض غَمَر المَنايا صابرا وأبى
ليس الفرار لجند المسلمين ألا
وكيف يَغلب جيش كان قائده
فالجيش تلتهم النيران أنفُسَه
أقام في القصف والأجناد طلوية
صَبْحانَ غِبْقانَ في أفسى مُعسكره
تلقاه من بين ذاك الرهط في مَرَح
لهفي على الجيش جيش المسلمين فقد

إلا لردع الأعداي عن إهانته
إلا لنكسب عزًّا من صيانتته
قد كانت الحربُ تذوي عُصَنَ بانته
من أجل قَلَّتْهُ أو من جَبانته
وتستعير الرواسي من رزانتته^٢
ولا يبالى بأمر من معانته^٣
بحيث لم يبقَ سهم في كنانته^٤
مستقرًّا كل جُهدٍ من متانته
وما ترحزح شِبرًا عن مكانته
بل كان يَفَرِّق من هَوَل استكانته
على الفرار انغمارًا في مهانته
إن الفرار لَكَفَرٌ في ديانته
يَحْفُهُ بجيوش من خيانتته!^٥
وقائد الجيش لاهٍ في مجانته
مُعاقِرًا بهناء بنت حانته
مُحَرِّقًا بين رهطٍ من بطانته
كأنه الجأبُ ينزو بين عانته^٥
قضى ولم يقضِ شيئًا من لبانته

^١ قال الرصافي هذه القصيدة لما انكسر الجيش العثماني في معركة «لولا برغاز»؛ وذلك في الحرب البلقانية العثمانية، وكان قائد الجيش العثماني إذ ذاك ناظم باشا، الذي قتله الاتحاديون في الأستانة.

الطيس: كل ما في وجه الأرض من التراب والقمام، والكثير من الرمل وغيره، والمراد به هنا مجرد الكثير.

٣ قوله: «ما كان يمانه»: أي ما كان يقوته، يقال: مأن القوم يمانهم مأناً: إذا احتمل مؤننتهم؛ أي قوتهم. والمعانة: العون كالمعونة.

٤ قوله: «نفدت عينته»، العينة بالكسر: مادة الحرب، وهي ما تسميه العامة اليوم بالمهمات الحربية.

٥ الجأب: الفحل الغليظ من حمر الوحش. والعانة: القطيع من حمر الوحش.

الوطن والجهاد^١

فانضوا الصوارم واحموا الأهل والسكنا
ممن نأى في أقاصي أرضكم ودنا
من يسكن البدو والأرياف والمدنا
به تقيمون دين الله والسُننا
صدق العزائم في تدميرهم جُننا^٢
عارَ الهزيمة حتَّى تلبسوا الكفنا
مُثم أذلاء فيها مِيتة الجبنا
في هوشة ذل فيها كل من وهنا^٣
كلّا وأي حياة للذي جَبنا؟!
لم ينقذوا مصر أو لم ينقذوا عدنا

يا قومُ إنّ العدا قد هاجموا الوطننا
واستنفروا لعدوّ الله كلّ فتى
واستهضوا من بني الإسلام قاطبة
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن
واستلثموا للعدا بالصبر واتخذوا
واستكفوا في الوغى أن تلبسوا أبداً
إن لم تموتوا كراماً في مواطنكم
لا عُذر للمسلمين اليوم إن وهنوا
ولا حياة لهم من بعدُ إن جبنوا
عار على المسلمين اليوم أنهم



قد خنتما الله والإسلام والوطننا^٤
تالله ما كان هذا منكما حسنا
فكنتما في البرايا شرّاً من عُبنا
طوقا إسارة مصر فيكما اقترنا^٥
عجلاً أضلّ الورى من قبل أو وثنا
بل أصبحا في كلا صدريكما درنا
إلى وساميكما إلا بكّت حزنا
خزائن النيل في أيدي العدا ثمنا
أن تقرعا السن أو أن تقبضا الذقنا
على العدا وعلى من ضل مفتتنا
تهمي الدماء وتمريها طُبا وقنا
ويطهر النيل من ماء به أجنا

قل للحسينين في مصر: رويدكما
شايعتما الإنكليز اليوم عن سفه
قد بعتما الدين بالدنيا مجازفة
لا تفرحا بالوسامين اللذين هما
قد مثلاً منكما للناس قاطبة
ما ازدان صدراكما شيئاً بحملهما
إن الحمية لم تنتظر بمقلتها
ما كان أغلاهما إذ قد غدت لهما
ستندمان ولا يُجديكما أبداً
هذي جيوش بني التوحيد زاحفة
لترسلن عليكم كل راعدة
حتى تعودَ إلى مصر كرامتها



لا زلت يا وطن الإسلام منتصرًا
يردُّ عنك يدَ الأعداء خاسرةً
سعديك من وطنٍ جَلَّتْ مفاخره
تالله إن معاليك التي سَلَفَتْ
كم قد أقمَتْ على الأيام من شرفٍ
إنا نحبك حُبًّا لا انتهاء له
نفديك منا بأرواح مطهرةٍ
إذا دهنتك من الأيام داهيةٍ
وإن فُتِنْتَ بإحدى المزعجات نرق
فَقَرَّ عينا وطِبَّ نفسًا وعشَّ أبدًا
وربَّ مُستصحِبٍ لي قال يخبرني:
فقلتُ: دُعْ عنك هذا، إنه خبرٌ
إن صحَّ أن العدوَّ اليوم مقترب
إن العراقَ لعمرُ الله مَسْبُوعَةٌ
دون الوصول إليه كلُّ مُشْعَلَةٍ
فإن فيه رجالًا من بني مُضِرٍ
قوم لِقَاحُ أبوا أن يخضعوا أبدًا
تحملوا كل عبءٍ في حياتهم
لو أن أمَّاتهم مَنَّتْ على أحدٍ
هم المغاوير إن صالوا بملحمةٍ
بنوا فأعلوا بناءَ المجد فارتفعوا
فكيف تقعد عن حرب العدا فَنَّةً

بالجيش يزحف من أبنائك الأمانا
ويكشف الغمَّ عن أفقك والمحنا
عن الزوال فلا تخشى بلى وفنا
تعبي الفصاحة والتبيان واللَّسنا
لنا وأنبتت من نبع العلا غصنا
يستغرق الأرض والأكوان والزمنا
أخلصن الله فيك السر والعلنا
فلا رعى الله عينا تألف الوسنا
منا الدِّماء إلى أن نخمد الفتنا
وفرز بما شئت من حمد وطيب ثنا
إن العدوَّ إلى أرض العراق دنا
سِواه يبعث في أحشائي الشجنا
إلى العراق فقد أكدى وقد أفنا^٦
تواثب الأسدُ فيه من هُنا وهُنا
شعواء تترك وجه الشمس مكتما^٧
إذا تحاربُ لا تستشفع الهدنا
إلى الملوك وإن أعطوهم المؤنا^٨
إلا الصَّغارَ وإلا الضيم والمننا
منهم بالبانها لم يشربوا اللبننا
فلا يروُن لهم غيرَ المنون مَنى
به على كل من قد شَادُهُ وبَنى
أبت سوى العز مأوى والعُلا وكنا؟

^١ قال الرصافي هذه القصيدة عند دخول الدولة العثمانية في الحرب العامة الكبرى يستنهض المسلمين إلى الجهاد في سبيل الذود عن الوطن.

^٢ استلثموا: تدرعوا. وقوله: «جننا»: جمع جنة، بالضم، وهي كل ما وقى من سلاح.

^٣ الهوشة: الفتنة، والهباج والاضطراب، وأراد بها الحرب العامة.

^٤ يعني بالحسينيين حسين كامل ووزيره حسين رشدي.

^٥ يشير إلى الوسامين اللذين أهدتهما الحكومة الإنكليزية إذ ذاك إلى حسين كامل وحسين رشدي.

٦ أكدى: أخفق، ولم يظفر بحاجته. وأفن: ضعف رأيه وطاش.

٧ مشعلة: بصيغة اسم الفاعل: صفة لموصوف محذوف؛ أي غارة مشعلة، وهي الغارة المتفرقة التي تنصب من كل أوب، وكذلك قوله: شعواء؛ أي متفرقة. والمكتمن: المختفي.

٨ قوم لقاح: أي لا يدينون للملوك.

رؤياي الصادقة

حياكم الله أيها العرب
قد بثها ليلة مُطوَّلة
أنجمها الزهر غير سائرة
تحسبني في مضاجعي حسك
أمشي إلى النوم وهو منهزم
حتى بدا الفجر لي وقد طَفقت
عندئذٍ خدر الأسي عَصبي
فطاف بي طائف لروعه
رأيتني قائماً على نشز
والأفق محمّرة جوانبه
وفي عنان السماء قد طلعت
والأرض قد بعثرت ضرائحها
والموت كالكبش في جوانبه
وبين تلك القبور غانية
لها جبين كأنه قمر
ووجنة بالطم دامية
قد أذبل الجوع ورَدَ وجنتها
شاخصة الطرف وهي جاثية
حاسرة الرأس غير ناطقة
فلحظها فوق رأسها صُعْدُ
مكتوفة الساعدين منكسر
قد وتدوا القيد في مُخلخلها
ترى خدوشاً على مُقلّدها

فاستمعوا لي فقَصّتي عجب
يعقد جفني بنجمها الوَصْبُ^١
كأنما كل كوكب قطب
يقلبني وخزه فأنقلب
مَشِي دَبِيبٌ ومشيه خَبَب
تغرّق في فيض نوره الشهب
فنمتُ والنوم جرّه التعب
يرتجف القلب وهو مُرتعب
من ساحل البحر وهو مضطرب
كأنما الجو ملؤه لهب
أهلة في إرائها صُلب
مكتوفة لا تغمّها الترب
يرعى نفوساً كأنها عُشب
يلمع في حرّ وجهها الحسب
تحت شعور كأنها الذهب
وساعدُ بالدماء مختضب
فاصفر وامتصّ ماءه اللَّغْبُ^٢
تحملها دون سوقيها الركب
إلا بدمع لسانه ذَرَب
ودمعها تحت رجلها صَبَب
من حزن طرفها ومكتئب
ومدّوه كأنه طُنْبُ^٣
كأنها في صفيحة شُطْبُ^٤

وحولها أنفُسٌ مُصرَّعة
 واحتَوَشَتْها كلابٌ مجزرة
 تنهَشُها تارةً وأونة
 وفوقها الطيرُ وهي حائمة
 بيض المناقير ذات أجنحة
 يقدِّمها طائر قوادمه
 تضطرب الأرض والسماء له
 وقفت أرنو إلى ملامحها
 حتى تعلمت أن سَخَنَتْها
 وبينما كنت ممعناً نظري
 إذ هاتفت في السماء يهتف بي
 يقول لي: إنها «طرائلس»
 وهذه الطير حيث تبصرها
 فتلك رؤياي غير كاذبة
 يا شيخ روما ومن لرايته
 لست ولا قومك اللئام بمن
 وإنما أنتم بنو زمن
 برومة قبل وهي مَبُولَةٌ
 فعشتم في الورى سواسية
 ما أوقد الدهر نار مخزية
 أغسل شعري إذا هجوتكم

يسرح فيها ويمرُح العطب
 مهترشات يهيجها الكلب^٥
 تتبح من حولها وتضطخب
 تبعد من رأسها وتقترب
 خُضر وریش كأنه العُطب^٦
 تلمع كالبرق حين يلتهب
 إذا غدا بالجنح يضطرب
 ووجهها بالدموع مُنتقِب
 للعرب الأكرمين تنتسب
 فيها وقلبي كقلبها يجب
 كأنه في الغمام محتجب
 تبكي على أهلها وتنتحب
 محمد والصحابة النجب
 فهل تغيثون أيها العرب؟
 وتاجه يُنتمى وينتسب
 تُعرف أم لمتلهم وأب
 إذا ذكرناه تخجل الحقب
 بالكم الدهر وهو مغترب
 لا حسب عندكم ولا أدب
 إلا وأنتم لنارها حطب
 لأنه من هجائكم جُنُب

^١ الوصب: المرض والوجع الدائم.

^٢ اللغب بفتح اللغ: أشد الإعياء.

^٣ قد وتدوا: أي ثبتوا، ويجوز أن يقرأ بتشديد التاء أيضاً.

^٤ الصفيحة: السيف العريض. والشطب: جمع شطبة، كظلمة، وهي طريقة السيف في منته.

^٥ قوله: «واحتوشتها» أي: أحاطت بها فجعلتها هي في وسطها. والمجزرة: موضع اجتزار الجزور. ومهترشات: متواثبات متحركات بعضها على بعض.

^٦ العطب، بضم طين، وبضم فسكون: القطن.

أنشودة الحرب

ولإدراك الأمانى	نحن للحرب العوان
يوم ضرب وطعان	لا نعدُّ العُرس إلا
—دء لا بنتِ الدَّنانِ	يوم نحسو من دم الأَع—
عندنا صوت المثنائي	ما صليل السيف إلا
—هند لا البيض الحسان	شفَّنا الحبُّ لبيض ال—
—طال لا عزف القيان	نشتهي غممة الأب—
بلسانٍ من سينان	نحن لا نفخر إلا
—ت إليها الفرقدان	شيم ينظر من تح—
—م لنا والقمران	وبها قد شهد النج—
سل بنا كل مكان	سل بنا كل زمان
بالحسام الهنداوني	هل بنينا المجد إلا
—جاء ذات المعمان	كم جلونا غُمَّة الهي—
وع وجه الحدثان	بسيوفٍ أضحكت في الرِّ
—ت تزل القدمان	وكماةٍ ثبتت حي—
—ملتقى ثبت الجنان	كلُّ رَحَب الباع صعب ال—
—فس جوال العنان	رابط الجأش وقور الن—
زق بادٍ للعيان	حيث شخص الموت في المأ



—غار أولاد الزواني	يا علوج الصَّرب والنبل—
—حرب غير الهذيان	لم يكن إيعادكم بال—
من تمام الحيوان ^١	إنما الحرب لدينا
—ناء حمراء العجان ^٢	فاتركوا الإيعاد يا أب—
—حرب من شأن الجبان	ودعوا الحرب فليس ال—

وتزَيُّوا يا مخان—
 إنما أنتم تَيُّوس
 سوف تُرْمَوْنَ من العر
 وستَدْمُون بقرع الس—
 وتذوقون من المو
 حين تلقونَ أسودًا
 ذات بأس يترك الصخ—
 وزئير تأخذ الأر
 وقلوب طبعَتْ من
 جهلت في غير ما الرا
 إنما نحن كرام
 نتفانى في سبيل الذَّ
 نشترى الموت بنقد الر
 إذ نقيمُ الموت معرا
 سوف نكسو الحرب ثوبًا
 فتكون الأرض منها
 قد أَظْلَمَتْها سماءُ
 ترسل الموت عليكم
 فيقيم الذل فيكم

—يث بأزياء الغواني
 أولَعَتْ بالنزوان
 ب بداءِ اليرقان
 —ن أطرافَ البنان
 ت الزُّوام الأرجواني
 طافحاتِ الهيجان
 —ر قرينَ الذوبان
 ض له بالرجفان
 حدَّة السيف اليماني
 ية معنى الخفقان
 عزنا غير مُهان
 وُد عن هذي المغاني
 وح في الحرب العوان
 جًا إلى أعلى الجنان
 لونه أحمرُ قان
 وردةٌ مثلُ الدَّهان^٣
 من شواظٍ ودخان
 في شأبيبِ الهوان
 مُلقِيًا كل جران^٤

^١ قوله: «من تمام الحيوان»: أي من تمام الحياة.

^٢ قوله: «يا أبناء حمراء العجان»: أي يا أعاجم، يقال: يا ابن حمراء العجان؛ أي يا أعجمي، وهي كلمة شتم تجري على السنة العرب.

^٣ وردة: أي حمراء. والدهان: الأديم الأحمر.

^٤ الجران: من البعير مقدم عنقه، من مذبحه إلى منحره، ومعنى كونه ملقِيًا كل جران: كونه ثابتًا مقيمًا.

الشيطان والطيّان

قالها لمناسبة دخول إيطاليا في الحرب العامة.

رأيت إبليسَ عدوّ البشر
قد لبسَ الوشيَ على قبحه
وهو يهنّي حزبه قائلاً:
اليومَ قد طابت لنا لعنة
واليومَ قد هان الخلود الذي
إذ أمة الطليان قد أصبحت
زلّت إلى العار بها زلة
فهي التي هان بكفرانها
لو ألقى الصخر بمخزاتها
ولو أصاب البحر من عارها

يخطب في جمع له قد حضر
وخصّب الشيب وقصّ الشعر
يا مَنْ عصى الله ومن قد كفر
جاءت من الله بحكم القدر
قدّره الله لنا في سقر
أكبر من خان ومن قد غدر
شنعاء لا تمحى ولا تغتفر
كفران من زاع وأبدى البطر
لأنفت من فرط الحيا وانفطر
لغار منه مأوه وانحسر



نحن الشياطين على أننا
صرنا إلى جنب بني رومة
فلا نبالي اليوم من لامنا
إذ في بني رومة عذر لنا
فهم على الله لنا حجة
وأن يوماً نقضوا عهدهم
فلنتخذ خيراً عيداً لنا
ولنجعلنه يوماً أفرأنا

جننا من اللؤم بإحدى الكبر
ننفر من نافرنا وافتخر
في رفضنا آدم أو من عذر
يستسلم السمع له والبصر
في أننا أفضل هذا البشر
فيه ليوم خزيه مبتكر
نذكر فيه فوزنا والظفر
نجنّي به الأئس ونقضي الوطر



ثم انتنى الشيخ أبو مرة
يرقص فيما بين تلك الزمر

رنا إليهم وأحدّ النظر
مُشوّه الوجه كثير القدر
رُومة وادخلها قبيل السحر
دب البلى في مجده فاندثر
أخاك يدعوك إلى المستقر
في دركة سافلة من سقر
بأحرف النيران: أين المفر؟

حتى إذا أكمل أشواطه
ثم دعا من بينهم واحدا
وقال: يا خنزرب بادر إلى
واذهب إلى «عمّانويل» الذي
وقل له: إنَّ أبا مُرّة
فإن يقل أين؟ فقل: إنه
مقعد خزي كتبوا حوله

المقطّعات

وتشمل بعض قصار القصائد

قصر الحمراء

قَفْ عَلَى الحمراء واندُبْ	مُضِرَ الحمراء فِيهِ ^١
واسألِ البنيان يُنبئُ—	لَكَ بأنباء ذويه
ويحدثُكَ حديثَ الـ	مجدِ والعيش الرِّفِيهِ
بكلامٍ محزنٍ اللهـ	حِجَةً يُبْكِي من يعيه
فيقولُ القلبُ: آها	وتقول: الآنِ إيه ^٢
صاح لو كان لذا الدمـ	ر حياءً يفتنيه
ما رمى العُزْبُ أباة الضـ	يم بالخطب الكريه
لا ولا جرَّ بغرنا	طه أذيالِ سنيه
حيث هذا القصرُ أمسى	خالياً من مبتنيه
فازدِرِ الدهر وسفَّه	كلَّ من لا يزدريه
وإذا كنتَ حليماً	فإنك من دهرٍ سفيه

^١ مضر: مضاف إلى الحمراء، والمراد بالحمراء الذهب.

^٢ إيه: اسم فعل، للاستزادة من حديث أو فعل.

يا ضاربًا بالكمان

يفتُنُّ كلَّ افْتِنانٍ	يا ضاربًا بالكمانِ
بصوتِ تلكِ المثنائي ^١	سحرتِ سمعي وعقلي
حوى بديع المعاني	ضربتِ لحنًا بديعًا
إذ سرَّني وشجاني	فكان شيئًا عجيبًا

^١ المثنائي: جمع مثنى، وهو الوتر الثاني في العود.

يا دهر

أَطَلْتُ يا دهرُ نحسي	متى تجود بسعدي؟
فقد تضاعل صبري	كما تعاضم وجدي
إذا تعشقتُ هنداً	منحتني وصلَ دعد
وإن تعشقت دعداً	منحتني وصل هِنْدِ
أما تعودت إلا	بأن تجود بضدّ
إني أريد عدوي	فهايت بعض أوْدِي
وَجُد عليّ بوصلٍ	فقد رضيتُ بصدّ
كلا، فإنّ مقالي	هزل وليس بجد
بل أنت أحقر عندي	من أن تجود وتجدي
إني وإن كنت أشقى	بأوجه منك رُبْدِ ^١
رَبَّاتِ عنك بذمّي	كما ربّأت بحمدي ^٢
إذ لست أنت بكفئي	ولست أنت بنُدّي
لو كنت يا دهر حُرّاً	وجئت تخدم عندي
لما ارتضيتك عبداً	ولا خُوَيْدِمَ عبدٍ
وكيف أرضاك عبداً	وأنت أوغد وَغْدِ؟!

^١ ربد: جمع أربد وهو الذي تغير من الغضب.

^٢ ربّأت: ترفعت عنك.

الحقائق الملقنة

لَقِنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَقَائِقًا فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَفْهَامُ
ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَطِيشُهُ فَإِذَا الْحَقَائِقُ كُلُّهَا أَوْهَامُ

الخطوة الأولى

قدم السيد عادل جبر إلى الرصافي تصويرًا شمسيًا به صورة ابنه الصغير، لأول عهده بالمشي، وطلب إليه أن يكتب عليه شيئًا من الشعر، فكتب الأبيات الآتية:

يا عمرك الله من وليد
لا زلت في طالع سعيد
يسرُّه اللعب بالنُّغِير^١
فَدَى لك البدرُ من قَمِير

♦ ♦ ♦

لم تره مُقلتاي إلا
في العين أم في الفؤاد أحلى
أحسست في النفس بانتعاش
مَرَّاه مُذ قام وهو ماش!

♦ ♦ ♦

مشى على الأرض بارتعاش
إذ لم يزل لَيِّنَ المُشاش
ثم حبا واضعَ اليدين
أفديه بالروح من غصين^٢

♦ ♦ ♦

وَيَسَّكَ داود من شُبيل
بدربك انجاب كلُّ ليل
لوالد منجب هزبر!^٣
عن أبك العادل بن جبر

^١ النغير بصيغة التصغير: البلبل الصغير أو فرخ العصفور.

^٢ المشاش: جمع المشاشة؛ وهي رأس العظم اللين.

^٣ ويسك: كلمة ترحم وتعجب مثل ويحك.

وجه نعيم

أسبغ الله نعيم الـ	حسن في وجه نعيم
قمر أغنى عن الإثـ	راق في ليل بهيم
علم الناس صحيح الـ	حُبّ بالطرف السقيم
يرجع السحر بعينيـ	ه إلى عهد الكليم

المغربي

مما كتبته تحت صورة شمسية له أهداها إلى العالم التحرير والكاتب الشهير، الشيخ عبد القادر المغربي.

تُذَكِّرُهُ مِنِّي صِدَاقَةٌ صَادِقٍ	إِلَى الْمَغْرِبِيِّ الْحَبْرِ أَهْدَيْتُ صُورَتِي
وَرُبَّ خِيَالٍ مُؤَذِّنٍ بِالْحَقَائِقِ	وَتَوْذَنَهُ بِالْوَدِّ وَهِيَ خِيَالُهُ
بِمَا أَوْضَحْتَ أَقْلَامَهُ مِنْ دَقَائِقِ	وَإِنْ لَعَبْدَ الْقَادِرِ الْفَضْلُ كُلُّهُ
كَمَا زَانَهَا مِنْهُ بِحَسَنِ الْخَلَائِقِ	فَتَى الْعِلْمِ زَانَتُهُ الْعُلُومُ بِنُورِهَا

صفا لك

ومما كتبه تحت صورة فتوغرافية أيضًا، أهداها إلى الأديب الكبير إسعاف النشاشيبي المقدسي، قوله:

صَمِيمٌ ما لصَحْتِه اعتِلالُ	صَفَا لَكَ فِيَّ يا إِسعافُ وُدُّ
يَمَثِّلُ صدَقَه لَكَ ذا المِثالِ	فَخُذْ تَمثالَ خُلِّ ذي وِدادِ
يَدُلُّ على حَقِيقَتِه الخِيالِ	خِيالِ حَقِيقَةٍ ولربَّ شيءٍ
إِذا مَذَقْتَ مودَتِها الرِجالِ ^١	ولست مَمادِقًا في الودِّ خَلِّي
ويُحمدُ في فضائله المِقالِ	ومثْلُكَ من تِجادِلِه القِوافي

^١ مَذَقَ: خَلَطَ.

إليك عادل

ومما كتبه أيضًا تحت صورة شمسية أهداها إلى صديقه الفاضل عادل جبر المقدسي، قوله:

إليك عادل جبر رَسَمَ ذي مِقَّةٍ	من أصدقائك حَيَّاد عن الفَنَدِ ^١
لو تدرك الشمس في القلب من شغف	لصورْتُ لك ودًّا جَلَّ في خلدي
لكنها خُلقت عن ذاك عاجزة	فصورْتُ لك مني ظاهر الجسد
فاقبله تذكرةً في الدهر باقية	بقدر حبيبك حتى آخر الأبد
فأنت أكرم من صادقته خلقًا	وأبعد الناس عن غِلٍّ وعن حسدٍ

^١ المقة: المحبة. والفند: الكفر بالنعمة والكذب.

الكتاب

واستعار وهو في القدس كتابًا من إسعاف النشاشيبي، ثم أعاده وقد كتب عليه هذين البيتين:

على النشاشيبي إن الله أسعفكم	على التقدم للعليا بإسعاف
ذاك الذي أشرفت بالعلم همته	على سماء المعالي أي إشراف

من هذا؟

عن رياء فيه تخفيه الأُتَانَّةُ	مُخْلِصٌ مُنْكَشَفٌ إِخْلَاصُهُ
بسيول الغش في وادي الخيَانَةِ	وَأَمِينٌ قَدْ جَرَتْ أَطْمَاعُهُ
بالذي فيه تسمَّت بالأمانَةِ	لو درت كُلُّ خيانات الوري
بعِنَانَيْنِ: نُعُوظٌ وَعَنَانُهُ	تركب الفحشَ رُجُولِيَّتُهُ

من مطبخ الدستور

معربة عن التركية بتصرف، للشاعر التركي توفيق فكري.

كلوا يا أيها السادة	كما تتكره العاده
كلوا من مطبخ الدستور	ر أكل الساسة القادة
كلوا بالسبعة الأمعا	ء حتى تنفدوا زاده
كلوا لا تخشوا الناس	فإن الناس مُنقاده
كلوا لا تخشوا الدهر	فأثم الدهر قواده

الوزارة عندنا

إن الوزارة — لا أبا لك — عندنا
لا يرتديه سوى امرئ أضحى له
ثوبٌ يفصلُ في معامل لندنا
طبعًا وداؤُ الإنكليز وديندنا

عبد اللطيف باشا المنديل

أسرى مكارم أسرة المنديل
فبنى أثيلَ المجد فوق أثيل
يدعو توسُّمها إلى التجيل
طُنبين من بأسٍ ومن تنويل
ونزيله فيها أعزُّ نزيل
يرمي برأي في الأمور أصيل
لم يخشَ لومة لائم وعذول

عبدُ اللطيف بفضلِه جعل الورى
ورث المكارم عن أبيه وجدّه
في الوجه منه ملامح عربية
في البصرة الفيحاء مُذُ لبَّيته
فطريده فيها أذلُّ مُطرّد
حرُّ الضمير مؤيّد بفطانة
إن قال حقًّا قاله بصراحة

إلى السباعي

وقال وهو في دمشق جوابًا عن كتاب أناه به ابن سليم السباعي الدمشقي من أبيه، يتضمن أبياتًا من الوزن والروي:

إلى الرجل الكريم إلى السباعي	كتاب أخ لعهد أخيه راع
فتى أحببته قبل التلاقي	وكم حُبٌّ تولد من سماع
ولكني رأيت له سليلًا	كريم سجية وطويل باع
ويحسب من دماثته جبانًا	على ما فيه من خلق الشجاع
فقلت وقد رأيت به إباء	كذاك تكون أشبال السباعي
فشكرًا يا سليم على تنظيم	بعثت به لمُعترِب مُضاع
فأنس غربتي وأسا جروحي	ونفس كربتي وشفى صداعي
وما أنا للثناء بمستحق	وإن أعطيت مملكة اليراع
ولكن حسن ظنك بي دليل	على ما فيك من كرم الطباع
فدمت بحسن سعيك للمعالي	قرير العين مشكور المساعي

عفو بعد نفي

أنشدها في عمر صالح أحد أصدقائه في القدس، وذلك عند قدوم عمر من عكا بعد أن نفي إليها سياسة.

أحرزت يا عمرُ المفاخر كلّها	فالبس من العلباء ما تختارُ
أما البلادُ فقد حَمِيَتْ ذِمَارُها	لَمَّا أضاع ذِمَارُها الأشرار
ولقد رعيَتْ عهودها فتَنَوَّلْتَ	في الناس عن رعياتك الأخبار
فإذا جرى ذكر الحميَّة بعد ذا	أثنت عليك مواطنٌ وديار
ولئن نَفَوَكَ فَإِنَّ نَفِيكَ لم يكن	عارًا عَلَيْكَ وأين منك العار؟!
بل قد نفوك لأنَّ أبَيَّتْ هوانهم	والنفي من دار الهوان فخار
هاجت لمنفالك الحفائِظُ فاغتدت	كالبحر هاج بلجُّه تيارُ
شرفٌ لِعَكَّة أن رأت بك ماجدًا	بعلاه تفخر جَمير وِنزار
فالقُدس حاسدة عليك ربوعها	والمسجد الأقصى عليك يغار
ولقد عفوا وهم الجُناة وإن عفا	عنك المسيء فعفوه استغفار
ندموا فسُمِّيتِ الندامة عندهم	عفواً وذلك منهم استكبارُ
أهلًا بمَقْدَمِكَ الذي بسروره	سيء اللئامِ وسُرَّتِ الأحرار

التراموي في الآستانة سنة ١٩٠٩

مَرَّ الترام فقيلاً: اركب، فقلت لهم:
أما ترى وضعافُ الخيل تسحبه
يحكي السُّلحفاة في عَرْض الطريق وقد
ترى به أوجه الرُّكاب عابسة
في جانبيه وفي أعلاه قد كَتَبُوا
«قد يدرك المتأنِّي بعضَ حاجته»

ذَلَّ امرؤُ كان مركوباً له الكسلُ
كأنه جَبَلٌ في الأرض ينتقلُ
أَمَسْتُ بها في التَّأَنِّي يُضرب المثلُ
من فوقها ضجر من تحتها مَلَلُ
بيتاً تمثِّل في إنشاده الأولُ
وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ»

لقيتها في الطريق

يَهْصِرُ مِنْ قَدِّهَا تَبَخُّثُهَا	لقيتها في الطريق عابرة
بالحسنِ عند اللقاء منظرها	أعجبها منظرِي وأعجبني
وقلبها بالغرام يأمرها	فصار قلبي بالحبِّ يأمرني
بخمرة تارة ويُسكرها	وحين مرَّت والشوق يُسكرني
والنفقت لي ترى أنظرها	لَفْتُ جِدي أرى أتنظرني
إن عذرتني فسوف أعذرها	فقلت، والشوق فيّ ملتهبٌ:

الدين والوطن

فالقوم في السر غير القوم في العلن
فاعتاض عنها الورى أحبولة الوطن^١
في اليوم والغد والماضي من الزمن
رميًا إلى الشر أو قصدًا إلى الفتن
إذ ليس هدنتهم إلى على دخن

لا يخذعنك هتاف القوم بالوطن
أحبولة الدين رگت من تقادمها
فما لهم غير صيد المال من غرض
لم يقصدوا الخير بل يستذرعون به
فإن تهادن قوم فانتظر شغبًا

^١ رُك: ضعف ورق.

الحياة والأداة

وَطَّنْ حَيَاتَكَ لِلْمَكَارِهِ وَارْتَقِبْ
كَدَرَ الْمَوَارِدِ إِنْ صَفَا لَكَ مَشْرَبُ
كُلِّ الْأَمَاكِنِ لِلْأُذَاةِ مَظْنَةُ
حَتَّى السَّمَاءِ تَدِبُّ فِيهَا الْعَقْرَبُ

يا أيها المفتي

قالها لما أفتى بكفره بعض من يدّعي العلم في بغداد؛ وذلك لإنشاده قصيدة «في مسرح التمثيل» أنكر فيها تشديد القوم على النساء في الحجاب:

يا أيها المفتي بتكفيرنا	مهلاً فقد جئت بأمر نكير
بأيّ جهل فيك مستأصل	علمت يا جاهل ما في الضمير
وذاك أمرٌ ليس تنتاشه ^١	إلا يد الله العليم القدير
لو كنت ذا مجد لأصلتكَ من	هجائنا، الأيام نار السعير
بل أنت وَغْدٌ لا تبالي الهجا	وهكذا كل لئيم حقير
وإنما تغتاظ من هجونا	بقدر ما تغتاظ منه الحمير

^١ انتاشه: جذبه واستخرجه.

في معرض الشكر

لقد جرّبت أصدق أصدقائي
فتّى أما نداه فصوبُ مزّن^١
به آل اللبابيديّ باهوا
أشدُّ من الخضمّ يداه مدّا
نقيّ العارضين له جبين
سديد الرأي طلق الفكر حرّ
كريم ما اقترحت عليه إلا
أيا مَنْ شدّ في بيروت أزري
سأبلغ فيك غاية كل شكر

فلم أرَ قط أصدق من صلاح
وأما خلقه فشذا الأفاحي^٢
كما باهى بهم هو في السماح
وأقذف منه بالذّرر الصباح
أغرّ كأنه فلق الصباح^٢
طلوب للعلا سهل النجاح
وقد غلبت فواضله اقتراحي
وأنس غرّبتني وشفا جراحي
وإن قصّرت نحوك بامتداحي

^١ الصوب: المطر. والمزن: السحاب الممطر.

^٢ العارضان: صفحتا الخد.

عند لعبة البيلارد

وفي الألعاب لم ترَ قط عيني
تجول بمستطيل الشكل عالٍ
فبيضاً وانٍ تتدفعان جرياً
ينال الضرب إحداها فتجري
فتنبعث الثلاث مُدحرجاتٍ
يُدحرجهنَّ أَعْلَمَة ظِرافٍ
بأيديهم عَصِيّ مُشرعاتٍ
فكان إذا انحنى للضرب منهم
وربّةً ضربةٍ لَمَّا تَنَثَّى
وكانت توبة لي عن مُجونٍ
فلسْتُ وقد تجدّد لي غرامٌ

كمثل اللعب بالأُكر الثلاثِ
لطيف صُنْعُهُ حَسَنِ الأثاثِ
إلى حمراءَ بادية اللَّهاتِ
لضرب الأخرين بلا لَباثٍ^١
وقد حصل اصطدام بانبعاثِ
نسيْتُ بهم مغازلة الإناثِ
مهيأة لضرب واحتثاثِ
غلام هاج شوقي وهو جاثِ
ليضربها تنثَّى بانحناثِ
فعادت من هواه إلى انتكاثِ
أبالي لوم السِنَةِ رِثاثِ

^١ اللبّاث، بفتح اللام: اللبث والمكث.

السينما الوطني

قالها لما أنشئ السينما الوطني ببغداد.

لقطفنا ثمر المجد جنياً	لو جعلنا كل شيء وطنياً
مستقلين بها عيشاً رخياً	ولعشنا اليوم في أوطاننا
ولأمسى كل ذي فقر غنياً	ولأضحى نابهاً خاملنا
لأمور تكسب القوم رُقياً	يا بني بغداد هل من يقظة
مذ أرثكم سنماها الوطنياً	إن بغداد قضت واجبها
صور الآداب ما كان خفياً	سينما أظهر للرائين من
عبر الأيام تصويراً جلياً	ولقد صوّرَ في رُقعته
خطط البلدان ما كان قصياً	ولقد قرّب للأنظار من
يُقرأ المكتوب فيه عربياً	يبهج الناظر فيه أنه
إن أتيتم بعد هذا الأجنيباً	يا بني بغداد لا عذر لكم

عند نشر المعاهدة

نشروا المعاهدة التي في طيِّها
قد أبلعونا حَبَّةَ استعبادنا
والعهد بين الإنكليز وبيننا
من ذا رأى ذنبَ الذئاب مصافحًا
لكنَّهم خافوا انفكَّاك قيودنا
كتبوا لنا تلك العهود وإنما
شَلَّتْ أكفَ مَوَقيعِها إنهم
هَبَّ أنهم أَمِنُوا انفكَّاك قيودنا

قيدٌ يَعْضُ بأرجل الآمالِ
لكن مموَّهةً بالاستقلالِ
كالعهد بين الشاة والرئبال^١
بتوَدُّدٍ حملاً مِنَ الأحمالِ؟!
فاستوثقوا منهمْ بالأقفالِ
وضعوا بها قُفلاً على الأغلالِ
حَلَّتْ عليهم لعنة الأجيالِ
أفيأمنون تقلُّبِ الأحوالِ؟!

^١ الرئبال: الأسد أو الذئب.

وزراء المعارف عندنا

ويح المعارف لا يستوزرون لها
فأي حرمه علم هم قد انتهكوا
هَبْهُمْ قد احتقرونا في مواطننا
يا قوم ما بالكم لا تغضبون له
تالله قد أنزلونا شر منزلة

إلا الذين لوزر الجهل قد وزروا
بذا وأي ذمام للعلا خفروا!
سياسة فعلام العلم يحتقر؟!
أليس فيكم فتى للعلم ينتصر؟!
لا الزنج ترضى بها منهم ولا النور

قيصر معلوف

في آل معلوف الكرام خلائقٌ
ولهم مآثر في البلاد جليلة
يأبى الزمان دوال دولة مجدهم
رجل رأيت به الفضائل تعتلي
وصحبت في بيروت منه مهذباً
صغرت به عندي الكرام لأنه
إنني لأشكره على إفضاله
أما حليلته الفتاة فإنّها
ما أحسن الحُسنين إذ جُمعا بها:

غرّ يضيء بها الزمان الأكدُرُ
أيدي المُطاوِلِ عن علاها تقصر
ما دام فيهم ذو المكارم قيصر
والمجد ينمو والمعالي تكثر
ما إن تصور مثله المتصوّر
في كل مكرمة أجل وأكبر
والحر للحر المهذب يشكر
بدر بأفاق الجمال منوّر
نفس مهذبة ووجه أزهر!

إلى أمين كاملة

وكتب له أمين كاملة أحد أدباء بيروت فأجابه:

حي الأمين الذي طابت مغارسه
مشهورة في رُبا لبنان عُثرته
قد جاء بالشعر يطريني فقلت له:
أوسعتني منك ترحيباً وتكرمة
وتلك شيمة من كانت خلائقه
قل للآلى يقصدون اليوم تخطئني
من مَتَّ منكم إلى قوم بنسبته
ونسبة العلم والآداب لحمتها
أليس لبنان بالآداب مشتهراً
فإن نزلت بوادٍ منه منتجعاً

في منبت النبع لا في منبت الغرب^١
من آل كاملة صِيَابَة العرب^٢
شكراً لفضلك إذ أحسنت ظنك بي
لَمَّا حططت لديكم رُحْل مغترب
مصوغة من صميم المجد والحسب
مستغربين إلى لبنان منتسبي
فقد مَتَّ إلى لبنان بالآداب
أقوى لمنتسب من لحمة النسب
من العلوم وقول الشعر والخطب؟
فقد نزلت بوادٍ ممرع خصب

^١ النبع: شجر صلب تتخذ منه السهام والقيسي. والغرب: شجر ضعيف.

^٢ صيابة العرب: خيارهم.

إلى عبد الوهاب النائب

أنشد حضرة العلامة عبد الوهاب أفندي النائب في بعض مجالسه ببغداد البيت الآتي ولم يكن الرصافي حاضراً:

إن فاخرت بلدةً يوماً بشاعرها فإن شاعرنا في الشرق «معروفٌ»

فبلغ ذلك الرصافي، فكتب إليه الأبيات الآتية:

قل لعبد الوهاب النائب العلاء	مة الحبر مُنجب النجباء
إن أكن شاعراً فمثلك من يُد	عى ببغداد أعلم العلماء
أَيُّ فضل للشعر لولا علوم	قَوِّمت من قناته العوجاء؟!—
إن بين الشعر المقول وبين الـ	علم بَوْنًا كأرضنا والسماء
ما ادَّعى الشعر عالم قط لكن	يدَّعي العلم أشعرُ الشعراء

إلى أولي الأمر

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٣٧ :

وقاطعين إلى ما أبتغي طُرقي
وما علمت الذي ترضون من خلق
حتى يكون لديكم حائز السبق؟
أو كان حمق فعندي أحمق الحمق
بما تريدون من طيشٍ ومن نَزَق
فلست معكم على شيءٍ بمتفق
إني بتدنيسٍ عرضي غير مرتزق

يا مُبْعِدِيْ بظلم عن مناصبكم
علمتُ كل خفيٍّ من ضمائرکم
ماذا يوافقکم من شأنِ صاحبکم
إن كان عقلٌ فإني عاقلٌ فطِنٌ
فجرّبوني تفوزوا عند تجربتي
وإن أبيتم سوى مَنْ عَرْضُهُ دَنَسٌ
لا أبعد الله غيري عن مناصبكم

المصور البارع

إن فنَّ التصوير قد صار فيه
حمل الشمسَ للأنام بكفٍّ
وأتى يُبدع البدائع للناس
لم يفته من صورة المرء حتى
فتراها كأنها ذات فكر
وترى عند حزنها ذات حزن
لك يا أسعد الفخار ولا زل—
أسعدُ بارعًا بغير نظير
وبأخرى صناعةَ التصوير
س بفنٍّ من الرسوم خطير
ما بها من علائم التفكير
هي عنه تهمةٌ بالتعبير
وترى في السرور ذات سرور
ت جديرًا بالفخر جدَّ جدير

الأغنياء والفقراء

أرى أغنياء الناس كالْعُمي لم يَرَوْا شقاء بني غبراء من كل بائس^١
كأنَّ الغنى والفقْر نور وحنْدُس^٢ ولم يَرَ من في النور من في الحنادس

^١ الغبراء: الأرض، وبنوها الناس.

^٢ الحندس: الظلام الشديد.

الجهل فضاح

ما أقبح الجهل! يُبدي عيبَ صاحبه
كذلك الثُّوم لم يشممه آكله
لِلناظرين وعن عينيهِ يخفيه
والناس تَشْتُمُ نَثْنَ الرّيح من فيه

حمام الوزارة

ألا بلّغوا عني الوزير مقالةً
أراك بحمّام الوزارة نُورةً
له بينه لو كان يخجل توبيخُ
وأما جنابُ المستشار فزرنِيخُ

رخص المناصب

نحن قومٌ من الدراويش نَغْنَى
رَخُصَت عندنا المناصب حتى
عندنا عن مدارس بَتَكَيَّة
قد شَرَوْها بِسُبْحَةٍ وبلْخِيَّة

الناس والملوك

عجبت للناس في الدنيا فحالتهم
إن الملوك لكالأصنام ماثلة
مع الملوك صريح العقل يَجِدُهَا
الناس تتحتها والناس تعبدُهَا

منزلة المعلم في المجتمع الإنساني

فليس سوى التَّعليم للرشد سُلَّمٌ
إذا ساء محياهم؟ لقلت: المعلم
يداوي سَقام الجهل والجهل مسقم
به يهتدي الساري إلى المجد منهم
عظيم كحق الوالدين وأعظم
وللوالدين العظمُ واللحم والدم^١
وإنَّ على الجهَّال أن يتعلموا
بأن يعملوا حتى قضى أن يُعلموا

إذا كان جهلُ الناس مَدعاة غيِّهم
فلو قيل: من يستتهض القوم للعلّا
معلمُ أبناء البلاد طيبهم
وما هو إلا كوكب في سمائهم
فلا تبخسنَّ حقَّ المعلم إنه
فإن له منك الحجا وهو جوهر
ألا إنما تعلِّمنا الناسَ واجبٌ
وما أخذ الله العهود على الورى

^١ الحجا: العقل.

أم سري

زار الرصافي صديقه السكاكيني في القدس فارتجل عنده هذين البيتين يخاطب بهما قرينته السيدة سلطنة:

أطاعك منه ما عصى الناس أجمعا	أُمَّ سَرِيَّ أَنْتِ سُلْطَانَةُ الْبَهَا
سوى أن كلَّ الحسن فيه تجمعا	ولم يرَ نقصًا في مُحِيَّاك ناظري

الحزب الحر العراقي

لما نفي بعض أعضاء الحزب الوطني وحزب النهضة، وسدت نوادي هذين الحزبين، قال الرصافي يخاطب الحزب الحر المعتدل:

هل أنت من بعد نفي القوم معتدلاً؟!	قولوا لحزب تسمى الحرّ معتدلاً:
عيناك أم أنت مسرورٌ به جدلٌ؟	وهل لما حلّ بالحزبين باكية
وإنما أنت للحكام مُعتمِلٌ ^١	تالله ما أنت حرٌّ في مطالبة
لله دُرُكٌ ماذا أنت محتملٌ؟!	قد احتملت من التاريخ لعنته

^١ معتمِل: مصطنع.

قال ذو الحزب

وبلغ الرصافي أن رئيس الحزب الحر قال إذ سمع بهذه الأبيات: «نحن لا نبالي بمثل هذه الأقوال الفارغة»، فقال الرصافي:

قال ذو الحزب إذ أتاه مقالِي:	نحن لسنا بما يقال نبالي
صديق في الذي ادَّعاه وأتَّى	يَالم المَيِّتُ من جروح النضال؟!
إنما تجزع الكرام من الدَّم	وتخشى الأمجاد لذع المقال

المسلم المصلح

قالها في صديقه الشيخ عبد القادر المغربي، أحد أركان المجمع العلمي بدمشق، وأنفذها إليه من رحلة.

للمغربيّ بأرض الشام منزلة	ممتازة في نوادي العلم والأدب
المسلم المصلح الهادي بفكرته	إلى الحقيقة أهل الشك والريب
قد غاص في لجج الأديان مجتهدًا	فاستخرج الدرّ لم يعبأ بمخشَلَب ^١
وجال جولةً حَبْرٍ في منابِتها	فاستخلص النبع حيّادًا عن الغرب
لو سار كلُّ بني الإسلام سيرته	لما شكّوا في حياةٍ سوءَ منقلب
أو جال كلُّ أولي الأديان جولته	لما تكوّن باسم الدين من شَغَب
إني لأمدحه بالحقّ عن ثقة	والمدح بالحق غير المدح بالكذب

^١ المخشَلَب والمخشَلَب، بفتح الميم: كلمة عراقية نبطية، وهي اسم لما يشبه الدر من حجارة البحر، يعمل منه خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ، وهو أردؤه وأقله قيمة.

نجل عبد اللطيف

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب المستر «منك» مدير الكمارك في بغداد، كتابًا وصف به له حالة ابنه الصغير، وأنه بلغ من العمر أن صار يشير بيده، ويتكلم بكلام لا يفهمه إلا هو، فطلب المدير المشار إليه إلى الرصافي أن يقول على لسانه أبياتًا في المعنى، فقال:

نجلُ عبد اللطيف وهو نجيبٌ	كيف لا يُظهر النجابة طفلًا؟!
إن يكن غيرَ واضح القول لفظًا	فكلام النجيب يُفهم عقلا
كلما قال أو أشار فمعنى	قوله أنه علاءٌ سيعلى
إن آل المنديل قوم كرام	قد زكوا في الأنام فرعًا وأصلا
نجلُ آل المنديل غيرُ عجيب	أن يكون النجيبُ طفلًا وكهلا
أيها النجل عش لتجديد مجدٍ	قد بنته لك الأوائل قبلا

عبد الوهاب النائب

أواصل شكره وأديم حمده	عليّ لربنا الوهاب أني
فيشفي «النائب» المفضل عبده	وذاك إذا يعاملنا بلطف
فنقصد في ابتغاء المجد قصده	ليرشدنا إلى سبل المعالي
بغاة مكارم الأخلاق عنده	هو الحبرُ الذي وجدت منهاها
وطرّز بالمعالي الغر بُرده ^١	تردّي المجد من أدب وعلم
ولا ينسأك إن دهمتكَ شِده	يوذك في الرخاء ودادَ حر
وأكثر فضله وأدام سنده	أطال بقاءه الرحمنُ فينا

^١ تردى المجد: اتخذه رداء.

إلى أمير الكمنجة

صاحِ قم بي إلى أمير الكمنجة
قم بنا نستمع إلى نغماتٍ
ولحون كالصبح إن هي فاضت
ذاك سامي الشّوّا الذي قد سما في
هو في فنه الرفيع إمّ
كل من سار في طريق الأغاني
ما أمرّ الأنامل الخمس بالأو
نغمة منه تجعل القوم كالبح—
ويميلون باتّجاهٍ إليه
بطل الفن هزّ رمح ابتداع
وبكأس الفخار أسقي صرّفاً
فلتفاخر بلاد يعرّب فيه
يا أميراً في الفن صار مليكاً
شهد الله أن كلّ حياة

أصدق النابغين في الفن لهجه
تملاً الأنفس انتعاشاً وبهجه
تغرق الروح من سرور بلجه
فلك الفن بالغاً منه أوجه
مُوضح للأنام منه المحجّة^١
يقتفي إثره وينهج نهجه
تار إلا ألقى على القوم رجه
—ر يمجون موجة بعد موجة
أينما مال ضارباً أو توجه
راكزاً فوق هضبة المجد رُجه^٢
من كمال تعودّ الناس مزجه
سادة الفن في بلاد الفرنجة
حامل الصولجان وهو الكمنجة
لم تزنّها بدائع الفن سمجه

^١ المحجة: جادة الطريق؛ أي وسطه.

^٢ الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح، وفي الكلام استعارة لا تخفى.

إلى محمد الرضا

شعرًا ذكرت به زمانًا قد مضى
فيه ورحت عن «الفرزدق» معرضا
أخذت تقيم من القريض مقوضا
ولدى القراع هي الحسام المنتضى
حسد الرضي بها أخوه المرتضى
صوت الرعود لها دوي في الفضا
صوت الحمام ينوح في وادي الغضا
فشييه برق لاح أو نجم أضأ
وبها رأيت مذهبًا ومفضضا
للودّ مني بالقريض تعرضا
يُدني أحبته ويُقصي المبعضا
إلا وزادت بالقريض تقيُّضا
فيها الثناء وهكذا عين الرضا

إنني لأشكر من محمّد الرضا
شعرًا غدوت على «جرير» فاخرًا
قد دبّجته يراعة لمحمد
هي في التفنن ريشة لمصور
لو كان في كف «الرضي» نظيرها
وكأنما يومُ الفخار هديرها
وكأنما يومُ الرثاء صريرها
أما ذكاء ابن الخطيب «محمد»
وافت جواهره على يد «جوهر»
يا أيها الرجل الذي بكتابه
إنني لأشكر منك خلًا فاضلًا
وقريحة ما زدت في استنباطها
ولقد نظرت إليّ منك بنظرة

فخامة الرئيس ووسام الرافدين

أنشئت في الحفلة التي أقيمت في البلاط الملوكي، لمناسبة ما أنعم به جلالة الملك على فخامة رئيس الوزراء من وسام الرافدين من الدرجة الأولى، وذلك يوم ٢٦ آذار ١٩٣٣.

هو في العُلا للرافدين وسام	تَه يا وسام الرافدين بصدري من
سعد العراق فتغره بسام	نوري السعيد أبو صباح من به
يزدان فيه وزيره الضرغام	قد أنعم الملك المطاع به لكي
ملك المطاع وحبذا الإنعام	يا حبذا ذاك الوزير وحبذا الـ
تاج الملك يحفه الإعظام	زهي الوسام بصدري فكأنه
فيه السجايا الغر والأحلام	صدر إذا الخطب اذلهم تالأت
بدت الشجاعة منه والإقدام	وإذا تتهدت الصدور لحادث
ولو أنه افتخرت به الأقوام	ليس التفاخر بالوسام يهّمه
ويتم في أمر البلاد نظام	بل همّه أن تستقل حكومة
وعلى الرئيس تحية وسلام	فعلى البلاد من الرئيس تحية

في بيروت

في مجمع كوكب الشرق

ضياح شعري في قومي وأوطاني
حتى أصمّ عن الألحان آذاني
يُغني عن الأذن طرف للفتى راني
بالنرد يلعب مشغولاً مع الثاني
كالملح يُحرق مذروراً بنيرانِ
وسامعوه كقومي عند إعلاني

ومجمع جامع ضاح الغناء به
تلاطم الموج فيه وهو من لخط
فظلت أسمع بالعينين فيه وقد
كلّا تراه على عزف القيان غدا
فللمعارك بين القوم فرقة
كان الغناء كرايي حين أعلنه

نهاد قرّة الأعين

إلى حضرة الفاضل نور الدين بيهم

كان مذ قال واهب الأولاد	لنهاد كُنْ
فاستمرّت بحمدّها المُرّواد	تتطق الألسن
لاح بدرًا له بأفق النادي	طلعة تحسن
أولد النور منه للوفاد	بهجة الأعين
نهر بيروت منه بالميلاد	فاخر الأردن
هو في آل بيهم الأمجاد	نبعة الأغصن
كان عيدًا لهم من الأعياد	في مدى الأزمن
إن تاريخه «حياة نهاد	قرّة الأعين»

ذات الشعر الأبيض

ومليحة أوصافها	تدعو القلوب إلى التصابي
بيضاء أمّا شعرها	فبلون أنوار الشباب
قد لاح يضرب للبيا	ض وذا من العجب العجاب
كشعاع أنوار النجو	م إذا تلاً بأضطراب
يمتد فوق جبينها	كضياء منقضّ الشهاب
فكأن غرة وجهها	بدر تكلل بالسحاب
أو قرص شمس قد تجلّل	بالرقيق من الضباب

رقة قولي

وغيرت رقتي في القول قوماً	فعادوني وكنت لهم صديقاً
وما علموا بأن رقيق قولي	يكون لدى التماحك منجنيقاً
وما موج البحار يكون إلا	لكون الماء سيالاً رقيقاً

جو بيروت

مانعٌ من نوازل الأسقام
خلتني في مغاسل الحمام
ثغره من تلوجه في ابتسام
فيه نطق الفصيح كالتمتتام
—داد تبدو أوصافه للأنام

جو بيروت في الشتاء دفيء
فاذا ما تواتر الغيث فيه
وعلى القرب من مغانيه جوٌّ
يجعل الجسم في ارتجاف فيمسي
وكذا الحسن في الأماكن بالأض—

على مقابر الشهداء

عاملاً بالفضيلة الغراء	حيّ هذه القبور إن كنت حيّاً
باحترام مقابر الشهداء	إنما الميت كل من لا يحيي
نوا بعباداً فكيف بالقرباء؟!	واحترامُ الأموات حَتْمٌ وإن كا
بل تماثيل نجدة وإباء	لا تقل هذه الرجام قبورٌ
كيف حبُّ الأوطان في الأحياء	إنما هذه القبور ترينا

١ منيرة

هل سمعتم «منيرة» مذ أفاضت
مذ أفرّت برقصها كل عين
رقصها يُرَقِّص القلوب على أن
هي إن أقبلت بثنية عطفٍ
وهي إن أدبرت بهزة ردفٍ
خلق الله صوتها العذب كيما
وبراها ممشوقة القد كيما
بنت فن غنّت لنا فسقنّا
سحرتني مذ أقبلت تنتنّي

من بديع الغناء في كل فنّ
واسترقّت بصوتها كل أذن
غناها عن المزامير يغني
أقبلت بالمهفّف المطمئن
أدبرت بالمرجرج المرجج
يعرف الناس كيف حُسن التغني
يعرف الناس كيف حُسن التثني
من أفانين لحنها بنت دَنّ
فكأنني مذ أقبلت لستُ منّي

١ هي مغنية عراقية.

يطلب جَلَنار

يحاكي لونَ وجنتِه احمرارًا
وأوثقَ في قلوبهم الإِسارَا
وطَرَفِ أوجَلِ البيضِ اقتدارَا
وقد آنستُ في خديه نارَا؟
وفي خديكَ أبصرَ جَلَنارَا؟

وظبِي جاءَ يطلبُ جَلَنارَا
وقد ملكَ الخلائقَ ملكَ أسْرَا
بقَدِّ أخَجَلِ السُّمَرِ اعتدالًا
فقلتُ: وما الكليمُ سوى فؤادي
فدينتُكَ كيفَ تطلبُ جَلَنارَا

اسمعي لي كلاما

اسمعي لي قبل الرحيل كلاما
هاك صبري خذيه تذكرة لي
لست ممن يرجو الحياة إذا فا
لك يا ظبيّة الصريمة طرف
حُبّ ماء الحياة منك بثغر
شغل الكاتبين وصفك حتى
كلما زاد عاذلي فيك عذلاً
أفأخظى بزورة منك تشفي
ربّ ليل بالوصل كان ضياء
قد شربتُ السهاد فيه مُداماً
ما لقلبي إذا ذكرتكَ يهفو
إن شكوت الهوى تلعثمتُ حتى

ودعيني أموت فيك غراما
وامنحي جسمي الضنى والسقاما
رق أحبابه ويخشى الحماما
شدّ ما أوسع القلوب غراما!^١
طائرُ القلب حول سمطيه حاما^٢
لا دُويّا أبقوا ولا أقلاما
زدت في حسنك البديع هياما
صدع قلبي ولو تكون مناما؟
ونهارٍ بالهجر كان ظلاما
وتخذتُ النجوم فيه ندامى
ولعيني تُذري الدموع سجاما؟!
خلتني في تكلمي تمّاماً

^١ الصريمة: قطعة ضخمة من الرمل تتقطع عن سائر الرمال.

^٢ السمط: العقد.

وقال في عود انكسر

قلبي عليك حليفُ الوجد يا عودُ
كنت افتديتك لو يُفدى الذي حكمت
فكم بدت نغماتُ منك مُطربةُ
تُعيد يا عود بالأوتار إن نطقت
كأنَّ أرواحنا عند استماعك من
فكيف نالتك أيدي الدهر كاسرة

كم شئتُ أذني منك الأغاريذُ!
فيه المقادير أن يلقاه تنكيد
هُزَّت بها طربًا حتى الجلاميد
ميتَ المسرة حيًّا وهو ملحود
لطفَ لهنَّ عن الأجساد تجريد
وأنت في الدهر بالآذان معبود؟!!

ضاق الخناق

أَقول لهم وقد جَدَّ الفراقُ:
رحلتُم بالبدور وما رَجمتم
فقلبي فوق أُرؤسكم مُطار
أقال الله من قَوَدٍ لِحاظًا
وأبقى أعينًا للغيد سودًا
متى يصحو الفؤاد وقد أديرَت
وليس الناس إلا من تصابِ
مررنا بالمنازل مُوحشات
كأن لم تُصِبنِي فيها كعاب
فُعِجت على الطلول بها مُكبًّا
كأنني بين أطلال المغاني
حديد بارد في اللوم قلبي

رويدَكم فقد ضاق الخناقُ
مَشوقًا لا يبوح له اشتياق
ودمعي تحت أرجلكم مُراق
دماءُ العاشقين بها تُراق^١
ولو نُسيَتْ بها البيض الرقاق^٢
عليه من الهوى كأسٌ دِهاق
وإلا من يَشوق ومن يُشاق
لَهُوج الرامسات بها اختراق^٣
ولم يُضرب بساحتها رواق
أسائلها وقد ذهب الرفاق
أسيرٌ عَضَّ ساعده الوثاق
فليس له إذا طُرق انطراقُ

^١ القود: إعطاء الدية.

^٢ البيض الرقاق: كناية عن السيوف.

^٣ الرياح الرامسات: التي تأتي بالتراب، فتدفن الأشياء تحته.

وصف البدر عند الإفراج

كان البدرَ صحنٌ من لُجَيْنِ بدا فَجَلا برونقه الهموما
به ارتقت الملائك للأعالي وراحت فيه تلتقط النجوما

إلى أم كلثوم

أمة وحدها بهذا الزمان
فما أن للفن ربُّ ثانٍ
عمَّ كل الأمصار والبلدان
بافتتانٍ لها وأيّ افتتانٍ
لما صريحاً بصوتها الفتان
ولون الوصال والهجران
وتريك المحب عند التداني
وتريك الحبيب عند اقتران
من خلال الأنغام والألحان
ظاهرات في صوتها للعيان
بلحون مطابقات المعاني
فيه لحن المسرور والجدلان
بلحون تدعو إلى الأحزان
وبلحن كأساً من الأشجان
تتغنى به بلا ترجمان
ناطقات لنا بغير لسان
كيف فعل الغناء في الإنسان
فيه للسامعين حسن بيان
تترك السامعين في هيجان
نعبد الحسن منه بالأذان
دب فينا دبيب بنت الحان
راً وطوراً في خفة النشوان
ونرى لذة لنا في التفاني

أم كلثوم في فنون الأغاني
هي في الشرق وحدها ربة الفن
ذاع من صوتها لها اليوم صيتٌ
ما تغنّت إلا وقد سحرتنا
في الأغاني تمثل الحب تمثي—
يتجلّى في لحنها مشهد الحب
فتريك المحبّ عند التناهي
وتريك الحبيب عند افتراقٍ
كل هذا في صوتها يتجلّى
صفحات من الغرام تراها
تنشد الشعر في الغناء فتأتي
فإذا أنشدت عن الوصل أبدت
وإذا أنشدت عن الهجر جاءت
كم سقنتنا كأس السرور بلحنٍ
تفهم الروح منطق الحب مما
فكأنّ الأنغام في الصوت منها
قد سمعنا غناءها فعرّفنا
حسن صوت يزينه حسن لحنٍ
نبراتٍ في صوتها مشجيات
تسترقُّ القلوب منا بصوت
كل لحن إذا سمعناه منها
في وقار الحليم تجعلنا طو
ننقانى في الاستماع إليها

فكأنّا في حالة الطيران
طربًا — جرّدت من الأبدان
حين تشدو ونحن في خطر
بغرامٍ من صوتها روحاني
من فنون الغناء بنت دنان
هكذا فلتكن على الفنّان

وترانا نهترُ حين تغني
وكان الأرواح — إذ تتعالى
هي في مرتقى الأغاريد تعلو
يشعر المرء حين يصغي إليها
بنت فنٍّ غنّت لنا فسقتنا
هكذا فلتكن يدُ الفن عليا

أيتها الكعاب

فتنتِ الملائك قبل البشرُ
وسرَّ بك السمع قبل البصرُ
وهامت بك الشمس قبل القمر
وغنَّى بك الشعر قبل الوتر
فأنت بحسبكِ بنت العبرُ

ترفُّ لمرآك روح الغرام
ليطلع مثلك في الاحتشام
ويهوى طلوعك بدر التمام
ويرقب خطرة هذا القوام
لكيما يهب نسيم السحر

تميلُ بقدك خمرة الدلال
وفيه ارتقى الحسنُ عرش الجلال
فيضحك في ميله الاعتدال
ومنه العقول غدت في عقال
وكم قد نهاها وكم قد أمر

إذا الوجه منك بدا للعيان
ويخجل من نوره النيران
له سجد العشق يرجو الأمان
ويغنو له جبروت الزمان
ويخضع حتى القضا والقدر

بك الحسن أليس ثوب الكمال
وأنت ملكة ملك الجمال
فأنت الحقيقة وهو الخيال
ولو صورك بلوح المثال
لكنت ملكة كل الصور

يروح الشتاء وتصحو السما
فيطلع فوق الثرى أنجما
ويأتي الربيع بما نمنما
ويبتسم الزهر بعد النما
فأنت ابتسامة ذاك الزهر

فطرُفك بالفتن كم قد روى
وما أنت شاعرة في الهوى
نشيد غرام يهْدُ القوى^١
ولكنما الشعر فيك انطوى
فأية حسنك إحدى الكبر

لسانك يسحر في ظرفه
وجفئك يفتن في ضعفه

وقَدْ أَكَّ يَخْطِرُ فِي لُطْفِهِ فَيُطْنِبُ رِدْفَكَ فِي وَصْفِهِ

ويؤجزه خَصْرُكَ الْمُخْتَصِرُ

سَقَتَكَ الْكَعَابَةُ صَفْوَ الشَّبَابِ وَغَطَىٰ مَحْيَاكَ مِنْهَا نِقَابٌ ^٢

فَأَنْتَ إِذَا قَمْتَ لِلْإِنْسِيَابِ تَبَخَّرْتَ فِي خَفَرٍ وَالْكَعَابِ

تُضِيءُ كَعَابَتَهَا بِالْخَفَرِ

^١ الفتر: السكون والضعف.

^٢ الكعابة: بروز ثدي الفتاة.

الشيخ المرائي

سوّد الله منك يا شيخ وجهًا
لو نتفنا من شعرها وغزلنا
غشّ حتى باللحية السوداء
لنسجنا خمسين ثوب رياء

جاهل متكبر

وشامخ الأنف ما ينفك مكتسباً ثوب التكبر في بـُحبوحة النادي
قد لازم الصمتَ عيًّا في مجالسه كأنما هو من نواب بغدادِ

الطفل الملتحي

مديرٌ من الطيش في مسرحِ	معارفُ بغدادَ قد جاءها
وطفل ولكنه ملتحي	حمار ولكنه ناطق
ويا أيها الجهل فيها اسلح ^١	فيا أيها العلم عنها ارتحل

^١ سلح: تغوط وتبرز.

فاسقُ مُراءٍ أو جاهل يدعي العلم

أيوسف ما إن أنت من فحلٍ هجمة^١
لئن كنت تُنمى للعطاء فإنه
وإن كنت قد كفرتني بجهالة
وإنك في تكفيرك الناسَ كافرٌ
رويدك قد كفرت يا وغدُ مؤمناً
وأنت امرؤ لم تجهل العلم وحده
وأنت من الإسلام في كل حالة
نطقت ببطل القول تهذي ممخرقاً^٢
ألسن الذي أعطى اللئام كرامة
وكم قرطست فيك الرماة ووثرت
فيا عالج أقصر عن نهيقك إنه
أنزّه عنك السيف في قتلك الذي

ولكن من الشولِ الطوالب للفحل^١
عطاء الذي تزكو الورى فيه بالبخل
فبالبهت كم كفرت من مسلم قلبي
تهاون بالله الذي جلّ عن مثلي
وكذبت فيما تدعي سيد الرُّسل
بل الجهل أيضاً بل وجهلك بالجهل
بمنزلة الظلم الصريح من العدل
ومثلك من يهذي وينطق بالبطل^٢
وكشّر فيه الأصل عن أربع عُصل^٣
عليك القسيّ المُلس يا جعبة النبل^٤
أضل كإضلال الخوار من العجل
تحنّم لكن يا مخنّث، بالنعل

^١ الهجمة: ما بين الأربعين أو السبعين إلى المائة من الإبل. والشول: النوق التي رفعت أذيالها طلباً للفحل.

^٢ مخرق: كذب.

^٣ العصل: الأثياب الصلبة المعوجة.

^٤ قرطس: أصاب الهدف.

الأرض

كأنني بهذي الأرضِ قد حانَ حَيُّهَا
ونادت بأصواتِ الفناءِ فجأجُها
فطاحت بأبعادِ الفضاءِ شظايا
وناحت على أطوارِها هَمَلايا

أيها المشنوق

وقال فيمن شنق في الأستانة من أول الثورة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس ١٩٢٥ :

يا ساكنًا وهو مشنوق على عمِدٍ
كم فيك يا أيها المصلوب من عِبرٍ
إذ قمت تطلب شيئًا أنت جاهله
طالبت بالشرع حتى قد قتلت به
ولو أجبت إلى ما أنت طالبه
يا ظالم الشعب مظلومًا بفعلته
قد قمت للشر لا للشرع منتصبًا
فاشكر علوك إذ يعلو به وطنٌ
يا مُفسدًا قام تحت الدين مستترًا
انظر إلى ذلك المصلوب متعظًا
وآية الله في التنزيل قائلة

لأنت أبلغ من نادى ومن خطبا
للناس حيرن من أملَى ومن كتبنا
طوعًا لمن خان أو سمعًا لمن كذبنا
كذاك من جهل الشيء الذي طلبنا
لأصبح الشرع يدعو الويل والحربا
عليك أم منك يبكي الشعب منتحبا
حتى علوت به في الجو منتصبا
قد كدت تُورده من فعلك العطبنا
ليجعل الأمر في البلدان مضطربا
فإنما قتله في الشرع قد وجبا
من كان يفسد في أوطانه ضلِبا

بين اليأس والرجاء

وما زلت أسعى مُنفض الكفِّ مُحَوِّجا
فأتيه ولَّجًا فالفيه مُرتجا
لأملك من شيء سوى اليأس والرجاء

تري مُقلتي ما ليس تملكه يدي
أرى بابَ رزقي من بعيد مُفتَحًا
وأيأس أحيانًا وأرجو فلم أكن

جواب عن كتاب

قسَمًا بِالْإِلَهِ عَزَّ وَجَلَّ
لا ولا عن هواك لي من سلو
أنكر العاذلون ثابت حبي
ما عسى أن يضرَّ إنكار شيء
عذلوني فما سمعت فقالوا:
كيف يسلو عن حبكم ذو فؤاد
لم يزل في الوداد يرقب قلبي
أيها الممتطي متون المعالي
نسمات من المسرة هبت
يوم وافى إلي منك كتاب
قيل لي: هاك ما يزيدك شوقاً
قال: نلت المنى، فقلت: جميعاً

إن قلبي عن حُبكم ما تخلّى
طردت مهجتي السلو فولّى
وكفى شاهداً بدمعي عدلاً
وهو كالشمس في العيان تجلّى
أنت سأل عن حُبهم؟ قلت: كلا
قد تلاشى في حبكم واضمحلاً؟^١
ذمة فيكم وعهداً وإلّا
فائزاً من قِداحها بالمعلّى
وهلال من السعادة هلاً
فيه آيات فضلك الجمّ تُنلّى
قلت: أهلاً بما أتيت وسهلاً
قال: لولا فراقهم، قلت: لولا

^١ الإل: العهد.

الغني غني النفس

لا تشكُّ للناس يوماً عُسرة الحال
وجانب اليأس واسلك للرجا طُرُقاً
واركب على صَهوات الجدِّ مغترباً
واطلب على عِزَّة بيض الأنوق ولا
لم يبقَ غيرُ الذي غُلَّت أنامله
كم قد غدوتُ على الأيام منتدباً
أفعالهم دون أن يُغري الرجاء بها
من كل هَيَّ ابن بَيٍّ لا ثبات له
كم بات ذو الحمق خلواً في مضاجعه
هذا يَميس بأبرادٍ مُفَوَّفة

وإن أدامتُك في همٍّ وبلبال
فالدهر ما بين إِدبار وإقبال
فيما تحاول ذا حل وترحال
تطلب لعمرك أن تحظى بمفضل
إمّا بأغلال شُحٍّ أو بإقلال
قوماً أضعت بهم شعري وآمالي
لكنَّ أقوالهم أقوال أقيال^١
جَعَدَ اليدين قنولٍ غير مِفعال^٢
وبات ذو العقل فيها كاسف البال
وذا يخيظ شظايا طمره البالي^٣

^١ الأقيال: جمع قيل، وهو لقب للملك الصغير دون الملك الأعظم في بلاد اليمن.

^٢ رجل هَيَّ ابن بَيٍّ: أي مجهول لا يعرف هو ولا أبوه.

^٣ ماس: مشى في اختيال. مفوفة: منقوشة بنقوش بيض. الطمر: الثوب البالي.

الشوق

شوقي إليك قريبٌ لا يَنائي
يا راحلاً وفؤادي في حقيبتِه
تركْتني في شجون للورى مثلاً
أقفو الملاحَ لكي أسلو هواك بهم

والصبر عنك بعيد لا يداني
رهنًا لديه ولكن غير مضمون
يميتني الوجد والأشواق تحيني
فيرجُ الحسن منهم فيك يغريني^١

^١ أقفو: أُنْتَبِع.

شكر على صنيع

شكرًا لفضل ممجّد
فاق الأماجد وامتطى
إني اختبرتُ بني الزما
وسبرتُ غورَهُمُ لدى الـ
وبكفّ تجربتي لهم
فوحقّ من أرجوه في
ما إن رأيت بهم فتى
المرتقي في المَكْرُما
يا ذا الإخاء المستقر
جاءَ الكتاب إليّ منـ
فإليك يا «شكري» على

أهدي إليه نظيم شعري
بالعز صهوة كلّ فخر
ن جميعهم في كل أمر
ـحالين من عسر ويسر
قلّبتهم بطنًا لظهر
دفع الخطوب وكل ضر
حسن السريرة مثل «شكري»
ت إلى المقام المشمخر
وذا الوفاء المستمر
ـك به شفيت غليل صدري
هذا الصنيع عظيم شكري

لمن الديار؟

لمن الديار يُلْحَن في الصَّحاح
عَبَثَتْ بها أيدي البلى فترَكْنَهَا
ولقد وقفتُ بها المطيَّ مسائلاً
أقتافُ آثاراً لهن دوارساً
لما تبيَّنتُ المعالم هُمُداً
فسقائك مرتكز الغمائم صوبه
حيّ الديار وإن تحمّل أهلها
عهدي بها والعيش أخضر ناعمٌ
مَغْنَى أنيقاً للحسان وروضةً
كم قد لثمتُ بها المرائش آخذاً
ولكم لهوٌّ من الحسان بغادةٍ
هل عائدٌ زمنٌ أتيت مع المها
قد بتُّ فيه ضجيع كل غريرة
أيام تحضرُ بي بمضمارِ الصُّبا

لَعِبَتْ بهنَّ روامس الأرواح^١
في العين أخفى من دريس نصاح^٢
شجراتٍ واديها وهنَّ ضواح^٣
كانت إليها عُدوتي ورواحي
هَطلت مدامع طُرْفِي السِّفاح
غدقاً بكل عَشِيَّة وصباح^٤
عنها وأمست مُوحِشات بطاح
والشمْلُ تجمعه يد الأفراح
نبئت بكل عرارةٍ وأقاحي
بهضيم خَصِرٍ جال تحت وشاح
لمياء ترشِفني شمول الراح^٥
ما شئت من لعب به ومِزاح
رُؤِد الشَّباب من الخرادِ رَدَّاح^٦
فرسُ الشَّبيبةِ وهي ذات جِمَاح



ركضوا بميدان التحاسد خيلهم
لبسوا النفاق لهم دُروعا واعتدوا
أضحوا كماء وشايةٍ وسعايةٍ
كالجاهلية غير أن مغارهم
إصلاحهم أعياء العقول لأنهم
من كل مرتكب الشنيع ولم يكذبوا
أهدى بطُرق المُخزيات من القطا

وسبوا من الأعراض غير مباح
يتطاعنون من الخنا برماح
ومن الضغائن هم شُكَاةُ سلاح^٧
في نهب كل خطيئة وجناح
خُلِقَتْ مفاسدهم لغير صلاح
يثنيه عنه إذا لحاه اللاحي
وأضلُّ ممن آمنوا بسجاح^٨

-
- ١ الصحاح: المستوي الأجرد من الأرض. والروامس: التي تأتي بالتراب فتدفن فيه ما تقابله. والأرواح: الرياح.
 - ٢ الدريس: البالي. والنصاح: ما يخاط به الثوب من خيط ونحوه.
 - ٣ الضواحي: البارزات للشمس.
 - ٤ المرتكز: المقيم الثابت. والصوب: المطر. والغدق: الكثير.
 - ٥ اللمياء: السوداء الشفة، وهي محببة لدى العرب. والشمول: الباردة.
 - ٦ الرؤد: الشابة الحسنة. والخراد: الأبقار. والرداح: التامة الخلق.
 - ٧ الكماة جمع كمي، وهو البطل الشجاع يلبس الدروع. والشكاة بضم الشين: جمع شاك؛ أي شاكى السلاح، وهو من الشوكة والحدة.
 - ٨ القطا: نوع من الطير اشتهر عند العرب بمعرفته الطريق. وسجاح: هي ممن تنبؤوا كذباً بعد وفاة الرسول ﷺ.

ليالي الأنس

ذكرْتُ ولستُ في الذكرى بناس
بنادٍ تَزْدْهِيكُ به انتظاماً
به اجتمعت غطارفة كرامٍ
يطوف عليهم رشاً رخيماً
براح فيك تبتعثُ ارتياحاً
يشب لمزجها بالماء وقد
تميت همومَ شاربها سروراً
وصاح وجّه الندماء كأساً
وغالى في الإباء فمارسوه
فقال، وقد مشيت فيه ودبت
لعمرك إن في الصهباء معنى

ليالي بتهنّ مبيت حاس
مقابلة الأسرّة بالكراسي
أبوا شيمَ التخالف والشماس^١
يغازل مقلنتيه فمّ النعاس^٢
وتتسف طود همك وهو راسي
تكاد تهمّ منه إلى اقتباس
فتدفنهنّ في حفر التناسي
إليه فقال: لست لها بحاس
فلان أبيه بعد المراس
دبيب الماء في ورق الغراس:^٣
دقيقاً ليس يُعرف بالقياس

^١ الغطارفة: جمع غطريف؛ وهو السيد الكريم. والشماس: المخالفة والعناد.

^٢ الرشأ: ولد الظبي. والرخيم: الرقيق.

^٣ الغراس: النبات مغروساً في الأرض.

الشمس

كأن الشمسَ باخرةٌ مخور
ستغرق بعد حينٍ باصطدامٍ
تجدُّ السير في بحر الفضاء
يمزق جرمها أو بانطفاء

رئيس الدائنية

الشيخ محمد أبو عبيوب الدائني

الدهرُ بيّن في كتابٍ شهادةٍ
أنّ السماحة والشجاعة والعُلا
شهم تولع بالعطاء بنانه
أسد نمّته لآل قيس في العُلا
ورث المكارم عن أبيه ولم يزل
ما زال يُوقد كل يوم في الوري
يهدي جموع المدلجين لسيبه
خُلقت من الحسب الصميم أكفه
حَمَدت وقائعه السيوف بكفه
إن شئت فوق ظهورهنّ إغارة
يلقى الفوارس والسكينة درعه
فخرُ الكرام على المكارم والندى
للجود مغلوبًا تراه ولم يكن
يتفقّد الأضياف ملء دياره
كالعبد يخضع للضيوف وإنه
عمّ الأرامل واليتامى سبيبه
خُلِقَ الكريم ابن الكرام محمد
تالله لو كان الكرام بلاغة

بالنور فوق جبينه مكتوب
جُمعت لعمرى في أبي عبيوب
مثلُ الرياح تولعت بهبوب
آباء مجدٍ ليس بالمكذوب
يسمو بصارم عزمه المرهوب
نارين: نارَ قرى ونار حروب
في الليل ضوءٌ لهيبها المشبوب^١
لعنان سابقة وكشف كروب
والخيل كل مطهم يعبوب
ترك العدو بلوعة المحروب^٢
ويخوض غمر الموت غير هبوب
قامت دعائم بيته المضروب
للجيش في الغزوات بالمغلوب
عند الصباح وعند كل غروب
في القوم أكبر سيّد معسوب^٣
فغدت تعيش بماله الموهوب
لسرور محزون وجبر قلوب
كان الكريم المعجز الأسلوب

^١ المدلج: السائر الليل كله أو آخره.

^٢ المحروب: المصاب بالشدة.

^٣

معصوب: متوج.

راقم وما أدراك ما راقم!

بحيث يمسُّ كرسي السماء
تردّي المجد فضفاض الرداء
وفي يمينه ضَع قلم الذكاء
ويثبت ما يشاء من العلاء
فذلك راقمٌ رَب الدعاء

أَقِم في الأرض صرحًا من ضياء
وبعد فجسِّم العرفانَ شخصًا
وفي يسراه ضَع لوح المعالي
وأجلسه على الكرسي يحو
وقفٌ وارفع إليه الطرفَ وانظر



فضائله عظم بلا انتهاء
ومن لي بالإحاطة بالفضاء
فيرجعني عُلاك إلى الوراء
لأنَّك فوق توفية الثناء
ذكاءك يا إمام الأذكىاء^١
شعاعك ما انكسرن من الهواء
كذا الأدواح تنمو بالضياء
لكنك الشمس في كبد السماء
لقلت: الصبح أنت بلا مرءٍ

ألا يا كعبة الفضلاء يا من
أهمُّ بأن أحيط بهنَّ وصفًا
وأقدمُ أن أتمَّ عُلاك مدحًا
وما وقى الثناء عليك مُثنٍ
وما اتَّقدت ذُكاءُ بما يداني
ولو كانت أشعتها تحاكي
بفكرك دوحة العرفان تنمو
وأقسم لو تكون من الدراري
ولولا الصبح يطلع كل يوم

^١ ذكاء الشمس.

نقش على الماء

أرى عيشنا تأبى المنون امتداده
وما زال وجه الأرض يوسع الردى
كأنّ انقلاب الأرض ماء كأننا
لحا الله دنيا كل يوم بأهلها
تزوّح سهام العيش فيها طوائشاً
نمُدُّ إلى قطف المنى وهي جمة
ونرجو ومن سيف الردى في رجائنا
وأجملُ بوجه العيش لو لم يكن به
دهانا لرامي الموت سهم مُقرطس
لعمرك إن الدهر تغلي خطوبه
وما الدهرُ إلا للخلائق منضج
كأن جيوش الموت رافقةً بنا
ومن نظر الدنيا بعين اعتباره

كأنّا على كيس المنون نعيش
لِطامًا وهاتيك القبور خدوش
على الماء من ريح الحياة نقوش
تهدُّ حصونٌ أو تتلّ عروش
وللموت سهمٌ لا يكاد يطيش
من العمر كفاً لا تكاد تنوش
جراحات يأس ما لهنّ أروش^١
حنانك من ظفر الخطوب خموش
نجيف بأدواء الحياة مريش^٢
وإن عويل الصارخين نشيش^٣
له مِرْجَلٌ بالحادثات يجيش
فتزحف منا للحروب جيوش
تساوت مُهود عنده ونُعوش

^١ الأروش: جمع أروش؛ دية الجراحة.

^٢ المقرطس: المسدد للهدف. النجف: السهم العريض النصل. المريش: ذو الريش.

^٣ النشيش: صوت الماء وغيره إذا غلى.

هوة الموت

كأنَّ حَيَاتِنَا جِبِلٌّ مُطِلٌّ
مَشِينًا فَوْقَهُ عُمِيًّا فَظَلَّتْ
كَأَنَّ فِضَاءَ هَذَا الْكَوْنِ بَحْرٌ
وَنَحْنُ لَدَى تَمَوُّجِهَا كَأَنَّا
تَبَيَّنُ تَارَةً وَتَغِيْبُ أُخْرَى
عَلَى مَهَوَاتِهِ وَهِيَ الْمَمَاتُ
تَهَاوَى نَحْوَ هُوْتِهِ الْمَشَاةُ
تَمَوُّجٌ فِيهِ هَذِي الْكَائِنَاتُ
فَوَاقِعُ ظَاهِرَاتٍ خَافِيَاتٍ
فَشَأْنَاهَا التَّفَرُّقُ وَالشَّتَاتُ

رقت بوصف جمالك ...

ورأتك فافتنت بك العذال
حتى كأنك للجمال جمال
كيما تراك وغضهن محال
للوجد مخترق بها ومجال
لما رأوك وفي العقول خبال
من نور وجهك نورهن مزال
بين النواظر وللقلوب جدال
بجمال يوسف تضرب الأمثال
شوقاً إليك مع النساء رجال
كسراً وتجهد خصرك الأكفال
يرنو فترهب فتكه الأبطال

رقت بوصف جمالك الأقوال
وهب الإله بك الجمال تجملاً
كل العيون إذا برزت شواخص
وإذا الخلي رأك عاد بمهجة
كم قد سمرت في القلوب تولة
فرموك بالأبصار وهي كليله
ربطوا الأكف على ضلوع تحتها
لو كنت في أيام يوسف لم تكن
ولقطعت دون الأكف قلوبها
كم قد يجور على جفونك سقمها
عجباً لظرفك وهو أضعف ما أرى

قامت تميس

رقصًا على نغمات المقول الحاكي
لاه وراحت وكل طرفه باك
مليكة الحسن هل عطف على الشاكي؟
ما أحسن الورد؟ قلت: الورد خذاك
تهوى؟ فقلت لها: إياك إياك
يهواك إي وجلال الحسن يهواك
ينفك في هتك عبّاد ونسّاك
من بات سهران مشغولًا بذكراك
أسباب دنيائي مع أسباب دنيّاك!
واخيرتي بين فتان وفتّاك!
لما أراك وهل يشفيه إمساكي
ما راقني قط من شيء كمراك
كالهرباء التي تجري بأسلاك

قامت تميس بأعطاف وأوراك
حوراء جاءت وكل في مسرته
شكوت من خصرها ضعفاً وقلت لها:
فاستضحكت وهي تجني الورد قائلة:
وقلت: أهوى، فقلت بالدلال: ومن
واستحلفتني على قلبي فقلت لها:
سحر بعينيك يستهوي القلوب وما
يا ربة الحسن هلاً تعطفين على
ما أطيب العيش في الدنيا لو اتصلت
الحسن يفتن والألحاظ فاتكة
تهفو بقلبي أشواقي فأمسكه
إني وعندي بكنه الحسن معرفة
أمسى غرامك يجري في عروق دمي

المَكْتَب

تصوّرُ حدائقَ في بهجة
ترقرقُ فيها مياه العلومِ
وهبَّ عليها نسيمُ الفنونِ
فأضحت وأرض كمالاتها
وأُمسّت وإنّ ثمارَ العلاءِ
وطار الفخار بأرجائها
فللمجد وجه طليقٌ بها
غذاء النفوس وطبُّ العقولِ
فتلك إذا ما تصوّرتها

تروق وفي نضرة تعجبُ
جداول تجري ولا تتضب
يروح ويغدو بها يلعب
بنبتِ الحقائق تعشوشب
لأشجارِ عرفانها تُنسب
بلايلُ تغريدها مطرب
وحفظ الجسوم بها يطلب
وحفظ الجسوم بها يطلب
جليّاً لعمري هي المكتبُ

أقبلت في غلائل

سيوف لحاظ أم قسيّ حواجب
ورُبّ كعابٍ أقبلت في غلائل
لها جيدٌ ظبي واعتدالٌ وشيجة
ولا عيبَ فيها غيرَ أن أولي الهوى
نَضَتْ عن محياها النقاب عَشية
ومذ نَشَرْتُ سودَ الذوائبِ أولجت
تناسَبَ فيها الحسن حتى رأيتها
مُفْتَرَّةَ الأجفان تُدْمِي بلحظها
فلم أنسها والله يوم تعرَّضت
وما كنت أدري ما الصبابة قبلها
فأصبحت فيها ذا غرامٍ ولوعة
وما الصبر إلا غائبٌ غير حاضر

تَرِيشُ إلى قلبي سهامَ المعاطبِ^١
وقد لاح لي منها حُلِيّ الترائب^٢
وعين مهّاة وائتلاق الكواكب
ينادونها في الحسن بنت العجائب
فأسفرَ صبح الحسن من كل جانبِ
نهار مُحياها بليل الذوائب
تفوق الدُمي في حسن ذاك التناسب
قلوبَ أسودٍ مدميات الكتائب
لنا بين هاتيك الطِّباء السوارب
ولا همت يوماً في الحسان الكواعب
ووجدٍ وتهيام وهمٍّ مواظب
وما الشوق إلا حاضرٌ غير غائبِ

^١ راش السهم: عمل له ريشًا.

^٢ الترائب: وهي جمع تريبة؛ أعلى الصدر حيث يوجد العقد.

كل امرئ وصديقه

تحرّ إذا صادقتَ مَنْ وَدَّهَ مَحْضُ
فكلُّ خليلٍ منبئٍ عن خليله
وبالصدق عامل مَنْ تحب من الورى
وسامح صديقاً قد أساء بفعله
وبعد ثلاثٍ دَعَه غير مسامح
وقوَّ أساسَ الودِّ بالصدقِ فالذي
وإن ومضت للخلِّ منك سحابةٌ
يُصان لديه المال والدين والعرضُ
كما عن شئون القلب قد أنبأ النبض
وإلا فذاك الحب آخره بُغض
ثلاثاً عسى ذلك الفعل يَنْفُضُ
فرَفُضُ الذي دامت إساءته فرَض
على جُرْفِ هاوٍ يؤسَسُ يَنْقُضُ
فلا يكُ منها خُلْباً ذلك الومض

النفس الأمارّة

ولكن قد فعلتِ كما اشتَهِيتِ
فأنتِ عليكِ يا نفسي جُنيتِ
سَعتِ في المنكراتِ كما سَعتِ
رأيتكِ أنتِ صاحبة السُّكيتِ^١
وإلا يا فجار فقد هَويتِ

نَهيتكِ عن هوائِكَ فما انتَهِيتِ
فيا نفسي عن الشَّهواتِ كُفِّي
وما أمارّةٌ بالسوءِ يومًا
إذا ما حَلَبَةُ الحَسَناتِ جاءتِ
فإن أسدى الإله عليكِ عَفْوَا

^١ السكيت: آخر خيل الحلبة.

الأنس في غير موقعه كدر

مستأنسين بضرب العود والوترِ	وصاحبٍ قد دعانا أن نُلمَّ بهِ
ترمي جَهَنَّمُ الأجسام بالشررِ	في ليلةٍ كان فيها الحر متقدًّا
صدرُ الأغاريد من ضيقٍ ومن صغرِ	وكان ذلك في دارٍ يضيقُ بها
أو جُرَّ ضَبٌّ بأرض صُلبة الحجرِ ^١	كأنها مَفحص تأوي القطاة له
تلقاه في نغمات العود في ضَجَرِ	فما عَهدت طُروبًا قبل زورَتِها
في غير موقعها ضرب من الكدرِ	ومطربات الأغاني وهي واقعة

^١ مَفحص القطاة: بيتها، والقطاة: نوع من الطيور يشبه الحمام.

الدمع والنار

وحتام نار البين في القلب تلهب؟!
ودمع له في عارضي تصب
سوى دمعهُ فهو الدواء المجرب
عليّ به يومٌ شديد عَصَبَصَب^١
محيًا له كل المحاسن تُنسب!
وشمس الضحى في ضوءه تتجَبَّب
وأنت كما شاء الجمال محبب
نسيمٌ وأبكي كلما لاح كوكب
ويعزبُ عني الصبر أيان تغرب
به صرف دهرٍ لم يزل يتقلب
صفا فيه من وقع الشوائب مشرب
رأى الغدرَ من أشداقها يتحلَّب

إلى كم تصبُ الدمع عيني وتسكبُ
أبيت ولي وجدٌ يُشبُّ ضرامهُ
وهل لَمَشَوْقِ خانهُ الصبر عنكمُ
ألا إنَّ يومًا جرَّد البينُ سيفهُ
فيا ليت شعري هل أفوز برؤيتي
وعينيك لا أسلوكِ أو يصبح السها
فإني كما شاء الهوى بك مُغرَم
أحنُّ إلى رؤياكمُ كلَّما سرى
وأذكركم للشمس عند طلوعها
لقد بان صبري يوم بينك إذ قضى
تبصّر خليلي في الزمان فهل ترى
ومن نظر الدنيا وجرب أهلها

^١ عصبصِب: شديد.

البصرة

فلا تَمَرَّنْ فيها غير مظطعن^١
حسنًا فما هي إلا خضرة الدمن
إلا وسافر عنه صحة البدن
نئن وشدة حرٍّ غير مُؤتمن
من السقام استحقوا الدّرج في الكفن
حمى وقد حرمتهم لذة الوسن

إياك والبصرة المُننى توطُنُها
لا تعجبَنَّك بالأشجار خُضرَتها
ما إن أقام صحيح في مساكنها
ماء زعاقٌ وجوٌّ قاتم وهوى
انظر تجد كلَّ أهلِها كأنهم
صفر الوجوه قد امتصّت دماءهم الـ



لولا العبوسة لم يُفَرِّق من الوثنِ
يا خيبة الشعر بل يا ضيعة اللسن!
إن كان فيك احتباس الريح فاحتقن؟

يلقى النزِيل بوجه قُدّ من حجر
أفيك يا غمرُ يلقى الشعر مأملة؟!
ما لي أراك على الكرسيّ منتفخًا

^١ المظطعن: المسافر.

الحر في أغسطس

قد كاد بالحرّ هذا اليوم يصهرنا
كأنما الشمس جاعت فْهِيَ من سَغَبِ
إِذْ قَدْ بدا فيه للرمضاء تسعير
تُسْوَى الجسوم لها والأرض تنُّور

البرد في كانون

لله يومٌ جاء يَلْسَعُ بَرْدُهُ
لم تلقَ شيئاً فيه ليس بجامِدٍ
فكأنَّ ذرَّاتِ الهواءِ عَقَارِبُ
إلا احتمالَ البردِ فيه فذَائِبُ

معلقة وقد قالها ارتجالاً

سترثُ ظلامَ الليلِ بالأضواءِ	انظرُ إلى تلكِ المعلقةِ التي
يحكين شكلَ أصابعِ الحسناءِ	قطَّعَ من البلَّورِ مُحَدِّقةً بها
وكانهنَّ كواكبُ الجوزاءِ	فكانها بدرٌ تلالاً في الدُّجَى
قمرٌ أحيطَ بهالةٍ بيضاءِ	بل قد يُمتلِّها الخيالُ كأنها

قد يطفح اللؤم

يَنسَى الحياءَ فيغْدُو يدَّعي الكرما
رأى الضلالَ هُدًى واستسَمَن الورما
إن لم يكُ السيفُ يعلو منهم القمما
حي ادَّعتْ وهي أذئاب لها الشمما
أو عُدتَّ الطيرُ ما كانت ولا رخما
في الخُلُق بونٌ فذا أرضٌ وذاك سما
والقَيْن يطبع منه السيفَ والجَلما^١

قد يَطْفُحُ اللؤمُ حتَّى إنَّ صاحبه
إن الجَهالة إن كانت قَدَى بصرٍ
ما لِلغواةِ ارعواءٌ عن غوايتهم
كم من أراذلٍ أَطغَتْها سَفاهتُها
إن عُدتَّ الوحش ما كانت ولا بقراً
والناسُ كالناس في خَلقٍ وبيْنهم
مثلُ الحديد وما امتازت حقيقتهُ

^١ القَيْن: الحداد. والجلم: المقص.

اللؤم يهجو بعضهم

اللؤم داءٌ في النفوس عياءٌ
لو كان في الدّماء كلُّ عيوبه
ولو أنّ في كَرّة الهواء طباعه
ألقت عليه يدُ الزمان مخازيأ
وجهٌ أقام الدهرُ فيه من الخنا
يا ماشياً يختال في غلوائه
هَبْ غفلةً الجهلاء عنك طويلة

لم يشفِ منه سوى الحمامِ دواءٌ
بل بَعْضهن لأنتن الدّماءُ^١
فسدت فمات بنتُها الأحياءُ
منها تلوح بوجهه الفحشاء
سِمةٌ فعاد وليس فيه حياء
«أطرقُ كرى» ما هذه الخيلاء؟!
أفليس تعلم خزيك العقلاء!؟

^١ الدّماء: البحر.

تَجَنَّبْ

ولا تغتَرَّ بالبدنِ الصحيحِ
إذا ما كان ذا خُلُقٍ قبيحِ
وما قَبِلَ النصيحةَ من نصيحِ
تباعِ إليه بالثمنِ الرِّبيعِ
وكان الشتمُ أَجْدَرَ بالمُبيحِ
كما كان اليهودُ من المسيحِ
فلستَ من الهجاءِ بمستريحِ
كنيران تشبُّ تجاهَ ريح^١
يُعدُّ الهجوَ فيك من المديحِ

تَجَنَّبْ من سقيمِ الرأيِ قُرْبًا
ولا ترضَ الصديقَ لحسنِ خُلُقِ
وذي سَفَهٍ أَكَبَّ على المخازي
ترُوجِ المُخزياتُ لديه حتى
أطافَ بغِيَّه وأباحَ شَتْمِي
وأغراه الضلالُ فكان مني
فمتْ في نارِ غِيظِكَ مستشيطًا
سأضرمُ فيك يا لُكْعُ الأهاجي
تجمَعَتِ المخازي فيك حتى

^١ اللكع: اللئيم.

في المسرح

بدت في مسرح رَحْبِ البلاطِ	بُقُضبانٍ مُشَبَّكَةٍ مُحاطِ
فجالت من ضفائرها بتاج	وماسَتْ غيرَ ضافيةِ الرياطِ ^١
ولا أنسى تورَّد وجنتيها	وقد برزت تميس على البساطِ
فقلنا وهي تخطر في وقارٍ	مَلِيكُ الحُسْنِ يخطر في البلاطِ
وقد سجدت لها الأنظارُ لَمَّا	أرَتنا الحُسْنُ يَرْقُلُ في القباطي ^٢
وكَبَّرنا المَهْمِمنَ حينَ راحت	تصُولُ على الضياعِ بالسَّياطِ
سَقَتْ أعصابنا خدرًا وطارت	مرفرةً بأجنحة النَّشاطِ
مشَتْ مَشْيَ الحمامة فوق سلكِ	تهوُلُ عليه أن تخطو الخواطي
وبارت فوقه خفقانٌ قلبي	بحالِيَّ ارتفاعٍ وانحطاطِ
فَخَلَّناها وقد خَلَبتْ نُهانَا	تعلُّمنا الجوازَ على الصراطِ

^١ الرياط: جمع رِيطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجًا واحدًا.

^٢ القباطي: جمع قبطية بالضم، وهي ثياب من الكتان، ومنسوبة لقُبط مصر.

شكر ووداع

وإن لم تطق شكرًا فلا كنت من شعر
بمعناك نور الشمس يُشرق والبدر
بها مثلما حام الفراش على الزهر
برأس عمودٍ خذه من غرة الفجر
عليّ فنبّ يا شعر عنيّ في الشكر
وربّك لم أحسب سواهن من عمري
غفرت الذنوب الماضيةات من الدهر
عليّ ففي بيروت كم لك من عذر
بكل كبير النفس ذي خُلق حر
ومن سروات القوم في أنجم زهر^١
مُفارقكم لا عن صدودٍ ولا هجر
إليكم لأشواقًا أحرّ من الجمر
كفتك الملوك المستبدين بالأمر
وأنكر في يوم النوى حكمة الصبر
توارثتموها عن جُود لكم غر
إلى حيث يبقى تحته طائر النسر
غطاريف سباقون في حلبة الفخر
وأشركم شكر الجدوب ندى القطر
إليكم إليكم ما حييت لنو فقر

أعربي لسانًا أيها الشعر للشكر
وجنني بنور الشمس والبدر كي أرى
وحُم حول أزهار الرياض تطيبًا
وقُم في مقام الشكر وانشر لواءه
فإن لبيروت حقوقًا جليلة
فإني ببيروت أقمت لياليًا
وقصّيت أيامًا إذا ما ذكرتها
لئن تك في بغداد يا دهر مذبّا
قرأت بها درس المكارم مُعجبًا
فكنت بها من باذخ العزّ في الذرا
وداعًا وداعًا أيها القوم إنني
لئن أزيّف الترحال عنكم فإن بي
أودّعكم والشوق بالصبر فاتك
أحبكم قلبي اعترافًا بفضلكم
ولا غرو أن أكرمتُ الضيف شيمة
ألستم من العرب الألى طار صيتهم
أعاريب نهاضون في طلب العُلا
سأذكركم ذكر المحبّ حبيبه
فلا تحرموني من رضاكم فإنني

^١ سروات القوم: سادتهم.

إلى إيناس الوزير

صارت بها تضرب الأمثال في الناس
كأنَّ وجهك فيه نور نبراس
بحسنها أنعشت فكري وإحساسي
فزال إحاشُها عني «بإيناس»
لوالدٍ فات فضلًا كل مقياس
واليوم عندي جروحٌ ما لها آس

إيناس إنَّ مزاياك التي عظمت
أخالُ بيتيَ لمَّا جئتَ زائره
آنستني بخصالٍ فيك طيبة
كم أوحشتني الليالي في تصرُّفها
أدامك الله يا إيناسُ تذكرة
قد كان يأسو جروحًا فيَّ دامية

في مآدبة آل لطف الله

مما أنشد ارتجالاً في المآدب التي أقيمت للوفد العراقي بمصر سنة ١٩٣٦.

في آل لطف الله لطفٌ ساحرٌ في الخلق والأنظار والأفواه
لله درهم لرفعة قدرهم فلذا تسموا آل لطف الله

في مآدبة عبد الرحمن عزام بحلوان

على بيوتِ بناها آل عَزَّامِ
نلنا بها كل إعزاز وإكرام
لمجدهم سطر إجلال وإعظام

المجد والفضل منشوران في علم
لما حللنا ضيوفاً في مَرابِعهم
فسوف نشكرهم شكرًا نخطُّ به

في مأدبة نظلة الحكيم

مُؤْتَلِّ خالص صميمٍ	نحن ضيوف لذات مجدٍ
أرقُّ من خطرة النسيمِ	لها طباع مهذّبات
كالحسن في وجهها الوسيم	والحسن في خُلُقها المُعلّى

الكرخي ومن كذب في منعاه

أَعْبُودُ إِنَّكَ ذُو فَطْنَةٍ
قَرِيحَةٍ شَعْرَكَ فَيَاضَةٌ
أَتَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ بِالمُضْحَكَاتِ
فَأَعْرَبْتَ لِلنَّاسِ عَنْ قُدْرَةٍ
تَقَدَّمْتَ فِيهَا عَلَى السَّابِقِينَ
فَكَمْ لَكَ فِي المَدْحِ أَنْشُودَةٌ
وَكَمْ لَكَ فِي الهَجْوِ أَعْجُوبَةٌ
يَبَاهِي بِكَ الكَرُخُ أَبْنَاءَهُ
وَلَكِنَّ حَسَادَكَ الْخَاسِرِينَ
أَشَاعُوا نَعْيَكَ مِنْ غِيظِهِمْ
وَلَمَّا تَبَيَّنَ إِخْفَاقُهُمْ
فَعَشَّ وَادَعَا رَغْمَ أَنْفَاهُمْ

تَعِيشُ بِهَا عِيشَ حَرِّ سَعِيدٍ
لَهَا فِي الْأَنَاشِيدِ مَرْمًى بَعِيدٍ
وَبِالْمَبْكِيَّاتِ الَّتِي لَا تَبِيدُ
لَهَا قَدْ عَنَا كُلَّ خَصْمٍ عَنِيدٍ
فَمَنْ ذَا زَهِيرٍ وَمَنْ ذَا لَبِيدٍ؟!
مَدَحْتَ بِهَا كُلَّ شَهْمٍ مُجِيدٍ!
صَفَعْتَ بِهَا كُلَّ غَاوٍ بَلِيدٍ!
وَيُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا لَا مَزِيدَ
يَبْيِيتُونَ مِنْكَ بِغِيظٍ شَدِيدٍ
يُرِيدُونَ لِلشَّعْرِ مَا لَا يُرِيدُ
لَدَى النَّاسِ عَادُوا بِغِيظٍ جَدِيدٍ
بِعَمْرِ جَدِيدٍ وَعِيشٍ رَغِيدٍ

من خواطر الماضي

تعودتُ إنشادي القريضَ المهذباً
ومن أجل حبِّي للحقيقة لم أكن
ومن أجل جهدي في استقامة منطقي
وسافرت في البلدان طَوْرًا مشرقًا
وصاحبت من عُربٍ وَعُجَمٍ أفاضلاً
فلم أرَ في عربٍ وعجمٍ لقيتهم
هو العالم الحبر الذي كنت مغرماً
فقد كان في مصرٍ صريرٌ يراعه
وكم كنت في الآداب والعلم كاشفاً
إلى أن أثار الشام بالعلم عندما
إذا معجمات العلم عيّت فلا نرى

ونزّهتُ نفسي فيه أن أتكذبا
مع الزمن الغاوي إذا ما تقلبا
أبيتُ لرأيي أن يكون مذبذباً
أرود العلا فيها وطوراً مغرباً
بهم كنت في شتى المواطن مُعجباً
ككردٍ عليّ في الرجال مُهذباً
بآدابه منذ الشبيبة والصبا
يؤانسني بالمتع الغضّ مُطرباً
بمقتبس من نوره ما تحجباً
لمجمعها أمسى الرئيس المرتباً
سواك إليها يا محمد مُعرباً

صورة

فتجلى منها الجمال السامي
لم يدنسه طائف الأوهام
أنفساً جردت من الآثام
كوكباً غمّ نوره بغمام
تتوارى وسامة الأجسام
كفر هذا الجمال بالأهدام
رسل الفن في هدى الإسلام

زهرة قد بدت من الأكمام
وتراعت فيها الحقيقة حسناً
إن تجريدها من الثوب يحكي
هي كانت قبل التجرد منه
إن قدس الأقداس يغضب من أن
وأشد الكفر الذي هو رجس
ضلة جاهلية أنكرتها



من يد العري ريشة الرسام
يمتري الذم من عيون الغرام
في سرور مهاجم مترامي
بنت كرم ولوعة المستهام
في هياج من الهوى وهيام
ويرد الثغور ذات ابتسام»
وتر الشعر مطرب الأنغام»

انظر الصورة التي انتزعتها
تلقّ فيها الجمال يضحك ضحكاً
وترى نفسك الكئيبة منها
أنت منها في نشوة المتحسّي
منظر يترك الجوانح ممّا
«ويرد الوجوه مستبشرات
«يبهج النفس إذ يحرك منها



فأرتنا خلاعة في احتشام
بالتعري بداعة في الوسام
كغريق في لجة الأحلام
ليراها بحيلة المتعامي
نهض الفن قائماً باحترام
وجرى الشعر شادياً بانسجام»

خلعت ثوبها وأغضت حياء
جلست جلسة الحيّ وأبدت
ما أحيلى إغضاء جعلتها
يتعامى عنها الحياء حياء
لسقوط الرداء عن منكبيها
«وغدا الحب راقصاً بابتهاج



حيرة في العقول والأفهام»
س جذب ذو حرقة واحتدام»
—ي مطاع في النقض والإبرام»
وعظام الرجال غير عظام»
ويهدي إلى طريق الغرام»

«إن هذا الجمال شيء عجيب
«بين ألوانه وبين قلوب النا
«وهو في الحب صادق الأمر والنه—
«إن يشأ فالصغار غير صغار
«هو نور يضيء في أوجه الحب

عصاي الفتية

أنا شيخ وذي عصاي فتية
صَاغة «الصابئين» قد ألبسوها
وشعارًا من «مظهر» بكلام
هي تحكي عصا «ابن عمران» قنرًا
فسأمشي بها قويًا سويًا
وستبقى الذكرى بها لإخاء
ألبستني كرامة بإخائي

قد أنتتي من «مظهر» لي هديه
حلية ذات صنعة عبقرية
مُعرب عن مودة أخويه
فلذا صيغ رأسها رأس حيه
بعدما كنت ماشيًا كالحنيه
موثق بالوشائج الأدبيه
لكريم من أسرة حميريه

النشيد الوطني

نحن خَوَّاضو غمار الموت كشافو المحن
ما لنا غير اكتساء العز أو لبس الكفن
نبذل الأرواح نفديها لإحياء الوطن
هل سيوى الأرواح للأوطان في الدنيا ثمن؟!
يا ضلَّالاً لِلْأُلَى لم يكونوا له الفدى
إن نمُت نحن فلتعش ولتحيا أوطاننا

إلى عبد الستار القرغولي

لست من منكرين ثابت حقك
في ادعائي هذا مقيس بصدقك
عاشق شعرك البليغ كعشقك

هاك عبد الستار حقك إني
غير أني ذهلت عنه وصدقي
إن تكن قد عشقت شعري فإني

دمعة على قبر الزهاوي

مثل ميتٍ وصرت بالموت حيًّا
بعد موت يكون للجسم طيًّا
ناطق بالبقاء لم يخشَ شيئًا
حزت في الحالتين ذكرًا عليًّا
كنت أبكيك في الحياة شجيًّا

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى
ما حياة العظيم إلا خلودٌ
سوف يبقى بين الورى لك ذكرٌ
أنت فردٌ في الفضل حيًّا وميتًا
سوف أبكي عليك شجواً وإني

في مدرسة الإمام الأعظم

مما كتب إلى العلامة الشيخ سعيد النقشبندي مهنتاً له بتعيينه مدرساً في مدرسة الإمام الأعظم أبو حنيفة:

قد ازدهى للعلم تدريسُ	وزال عن طُلابه البوسُ
واتَّضحت معالم العلم لا	يوجد رسم منه مدروس
بعالم الآفاق من ربه	له على كيوان تأسيس
سعيد الذي له السعد قد	طأطأ رأساً وهو مرموس
العالم العيلم من لم تزل	تُحدى إليه النجب العيس
يولج أهل الفضل في قصده	ويعقب الإدلاج تغليس
ويطرد الجهل به مثلما	يطرد بسم الله إبليس
فلا تسل عدَّ معاليه إذ	تضايقت عنها القراطيس
وقل لمن حاول تعدادها:	عقلك في جهلك مطموس
يحصي الحصى عدًّا ولكنها	لها عن الإحصاء تقديس
القدم الغطريف لا شك في	رؤيته للكرب تنفيس ^١
يبسم إن جئت ولكنه	ذو هيبة تحذرهما الشوس
وليس للقانص علماً سوى	محفله الحافل ناموس
كم أذن الخضم له طائعا	وانقاد للإيمان قسيس
كم واصل في العلم قال له:	أنت رئيس وهو مرعوس
وليس للبرهان في حاجة	إن ضياء الشمس محسوس
أنت سليمان العلا والنهى	أصف والآداب بلقيس
أنت لا غيرك في خطة الـ	—علم لداء الجهل نفريس
ونور أقمار سماء العلا	من شمس عرفانك معكوس
وإن يكن للفظ درًّا فلا	نَعجبُ إذ صدرك قاموس
لو لم يكن مدحك في الشعر لا	يزدان تشطير وتخمس

بالعقد ذي الترصيع تجنيس
روح التهاني لك مغروس
إمامنا النعمان تدريس

ومذ حوى مدحك شعري له
قلت وفي روضة إنشاده
أرّخ ودام لسعيد لدى

^١ القدم: السيد المعطاء الكريم.

شكر ومديح

وكتب إلى حسين فوزي النائب بعد تناوله الكتاب الذي استعاره منه:

أهدي إليك يا عظيم الجناب	تشكراً لفضلك المستطاب
فيا حسين صحَّ عند الورى	أنك غيث نائل ذو انسكاب
قد جمع الله جميع الندى	فيك بحال عنفوان الشباب
فأنت في أفق سماء العلا	شمس علا ما حجبت في ضباب
وإنني أشكر طول المدى	شكراً لإرسالك ذاك الكتاب
جردتني عن ثوب فقري له	كما تسلُّ مرهفًا في قراب
ناب أبوك عن علوم الهدى	وأنت نُبتت عن هموم السحاب
علامة العصر جميع الورى	قد هديت بعلمه للصواب
فكم وكم معضلة أعجزت	أماط بالفتنة عنها الحجاب
وكم جلا غامض علم لنا	بفكره الثاقب مثل الشهاب
قد بهر الناس بعرفانه	حيث أتاهم بالعجيب العجاب
وفاق في الآراء أهل النهى	وأوتي الحكم وفصل الخطاب
لم يقطع الأمر لنا حاكماً	برأيه الصائب إلا أصاب
فهو لعمر الله في قطعه	كالصارم المشحوذ منه الذباب
فكيف لا أمدحك اليوم إذ	إنك فرع أصل ذاك المهاب
وأنتم أمجاد هذا الورى	وقد زكى العنصر منكم وطاب
وأنتم الرأس وما غيركم	من شرف المحتد إلا الذناب
ومنكم الفضل وأنتم له	وما سواكم فيه إلا سراب
والله ذو الفضل من المجد قد	ألبسكم في الناس أبهى نقاب
فأشهد الله وكل الورى	أني إلى أحسابكم ذو انتساب

القدوم المبارك

وكتب للعلامة الشيخ سعيد النقشبندی عند عوده من سامراء إلى بغداد للتدريس بمدرسة الإمام الأعظم:

ألا قد سرُّ طالبُ كل علم	ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد	بمقدمه المبارك من غيابه
وتدريس العلوم لطالبيها	لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضمُّ بغير حدٍّ	فرائد كل علم في عيابه
فقلت: بمعرض التاريخ بشرى	وأمر الدرس عاد إلى نصابه

إلى حسين النائب

وكتب إلى حسين فوزي النائب يستعير منه كتابًا:

سؤال الورى الوهاب يا ابن الأماجد
وحقك لم أمدد لغيرك ساعدي
بديوان شعر ابن الحسين فساد
فلي فيه يا ذا الفضل بعض المقاصد
لكل بني الغبراء يا ذا المحامد

رفعت أكفّي نحو فضلك سائلًا
ومن قبل هذا يا ابن أعلم عصرنا
فقد عرضت لي يا حسين لبانة
وجُد لي به بعض الزمان إعارَةً
ولا زلت مأوى للعفاة ومرجعًا

إلى الدكتور زكي مبارك

إذا أطرى الأنام فتى أديباً
وعلم لا أشبهه ببحر
لقيت به أبا أدبٍ وعلم
زكا نفساً فقل له: زكيّ
يمجُّ يراعه في الطرس ليلاً
أقام «بنثره الفني» جسراً
جلا بذكائه سدف المعاني
وخاض عباب بحرٍ من بيانٍ
إذا قرع المنابر يوم حفلٍ
أصاخوا نحوه وقد اشربوا
إذا افتخرت به مصرٌ وتاهت

فلابن مبارك أدب غزيرُ
فقد نضبت بجانبه البحور
له شبه وليس له نظير
وبورك فالمبارك منه خير
يشق دجاء صبحٍ مستتير
لمن في الفن أعجزه العبور
كأن ذكاءه للفهم نور
تحوم عليه من بدع نسور
رأيت الناس من فرح تمور
أكفهم تصفق أو تشير
فكل بني العراق به فخور

تخليد العظماء

قالوا: نخلد ذكره بحديقةٍ
ونضيفها في التسميات إلى اسمه
هذا لعمر الله جهل تضحك الـ
إن الحقائق لا تخلد باسمها
ما نفع تسمية الأماكن باسم من
من فاته عُمرُ المساعي فإنه
إنَّ المعالي ما لهنَّ مآثر
هل تُذكرُ الأشجار من بعد البلى
والذكريات إذا أنت بشهودها
من سار في دنياه سيرة مصلح
من عاش في خطط البلاد مؤثراً

غناءً فيها تنبت الأزهار
حتى يكون له بها تذكّار
—عقلاء منه وتهزأ الأحرار
من لا تخلد ذكره الآثار
خَلَّتِ الضمائر منه والأفكار
بعد الممات بغيرها الإنشار
مثل الليالي ما بها أقمار
إلا بما انتضدت بها الأثمار؟!
حسن السماع وأُحْمِدَ التكرار
لهجت بخالد ذكره الأمصار
أحيته بعد مماته الآثار

بين الرصافي والشيخ الراوي

أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم الراوي قصيدة إلى المرحوم الرصافي، من جملتها البيت الآتي:

جميل الزهاوي والرّصافي المقدّم

وأشعر أهل العصر عندي بلا مرا

فنظم الرصافي القصيدة التالية وأرسلها إلى الشيخ الراوي:

فضل أطل الخافقين عميما
وبها استحق من الورى تعظيما
جالست منه مرشداً وحكيما
أحسست فيك لشخصه تعظيما
فأصحّ منها ما رآه سقيما
—مجد المؤثّل حادثاً وقديما
ضمّنتها الدرّ النضيد نظيما
تلقاء مثلك يوجب التقديما
فشفيت من قلبي الكلوم كلوما
تركت فخار مفاخرىك هشيما
وأقل مدحك أن تُعدّ كريما

للسيد الراويّ إبراهيم
ومناقب لهج الرواة بذكرها
شيخ إذا جالسته في مجلس
وإذا نظرت لشخصه متأملاً
داوى قلوب ملازميه بهديه
يا أيها الشيخ الذي قد أدرك ال—
أرسلت مألّكةً إليّ كريمة
أحسنّت ظنك بي وحسن الظن من
شكرًا على شعرٍ إليّ بعنته
شيم الكرام ورثتها من هاشم
أدنى احترامك أن تخصص بالعلّا

إلى الشيخ قاسم القيسي

إذا قاسم القيسي مَرَّ بخاطري
تذكرته إذ كنت للعلم طالباً
فقد كنت أحياناً أزور فناءه
وكم زرتة في جامع الفضل راجياً
إذا زرتة يوماً نثلت كنانتي
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت
هو العالم الحبر الذي من يلذُّ به
بما شاء في التوضيح من واقد الذكا
بقية أعلام مضوا وكفى به
له نظر في غامض العلم شامل
إذا ما نحا في العلم قتلَ عويصةٍ
نماه أبوه الشيخ أحمد للعلا
فقد كان فرداً كابنه في ذكائه
وكان بتقسيم الموارد عالمًا
فيا رمسه هنا بالذي أنت رامسُ

تذكرت عهداً في الصبا مَرَّ كالحلمِ
بفكري ودمعي جاهد النفس والجسم
وأنتابه للرشف من منهل العلم
شفاء لما في مدنف الفهم من سقم
فتقف منها كلُّ ما اعوج من سهم
بلقياه عني غمة الغرم والغنم
يكن فائزاً بالعلم والأدب الجم
وما شاء في التقرير من صادق الحكم
من العلم طوداً فوق أطواده الشم
ورأيي سديد لا يحوم على الوهم
رماها بسهم من فطانتها مصمي
فبورك في الآباء من والد شهم
فجاء ابنه قرماً تولد من قرم
ينيف بها رأياً على ثاقب النجم
سقاك السحاب الجون بالوابل السُّجَمِ

تقريظ كتاب القيسي

هذا كتابٌ قد تبدّأ جامعا	حكماً تبين للنحاة التابعاً
كشفت فوائده وهنّ فرائدُ	عن وجه غانية المرام براقعاً
أبدت بدائعهُ براعة قاسم	من راح في طرق المعارف بارعاً
بحر تلاطم بالفنون وبدره	لا زال في برج السعادة طالعاً
هذا لعمر أبي سحابُ علومه	قد سح للطلاب غيثاً نافعاً

الرصافي يحيي وفد مصر الشقيقة

أتى من مصر طَلَعْتُهَا بُنْ حربٍ
وأهلاً بالذي ادَّخرته مصرٌ
فأهلاً بالمدلّ كل صعب^١
لدفع مُلْمةٍ ولقرع خطب



هو الرجل الذي في مصر قامت
تعهد بالمساعي الغر مصرًا
له همم تنفّس كل كرب
فبدل جذب تربتها بخصب
أحبّ بلاده فسمعت منها
له شكر الحبيبة للمحب



لقد شاهدت مبتهاجًا بعيني
ففي «الكبرى» له متحركات
معامل مارست غزلًا ونسجًا
وفي الإسكندرية باخرات
وأما بنك مصر فذاك أمر
له في مصر آثارًا كبارا
تخلد في البلاد له الفخارا^٢
فأغنت في صناعتها الديارا
له في البحر تبتدر السفارا
به قد جل «طلعت» أن يبارى



إذا ما مصر في المال استقلت
فإن المال أكبر ما يرجّى
إذا ما الشعب كان أسير فقر
أصبح في سياسته طليقًا
فلا تخشى التأخر في السياسة^٣
به نيل السيادة والرئاسه
فما تجدي السياسة والحماسه
أسيرٌ أوجب الفقر احتباسه؟



رجال النيل خبيتم رجالًا
بكم طرب الفرات وقال جهرا
كلانا جاريان على سهول
كلانا في الإخاء لنا مواض
بما للعرب فيكم من سمات
لوادي النيل: إنك من لداتي
بأبناء العروبة أهلات
ضمنّ لنا النجاح بكل آت

وتجمعنا جوامع كبريات

وأكبرهن سيدة اللغات ^٤



لقد زرناكم قبلًا فكنا
فمن بيت يمدُّ به سماطُ
وما هذا لعمر الحق منكم
وما زرناكم لكبير ملك
ألا فلتحي مصرُ فنحن نرجو

على نشر التجلة والكرامه ^٥
ومن وجه تضيء به ابتسامه
ببدع بل لكم فيه استقامه
ولكن للأخوة والشهامه
لكم فيها السعادة والسلامه



وكم في مصرٍ من بطل سواكم
وكم راقٍ بها في جو علم
وكم ساعٍ لها بخطا ابن حربٍ
ولكن ابن حرب في دجاها
فكيف تكون مصرٌ في أسار

يسير بها على خطوات سعد ^٦
فيستهدي لأنجمه ويهدي
ليسعدّها بما يقني ويجدي
كبدر الأفق حلّ ببرج سعد
وفيها اليوم من يحمي ويفدي!

^١ زار العراق سنة ١٩٣٦ وفد مصري يرؤسه المرحوم طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادي ومؤسس بنك مصر وشركاته العديدة التي عادت على مصر بنتائج طيبة ما زالت تذكر فتشكر.

^٢ يريد بالكبرى: «المحلة الكبرى»، وهي مدينة مزدحمة بالمعامل ويعود الفضل في تصنيعها إلى المرحوم طلعت حرب باشا.

^٣ يشير إلى أن الاستقلال الاقتصادي هو أهم من الاستقلال السياسي.

^٤ يريد بسيدة اللغات: العربية.

^٥ يشير إلى زيارته مصر ممثلًا العراق في آذار سنة ١٩٣٦ وإلى الحفاوة التي لقيها.

^٦ زعيم مصر سعد زغلول مؤسس حزب الوفد وباعث النهضة السياسية.

جدول المحتويات

الجزء الأول

الكونيات

في مشهد الكائنات
العالم شعر
تجاه اللانهاية
من أين وإلى أين؟
نحن على منطاد
كلمة معتبر
ألكني يا ضياء
الأرض

الاجتماعيات

نحن والماضي
معترك الحياة
أم اليتيم
السجن في بغداد
الدهر والحقيقة
في سبيل حرية الفكر
إلى أبناء المدارس
المطلقة
اليتيم في العيد
سياسة لا حماسة
إلى الشبان
الدهر
إلى أبناء الوطن
في المعهد العلمي
في منتدى التهذيب
في رحلة
الفنون الجميلة
الحياة الاجتماعية والتعاون
في سبيل الوطنية
في المدرسة: دار التفيض
المدارس ونهجها
العلم والإجازة فيه
العلم
دار الأيتام أو مدرسة شلّ في القدس
الفقر والسقام
تنبيه النيام
سوء المنقلب
العادات
بعد الدستور
إيقاظ الرقود
الصديق المضاع
بعد البين
يقولون
في سبيل الوطن
بين تونس وبغداد

في حفلة شوقي
الامة العربية: ماضيها وباقيها
في إيلياء
تجاه الريحاني
بني الأرض
الحمد للمعلم
عرس مصر
من مضحكات الدهر
الشارع الكبير ببغداد
على الخوان
تحية سر كيس
إلى البلاغ
في حفلة الزهاوي
إلى صاحبة الحياة الجديدة
إلى المتعلم
اليتيم المخدوع
ميت الأحياء وحي الأموات
نحن في بغداد
رقية الصريع
مثنيات شعرية
إلى المتقاعدين من ضباط الجيش
دار تربية الطفل
خزانة الأوقاف
التعصب الوطني للأدب
عتاب وولاء
مناجاة وشكوى
في حفلة الميلاد النبوي
إلى العمال

الفلسفيات

خواطر شاعر
وجه ابن آدم
ما وراء القبر
لو
حقيقتي السلبية
حياة الورى
حبذا النوم
بين الروح والجسد
من نواميس الحياة

الوصفيات

أنا والشعر
الغروب
ليلة في ملهى
في القطار
الارملة المرضعة
عهد الصبا أو نهر الحياة
السفر في التوميل
من ويلات الحرب
على جسر مود
على البسفور
إلى غرة آل سعدون

الوسام وفخامة رئيس الوزراء

نحن

في ملعب كرة القدم

الإحسان

الجرائد وما كانت عليه في الآستانة

وقفة في الروض

ما رأيت في بك أوغلي

السد في بغداد

الساعة

ذكرى لبنان

لبنان

في مكتبة الأوقاف

آل الجميل

البلبل والورد

أغرودة العندليب

الصيف

الشتاء

التلغراف أو الأسلاك البرقية

بيروت والتباريس

في المستشفى الملكي

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

يا دار قسطنطين

فلكس فارس

مليكة غناء العرب

إلى جميع الغواني

قصر البحر

محاسن الطبيعة

ليلة في دمشق

جول البسفور

تأثير التربية

يقظة الشرق

إلى القزويني

إلى حماة الأطفال

شاعر البشر

ذكرى المآثر التيمورية

أبو الطيب المتنبي

إلى الجواهري

الثناء المخلد

الرصاصي يقرّظ كتابًا للزهاوي

الأقول المشرق

وقال هذه الأبيات مترجمًا

إلى طه الراوي

إلى البطل عبد الكريم الريفي

بداعة لا خلاعة

في دار التقيب

الحق المغتصب

تحت تصوير النائب

إلى عبد الكريم العلاف

الحريقيات

وقفة عند شراغان

أم الطفل في مشهد الحريق
ثالثة الأثافي

الجزء الثاني

المراثي

وا صديقه! في الملكوت الأعلى
وا محمداه! وا شيخاه!
في موقف الأسى ذكرى الرجال من حياة الأمم
ذكرى الشيخ الخالصي على ضريح النائب
دموع الصداقة هلم نبك
دمعة على صديق ميتة البطل الأكبر
ذكرى فتى السعدون ابن جبران
جبر ضومط أبو الملوك
الشيخ قاسم مدرس جامع النعمانية
غريق دجلة شهداء الطيران
إلى أمين نخلة في يوم أبي غازي
ذكرى الكاظمي رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر

نسيئات

المرأة في الشرق نساؤنا
حرية الزواج عندنا المرأة المسلمة
التربية والأمهات المهجور أو مشهد الحسد في الحزن
إلى الحجابيين هوان المرأة عندنا

التاريخيات

ضلال التاريخ جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي
الحرب في البحر أو وقعة توشima بين الروس واليابان
هولاكو أبو دلامة والمستقبل
أطلال العلم أو المدرسة النظامية في بغداد
في سلانيك وقفة عند يلدر
تموز الحرية المجلس العمومي
يوم العروس

السياسيات

إلى الأمة العربية

شكوى إلى الدستور
في معرض السيف
ما هكذا
في ليلة نابغة
إلى السلطنة
الوطن والأحزاب
عند سياحة السلطان
الحق والقوة
صبح الأماني
نواح دجلة
بعد براح الشام
تجاه الريحاني
بعد النزوح
إلى هرب صموئيل
مظاهر التعصب في عصر المدنية
ولسون بين القول والفعل
يا محب الشرق
إلى بطل الشرق الأكبر
تجاه الريحاني
في المدرسة الحربية
العلم والعلم
السجيا فوق العلم وفوق العالم
الحرية في سياسة المستعمرين
غادة الانتداب
الفيل والحمل
دمشق تندب أهلها
معترك الأهواء
نفثة مصدور
إخفار الذمم أو عبد العزيز شاويش
ياسين باشا
كيف نحن في العراق؟
في طريقي إلى حلب
حكومة الانتداب
الوزارة المذبذبة
يوم الفلوجة
الإنكليز في سياستهم الاستعمارية
بين الانتداب والاستقلال
بني وطني
يوم سنغافورة
نحن والحالة العالمية

الحريات

إلى الحرب
في طرابلس
أدرنة
الجيش بقائده أو هزيمة «لولا برغاز»
الوطن والجهاد
رؤياي الصادقة
أنشودة الحرب
الشيطان والطلليان

المقطعات

قصر الحمراء
يا ضاربًا بالكمان
يا دهر
الحقائق الملقنة
الخطوة الأولى
وجه نعيم
المغربي
صفا لك
إليك عادل
الكتاب
من هذا؟
من مطبخ الدستور
الوزارة عندنا
عبد اللطيف باشا المنديل
إلى السباعي
عفو بعد نفي
التراموي في الآستانة سنة ١٩٠٩
لقيتها في الطريق
الدين والوطن
الحياة والأداة
يا أيها المفتي
في معرض الشكر
عند لعبة البيلارد
السينما الوطني
عند نشر المعاهدة
وزراء المعارف عندنا
قيصر معلوف
إلى أمين كاملة
إلى عبد الوهاب النائب
إلى أولي الأمر
المصور البارع
الأغنياء والفقراء
الجهل فضاح
حمام الوزارة
رخص المناصب
الناس والملوك
منزلة المعلم في المجتمع الإنساني
أم سري
الحزب الحر العراقي
قال ذو الحزب
المسلم المصلح
نجل عبد اللطيف
عبد الوهاب النائب
إلى أمير الكمنجة
إلى محمد الرضا
فخامة الرئيس ووسام الرافدين
في بيروت
نهاد قرّة الأعين
ذات الشعر الأبيض
رقة قولي

جو بيروت
على مقابر الشهداء
منيرة
يطلب جلنار
اسمعي لي كلاما
وقال في عود انكسر
صاق الخناق
وصف البدر عند الإفرنج
إلى أم كلثوم
أيتها الكعاب
الشيخ المرائي
جاهل متكبر
الطفل الملتحي
فاسقُ مُراءٍ أو جاهل يدعي العلم
الأرض
أيها المشنوق
بين اليأس والرجاء
جواب عن كتاب
الغني غني النفس
الشوق
شكر على صنيع
لمن الديار؟
ليالي الأنس
الشمس
رئيس الدائنية
راقم وما أدراك ما راقم!
نقش على الماء
هوة الموت
رقت بوصف جمالك ...
قامت تميمس
المكتب
أقبلت في غلائل
كل امرئ وصديقه
النفس الأمانة
الأنس في غير موقعه كدر
الدمع والنار
البصرة
الحر في أغسطس
البرد في كانون
معلقة وقد قالها ارتجالاً
قد يطفح اللؤم
اللؤم يهجو بعضهم
تجنب
في المسرح
شكر ووداع
إلى إيناس الوزير
في مأدبة آل لطف الله
في مأدبة عبد الرحمن عزام بحلوان
في مأدبة نظلة الحكيم
الكرخي ومن كذب في منعه

من خواطر الماضي
صورة
عصاي الفتية
النشيد الوطني
إلى عبد الستار القرغولي
دمعة على قبر الزهاوي
في مدرسة الإمام الأعظم
شكر ومديح
القدوم المبارك
إلى حسين النائب
إلى الدكتور زكي مبارك
تخليد العظماء
بين الرصافي والشيخ الراوي
إلى الشيخ قاسم القيسي
تقريط كتاب القيسي
الرصافي يحيي وفد مصر الشقيقة